وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
(٦٠٨ - ٦٨١ هـ)

حققه

الدكتور إحسان عباس

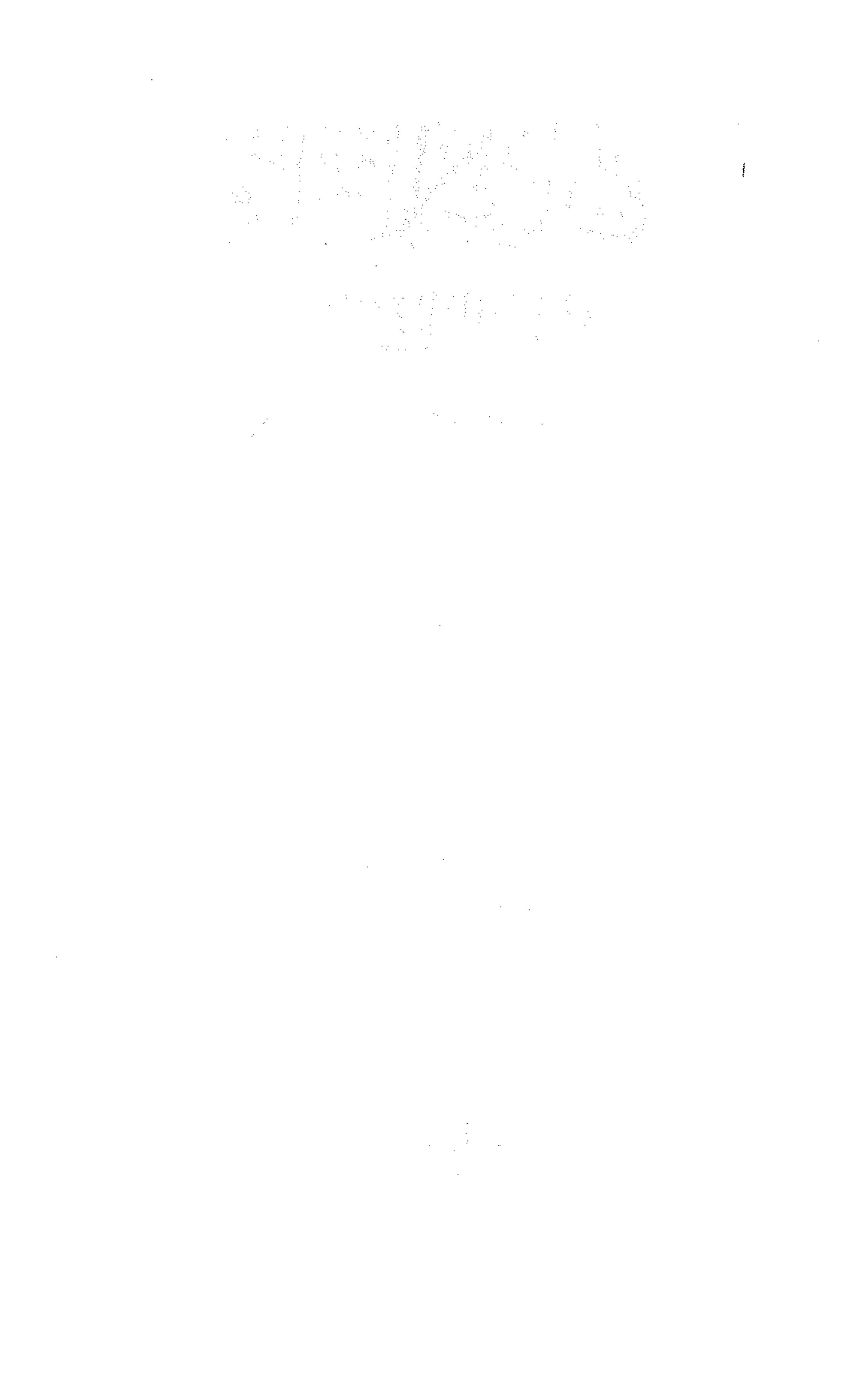
المجلد السابع

دار صادر
بيروت

وفيات الاعيان

٧





مصادر ترجمته وأخباره[1]

كمال الدين ابن الشعار (- ٦٥٤) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١ : ٤٥٤) مخطوطة أسعد أفندي رقم ٢٣٢٣ .

شهاب الدين أبو شامة (- ٦٦٥) ذيل الروضتين (ط . القاهرة ١٩٤٧) .

شمس الدين ابن خلكان (- ٦٨١) وفيات الأعيان (في مواضع متفرقة).

كمال الدين أبو الفتح موسى بن أحمد ابن خلكان (- ٧١٧) : خاتمة المختار من وفيات الأعيان ، مخطوطة مكتبة وزارة شئون الهند Loth : 705 انظر مقدمة الجزء الرابع من الوفيات : ط) .

قطب الدين اليونيني (- ٧٢٦) ذيل مرآة الزمان (صفحات متفرقة في ج ١ ، ٢) (ط . حيدر آباد ١٩٥٥) .

أبو الفدا اسماعيل بن علي (- ٧٣٢) : المختصر في أخبار البشر ٤ : ١٧ (ط . القاهرة ١٣٢٥) .

---

١ ذكرت المصادر أن له ترجمة في تاريخ الحافظ قطب الدين (لعله اليونيني) وترجمة في معجم البرزالي وثالثة في تاريخ الشهاب محمود ورابعة في تاريخ الشيخ تاج الدين الفزاري؛ كذلك لم أجد له ترجمة في ابن العديم رغم اشارة المصادر إلى أنه مذكور في تاريخ ابن العديم ولم أستطع الحصول على ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ، وقد وردت له ترجمة باللغة الانجليزية في أول الجزء الرابع من طبعة دي سلان ، تعتمد في الأكثر على ما جاء في وفيات الأعيان .

ابن أيبك الدواداري (بعد ٧٣٦) كنز الدرر جـ ٨ ؛ تحقيق أولرخ هارمان
(ط . القاهرة ١٩٧١) .
شمس الدين الذهبي (ــ ٧٤٨) العبر في خبر من غبر ٥ : ٣٣٤ (ط. الكويت)
صلاح الدين الصفدي (ــ ٧٦٤) الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٨ تحقيق احسان
عباس (١٩٦٩) .
ابن شاكر الكتبي (ــ ٧٦٤) فوات الوفيات ١ : ١٠٠ تحقيق محيي الدين
عبد الحميد .
ابن شاكر الكتبي (ــ ٧٦٤) عيون التواريخ ، مخطوطة طوبقبوسراي رقم
2922 / 21 ومخطوطة كوبريللي رقم ١١٢١ .
عبد الله بن أسعد اليافعي (ــ ٧٦٨) مرآة الجنان ٤ : ١٩٣ (ط . حيدر
آباد ١٣٣٩) .
تاج الدين السبكي (ــ ٧٧١) طبقات الشافعية ٥ : ١٤ (ط . الحسينية) .
جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي (ــ ٧٧٢) طبقات الشافعية ١ : ٤٩٦
تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد ، ١٩٧٠) .
الحافظ ابن كثير (ــ ٧٧٤) : البداية والنهاية ١٣ : ٣٠١ (الطبعة الأولى١٩٦٦)
الزركشي (ــ ٧٩٤) : عقود الجمان ، مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
ابن العماد (ــ ٨٠٨) شذرات الذهب ٥ : ٣٧١ .
ابن قاضي شهبة (ــ ٨٥١) طبقات الشافعية : ٢١٠ (نسخة الجامعة الاميركية
ببيروت) .
بدر الدين العيني (ــ ٨٥٥) عقد الجمان، مخطوطة جار الله رقم ١٥٩١ .
ابن تغري بردي (ــ ٨٧٤) المنهل الصافي (مضمنة في الجزء الأول من
الترجمة الانجليزية لدي سلان) .
ابن تغري بردي (ــ ٨٧٤) النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٣ .
جلال الدين السيوطي (ــ ٩١١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
١ : ٥٥٥ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٦٨) .
عبد القادر النعيمي (ــ ٩٢٧) الدارس في تاريخ المدارس ١ : ١٩١ تحقيق

جعفر الحسني (دمشق ١٩٤٨) .

ابن طولون (— ٩٥٣) : رسالة إنباء الأمراء بأنباء الوزراء . مخطوطة برلين Ldg. 704

ابن طولون (— ٩٥٣) قضاة دمشق ص : ٧٦ تحقيق صلاح الدين المنجد (دمشق ١٩٥٦) .

ابن القاضي (— ١٠٢٥) درة الحجال ١ : ٧ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور (القاهرة ١٩٧٠) .

مرتضى الزبيدي (— ١٢٠٥) تاج العروس (مادة : بوك ، خلك) .

الخوانساري (— ١٣١٣) روضات الجنات : ٨٧ (ط . ايران ١٣٦٧) .

مخطوطة برلين رقم 9449 Spr. 61 (والراجح أنها نسخة من تاريخ ابن كثير) .



مقدّمة في المؤلِّف وكتابه



١ – موطنه

حين سمّى ابن المستوفي كتابه في تاريخ إربل : « نباهة البلد الخامل ومن ورد عليه من الأماثل » كان يعني بدقة ما يقول ، فان إربل – حيث ولد ابن خلكان – ظلت بلداً خاملاً لا يأخذ بأسباب النباهة إلا قبيل منتصف القرن السادس الهجري ؛ وكان ابتداء نباهتها حين أصبحت ملكاً لرجل تركماني شديد القصر حتى عرف لشدة قصره بلقب كجك ، ذلك هو زين الدين علي بن بكتكين أحد رجال عماد الدين زنكي ، وقد أعطاه عماد الدين عدة مدن سوى اربل منها سنجار وحرّان وقلاع الهكارية[1] ، وكان زين الدين خيّراً عادلاً مفرط الذكاء والشجاعة ، وفياً بالوعد ، كثير السخاء والانعام ، وكان يبعث إلى البلاد التابعة له نواباً عنه ، فكان أول نائب له باربل مملوكه المعتق سرفتكين الارمني (– ٥٥٩) وقد بنى باربل وقراها مساجد كثيرة ، كما بنى مدرسة القلعة[2] . وخلفه في النيابة باربل مملوك آخر لزين الدين هو أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، وكان رجلاً عادلاً كثير الخير والصلاح بنى باربل مدرسة وخانقاه وجعل لهما أحباساً كثيرة ؛ وهكذا أخذت إربل في ظلّ هذين الحاكمين العادلين تحرز شيئاً من التقدّم والعمران .

ثم إن زين الدين تخلّى عن جميع ما كان بيده من البلاد وأعطاه لقطب الدين أتابك ، ولم يستبق لنفسه سوى إربل ، وذهب إليها فتوفي فيها سنة

١ الباهر : ١٣٥ .

٢ الوفيات ٢ : ٢٣٩ ، ٢٣٧ .

٦٦٣ . وخلفه ابنه مظفر الدين كوكبوري وكان يومذاك في الرابعة عشرة من عمره ، وأتابكه مجاهد الدين قايماز ، ثم اختلف مجاهد الدين معه فنحّاه عن الولاية ونصب بدله أخاه يوسف ، وخرج كوكبوري منها ، واستقرّ بحرّان ، ثم اتصل بخدمه السلطان صلاح الدين فزوجه أخته الست ربيعة خاتون ، وكان لكوكبوري مواقف كثيرة في حروب صلاح الدين ، فلما توفي أخوه يوسف (٥٨٦) عرض كوكبوري على صلاح الدين أن يتزل عما كان بيده من البلاد (الرها وحران وسميساط) ويأخذ بدلها إربل ، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك فعاد إليها في ذلك العام[١] .

بدأ كوكبوري يبذل جهده في إصلاح البلد ومرافقه ، فبنى في اربل أربع خانقاهات للزمنى والعميان ، وخانقاهين للصوفية ، وثلاث دور : واحدة للأرامل وثانية للأيتام وثالثة للملاقيط ، وأنشأ بيمارستاناً وداراً للضيافة ومدرسة سميت باسمه (أي المدرسة المظفرية) لفقهاء الشافعية والحنفية وداراً للحديث ، هذا إلى سخائه بتوزيع الخبز والمال على المحتاجين ، وتفقده لهذه المرافق ورعايته لمن يحلّ فيها . ثم أراد بعد هذه الاصلاحات العمرانية أن يجعل إربل قبلة للأنظار يقصدها الناس من جميع الطبقات ، فجعل مولد الرسول (ص) موسماً تمتد فيه الحفلات اثني عشر يوماً ، وقد وصف ابن خلكان طريقة احتفاله بذلك العيد وصفاً مسهباً ممتعاً لا حاجة بنا إلى إيراده في هذا المقام[٢] . وقد استطاعت هذه الجهود أن ترفع المستوى الثقافي بين أهل إربل وأن تجذب إليها العلماء والأدباء من مختلف النواحي .

كانت اربل في عهد كوكبوري قسمين : المدينة نفسها وقلعتها الحصينة ؛ وتقع المدينة في فضاء من الأرض واسع بسيط ، كما تقع القلعة في طرف منها ، وسور المدينة منقطع في نصفها . وكان في القلعة أسواق ومنازل للناس وجامع للصلاة ، وفي ربض القلعة مدينة عريضة بني سورها وعمر أسواقها

---

١ الوفيات ٤ : ١١٤ — ١١٥ .

٢ الوفيات ٤ : ١١٧ — ١١٩ .

وقيساريتها كوكبوري ؛ ويقول ياقوت الذي نقلت عنه هذا الوصف — وقد زارها في أيام كوكبوري — إن بنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن ، وأكثر زروعها على القنيّ المستنبطة تحت الأرض وشربهم من آبارهم العذبة الطيبة المريئة [1] .

وقد لاحظ الذين زاروا إربل أن كوكبوري رغم سخائه الكثير وصدقاته الغامرة وأعمال البرّ التي كان يقوم بها في إربل وغيرها ، كان عسوفاً كثير المصادرات ، يأخذ الأموال من غير حق له فيها [2] ، وذلك جانب لم يحاول ابن خلكان إبرازه في ترجمة كوكبوري ، لأنه كان مأخوذاً بما أفضله هذا الحاكم على بني خلكان وبما كان بينه وبين والد المؤلف من علاقة طيبة .

وقد توفرت لاربل في عهد كوكبوري جميع الخطط والدواوين والمصالح التي تتطلبها دولة مستقلة ، من ذلك :

١ — خطة الوزارة : وليها ولي الدين أبو الثناء محمود بن محمد الحرّاني ، ثم قبض عليه كوكبوري فخلفه فيها علي بن شماس منتقلاً إليها من ديوان الانشاء ، ثم حبسه مظفر الدين ومات في حبسه سنة ٦٢٢ ، وجاء بعده ابراهيم ابن علي بن أبي حرب الموصلي ، ودام في هذا المنصب حتى سنة ٦٢٨ حين قبض عليه وعلى أولاده وسجنهم، ولم يفرج عنهم إلا بعد وفاة المعظم [3] ؛ وكان آخر من تولاّها له أبو البركات ابن المستوفي ، أوائل سنة ٦٢٩ فاستبشر الناس بيمن طلعته، ولكن عهده فيها لم يطل إذ توفي المعظم في السنة التالية .

٢ — خطة الحجابة : ومن أشهر من تولاها أحمد بن عبد السيد بن شعبان الاربلي ثم تغير عليه الملك المعظم واعتقله مدة ، فلما أفرج عنه هاجر من اربل إلى بلاد الشام سنة ٦٠٣ (أو السنة التي تليها) [4] .

---

١ معجم البلدان (إربل) .
٢ انظر عقود الجمان ٦ : ٣٤ (في ترجمة ابن المستوفي) ٩ : ١٨٦ ومعجم البلدان (إربل) .
٣ عقود الجمان ٤ : ١ .
٤ الوفيات ١ : ١٨٤ وعقود الجمان ١ : ١٧٤ .

٣ — ديوان الانشاء : عمل فيه علي بن شماس ثم ابن المستوفي ، ثم أسعد بن ابراهيم النشابي ، وقد أصبح هذا الأخير ذا أمر ونهي كبير المنزلة بسيط الجاه نافذ القول وانتهى به الحال إلى أن قبض عليه مظفر الدين (٦٢٩)[١] .

٤ — ديوان الوقوف والاستيفاء : من أشهر من تولاه أبو البركات ابن المستوفي ، ولم يكن يأخذ أجراً ومع ذلك لم يسلم من المصادرة ، فان كوكبوري اعتقله في السجن وقيده بقيد ثقيل وأخذ منه سبعة آلاف دينار مصادرة استدان بعضها ، والباقي حصله من مغلّ أملاكه[٢] .

٥ — ديوان المظالم : تولاه محمد بن الوزير محمود بن أبي الثناء وكان جريئاً مهيباً قبض عليه كوكبوري حين قبض على أبيه واخوته (توفي ٦١٢)[٣] .

٦ — ديوان الارتفاع الخاص : وليه أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن النصراني ، وكان ماهراً في الحسبانات الديوانية والأحكام الخراجية (توفي ٦٢١)[٤] .

٧ — الاهراء والتصرّف : وليها اسحاق بن معالي بن شماس ابن أخي الوزير علي بن شماس ، ثم رفع عليه مال جليل عجز عن أدائه فاعتقله السلطان وقيده ومات في سجنه (٦١٧)[٥] وممن ولي التصرف يوسف بن ضوّ[٦] ، وعبد الله بن عمر الاربلي وكان ماهراً في صناعة التصرف والحساب والمساحة[٧] .

٨ — دار الضرب : وليها عثمان بن ابراهيم الرصاصي ، وكان ينقش فيها سكك الدنانير وبقي على وظيفته حتّى توفي الملك المعظم[٨] .

---

١ عقود الجمان ١ : ٥٢١ وله ترجمة في الجزء التاسع من الوافي .
٢ عقود الجمان ٦ : ٣٤ وما بعدها .
٣ عقود الجمان ٦ : ٣٧٤ .
٤ عقود الجمان ٩ : ٢٤٤ .
٥ عقود الجمان ١ : ٤٧٧ .
٦ عقود الجمان ١٠ : ٤٤٠ .
٧ عقود الجمان ٣ : ٣٠٥ .
٨ عقود الجمان : (ترجمة : عثمان بن ابراهيم الرصاصي)

٩ — كتابة الطغرة : تولاّها هاشم بن عبد السلام بن يوسف الاربلي ، ونال في وظيفته تمكناً ووجاهة وكثرت أمواله [١] .

١٠ — خزانة السلاح : كان يتولاها أسعد بن أحمد أبو المحاسن الاربلي [٢] .

وليست هذه الخطط والوظائف إلا نماذج لما كان عليه تنظيم الدولة في عهد كوكبوري ، ولكن مما يلفت النظر أن الذين سلموا من عقابه ، ممن عملوا معه ، كانوا قليلي العدد ، وان أكثرهم صودروا وعذبوا واعتقلوا ، فمنهم من مات في سجنه ، ومنهم من آثر الرحيل عن تلك المدينة عندما أطلق سراحه .

إلى هذه المدينة التي كان صاحبها لا يعظم أحداً تعظيمه للفقهاء والمحدثين والصوفية ، جاء الفقيه محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان ونزل في المدرسة المظفرية ، ووجد رعاية ومودة من مظفر الدين ، وفي تلك المدرسة ولد ابنه أحمد ، موضوع هذه الدراسة . فشهد ذلك الابن جانباً من ذلك العهد الزاهر باربل ، وهاجر منها وهي لا تزال تعجّ بطلاب العلم والعلماء والتجار وطلاب العطاء . وبعد وفاة كوكبوري (سنة ٦٣٠) استولت عليها عساكر الخليفة المستنصر [٣] ، ثم اجتاحها التتر (٦٣٤) فخربوها وقتلوا أكثر أهلها ، ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى القلعة [٤] ، وهكذا خفت ذلك اللألاء الذي لاح فترة من الزمن ، وعادت المدينة إلى سابق خمولها .

---

١ عقود الجمان ٩ : ١٨٦ .

٢ عقود الجمان ١ : ٤٩٨ .

٣ انظر التفصيل في ذلك في الحوادث الجامعة : ٤٤ — ٥٠ ، وقد تولى أمرها الأمير باتكين ، وقد نزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، وجعل المشرف فيها ابن المصطنع ، والكاتب ابن عبدان النصراني ، وعارض الجيش ابن عسكر الأنباري .

٤ الحوادث الجامعة : ٩٨ ، ١٠٩ .

- خلكان
  - أبو بكر
    - ابراهيم
      - عبد الرحمن
        - أحمد
      - نجم الدين أبو حفص عمر
      - ركن الدين أبو عبد الله الحسين
      - شهاب الدين محمد
        - بهاء الدين محمد
        - ضياء الدين عيسى
        - شمس الدين أحمد (المؤلف)
          - كمال الدين أبو الفتح موسى (صاحب المختار)

٢ — أسرتـه

هو أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باوك بن عبد الله ابن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك .

وقد ضبط « شاكل » في نسبه بفتح الكاف[١] ، كما ضبط « باوك » بفتح الواو[٢] ، غير أن الزبيدي قال في التاج[٣] : « وبائك جد القاضي شمس الدين ابن خلكان، ضبطه منصور بن مسلم هكذا » . وذكر الزبيدي ضبط « خلكان » بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة[٤] ، وقال النعيمي انه بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام، معتمداً في ذلك على أنه رأى الاسم مضبوطاً كذلك بخط صاحب الوفيات نفسه[٥] وهذا هو المشهور في ضبط هذه اللفظة . غير أن الخوانساري أضاف إلى الضبطين السابقين ثالثاً فزعم أن الاسم بضم الخاء وفتح اللام المشدّدة « خُلّكان » — كما أسند إلى المشهور[٦] — وقيل إن « خلكان » اسم قرية من عمل إربل[٧] ، وقد قطع ابن المستوفي الشكّ حين ذكر أن القرية انما سميت كذلك باسم جدّ الاسرة ، ونسبت إليه على طريق النسبة الكردية[٨]، وثمة تعليل واه لاطلاق هذا الاسم عليه — على حسب الضبط الثاني « خلّكان » — فقد قيل « انه افتخر يوماً في مجلس كان له على بعض قرنائه بمفاخر آبائه الذين هم آل البرامكة الوزراء المشهورون فقيل له في ذلك خلّ كان ، بمعنى دع كان أبي كذا وجدي كذا ونسبي كذا وحدثنا عما يكون في نفسك الآن »[٩] ، وهو تعليل واضح الافتعال وان

---

١ ابن طولون ، ٣٥ /أ والمنهل الصافي ؛ وجاء بخط ابن المؤلف « شاكر » .
٢ ابن طولون والمنهل الصافي وهو بالواو بخط ابنه ، ووقع « بائك » خطأً في مقدمة الجزء الرابع .
٣ التاج (بوك) وانظر أيضاً (خلك) .
٤ التاج (خلك) .
٥ الدارس ١ : ١٩١ .
٦ روضات الجنات : ٨٧ .
٧ الاسنوي ١ : ٤٩٥ وخطأه ابن قاضي شهبة الورقة ٢١١، وانظر الشذرات ٥ : ٣٧٢ مع أن الاسنوي على صواب .
٨ تاريخ اربل : ٢٧٣ .
٩ روضات الجنات : ٨٧ ، ومختصر الوفيات لوجدي ابراهيم ، الورقة : ٦٤ .

كنّا لا نملك ما يوضح حقيقة هذه التسمية .

وقد أضاف صاحب روضات الجنات في نسبته لفظة « الهكاري » أي المنسوب إلى الهكارية ، وهي بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابني عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية[1] ؛ وهذه نسبة لم يذكرها أحد سواه فيما أعلم ، وقد قصد بها النسبة إلى المكان ، ولكن من الثابت أنّ المؤلف اربلي المولد ، ولم تكن إربل تعد واحدة من بلدان منطقة الهكارية ، وقد ترجم المؤلف في كتابه لعدد من الهكاريين فلم يشر أدنى إشارة إلى علاقة أسرتهم بتلك المنطقة .

أما الذين قالوا إنه بلخي الأصل[2] فقد قرنوا بين انتسابه إلى البرامكة وأن مدينة بلخ هي الموطن الذي كان يعيش فيه جدهم برمك ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بتلك المدينة[3] ؛ وقد كانت النسبة إلى البرامكة قضية لا إشكال فيها في نظر المؤلف ، ولكنها لم تكن كذلك في نظر بعض معاصريه ، إذ يقال إنه سأل مرة بعض أصحابه عما يقوله فيه أهل دمشق ، فأخبره أنهم ينسبونه إلى الكذب في نسبه ، فكان جوابه على ذلك قوله « أما النسب والكذب فيه فاذا كان ولا بدّ منه فكنت أنتسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الصحابة ، وأما النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة »[4]. وقد كانت مشكلة النسب هذه ما تزال حية لدى من ترجموا له من مؤرخي القرن الثامن كالقطب اليونيني والصلاح الصفدي وابن شاكر والزركشي ، حتى قال اليونيني : سمعت من يذكر إنما خرج له النسب إلى البرامكة أبو شامة[5] . وحاول بعض هؤلاء المؤرخين أن يقوّي من هذه النسبة بالاعتماد على ما كتبه معاصرو

---

١ ياقوت : (الهكارية) .
٢ انظر مثلا ابن طولون : ٣٥/أ .
٣ الوفيات ٦ : ٢١٩ .
٤ الصفدي ٧ : ٣١٣ وابن شاكر ، الفوات ١ : ١٠٢ والزركشي ١ : ٥٣/أ .
٥ الصفدي ٧ : ٣١٣ .

المؤلف عنه أو عن أحد من أفراد أسرته ، فالصاحب شرف الدين ابن المستوفي صاحب تاريخ اربل ترجم لابن عم المؤلف ونسبه إلى البرامكة[1] ، وهذا لا يقوّي القول بهذه النسبة وحسب بل ينفي زعم من زعم ان أبا شامة هو الذي خرّج له هذا النسب ، ذلك لأن صلة ابن خلكان بأبي شامة ربما لم يكن لها وجود قبل عام ٦٥٩ (عام توليه القضاء بدمشق) وابن المستوفي توفي سنة ٦٣٧ [2] وألف كتابه قبل وفاته بعدة أعوام . كذلك فان الصاحب كمال الدين ابن العديم ذكر المؤلف في «تاريخ حلب»[3] ونسبه إلى البرامكة[4] .

وإذا صحّ ان ابن المستوفي نسب أسرة المؤلف إلى البرامكة فمعنى ذلك أنه كان نسباً معروفاً لهم في إربل وقراها ، قبل عهد المؤلف ، ولكن لدى مراجعة القطعة المتبقية من «تاريخ اربل» نجد ترجمةً للفقيه أبي حفص عمر ابن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان[5] ، ولم يرفع في نسبه أكثر مما ذكرناه هنا ، ولم يتجاوز «خلكان» في ترجمة آخر[6] ؛ ومن أقدم التراجم التي كتبها أحد معاصري المؤلف ، ترجمته في عقود الجمان لابن الشعار[7] ، وقد رفع في نسبه إلى «مالك» ولم يزد ، كما أن هذا المؤلف نفسه ترجم لخلكاني آخر وقال فيه «من أبناء الأكراد»[8] ، فقوله «من أبناء الأكراد» قد يوحي بالسبب الذي جعله يتوقف في نسب ابن خلكان صاحب الوفيات عند جده «مالك» ، ولعلّ ابن الشعار لم يغب عنه ما كان يقوله بنو خلكان

---

١ الصفدي ٧ : ٣١٣ ومعلوم أن تاريخ اربل لم يصلنا ، وكل ما لدينا فانه قطعة منه ، ولهذا لم نستطع أن نتثبت يقيناً مما قاله الصفدي .
٢ انظر الوفيات ٤ : ١٤٧ .
٣ راجعت نسخة طوبقبوسراي من بغية الطلب فلم أعثر فيه على ترجمة لابن خلكان .
٤ الصفدي ٧ : ٣١٣ .
٥ تاريخ اربل : ٢٧٣ .
٦ تاريخ اربل : ٣٢٥ .
٧ ابن الشعار ١ : ٤٥٤ .
٨ ابن الشعار ١ : ٤٤٧ .

في نسبهم فقد عاش في إربل فترة من الزمن ، وانعقدت بينه وبين صاحب الوفيات من بعد صلة حين التقيا في حلب ، لهذا فان سكوته عن ذكر النسب البرمكي مسألة تستدعي التأمل . أما ذكر ابن العديم لهذه النسبة فلعله إنما كان بتأثير المؤلف نفسه ، إذ يبدو أنه كان أيضاً على صلة بابن العديم ، أو لعلها ترديد لما كان شائعاً بين الناس عن هذه النسبة ، دون توقف أو محاكمة ؛ أياً كان الأمر فان الشك في نسبته لم يعد له وجود في المصادر التي جاءت بعد القرن الثامن ؛ فقد غطت شهرة كتابه على تلك المسألة الصغيرة .

غير أن قضية الانتساب إلى البرامكة تعد مسألة اعتبارية محضاً ، إذ صرّح المؤلف لابنه موسى من بعد ، أن قبيلته التي ينتسب إليها من الأكراد هي القبيلة المعروفة بالزرزارية ، وجمع بين النسبة إلى الكرد والنسبة إلى البرامكة دون تردد [1] ؛ ومن المشهور أن البرامكة فارسيون ، فهل معنى ذلك أن الكرد — في رأي المؤلف — يرجعون إلى أصول فارسية ؟. والجواب على هذا السؤال يكمن في اضطراب الانساب الكردية ، وانتماء كثير من القبائل الكردية إلى أصول متباعدة لا رابطة بينها [2] . وبعدما يزيد قليلاً على نصف قرن من وفاة المؤلف كان العمري يقول في أكراد زمانه « إن الأكراد وان دخل في نوعهم كل جنس ... فانهم جنس خاص من نوع عام [3] » فاذا تحدث عن الزرزارية أعاد إلى الذهن ذلك الربط بينهم وبين الفرس فقال : « الزرزارية : هي كلمة عجمية معناها ولد الذئب ويقال انهم ممن تكرّد من العجم المنسوبين إلى ملوكهم » [4] .

وتجمع المصادر التي نوهت بذكر الأسرة تعميماً على أن بيت بني خلكان كان مشهوراً بالفقه والعلم عامة ، وربما كان تميز أفراد تلك الأسرة بالفقه

---

١ انظر مقدمة الجزء الرابع من الوفيات : ط .
٢ انظر في ذلك صفحات متفرقة في شرفنامه للبدليسي .
٣ المسالك ٢ : ٣٠٠ .
٤ المسالك ٢ : ٣٠٥ — ٣٠٦ وصبح الأعشى ٤ : ٣٧٦ .

خاصة أوضح من أي شيء آخر ، ويروي المؤلف أن جده أبا بكر ابن خلكان كان من تلامذة أبي اسحاق الشيرازي في الفقه ، وأنه أول شخص من الأسرة ذهب في هذا الاتجاه وتوفي سنة ٥٢٥ وقد ناهز التسعين من عمره [١]. ومع ذلك فإن المصادر لم تذكر شيئاً عن ما أحرزه أبناء تلك الأسرة من شهرة علمية قبل ظهور أبناء « ابراهيم بن أبي بكر » وهو الجدّ المباشر للمؤلف ؛ أي أن تلك الشهرة العلمية لا ترتفع إلى ما قبل القرن السادس الهجري ؛ على أي حال .

وقد عرفنا من أبناء ابراهيم أربعة هم : عبد الرحمن ونجم الدين أبو حفص عمر وأبو عبد الله أو أبو يحيى الحسين ركن الدين ، وشهاب الدين محمد .

أما عبد الرحمن فلم تترجم له المصادر وإنما ورد اسمه في ترجمة ابنه أحمد [٢] .

وأما الفقيه نجم الدين أبو حفص عمر بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان فانه كان مدرساً بالمدرسة المجاهدية باربل ، وكان مظفر الدين صاحب اربل ينفذه إلى مكة لتوزيع الصدقات ، والانفاق على قنوات أنشأها هنالك تحت جبل عرفات ليشرب منها الحجاج ، وغير ذلك من أمور البرّ ؛ ومن أساتذته ابن أبي الضيف التميمي ؛ وله اجازة من أبي أحمد عبد الوهاب بن علي وأبي الفرج ابن كليب الحراني وابن أبي الكرم البغدادي ؛ توفي بأربل سنة ٦٠٩ ودفن بمقبرتها العامة [٣] .

وأما الحسين بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان[٤] فكان فقيهاً عالماً عارفاً

١ مقدمة الجزء الرابع : ط .

٢ ابن الشعار ١ : ٤٤٧ أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باوك ابن عبد الله بن شاكل ، الاربلي الأصل ، من أبناء الأكراد ، ومن بيت فقه وعلم ، شاب قصير يتزيا بزي الأجناد . أخبرني أنه ولد بالجزيرة العمرية يوم الخميس آخر النهار ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ولم يكن عنده ما عند أهله من الفقه (ثم أورد له نموذجين من شعره) .

٣ تاريخ اربل : ٢٧٣ وانظر الاسنوي ١ : ٤٩٥ والسبكي ٥ : ١٣٠ .

٤ تاريخ اربل : ٣٢٥ والاسنوي ١ : ٤٩٥ وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٢٣ .

بمذهب الشافعي كثير تلاوة القرآن ، له سمت حسن ووقار ، سمع من يحيى ابن محمود بن سعد المكي كتاب الحجة في بيان المحجة ؛ وكتاب « شرح مذهب السلف » جمع أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل ، وكان به مرض بقي عدة سنين ثم برأ منه ، وتوفي باربل سنة ٦٢٢ ودفن بالمقبرة العامة شرقي البلد .

ورابع الاخوة شهاب الدين محمد هو والد أحمد الذي عرف من بعد بكتابه وفيات الأعيان ؛ ولد محمد في حدود سنة ٥٥٧ ورحل في طلب الحديث إلى الشام ومصر والحجاز والعراق ، وتفقه بالموصل ، وكان من أساتذته فيها عماد الدين ابن يونس بن منعة ، قرأ عليه — فيما قرأ — كتاب الوسيط للغزالي ؛ ويذكر حفيده موسى أنه رأى نسخة من هذا الكتاب عند والده أحمد وعليها خط ابن منعة بأن (شهاب الدين) قرأه عليه قراءة اتقان ومعرفة [1] وتفقه أيضاً ببغداد على ابن فضلان وعيّن معيداً بالمدرسة النظامية بعد مدة من تعيين ابن منعة في ذلك المنصب ، ثم عاد إلى الموصل وأقام فيها أربع عشرة سنة ، وفي خلال تجوّله في الطلب والاشتغال بالعلم كوّن صداقات كثيرة ، فكان من أصدقائه ابن الأثير المؤرخ وأخوه ضياء الدين وبهاء الدين المعروف بابن شدّاد وغيرهم ، وقد كانت هذه الصداقات مفيدة لابنائه من بعد وخاصة لابنه أحمد . وبعد الاقامة الطويلة بالموصل انتقل إلى إربل وأحرز مكانة عند صاحبها مظفر الدين كوكبوري وصار مشاراً إليه في الفتوى ومدرساً بالمدرسة المظفرية ، وفيها أدركته وفاته في ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ [2] .

وقد تزوج شهاب الدين امرأة من الموصل تدعى آمنة كان أبوها شيخاً للطائفة الحنفية بالموصل ولقبه شمس الدين [3] ، وهي ترجع في نسبها إلى خلف بن أيوب صاحب الإمام أبي حنيفة [4] . وقد رزق شهاب الدين من

---

١ الوفيات ج ٤ : الحاشية رقم : ١

٢ الاسنوي ١ : ٤٩٦ .

٣ مقدمة الجزء الرابع : ط ، وقد ترك موسى بياضاً بعد لفظة شمس الدين لذكر الاسم .

٤ مقدمة الجزء الرابع : ط والمنهل الصافي ؛ وخلف بن ايوب بلخي أيضاً ؛ قيل انه توفي سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢٠ (أنظر الجواهر المضية ١ : ٢٣١ — ٢٣٢) .

زوجته آمنة ثلاثة أولاد [1] وهم : محمد الملقب ببهاء الدين ، وعيسى ضياء الدين ، وأحمد شمس الدين .

أما محمد فقد ولد سنة ٦٠٣ وتوفي في ١٤ رجب سنة ٦٨٣ ببعلبك وهو يتولى قضاءها ، ودفن بتربة الشيخ الكبير عبد الله اليونيني [2] .

وقد ذكر المؤلف أخاه ضياء الدين عيسى في معرض حديثه عن الحاجري الشاعر ، وذكر أنه كانت بين الاثنين صداقة متينة ، ومن إشارته هذا عرفنا أيضاً أن ضياء الدين كان ما يزال باربل سنة ٦١٩ [3] . ويشير المؤلف أيضاً إلى أنّ أحد هذين الأخوين كان قد سبقه إلى الهجرة من اربل ونزل حلب ، ليدرس فيها على علمائها ، ومنهم بهاء الدين المعروف بابن شداد [4] ، ولكنه لم يبين أي الأخوين يعني ، ومن العسير الترجيح في ذلك .

٣ – سيرة حياتـه

وكان أحمد أصغر الاخوة الثلاثة – على الأرجح – إذ أنه ولد بالمدرسة المظفرية التي كان أبوه يدرس فيها – بمدينة اربل – يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ [5] ولم يكن قد أكمل السنة الثانية من عمره حين فقد أباه ، ولكن ذلك الوالد كان حريصاً على أن يتجه ابنه في الطريق العلمية ، ولذلك استدعي له الاجازات من العلماء المشهورين في عصره – حسبما كان العرف جارياً يومئذ – فنال الطفل اجازة من زينب بنت الشعري كتبتها في بعض شهور سنة ٦١٠ [6] ، وكانت هي قد تلقت العلم عن جماعة من أعيان العلماء رواية واجازة ، ومنهم عبد الغافر الفارسي

---

١ هؤلاء هم الذين ورد لهم ذكر في المصادر .
٢ عيون التواريخ (الورقة : ١٢٩) حوادث سنة ٦٨٣ ، نسخة طوبقبوسراي .
٣ الوفيات ٣ : ٥٠٢ .
٤ الوفيات ٧ : ٩٠ .
٥ الوفيات ٢ : ٣٤٤ مقدمة الجزء الرابع : ط وفيها « وقت أذان العصر » والمنهل الصافي .
٦ الوفيات ٢ : ٣٤٤ .

صاحب السياق والزمخشري ، وغيرهما ، فكان لأحمد من بعد حقّ الرواية لما روته عن أولئك الأعلام أو أجازوه لها . واستدعى له والده أيضاً اجازة أخرى من أبي الحسن المؤيد بن محمد رضي الدين النيسابوري فكتب إليه بالاجازة من خراسان في جمادى الآخرة سنة ٦١٠ أيضاً [١] .

ولقد كان من السهل أن تختلّ كل تلك الترتيبات التي اتخذها الوالد ، إذ يترك أولاداً صغاراً عاجزين لا عن متابعة العلم وحسب ، بل عن السعي في طلب الرزق ، لولا تلك الصداقة المتينة التي كانت تربط بين شهاب الدين وكوكبوري صاحب إربل ، فقد تولى رعاية أبناء صديقه بعد وفاته ، وإلى هذه الرعاية أشار المؤلف – من بعد – بقوله في ترجمة مظفر الدين : « وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل ، ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدرعلى القيام بشكر بعضها ولو عملنا مهما عملناه ، وشكر المنعم واجب ، فجزاه الله أحسن الجزاء ، فكم له علينا من الأيادي ولاسلافه على أسلافنا من الأنعام ، والإنسان صنيعة الاحسان » [٢] . ولهذا استطاع أحمد أن ينصرف إلى طلب العلم في إربل ، وكان أحمد بن كمال الدين بن منعة قد خلف والده شهاب الدين في التدريس بالمظفرية سنة ٦١٠ (وصل إليها في أوائل شوال من ذلك العام) ، وكان شرف الدين ابن منعة من أوائل الأساتذة الذين تلقى أحمد العلم منهم ، إذ كان يحضر دروسه وهو صغير ، فما سمع أحداً يلقي الدروس مثله ، وكان لهذا الاستاذ أثر بالغ في نفس ذلك الفتى حينئذ ، ولشدة تأثره به قال : « ولقد كان من محاسن الوجود ، وما أذكره إلا وتصغر الدنيا في عينيّ » [٣] ؛ ومع ذلك فانه لم ينس أن هذا الأستاذ العظيم في نفسه استعار من أسرته (بني خلكان) كتاب التنبيه ليشرحه ، فوجد على حواشي النسخة التي استعارها تعليقات كثيرة بخط الشيخ رضي

---

١ الوفيات ٥ : ٣٤٥ .
٢ الوفيات ٤ : ١٢٠ .
٣ الوفيات ١ : ١٠٩ .

الدين الجيلي الشافعي ، فلم يتورع عن نقل تلك الحواشي وإدراجها في شرحه واضافتها إلى نفسه [1] .

وكان أكبر مجال ثقافي لأحمد بمدينة اربل — بعد المدرسة المظفرية — هو مجلس أبي البركات شرف الدين ابن المستوفي الذي لم يكن يدع أحداً من الفضلاء يصل اربل إلا ويبادر إلى اكرامه ، ولهذا كان منزله مألفاً لجميع الغرباء الذين يقصدون تلك المدينة . وقد شهد ياقوت بذلك حين قال وهو أحد من قصدها — « ودخلتها فلم أر فيها من ينسب إلى فضل غير أبي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب ، يعرف بابن المستوفي ، فانه متحقق بالأدب ، محب لأهله مفضل عليهم ... » [2] ووصفه ابن الشعار أحد من امتاحوا فضله بقوله : « شمس إربل وبدرها وعالمها البارع وصدرها وفخر أماثلها وجمال فضائلها ... ربعه مقصد الوافدين وخباؤه كعبة القاصدين . فهو من إسداء المعروف وسعة الانفاق ما سارت به الأمثال في أقطار الآفاق ... ولم يزل في منزله ملازماً مطالعة الكتب والنسخ والتأليف إلى أن هجم التتار الملاعين على اربل » [3] ، فلا عجب إذا اتخذ أحمد دار ابن المستوفي محجته لطلب العلم ، فسمع منه كثيراً ، وسمع بسماعه على المشايخ الواردين على تلك المدينة ، فانه كان يعتمد القراءة بنفسه [4] ولم ينس وهو في حدود الحادية عشرة من عمره (٦١٨) حادثة الاعتداء على ذلك الرجل العالم ، ووثوب شخص عليه وطعنه بسكين قاصداً قتله [5] .

وقد اختزنت ذاكرته من تلك الفترة باربل ذكريات مختلفة . منها حادثة رجلٍ حضر سماعاً قبل سنة ٦٢٠ والمغني فيه الشجاع بن جبريل ، فغنى الشجاع قصيدة لسبط ابن التعاويذي مطلعها :

---

١ الوفيات ١ : ١٠٩ .
٢ معجم البلدان : (اربل) .
٣ عقود الجمان ٦ : ٣٥ — ٣٧ .
٤ الوفيات ٤ : ١٤٧ .
٥ المصدر السابق : ١٤٩ .

سقاك سار من الوسمي هتـان ولا رقت للغوادي فيك أجفان

وكيف أن أحد الحاضرين وقع عندما سمع الغناء ، فظنه الناس مغمىً عليه ، وإذا هو قد فارق الحياة [1] ، وتلك كانت بداية تعرفه إلى شعر سبط ابن التعاويذي الذي أصبح فيما بعد نموذجاً للشعر الرائع في نظره ، وكذلك ظلّ يذكر ما كان يردده الناس من أن ابن عم لابن المستوفي نقل كتاب « نصيحة الملوك » للغزالي من الفارسية إلى العربية [2] ؛ وربما كان اهتمامه بذلك لأهمية المؤلف من ناحية وبجلالة ما أقدم عليه المترجم من ناحية أخرى . وهو يحدثنا أنه سمع في بعض شهور سنة ٦٢١ صحيح البخاري على أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم الصوفي البغدادي بحق سماعه من أبي الوقت السجزي [3] فابن المكرم الصوفي على هذا الاعتبار واحد من أساتذته في هذا الدور المبكر ، ولكنه يذكر أن ابن المكرم توفي في شهر المحرم من تلك السنة (أي في أوائل العام المذكور) ولعلّه سها هنا عن تدوين التاريخ بدقة ، وربما كان سماعه منه في شهور السنة السابقة (٦٢٠) . وفي سنة ٦٢٣ ورد ابن عنين الشاعر الدمشقي إلى مدينة اربل رسولاً من الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق ، ورآه أحمد ، ولكنه لم يأخذ عنه شيئاً ، وربما كان سبب ذلك قصر المدة التي قضاها ابن عنين بتلك المدينة [4] ؛ وكان أحمد في هذه الأثناء كثير الترداد من اربل إلى الموصل ، حتى انه زار هذه المدينة الثانية أكثر من عشر مرات ، وكان نصر الله ابن الأثير مقيماً بالموصل ، وكان أحمد يعرف ما بينه وبين والده من صداقة ويحب لو يتاح له الاجتماع به في بعض سفراته ليأخذ عنه ، ولكن التوفيق لم يحالفه في ذلك [5] ولعله حمد — في سره — ما قدّرته الظروف ، إذ لا ريب أنه كان يسمع عن ما يتمتع به ضياء الدين من خيلاء شديدة ، تحول دون أن يلقاه فتىً ناشىء ولو كان من أبناء أصدقائه .

١ الوفيات ١ : ٣١٧ — ٣١٨ .
٢ الوفيات ٤ : ١٥١ .
٣ الوفيات ٣ : ٢٢٦ .
٤ الوفيات ٥ : ١٥ .
٥ الوفيات ٥ : ٣٩١ .

وكان أحمد في تعطشه إلى العلم – في هذه الفترة الاربلية – لا يستطيع أن يعتمد كثيراً على ما تهيئه اربل وبيئتها المحلية من فرص ، ولذلك كان أكبر همه أن يلقى الوافدين إليها ويأخذ عنهم ، وقد أتيح له أن يلقى الشيخ جمال الدين ابن السنينيرة الشاعر ، فانه نزل عندهم بالمدرسة المظفرية ، وكان مجلسه مجمعاً لمحبي الأدب ، حيث تجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة[1] ، كان من أثرها أن قوّت الميل إلى الاتجاه الأدبي لدى الفتى أحمد ؛ وكان من الوافدين على اربل عام ٦٢٥ (واستمرّ في العام الذي يليه) الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر الابهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج ، قادماً إليها من الموصل ، فنزل بدار الحديث ، فانتهز أحمد هذه الفرصة ، وأخذ يدرس عليه الخلاف . وذات يوم كان في حضرة أستاذه إذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد ، وأخذا يتحدثان في شئون مختلفة ، ووصل الحديث بهما إلى كمال الدين ابن يونس فقال الأثير لمحدثه : لما حج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك ؟ فقال نعم ، فقال : كيف كان اقبال الديوان العزيز عليه ؟ فقال ذلك الفقيه : ما أنصفوه على قدر استحقاقه ؛ فأبدى الأثير تعجبه من ذلك وقال : والله ما دخل إلى بغداد مثل الشيخ ، ودهش الفتى ابن خلكان لهذا القول وظن أستاذه يغالي في الثناء على كمال الدين فقال له : يا سيدنا كيف تقول هذا ؟ فأجابه أستاذه مطمئناً بقوله : يا ولدي ، ما دخل إلى بغداد مثل أبي حامد الغزالي ووالله ما بينه وبين الشيخ (كمال الدين) نسبة[2] .

وكان من أبرز الوافدين إلى اربل أبو الخطاب ابن دحية ، ولما رأى هذا المحدث الأندلسي اهتمام مظفر الدين كوكبوري بالاحتفالات التي تقام كل عام بمناسبة المولد النبوي ، ألف له كتاباً سمّاه « التنوير في مولد السراج المنير » ؛ وقد سرّ مظفر الدين بالكتاب ، وأخذ يقرؤه على الناس ، ليرووه عنه . وقد قرأه ابن خلكان على مظفر الدين في شهر شعبان سنة ٦٢٦ [3] .

---

١ الوفيات ١ : ٢١٥ .
٢ الوفيات ٥ : ٣١٣ .
٣ الوفيات ١ : ٢١١ – ٢١٢ .

ولكن لا نظن أن ابن خلكان أكن احتراماً كبيراً لابن دحية ، فقد كان في آخر كتابه قصيدة مطلعها :

لولا الوشاة وهمُ أعداؤنا ما وهموا

وقد « أوهم » ابن دحية أهل اربل أنها من نظمه ، ولكن حين اتسع اطلاع الفتى ابن خلكان وجدها في ديوان الأسعد ابن مماتي ، فصحّ لديه ما كان ينسب لابن دحية من الكذب ، وان كان تحرجه المتأدب يمنعه من التصريح السافر بذلك [1] .

كان أحمد قد تجاوز الثامنة عشرة بقليل حين عقد النية على أن يغادر اربل طلباً للعلم ، ولم يكن يقدّر وهو يرتحل عنها أنه لن يعود إليها من بعد ، وكان أحد أخويه في صحبته في تلك الرحلة ؛ وكان اعتماده — بعد التعاون المشترك بينه وبين أخيه في مواجهة ظروف الحياة — على شيئين : كتب توصية حملاها من صديق الأسرة ، حاكم اربل ، مظفر الدين كوكبوري ، ووفرة أصدقاء والدهما في المدن التي سيحلان فيها ؛ وتلقتهما الموصل ، وأخذ أحمد يتردد إلى خدمة كمال الدين موسى بن يونس بن منعة لما كان بينه وبين والده من المؤانسة والمودة الأكيدة [2] ، وقد تردد إليه عدة مرات في شهر رمضان سنة ٦٢٦ ، بينا سبقه أخوه في طريقه إلى حلب ، ولكنه لم يستطع أن يتتلمذ عليه ، رغم إعجابه الشديد به ، إذ كانت حلب لا الموصل حينئذ هي مطمح أنظاره ، ولكنه أضمر في نفسه انه إن قدّر له أن يتزوج وأن يرزق ولداً ، فانه سيسمي ذلك الولد « موسى » ، تيمناً باسم ذلك الأستاذ العظيم ، ذي المكانة الكبيرة في نفسه [3] . ورغم أن إقامته في الموصل لم تطل فانه اجتمع فيها إلى بعض الأدباء ، ويدلّ تسجيله لبعض ما سمعه منهم في

---

١ الوفيات ١ : ٢١١ — ٢١٢ وقد تعقبه من بعد علي نحومباشر لأنه أخطأ فعد الوزير يحيى بن هبيرة من نسل الوالي الأموي عمر بن هبيرة « ومثل ابن دحية لا يعذر فقد كان حافظاً ومطلعاً على أمور الناس » (٦ : ٢٤٣) .

٢ الوفيات ٥ : ٣١١ .

٣ الوفيات ٥ : ٣١٧ .

تلك الرحلة السريعة على شغفه – في دور مبكر – بتقييد كلّ ما يعتقد فيه فائدة علمية [1] ، وواصل سفره إلى حلب فمرّ في طريقه إليها بمدينة حرّان (في شوال سنة ٦٢٦) وكان الملك الكامل الأيوبي هنالك ومعه العساكر المصرية وهو يكشف أحوال المدينة ويرتب أمورها [2] ؛ وفي مستهل ذي القعدة من ذلك العام (٦٢٦) دخل مدينة حلب [3] ، ومنذ حلوله في تلك المدينة تبدأ أخصب فترة في حياته من حيث تلقي العلم على الشيوخ المشهورين ، فقد كانت حلب بفضل القاضي بهاء الدين ابن شداد تشهد نشاطاً تعليمياً كبيراً ، ذلك أن هذا القاضي الذي كان صديقاً لصلاح الدين ، كان قد أصبح منذ سنة ٥٩١ قاضياً ومستشاراً للملك الظاهر ابن صلاح الدين ، فبدأ بفتح المدارس وتحبيس الوقوف عليها ، فعمر مدرسة قبالة المدرسة النورية (٦٠١) وبنى داراً للحديث ، وأصبحت المدينة بفضل جهوده مقصداً للفقهاء وطلاب العلم الذين كانوا يجدون المأوى والنفقة الجارية [4] .

وكان من حسن حظ أحمد وأخيه أن كان ابن شداد صديقاً لوالدهما منذ عهد الاشتغال بمدينة الموصل ، وكانا يحملان إليه كتاب توصية من كوكبوري جاء فيه « أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين ، وأنهما ولدا أخي وولدا أخيك ، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصية » [5] . ورعاية لحق الصداقة ومكانة الموصي ، تلقاهما ابن شداد بكل ترحيب وأنزلهما في مدرسته ، وقرّر لكل منهما مرتباً عالياً يساوي مرتب الطلبة الكبار ، رغم حداثة سنيهما .

ولم يكن ابن شداد يقوم بمهمة التدريس في ذلك الوقت لكبر سنه ، وإنما كان قد رتب في مدرسته أربعة معيدين يشتغل الطلاب عليهم . فبدأ أحمد وأخوه يقرءان على بلديّهما ورفيق والدهما أيضاً الشيخ جمال الدين أبي بكر

١ انظر مثلا الوفيات ٧ : ٩٨ ، ٤ : ١٦١ .

٢ الوفيات ٥ : ٨١ ، ٣٣٢ .

٣ الوفيات ٦ : ١٣٩ ، ٧ : ٤٨ .

٤ الوفيات ٧ : ٨٩ – ٩٠ .

٥ الوفيات ٧ : ٩٠ .

الماهاني ، ولكن هذا الشيخ توفي بعد سنة من اقامتهما بحلب ، فأخذ أحمد يتّردد إلى الشيخ أبي عبد الله ابن الخباز الموصلي الفقيه ، وهو إذ ذاك يدرّس بالمدرسة السيفية ، فقرأ عليه كتاب « الوجيز » للغزالي وبلغ فيه حتّى « باب الاقرار »[1] ، وبالجملة قرأ عليه صدراً صالحاً من فقه الامام الشافعي وتميز فيما قرأ عليه[2] .

وفي أثناء ذلك كان ابن شداد يعقد مجالس الحديث في داره ، وخاصة تلك المجالس الّتي كان يعقدها عقب صلاة الجمعة ، وكان رجلاً حسن المحاضرة ، تجري في مجالسه الفوائد الكثيرة ، إلا أن الكبر كان قد أوهنه بحيث أصبح « كفرخ الطائر من الضعف » وأخذ جسمه يعجز عن تحمل البرد ، فكان دائماً يجعل في غرفته منقلاً كبيراً تؤجج فيه النار ، وقد تدثر بالثياب الثقيلة ، والطلاب من حوله في كرب وضيق لشدة الحرّ[3] ؛ وإذا كان أحمد لم يدرك ابن شداد في السن الّتي يمكنه فيها أن يفيد منه فائدة كبيرة ، فانه أفاد كثيراً من مجلسه الحافل بشتّى أنواع الفوائد ، وفي ذلك المجلس تعرّف إلى عدد كبير من علماء المدينة وأدبائها ، وتعرف إلى عدد آخر من طلاب العلم ، وانعقدت بينه وبين بعضهم صداقات متينة .

وكان الأساتذة المذكورون قادرين على تخريج الطلاب في علوم الفقه والحديث ، ولكن حرص ابن خلكان على دراسة اللغة والنحو جعله يتجه إلى أستاذ آخر ، كان يعد في عصره شيخ الجماعة في الأدب ، وذلك هو موفق الدين ابن يعيش ، وكان يقرىء بعد العصر بجامع حلب في المقصورة الشمالية منه ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية ، وكان قد التف حوله جماعة من الطلبة المتميزين لا يفارقون دروسه ، فأخذ أحمد في القراءة عليه ، وابتدأ بكتاب اللمع لابن جني ، أواخر سنة ٦٢٧ ، ولكنه أكمل الكتاب على غيره لأسباب اقتضت ذلك . وفي الوقت نفسه كان يستمع لدروس من يحضر

---

١ المصدر السابق .
٢ عقود الجمان ١ : ٤٥٥ .
٣ الوفيات ٧ : ٩١ .

عنده ، وقد أعجبته في ذلك الأستاذ خفة روحه ، وصبره الطويل في التفهيم ، للمبتدئين والمنتهين على السواء ، وسجل من نوادره وظرفه صوراً حية عندما ترجم له [1] .

ومنذ أن حلّ ابن خلكان مدينة حلب ، جعل همّه أن يلقى المؤرخ عز الدين ابن الأثير ، وكان حينئذ يقيم في تلك المدينة في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز صاحب حلب ، وجعل يتردد إليه طوال إقامته في تلك المدينة ، وابن الأثير يرعاه رعاية خاصة ، لعلاقة وثيقة كانت بينه وبين والده ، وانقطع تردده إليه حين سافر ابن الأثير إلى دمشق سنة ٦٢٨ ، فلما عاد إليها ، عاد ابن خلكان يلازمه غير أنه لم يقم طويلاً وسافر إلى الموصل [2] ، ومن هذه العلاقة على قصرها نجده يتحدث عن ابن الأثير بكثير من الاجلال ، ويعده أحد شيوخه . كذلك فانه يعد عبد اللطيف موفق الدين البغدادي من شيوخه ، ولا بد أن نفترض أنه لقيه بحلب ، إذ نزلها عبد اللطيف في أواخر رمضان سنة ٦٢٦ — أي قبل مقدم ابن خلكان بقليل ، وأقام بها مدة والناس يشتغلون عليه ، وشهاب الدين طغريل الأتابك يرعى جانبه ، وكان يتردد إلى جامع حلب ويسمع الحديث ويقرىء العربية [3] .

وكان هنالك أستاذ آخر يعقد حلقة التدريس بجامع حلب في المقصورة الشرقية المشرفة على صحن الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قضاة حلب يوم الجمعة ، ذلك هو الأستاذ ابن الجبراني ، وكان أستاذاً متضلعاً من علم اللغة ، ولكن ابن خلكان لم يدرس عليه وإنما اتيح له أن يتسقط بعض حديثه وهو جالس في قبالة تلك المقصورة ، إلا أنه صادف من بعد عودته من دمشق أحد تلامذة الجبراني وهو أبو المحاسن الشواء ؛ أقول : بعد عودته من دمشق ،

---

١ ترجمته في ج ٧ : ٤٦ وانظر بخاصة : ٤٨ .

٢ الوفيات ٣ : ٣٤٩ .

٣ ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٠٧ — ٢٠٨ وانظر الوفيات ٦ : ٧٦ حيث يقول المؤلف عند ذكر عبد اللطيف « شيخنا » .

لأن فتر دراسته في حلب لم تستمر مطردة ، بل ارتحل منها ، وربما كان لوفاة ابن شداد (١٤ صفر ٦٣٢) أثر مباشر في ازماعه الانتقال منها . وتوجه إلى دمشق ، فأقام فيها عاماً كاملاً ، دخلها في شوال سنة ٦٣٢ للاستغال على الشيخ ابن الصلاح ، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه ، وكان يدرس بالمدرسة الرواحية ودار الحديث بدمشق ومدرسة ست الشام ، ويقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير اخلال بشيء منها [١] . ولا يحدثنا ابن خلكان عن المواد التي درسها على ابن الصلاح ، وان كنا نستطيع أن نقدر أن الحديث كان أهمها ، إلا أنه يقرّ بأنه كان أحد أشياخه الذين انتفع بهم .

وقد اتيح لابن خلكان أن يرى الملك الكامل والملك الأشرف في دمشق (٦٣٣) وهما يركبان معاً ويلعبان معاً بالكرة في الميدان الأخضر الكبير في شهر رمضان من ذلك العام ، ويرى تأدب كلّ واحد منهما مع الآخر [٢] ، ولعله في هذه الفترة رفع قصيدة إلى الملك الكامل يمدحه بها ، ومطلعها :

هوىً بين أحناء الضلوع مخامر وفرط غرام أضمرته السرائر

وفيها يقول في مدحه :

لقد خذل الباغين منصور جيشه ولكنه للدين في الله ناصر
فردّ وجوه الروم سوداً ببيضه فعاد بأحزاب الصغار الأكابر
وفي سمره حمر المنايا فمن سُطا ثعالبها تخشى الليوثُ الخوادر

وليست هذه أولى محاولاته الشعرية ، بل كان كثيراً ما يجرب قريحته بنظم الشعر ، مثلما كان يعوّد ذاكرته — إلى جانب دراسة الأصول الفقهية وغيرها — حفظ الأشعار الرقيقة [٣] . وقد لقي وهو بدمشق عدداً من طلاب العلم والعلماء ، كان من بينهم رجل فاضل في علوم الرياضة أشكلت عليه

١ الوفيات ٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
٢ الوفيات ٥ : ٣٣٣ .
٣ عقود الجمان ١ : ٤٥٥ .

بعض المسائل الرياضية فكتب جميعها في درج وأرسلها إلى ابن منعة بالموصل ليحلّها له، فأجابه بجواب غاية في التواضع بعد أن حلها جميعاً ، مما جعل الرجل يقول لابن خلكان « ما سمعت مثل هذا الكلام إلا للأوائل المتقنين لهذه العلوم ، ما هذا من كلام أبناء هذا الزمان » [1] . ومن أولئك محمود الحصيري الذي اجتمع به عده مرات ، إذ كان يدرس بالمدرسة النورية بدمشق ، وكان من أبرز فقهاء الحنفية ، ومن أشد الناس ذكاءً ، ولكنه لم يذكر أنه أخذ عنه شيئاً من العلم [2] .

وبعد اكتمال عام قضاه في دمشق ، عاد إلى مدينة حلب يجدد العهد بالمدرسة البهائية القاضوية (نسبة للقاضي بهاء الدين ابن شداد) ويلقى رفاق الطلب ، ومنهم عون الدين ابن العجمي الحلبي [3] ، ومنهم صديقه كمال الدين ابن الشعار الذي كانت فاتته فرصة لقائه باربل . فقد التقى به بحلب ، وأنشده شيئاً من شعره ، وكان فيما أنشده القصيدة التي قالها بدمشق في مدح الكامل، وكان انشاده لها في جمادى الآخرة من سنة ٦٣٤ [4] ؛ ومنذ أواخر العام السابق انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين أبي المحاسن الشوّاء ، أحد المتحققين بعلم العروض والقوافي ، وكان يعجبه أن يسمع شعره وأكثره مقطوعات يتلاعب فيها بالمصطلحات النحوية واللغوية ، ويقيد منها ما يسمع ، وقد بقيا صديقين إلى أن توفي الشوّاء (١٩ محرم سنة ٦٣٥) [5] .

وأكبر الظن أنه تعرّف بحلب لا بغيرها إلى الشاعر الماجن المدعو شيطان الشام واسمه أبو العز يوسف بن النفيس الاربلي ، فهو يدعوه « صاحبنا » [6] ؛

---

١ الوفيات ٥ : ٣١٥ .
٢ الوفيات ٤ : ٢٥٩ .
٣ الوفيات ٦ : ٢٥١ .
٤ عقود الجمان ١ : ٤٥٦ .
٥ الوفيات ٧ : ٢٣٦ .
٦ الوفيات ٤ : ١٥١ .

وكان شيطان الشام يسلك في الشعر طريقة ابن حجاج وينظم الزكالش العامية ، وقد رحل إلى البلاد من إربل وامتدح الملوك ، ثم أقام في كنف بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل [١] .

لقد عرف ابن خلكان كثيراً من شئون مدينة حلب وضواحيها ، وأحداثها، ومعالمها البارزة ، وتوفي الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر وهو فيها (سنة ٦٣٤) فنظم في رثائه قصيدة مطلعها :

هوى من نظام الملك واسطة العقـد ولم يك من صرف المنية من بدّ [٢]

وكثيراً ما كان يعود بذاكرته — وهو يؤلف كتابه — إلى ما رأى وسمع ، من ذلك مثلا وقفته عند مقتل السهروردي فانه قد تصدّى لتلك الحادثة بقوله : « وقد أقمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين في أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هواه ، فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والالحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ... » [٣] ؛ وكان لقاؤه للناس لا يقل فائدة عما أفاده في مجالس الشيوخ، إذ كان قلمه سريعاً إلى التقييد، وحسبنا أن نعلم أن ما رواه من شعر ابن باجه إنما أخذه عن بعض شيوخ المغاربة [٤] .

وبعد أن أقام في ديار الشام ما يقرب من عشر سنوات أزمع الرحلة إلى مصر. متى رحل ولماذا؟ لقد أثبت المؤلف بخطه نفسه في ترجمة شيخه ابن شداد أنه غادر حلب في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٣٥ [٥] ، ولكنه في موضع آخر من كتابه يقول انه سافر إلى الديار المصرية سنة ٦٣٦ [٦] ،

---

١ عقود الجمان ١٠ : ٥٢٥ وما بعدها .
٢ عقود الجمان ١ : ٤٥٩ .
٣ الوفيات ٦ : ٢٧٣ .
٤ الوفيات ٤ : ٤٣٠ .
٥ الوفيات ٧ : ١٠٠ .
٦ وقع في ٥ : ٣١٧ في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ،وصوابه في سنة ست وثلاثين .

والظاهر أن المؤلف تجوّز في هذا الموضع وجعل التاريخ تقريبياً ، أو أنه تجوّل قليلاً في جنوب الشام وأنه وصل الديار المصرية في أوائل سنة ٦٣٦ .
أما ارتحاله من حلب فربما كانت وراءه أسباب عدة منها : يأسه من العودة إلى إربل بعد إذ اجتاحها التتر وخربوها سنة ٦٣٤ ؛ ومنها — فيما أقدّر — عدم الاطمئنان إلى الأوضاع السياسية في ديار الشام ، بعد إذ أصبحت مهددة بالغزو التتريّ ، وعدم نجاح ابن خلكان في الاتجاه الشعري والاتصال بملوك آل أيوب ، ولعل أهمها ارتياد دار جديدة من دور العلم ، فانه كان ما يزال يرى نفسه في دور الطلب ، فلعلّ مصر أن تكون هي البيئة العلمية التي توفر له أعلاماً آخرين من الأساتذة ، بعدما تتلمذ على أشهر الأساتذة في ديار الشام . ومع ذلك فاننا لا نجد له شيخاً متميزاً في مصر سوى عبد العظيم المنذري ، صاحب التكملة[1] ؛ صحيح ان إقامته بمصر جمعته بتلامذة ابن فيره الشاطبي [2] وأنه لقي كثيراً من أصحاب ابن بري وأخذ عنهم رواية وإجازة[3] كما لقي أصحاب الخشوعي وسمع عليهم وأجازوه ، ولقي ابن الخشوعي واجازه جميع مسموعاته واجازاته من أبيه[4] وتعرف إلى ابن الحاجب من بعد وألقى عليه بعض الأسئلة وأفاد من علمه[5] ؛ ولكن الصداقات التي كوّنها مع جماعة من الأدباء بمصر ، كانت أقوى بكثير من العلاقات التي ربطته بالشيوخ . هل وجد ابن خلكان أن ما طلبه من العلم في ديار الشام قد كان زاداً كافياً له في الديار المصرية ؟ أتراه كان ما يزال يعتقد أنه سيكون ابن خلكان « الأديب الشاعر » لا الفقيه ابن العائلة التي لم يمكنها أصلها الكردي من اجادة مرموقة في البلاغة العربية ؟ أم أن أعباء الحياة ربطته — في دور مبكر — بالوظيفة ، فانصرف إليها عن الطلب المنظم ولقاء الشيوخ ؟ أسئلة

١ انظر مقدمة المحقق لهذا الكتاب .
٢ الوفيات ٤ : ٧٢ .
٣ الوفيات ٣ : ١٠٩ .
٤ الوفيات ١ : ٢٧٠ .
٥ الوفيات ٣ : ٢٥٠ .

ليس من المهم أن نجيب عنها بيقين قاطع ، إذ من ذا الذي يستطيع أن يقطع بالحسم في مثل هذه الشئون ؟

اتجه ابن خلكان إلى الاسكندرية ، وقضى في تلك المدينة خمسة أشهر (من عام ٦٣٦) [١] ، وفيها لقي أحد الحساب فشرح له قضية الشطرنج إذا ضوعف العدد في كل بيت[٢] منه .وبدلاً من أن يلقى الأساتذة الأحياء أخذ يلقى الأموات منهم في منامات عجيبة ، فرأى المبرد وحاكمه على خطأ وقع فيه في شعر أبي نواس في كتابه « الروضة » [٣] . والحقيقة أن منامات ابن خلكان — سواء هذا الذي رآه في الاسكندرية أو المنام الذي رأى فيه أبا علي الفارسي [٤] أو ذلك الذي رأى فيه ابن عنين بعد سنوات (٦٤٩)[٥] — تلفت الانتباه بوضوحها وحدّتها ودلالتها على انشغال نفسه بالقضايا اللغوية والأدبية .

وفي ٢٧ ذي القعدة سنة ٦٣٧ نجد ابن خلكان في القاهرة حين وصل إليها الملك الصالح ومعه الملك الناصر صاحب الكرك [٦] ، ونراه لا يستشرف إلى شيء استشرافه إلى لقاء بهاء الدين زهير ، وقد استطاع أن يحقق هذه الأمنية في أواخر ذلك العام (٦٣٧) ، وكان ذلك اللقاء فاتحة صداقة امتدت حتى وفاة البهاء (٦٥٦) ؛ وكان إعجاب ابن خلكان بشعره أحد العوامل التي قوّت تلك الصداقة ، وأجازه البهاء رواية ديوانه [٧] . ويجب أن نذكر أن البهاء كان ذا مقام مرموق في الدولة الايوبية، وان ابن خلكان الذي لم يعد له سند من مستقرّ أو مرتب جار كان بحاجة إلى من يصله بذوي السلطان . وجرّت صداقته للبهاء إلى صداقة أخرى مع ابن مطروح ، فقد كان البهاء

١ الوفيات ٤ : ٣١٨ .
٢ الوفيات ٤ : ٣٥٨ .
٣ الوفيات ٤ : ٣١٨ .
٤ الوفيات ٢ : ٨١ .
٥ الوفيات ٥ : ١٨ .
٦ الوفيات ٥ : ٨٥ .
٧ الوفيات ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٦ .

وابن مطروح كالأخوين ، ولكن ابن مطروح كان في خدمة الملك الصالح ، ولم يرجع إلى مصر إلا في سنة ٦٣٩ وظلّ فيها حتى سنة ٦٤٣ ، وفي هذه الفترة تأكدت الصلة بين ابن مطروح وابن خلكان ، وكانا يكثران اللقاء ، وكان ابن مطروح ينشده شعره حتى انه أنشده أكثر ديوانه ، وبعد سنة ٦٤٧ انقطع ابن مطروح في داره، فكان ابن خلكان يجتمع به في كل وقت. وقبل هذا الانقطاع (٦٤٣ – ٦٤٧) كانت المكاتبات تجري بينهما باستمرار. ومرة تأخر ابن خلكان عن زيارة صديقه وهو يشكو ألماً في عينيه انتهى به إلى مقاربة العمى ، فكتب إليه ابن مطروح :

يا من إذا استوحش طرفي له لم يخل قلبي منه من أنس
والطرف والقلب على ما هما عليه ، مأوى البدر والشمس [1]

ولم تقف هذه العلاقات الأدبية عند البها زهير وابن مطروح ، بل تجاوزتهما إلى آخرين ممن كانوا بمصر وفي مقدمتهم ابن الخيمي[2] وأبو الحسين الجزار [3] .

ولعلّ ثلاثة عوامل عملت في ايجاد منصب لابن خلكان، أولها وأهمها : شخصيته المحببة وعلمه ، وثانيهما صداقته لاثنين من كبار المسئولين في الدولة وهما البها زهير وابن مطروح ، وثالثهما النسب الزرزاري الذي كان يجمع بينه وبين قاضي القضاة بمصر : بدر الدين السنجاري المعروف بقاضي سنجار (–٦٦٣) [4] . فولّي نيابة القضاء بمصر ، ولا ندري متى تولى هذا المنصب ، ولكننا نجده يحتله سنة ٦٤٥ [5] حين يحكي قصة صاحبه جمال الدين بن عبد الاربلي وقد جاءه في مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة ، والناس يزدحمون لكثرة اشغالهم حينئذ ، وكيف فقد ابن عبد مداسه، وشكا إلى النائب ابن خلكان ما جرى له في أبيات شعرية . ولم يكن « مجلس

---

١ الوفيات ٦ : ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، وفي الشمس اشارة إلى لقب ابن خلكان « شمس الدين » .
٢ الوفيات ٢ : ١٠٦ ، ٣٤٢ .
٣ الوفيات ٦ : ٢٦٥ .
٤ الوفيات ٦ : ٢٦٢ ، ٢٦٦ .
٥ الوفيات ٢ : ٩٨ – ٩٩ .

الحكم العزيز » قاصراً على استماع الشكاوى والفصل في القضايا ، فكثيراً ما كان معرضاً لشئون أخرى : فهو يسأل ابن الحاجب عن بعض شئون النحو حين يحضر لأداء الشهادة ، وأحياناً يجتمع عنده بعض الأدباء والشعراء فيتحول المجلس إلى مطارحات أو انشادات ؛ دخل عليه مرة فخر الدين الشاطبي ، وهو ينوب في الحكم بالقاهرة ، فأنشده فخر الدين قصيدة منها :

وإذا الرقيب درى بـه فلأنـه   أخفى لديه من النسيم وألطفُ

فانتقده القاضي لأنه بالغ في وصف نحول المحب وقال له : يا شيخ فخر الدين ، لطفته لطفته إلى أن عاد لا شي ، فالتفت فخر الدين إلى جارٍ له وقال بلهجته الأندلسية : القاضي حمار ما له دوك شي (أي ماله ذوق) [1] .

وفي بعض التعليقات أنه ولي قضاء المحلة ، مترقياً إلى تلك الوظيفة من النيابة عن قاضي سنجار ، ولكن ليس ثمة في المصادر التي حصلتها ما يؤيد هذه الرواية [2] . وفي سنة ٦٤٩ فقد صديقه ابن مطروح الذي دفن بسفح المقطم وحضر الصلاة عليه ودفنه [3] . وفي القاهرة تمّ لابن خلكان التأهل « بعد تقلب الأحوال » ورزق بابن سمّاه موسى — حسبما كان قد أوقع الله في نفسه حين أعجب بالشيخ موسى ابن منعة — وكان مولد موسى وقت طلوع الشمس حادي عشر صفر سنة ٦٥١ بالقاهرة [4] ، وهو يقول ان موسى

---

١ الفوات ٢ : ٣٢٢ .

٢ أشار إليها دي سلان في الوفيات (مقدمة الترجمة الانجليزية) .

٣ الوفيات ٦ : ٢٦٦ .

٤ انظر الوفيات ٥ : ٣١٧ ؛ وكان عمر موسى تسع سنوات حين انتقل أبوه قاضياً إلى دمشق وأخذه معه ، وقد كان ذا ذكاء ، واتجه نحو الاشتغال بالعلم ، فأجاز له السبط وسمع من النجيب وحدث ، وفي سنة ٦٧٧ نراه يحضر الدرس بالمدرسة الظاهرية ، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين اسماعيل المعروف بالفارقي أحد أصحاب والده ، وقرأ عليه مختصراً في علم البيان للرماني وآخر في العلم المذكور للقيرواني ، وأجازه صدر الدين سليمان الحنفي مدرس الحنفية بمصنفاته ومسموعاته وكذلك أجازه مجد الدين ابن الصاحب كمال الدين ابن العديم . وقد درس بالمدرسة النجيبية في حياة أبيه وبعد وفاته وولي الدواوين الحكمية ، ونراه سنة ٧٠٢ في بعلبك ثم ينتقل إلى دمشق حيث توفي سنة ٧١٧ . ويقال انه لم يكن حسن=

ولده « الأكبر » مما يدل على أنه رزق أولاداً آخرين ولكنا لا نعرف شيئاً عنهم ؛ ومن اشارة لابن المؤلف نعلم أن والده كان يقطن حينئذ بحارة الباطلية بخط الجامع الأزهر [1] .

وتحتجب عنا أخباره بعد ذلك بضع سنوات ، حتى ٢٤ شوال سنة ٦٥٦ عندما عمّ القاهرة مرض لم يكد يسلم منه أحد ؛ ولم يكن هذا المرض قاصراً على القاهرة ،فانه كان أيضاً قد انتشر في ديار الشام ومات بسببه خلق كثير[2] ؛ وبسببه لزم ابن خلكان الفراش . وبعد حوالي عشرة أيام من بدء انتشاره وصلته الأخبار بأنه فقد صديقاً من أقرب أصدقائه إلى نفسه وهو البها زهير ، فلما أبلّ من مرضه مضى إلى تربته وقرأ عنده شيئاً من القرآن الكريم وترحم عليه[3] ؛ وفي العام نفسه ، بل وفي اليوم الذي قضى البها زهير فيه نحبه ، توفي شخص آخر ، كان يحظى من ابن خلكان بكل تقدير واحترام وذلك هو شيخه عبد العظيم المنذري . وقبل انتشار المرض ، ومن بعد انزياح ظله ، كان ابن خلكان قد أخذ يشغل نفسه بتأليف كتاب في التراجم ، وهو ما سأتحدث عنه في موضع آخر .

وجاء الانتصار في عين جالوت ، ثم مقتل قطز ، بطل تلك المعركة ، محققاً الفرصة لتولي الظاهر بيبرس الحكم ؛ وبمجيئه يدخل ابن خلكان في دور جديد ، إذ وقع عليه اختيار الظاهر ليكون قاضياً للقضاة في ديار الشام ، ولا بد من أن يكون ابن خلكان النائب قد لفت إليه انتباه رجال الدولة بكفايته ومزاياه حتى يرشح لمثل هذا المنصب ؛ كان القاضي بالشام هو نجم

= السيرة وأنه كان ذا تأثير على أبيه ؛ وكنيته أبو الفتح ، ولقبه كمال الدين (الدرر الكامنة ٥ : ١٤٣ والوفيات ٤ : ١٥٧ الحاشية) .

١ الوفيات ٤ : ٢٥٨ (الحاشية) وانظر الخطط ٢ : ٨ حيث يقول ان حارة الباطلية احترقت سنة ٦٦٣؛ وفي هذا التاريخ كان ابن خلكان بدمشق،وهذا يعني شيئين: أنه فقد داره إن كان له ثمة دار يمتلكها ، وأنه حين عاد إلى القاهرة بعد عزله وجد لنفسه مسكناً جديداً في حارة أخرى .

٢ السلوك ١/٢ : ٤١٠ .

٣ الوفيات ٢ : ٣٣٨ .

الدين ابن السني ، وقد تحدث الناس فيه بأمور بلغت الظاهر ، فقرر أن يعزله ، واستشار الأمير جمال الدين ايدغدي العزيزي في من يوليه مكانه ، فأشار عليه بابن خلكان [1] . وصدر الأمر إلى ابن خلكان بأن يتأهب للسفر في صحبة الملك الظاهر ، فطوى أوراقه وجمع مسوّداته ، وخرج في « الركاب العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي » من القاهرة يوم الاحد ٧ شوال سنة ٦٥٩ ، ووصل الركب دمشق يوم الاثنين ٧ ذي القعدة ، أي أن المسافة استغرقته شهراً كاملاً [2] . وفي يوم الخميس ٨ ذي الحجة (بعد الاستقرار بدمشق شهراً آخر) عزل النجم ابن سني الدولة عن القضاء ، وتولى القضاء ابن خلكان ، وأمر النجم بالسفر إلى الديار المصرية وكان حاكماً جائراً فاجراً ظالماً متحدياً فاستراح منه العباد والبلاد [3] ؛ وفي يوم الجمعة بعده قرىء بالشباك الكمالي بجامع دمشق تقليد القضاء لابن خلكان « ويتضمن أنه فوض إليه الحكم في جميع بلاد الشام من العريش إلى سلمية ، يستنيب فيها من يريده وفوض إليه النظر في أوقاف الجامع والمصالح والبيمارستان والمدارس وغيرها مما كان تحت يد الحاكم المعزول ، وفوض إليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد المعزول وهي : العذراوية والعادلية والناصرية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية » [4] ، وكان أبو شامة ممن حضر قراءة هذا التقليد .

وبدأ ابن خلكان بممارسة هذه المهامّ الكثيرة من تعيين نواب له في البلاد [5] ، وضبط لما تحت يده من أوقاف ، وتنصيب معيدين في المدارس ، ومراجعة للأحكام وفصل في القضايا ، ولم ينس ما يفرضه عليه منصبه الجديد

---

١ ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٢٤ .

٢ الوفيات ٧ : ٢٥٧ ؛ وقد وقع في المنهل الصافي خطأ في تاريخ توليه القضاء إذ كتب ٦٦٦ .

٣ ذيل الروضتين : ٢١٤ وعقد الجمان الورقة : ١٣٤ والنقل فيه عن أبي شامة وعن تاريخ النويري .

٤ ذيل الروضتين : ٢١٥ وعقد الجمان (نقلا عن أبي شامة) : ١٣٤ وابن كثير ١٣ : ٢٣٩ ومخطوطة برلين 9449 Spr. 61 والدارس ١ : ١٩٢ ، وانظر الحديث عن هذه المدارس في الكتاب الأخير في صفحات متفرقة .

٥ نعرف من نوابه على القضاء علي بن محمود الشهرزوري الكردي (الدارس ١ : ٤٤١) وقد توفي سنة ٦٧٥ .

من تعرّف إلى العلماء والأعيان ، وإنشاء علاقات ودية في بيئة ما تزال جديدة عليه . وكان من أولى المحاولات التي قام بها ، زيارته للعز الاربلي ، أحد أبناء بلده ، واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الغنوي ، وشعر بالحرج من هذه الزيارة ، فان العزّ كان ما يزال يعدّه ذلك الفتى الناشيء الذي لم يحرز تقدماً في العلم والمعرفة ، بينا كان ابن خلكان ، قاضي قضاة الديار الشامية ، يرى نفسه في غير تلك المرآة ، ولهذا كانت هي الزيارة الوحيدة ، ولم يعد بعدها للقائه إباء وصوناً للنفس عما يخدشها [1] .

ولم يكن من الممكن لابن خلكان أن يقوم بالتدريس في جميع المدارس التي وكل أمرها إليه ، فنزل عن بعضها لبعض العلماء ، واعتمد في بعضها الآخر على المعيدين ؛ وأول مدرسة تخلى عنها هي الركنية الملاصقة للفلكية ، فقد نزل عنها لأبي شامة ، وفي ١٢ محرم ٦٦٠ ابتدأ أبو شامة بذكر الدرس فيها من مختصر المزني ، وكان ابن خلكان من المستمعين إلى درسه [2] . ويبدو أن العلاقة بين أبي شامة وقاضي القضاة ظلت طيبة ، وأن قاضي القضاة استطاع أن يكسب ثقة المؤرخ ، ولذلك نجد أبا شامة يلجأ إليه في شرح حادثة الكمال خضر ابن أبي بكر الكردي بمصر ، وهي حادثة أدت إلى شنقه [3] ، كما أنه لم يحاول أن يغمز منه في تاريخه على عادته في حال الآخرين . كذلك عيّن ابن خلكان بدر الدين المراغي المعروف بالطويل شارح طريقة العميدي معيداً عنده في المدرسة العادلية السيفية ، وكفل له الاقامة بها ، ولكن مدته فيها لم تطل إذ توفي سنة ٦٦٠ [4] وفيه يقول أبو شامة : « وكان قليل الدين تاركاً

---

١ ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٦٥ ؛ وقد توفي العز الاربلي سنة ٦٦٠ (ذيل الروضتين : ٢١٦).

٢ ذيل الروضتين : ٢١٦ ، وعقد الجمان ، الورقة : ١٣٧ وابن كثير ١٣ : ٢٣٥ ومخطوطة برلين المذكورة والركنية نسبة إلى ركن الدين منكورس (انظر الدارس ١ : ٢٥٣).

٣ ذيل الروضتين : ٢١٧ — ٢١٨ وخلاصة الحادثة أن الشهرزورية التفت على المذكور ، وحاولت مبايعة خليفة من بني العباس كان مع خضر في السجن ، ثم توفي العباسي وخرج خضر من السجن فسعى لاتمام الأمر لابنه .

٤ الوفيات ٤ : ٢٥٧ — ٢٥٨ (الحاشية) .

للصلاة مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين »[1].
وجعل محيي الديوان النواوي نائباً عنه في المدرسة الناصرية فظلّ في وظيفته حتّى سنة ٦٦٩[2] .

ويهمنا من أحداث سنة ٦٦٠ حادثتان تتصلان اتصالاً جانبياً بابن خلكان :
أولاهما : عودة العساكر المصرية مع ما صحبها من عسكر الشام من غزوة إلى انطاكية ، ودخولهم دمشق في شعبان من ذلك العام[3] واحضارهم — مما صادوه — أذن حمار وحش عرضوها على ابن خلكان فقرأ عليها رسم « بهرام » واستمدّ من ذلك فكرته — التي ربما كانت ممعنة في الخطأ — عن أن عمر حمار الوحش قد يبلغ مقدار ثمانمائة سنة[4] . والحادثة الثانية هي وصول العسكر المصري مرة أخرى من مصر في ذي القعدة وعلى مقدمتة عز الدين الدمياطي ، وقبضهم على نائب السلطنة بدمشق الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري ، لأنه كان عسوفاً يمكن البدو من شراء الغلال فترتفع أسعارها محلياً ، ويخوّف الناس بهجوم التتر . فيهربون من مواطنهم ، وتولية الأمير جمال الدين أقوش المعروف بالنجيبي[5] الذي أسس مدرسة عرفت بالنجيبية لصق المدرسة النورية ، ووقف عليها أوقافاً دارة ، وسيكون لهذه المدرسة علاقة بابن خلكان في مرحلة تالية .

وفي السنة التالية (٦٦١) كان الظاهر في الكرك ، لأنه علم أنّ صاحبها المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل كان يراسل هولاكو ويحثه على القدوم إلى دمشق مرة أخرى ، وقد أفتى الفقهاء بقتله ، واستدعى الظاهر ابن خلكان وعرض عليه تلك الفتاوى[6] .

---

١ ذيل الروضتين : ٢١٧ .
٢ الدارس ١ : ١٦١ .
٣ ذيل الروضتين : ٢١٩ .
٤ الوفيات ٦ : ٣٥٤ — ٣٥٥ .
٥ ذيل الروضتين : ٢٢٠ — ٢٢١ ؛ وقد توفي النجيبي سنة ٦٧٧ وكان كثير الصدقة محباً للعلماء (ابن كثير ١٣ : ٢٨١ والدارس ١ : ٤٦٨) .
٦ ابن كثير ١٣ : ٢٣٨ ومخطوطة برلين .

وخلا منصب التدريس بدار الحديث في أواخر جمادى الآخرة (٦٦٢) اذ توفي المدرس بها جمال الدين ابن الحرستاني ، وصلّى عليه قاضي القضاة بجامع دمشق ، ثم عين أبو شامة خلفاً له ، وحين بدأ بذكر الدرس فيها من تصنيفه خطبة كتاب المبعث ، والحديث والكلام على سنده وفنّه ، كان إبن خلكان أحد حضور ذلك الدرس[1] .

وفي سنة ٦٦٣ كانت احدى غزوات الظاهر الكثيرة ضد قلاع الصليبيين في بلاد الشام ، وقد وجه همّه في ذلك العام للاستيلاء على قيسارية ،فاستولى عليها في جمادى الأولى ، ثم استولى على أرسوف في رجب ، وكانت القاعدة المتبعة إرسال كتب البشائر إثر كل فتح ، وقد ورد عليه كتاب البشارة بفتح أرسوف من إنشاء فتح الدين عبد الله بن القيسراني مفتتحه كالآتي : « جدد الله البشائر الواردة على المجلس السامي القضائي وسرّه بما أسمعه ، وأبطل ببركته كيد العدوّ ودفعه ، وجاء بها سبب الخير وجمعه ، ولا زالت التهاني إليه واردة ، والمسرّات عليه وافدة ، ونعم الله وبركاته لديه متزايدة » ثم وصف للفتح ، وتوجيه لابن خلكان كي يحدث بهذا النصر الفقهاء والعدول ، ويكاتب نوابه بخبره ، وينشره بين الناس ، ويدعو للملك باطراد النصر[2] .

وبعد الانتصار في أرسوف استدعى الملك الظاهر قاضي القضاة وجماعة العدول ووكيل بيت المال وجماعة من الفقهاء والأئمة ، لكي يشهدوا تمليك الأمراء ما وزعه عليهم من الاقطاعات؛ وحضر ابن خلكان إلى غزة وكتب مكتوباً خاصاً بالتمليك ، وهذا بعض نصه ليكون فيه دلالة على أسلوب ابن خلكان الانشائي : « أما بعد ... فان خير النعمة نعمة وردت بعد الياس ، وجاءت بعد توحشها وهي حسنة الايناس ، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس ، وقرعت أبواب الجهاد وقد غلقت في الوجوه ، وأنطقت ألسنة المنابر وشفاه المحابر بالبشائر التي ما اعتقد أحد أن بها تفوه ، فأكرم بها نعمة على الإسلام وصلت للملة المحمدية أسباباً ، وفتحت للفتوحات أبواباً ،

---

١ ذيل الروضتين : ٢٢٩ وابن كثير ١٣ : ٢٤٢ والدارس ١ : ٢٣ .
٢ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣١٩ — ٣٢٠ .

وهزمت من التتار والفرنج العدوين ، ورابطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين ... » وهي رسالة طويلة ، لا يختلف أسلوبها المسجوع عما درج عليه كتاب ذلك العصر . وبعد أن قرىء هذا الكتاب على السلطان ، كتب أيضاً كتاب التمليك الشرعي لكل أمير ، وفرقت النسخ على الأمراء ، وأحسن الظاهر إلى ابن خلكان وخلع عليه[1] .

وأجرى الملك الظاهر في هذه السنة بعد عودته إلى القاهرة أول تغيير جذري في نظام قضاء القضاة . فقد كان قاضي القضاة بمصر — كما كان في ديار الشام حتى ذي الحجة من هذا العام — شافعي المذهب ، وصادف أن كان صاحب هذا المنصب بمصر وهو ابن بنت الأعز يتوقف كثيراً في أمور تخالف مذهب الشافعيّ ، فأصدر الملك الظاهر أمراً بتعيين ثلاثة قضاة آخرين مستقلين في الحكم ، يمثلون المذاهب السنية الثلاثة الأخرى[2] ؛ ولكن هذا القرار لم يجر تنفيذه في ديار الشام إلا في السنة التالية(٦٦٤). ففي شهر جمادى منها وصل المرسوم الشريف الظاهري بأن يكون في دمشق أربعة قضاة ، ووصلت ثلاثة تقاليد لشمس الدين محمد بن عطاء الحنفي والزين عبد السلام الزواوي المالكي وشمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر الحنبلي ، ولكل واحد منهم الحق في تعيين نائب أو عدد من النواب ، فأبى المالكي أن يقبل ، ووافق الحنبلي إلا أنه اعتذر بالعجز ، وقبل الحنفي ، إذ كان في حقيقة الحال نائباً لابن خلكان . غير أن الظاهر عاد يؤكد على المالكي والحنبلي بضرورة القبول ، وإلا انتزع ما بأيديهما من الأوقاف ، فأجابا ، وفي اليوم التالي أشهد المالكي على نفسه بأنه عزل نفسه عن القضاء والأوقاف ، وتجدد الأمر بالزامه ، فقبل أخيراً إلا أنه ظلّ هو والحنبلي ممتنعين من أخذ

---

١ كنز الدرر ٨ : ١٠٨ — ١١٤ .

٢ ابن كثير ١٣ : ٢٤٥ وذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٢٤ وهو يعلل ذلك بأن ابن بنت الأعز توقف في تنفيذ الأحكام وكثرت الشكاوى منه ، وكان جمال الدين ايدغدي يكرهه ، فأشار باستحداث ثلاثة مناصب أخرى ، وهذا ايدغدي هو الذي أشار من قبل بتولية ابن خلكان .

الجامكية (أي المرتب) وقالا : نحن في كفاية ، فأعفيا منها [1] .

وهكذا اجتمع في دمشق على القضاء « ثلاثة » شموس : شمس الدين عبد الرحمن الحنبلي وشمس الدين محمد بن عطاء الحنفي وشمس الدين ابن خلكان ، وحدث أن عين ابن خلكان له نائباً لقبه شمس الدين أيضاً ، فأثار ذلك بعض الظرفاء إلى التهكم من كثرة تلك الشموس ، بينما يعيش الناس في ظلام :

أهل دمشق استرابوا   من كثرة الحكام
إذ هم جميعاً شموسٌ   وحالهم في ظلام

وقيل غير ذلك أيضاً [2] ؛ ويبدو أن روح الفكاهة هنا قد جارت على الحقيقة ، على الأقل بالنسبة إلى ابن خلكان ، فلم يذكر أحدٌ أنه كان سبباً في ظلم أو ظلام طوال توليه القضاء بدمشق . ولا ندري كيف استقبل ابن خلكان هذا التنظيم الجديد الذي قلّص من ظلال وظيفته وأنقص من أطرافها كثيراً ، ولعله ارتاح إلى الوضع الجديد الذي كفل له إزاحة مسئوليات كثيرة كانت تثقل كاهله ، وتجعل نشاطه موزعاً في مجالات مختلفة .

وفي عام ٦٦٤ حقق الظاهر انتصارات كثيرة وخاصة أخذه لصفد، فوصل إلى ابن خلكان كتاب من إنشاء كمال الدين أحمد بن العجمي يتحدث عن تلك الانتصارات : وستتوالى هذه الانتصارات سنة ٦٦٦ ثم سنة ٦٦٩ وفي كل مرة كان ابن خلكان يتلقى كتاب بشارة بما تمّ من إنجازات [3] ، الغرض

---

١ ذيل الروضتين: ٢٣٥ — ٢٣٦ وعقد الجمان (نقلا عنه) : ١٤٩ وابن كثير ١٣: ٢٤٦ ومخطوطة برلين المذكورة والدارس ٢ : ١١ (نقلا عن ابن كثير) : والمنهل الصافي ، والصفدي ٧ : ٣٠٩ .

٢ ذيل الروضتين : ٢٣٦ وانظر الصفدي ٧ : ٣٠٩ .

٣ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٣٨ ، ٣٤٣ ؛ ٣٧٥ بعد أخذ يافا والرسالة من انشاء القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر ؛ ٣٧٧ على أثر فتح الشقيف من انشاء ابن العجمي ؛ ٣٨٢ إثر فتح انطاكية من انشاء ابن عبد الظاهر ، وهذه كلها سنة ٦٦٦ ؛ أما أحداث ٦٦٩ فهي الاستيلاء على حصن الأكراد ٢ : ٤٤٥ وحصن عكار ٢ : ٤٤٨ .

منه تعميم النبأ بين الناس .

ومن الصعب أن نحصر نواحي النشاط الذي كان يقوم به ابن خلكان أثناء هذه الفترة الشامية التي امتدت عشر سنوات كاملة : ولكن لا ريب في أن منصبه قد وصله بفئات متنوعة من الناس ، فيهم العالم والأديب وفيهم — إلى جانب النواب والعدول — كثير من أبناء الفئات الشعبية . وكان حس المؤرخ لديه يدفعه إلى توثيق علاقته بأناس يستطيع أن يجد لديهم الأخبار والتجارب ، وذلك كان شأنه منذ أن كان نائباً في القضاء بالقاهرة ، فهؤلاء كانوا يمثلون لديه مصادره السماعية أو الشفوية . فمن معارفه من هذا القبيل محاسن بن الصوري (— ٦٦٣) عريف سوق الكتب بالقاهرة (ولا ريب في أن ابن خلكان كان ذا علاقة وثيقة بالوراقين ودلالي الكتب) ؛ ولقد لقيه مرة في الايوان الكبير بدار الوزارة عند البادرائي رسول الديوان فأخبره أنه دخل تلك الدار (دار الوزارة) في أيام شاور ورأى شاور جالساً في صدر ذلك الأيوان[1] . وفي دمشق كان ابن خلكان يقبل على مجلس ابن اسفنديار الواعظ (— ٦٧٦) وكان يحكي له الحكاية ثم يعيدها فيتمنى ابن خلكان أن لا يفرغ من حكايته وتنميقه[2] . وكان كثيراً ما يجلس إلى أكبر تجار دمشق الوجيه ابن سويد التكريتي (— ٦٣٠) ويستمع إلى أقاصيصه — فقد كان من المعمرين — ؛ وقد بلغ من منزلة الوجيه هذا أن متاجره لم يكن يتعرض لها متعرض وان كتبه كانت نافذة عند ملوك الأطراف وملوك الفرنج بالساحل، وكان أثيراً لدى الملك الظاهر ، كما كان كثير المكارمة للأمراء والوزراء وأرباب الدولة يهاديهم ويقضي حوائجهم[3] وقد كان ابن سويد صديقاً لابن خلكان ، وكان يعتمد على هذه الصداقة في قضاء بعض أعماله ، ومرة رأى ابن خلكان فيما يريده صديقه تجاوزاً لمبدأ العدالة لديه فاعتذر، فقال له

---

١ ذيل الروضتين : ٢٣٤ .

٢ الدارس ٢ : ١٦٩ .

٣ انظر تفصيلات أخرى عن ابن سويد في ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٨٧ — ٤٨٩ ، والمؤلف يقص عنه حكاية في الوفيات ٦ : ٢٤٧ .

ابن سويد : ما يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم فأجابه ابن خلكان : بلى يا وجيه الدين صرنا معك قشلمشاً وما ترضى[1] .

وكان شمس الدين قزا أوغلي من معارفه بدمشق ، وقد حدثه عن الاختلاف في تاريخ ولادته بين ما ذكرته أمه وما ذكره خاله ، وهذه الصلة كانت فاتحة لإفادته من كتابه « مرآة الزمان »[2] .

ولم تلهه مهماته الكثيرة عن ممارسة بعض أنواع « الرياضة الأدبية » ، فقد كان ابن خلكان – خضوعاً للروح السائدة في عصره – مغرماً بالألغاز ، ولهذا نجد الرسائل تدور بينه وبين صديقه ابن عدلان الموصلي (٦٦٦) القاطن بالقاهرة في هذا الأمر[3] . شيء واحد فقط حالت المهمات دون انجازه . وذلك هو تكملة التاريخ الذي بدأه ، ولكنه مع ذلك لم يكفّ عن اقتناء الكتب والاطلاع على ما يجده منها في ديار الشام ، واستخراج المادة التي تنفعه من بعد إذا سمحت الظروف بانجاز مشروعاته التأليفية . ولهذا فانه حين عزل عن القضاء سنة ٦٦٩ وجد الفرصة سانحة لاستئناف العمل في التأليف .

لماذا عزل ابن خلكان عن القضاء ؟ في ١٥ شوال سنة ٦٦٩ دخل الظاهر بيبرس إلى دمشق وعزل القاضي ابن خلكان ، فسافر ابن خلكان إلى الديار المصرية في شهر ذي القعدة[4] . وليس في المصادر أية إشارة إلى أن هذا العزل كان ناجماً عن أية تهمة واضحة وجهت إليه ، مما يمسّ عدالته أو دقته في أداء واجبه . كل ما تذكره المصادر أنّ بهاء الدين ابن حنا وزير الظاهر هو الذي سعى في أن يولّي عز الدين ابن الصائغ القضاء ، وأقنع الظاهر بذلك ، فكتب تقليده وهو بظاهر طرابلس قبل أن يصل إلى دمشق[5] . ويبدو أن

---

١ الصفدي ٧ : ٣١٠ – ٣١١ .
٢ ذيل مرآة الزمان ١ : ٤٢ .
٣ انظر صورة من هذه المراسلة في ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٩٢ . ٢٩٣ .
٤ عقود الجمان : ١٦١ (ومخطوطة برلين المذكورة) وابن كثير ١٣ : ٢٥٩ وذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٥٢ .
٥ المصادر السابقة .

بهاء الدين لم يكن يرتاح كثيراً لابن خلكان ويعزى ذلك إلى صلة ابن خلكان بالأمير أحمد بن حجي ، فقد كان هذا الأمير ينتسب إلى البرامكة وإذا حضر إلى دمشق ذهب لزيارة ابن خلكان وقال له أنت ابن عمي ، فيضيفه ابن خلكان ويكرمه ، وكان ابن حجي يثني عليه عند الظاهر ، فاغتاظ من ذلك الصاحب بهاء الدين وعمل على عزله وذمّه عند الظاهر[1] .وسنرى من بعد كيف تعمد اذلاله وإهماله . وقد ذكر ابن حجر أن موسى بن أحمد ابن خلكان كان فيما يقال سيء السيرة وأن والده كان يطيعه وأنه كان السبب لذلك في عزل أبيه ، حتى قال فيه ابن ظهيرة :

وكيف يؤتى رشـده حاكم حكّم في لحيته موسى[2]

ولكن إن كان شيء من ذلك صحيحاً فانه يتصل بالعزل الثاني لا بهذا العزل الذي وقع سنة ٦٦٩ ، ذلك لأن موسى في هذه الحادثة لم يكن يتجاوز الثامنة عشرة ، ولم يكن قد طمح بعد إلى منافسة الآخرين في بعض المناصب ، بحيث تثور بسبب تصرفاته الحفائظ وينسب إليه سوء السلوك .

وحين عاد ابن خلكان إلى القاهرة معزولاً ، أخذ يبحث عن مصدر للرزق ، فيقال انه وجد منصباً تدريسياً في المدرسة الفخرية[3] ، ولكن ربما لم يستطع الحصول على هذا المنصب في أول عودته ، أو انه كان منصباً قليل العائدة ،إذ نجده في القاهرة يعاني ضائقة مادية شديدة ،وهو صابر ،وحين عرف بدر الدين بيليك الخازندار بما يعانيه أمر له بألفي درهم ومائة إردب قمح فأبى من قبولها[4] ؛ وزاد جفاء الصاحب بهاء الدين ابن حنا له في تلك الأيام ، وسبب ذلك فيما يقال أن ابن خلكان عمل للملك الظاهر نسباً ألحقه فيه بجنكزخان ،

---

١ عيون التواريخ ، الورقة : ١٢٧ .

٢ الدرر الكامنة ٥ : ١٤٣ .

٣ الوفيات ، مقدمة الترجمة الانجليزية ٤ : xiii وهذه المدرسة كانت فيما بين سويقة الصاحب ودرب العداس ، عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي أستادار الملك الكامل محمد بن العادل (الخطط ٢ : ٣٦٧) .

٤ الصفدي ٧ : ٣١١ والمنهل الصافي .

فلما وقف عليه الظاهر قال : هذا يصلح أن يكون وزيراً ، اطلبوه . فخشي الصاحب على نفسه ، وسعى إلى أن أبطل القضية وجعل السلطان يتناساها [1] ؛ وتزيد هذه الرواية شيئاً ربما لم يتفق مع خلق ابن خلكان ونفسيته إذ تنسب إليه أنه كان كل يوم يركب ويقف بباب القرافة ، ويمشي قدام الصاحب إلى أن يوصله إلى بيته [2] ؛ وتصوّر مقدار ما بلغته حاله من الفقر بأنه لم يبق له غير البغلة يركبها وأن عبداً له كان يعمل ويطعمه من كسب يده [3] .
ولكن ابن خلكان قضى في القاهرة — بعد العزل — ما لا يقلّ عن سبع سنوات ، وربما كانت هذه الرواية إنما تصوّر حاله في آخر تلك الفترة ، إذ تجعل هذا الفقر سبباً في إعادته إلى القضاء مرة أخرى ، وعاملاً في اثارة عطف الصاحب بهاء الدين عليه ؛ ورغم ما قاساه ابن خلكان في هذه الفترة من ضائقة مادية مضى في اكمال كتابه ، وقراءة كتب جديدة يستمد منها المعلومات والفوائد .
ولما عاد إلى القضاء بدمشق سنة ٦٧٧ كان قد انتهى من تدوين أكثر ما كان قد أرجأه بسبب زحمة العمل في شئون القضاء .

كتب تقليد لابن خلكان بقضاء دمشق وأعمالها من العريش إلى سلمية ، على مثل حاله السابق ، في ذي الحجة سنة ٦٧٦ ، وحضر عند السلطان الملك السعيد (إذ كان الظاهر والده قد توفي) لابساً للخلعة . وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور توجه إلى دمشق ، فدخلها في ٢٣ محرم سنة ٦٧٧ ؛ وكانت الأخبار بتوليه القضاء قد وصلت إلى دمشق فامتنع ابن الصائغ عن مباشرة أعماله ؛ ولم تستطع السنوات السبع أن تنسي أهلها قاضيهم المحبوب ، فخرج الناس لتلقيه ، حتى وصل بعضهم إلى غزة وبعضهم إلى الرملة ، وآخرون إلى قطيا ، وكان يوم دخوله مشهوداً ، لم ير ما يشبهه في الاحتفال والزحمة ، وركب نائب السلطنة عز الدين أيدمر بجميع العسكر لتلقيه ، وتوجه حال دخوله إلى المدرسة العادلية ، فجلس فيها ، وتوافد الشعراء يهنئونه ، وتبارى القراء في القراءة ، وألمح كثير من الشعراء إلى أن السنوات السبع كانت

---

١ الصفدي ٧ : ٣١١ .
٢ المصدر نفسه .
٣ المصدر نفسه .

مثل سني يوسف ، عجافاً ، وأن بعد السبع يجيء عام الغوث الذي حلّ عليهم بقدوم ابن خلكان[1] .

وفي سابع عشر صفر افتتحت المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك السعيد باسم أبيه ، في موضع دار العقيقي ، ولم تكن المدرسة قد كملت بعد ، وحضر الدرس نائب السلطنة عز الدين ايدمر وبقية القضاة والأعيان، وكانت المدرسة وقفاً على أصحاب الشافعية والحنفية ، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين اسماعيل الفارقي صديق المؤلف وذو المدائح الكثيرة فيه ، وقد حضر قاضي القضاة درسه ومعه ابنه موسى ، أما مدرس الحنفية فكان صدر الدين سليمان الحنفي بعد استعفائه من قضاء القضاة بمصر[2] ، وفي ذي القعدة فتحت المدرسة النجيبية ، ودرس فيها ابن خلكان أيضاً ثم نزل عنها لابنه كمال الدين موسى ، وفتحت الخانقاه النجيبية ، وكان صاحب المدرسة والخانقاه ، قد جعل النظر في أوقافهما إلى ابن خلكان[3] ، وكذلك فعل في سائر ما أوقفه[4] .

وكانت أول رسالة وردت عليه من مصر بعد توليه القضاء هذه المرة ، رسالة بانشاء تاج الدين ابن الأثير الحلبي تبشر بوفاء النيل (سنة ٦٧٧) وفيها يقول : لا زالت أيامه مستفتحة بالهناء وسعادة الآناء وإشادة الثناء ، إذ كان أمل غيره من دهره إشادة البناء. وكلمة «غيره» هنا تشير فيما يبدو إلى القاضي الذي كان قبله ، وهو ابن الصائغ ، إذ كان يكثر من القول في مجالسه

---

١ عيون التواريخ، الورقة ٤٤٦، ٦٠ ومخطوطة كوبريللي (رقم ١١٢١) الورقة : ٨٤ والصفدي ٧ : ٣٠٩ — ٣١٠ ، وإنباء الأمراء ، الورقة : ٣٥ والمنهل الصافي ؛ وعقود الجمان الورقة : ١٧٧ ومخطوطة برلين المذكورة ، الورقة : ٤٤٦ وابن كثير ١٣ : ٢٧٩ — ٢٨٠ .

٢ عقد الجمان ، الورقة : ١٧٧ ومخطوطة برلين الورقة ٤٤٦ وابن كثير ١٣ : ٢٨٠ والوفيات ٤ : ١٥٦ — ١٥٧ (المتن والحاشية) ؛ وقد انفرد المؤلف بقوله ان افتتاحها كان في ١٧ صفر أما المصادر الأخرى فذكرت أن ذلك كان في ثالث صفر ، والمؤلف أدرى بذلك لأنه شهد افتتاحها بنفسه .

٣ المصادر السابقة نفسها .

٤ مخطوطة برلين ، الورقة : ٤٤٧ .

« عمرت في الأوقاف كذا وبنيت للأيتام كذا »؛ وقد أشار إلى هذا التعريض ابنه موسى[1] .

وقضى ابن خلكان في منصبه الجديد قرابة ثلاث سنوات وهو يصرّف الأمور دون منغصات ، إلى أن حدثت فتنة سنقر الأشقر ، وخلاصتها أن سنقر الأشقر تولى نيابة السلطنة بدمشق بعد عزالدين أيدمر الظاهري ، ثم ادعى لنفسه الاستقلال بالسلطنة ، وتلقب بالملك الكامل وحلف له القضاة والأعيان ، وكان الذي شجعه على ذلك اضطراب الأمور في مصر حول الملك السعيد وخلعه من السلطنة وتولية أخيه الملك العادل سلامش ، وعمره يومئذ سبع سنوات ، ثم عزله ومبايعة المنصور قلاوون الصالحي ، فلم يرض ذلك سنقر الأشقر وأراد الاستقلال بالسلطنة ، وأرسل إليه المنصور قلاوون يقبح فعله وأن ذلك يفرق الكلمة ويوهن الأمة ، فلم يصغ له . وعندئذ أرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة علم الدين سنجر الحلبي ، فكانت الهزيمة على سنقر الأشقر[2] .

ويبدو أن ابن خلكان كان في من بايع سنقر الأشقر[3] ، ولذلك فانه ما كاد يدخل على سنجر الحلبي ليسلم عليه – حين استقر ركابه بدمشق – حتى قبض عليه واعتقله في علو الخانقاه النجيبية (٢٠ صفر ٦٧٩) واستدعى القاضي السابق ابن سني الدولة من حلب وعهد إليه بالقضاء بدلاً عنه[4] . وألح سنجر الحلبي على ابن خلكان بأن يخلي المدرسة العادلية ، كي يسكنها ابن سني الدولة ، فاستدعى ابن خلكان جمّالاً لينقل امتعته إلى جبل الصالحية ، وبينما كان نقل الأمتعة يجري ، وصلت رسالة من الملك المنصور قلاوون تتضمن عفواً عن كل من اشترك في فتنة سنقر الأشقر . وجلس سنجر الحلبي

١ الوفيات جـ ٥ : ٣٩٥ – ٣٩٦ (الحاشية) .

٢ ابن كثير ١٣ : ٢٨٨ – ٢٩١ وعقد الجمان ، الورقة ١٧٨ وما بعدها، وعيون التواريخ الورقة ٨٩ .

٣ في كنز الدرر ٨ : ٢٣٨ أنه افتى بقتال العساكر المصرية .

٤ ابن كثير ١٣ : ٢٩١ وعقد الجمان ، الورقة : ١٨٤ .

في دهليز بالميدان الأخضر وحضر عنده الأمراء والأعيان من عسكر مصر والشام وأعيان الناس ، وأخذ يقرأ عليهم كتاب المنصور ، وبعد التهنئة بالظفر والعتب على من اشترك في تلك الحادثة ورد ذكر العفو العام وفيه مما يخص ابن خلكان : « وغير خاف ما يتعين من حق المجلس السامي القضائي شمس الدين أحمد ابن خلكان ، أعزه الله تعالى ، وقديم صحبته بنا وخدمته علينا وأنه من بقايا الدولة الصالحية ، سقى الله عهدها ، وقد رسمنا باعادته إلى ما كان عليه من قضاء القضاة بالشام ، وبسطنا يديه في النقض والابرام »[1] . ومع الرسالة خلعة سنية لابن خلكان ، فركب القاضي من ساعته إلى حيث كان الأمراء مجتمعين وسلم عليهم ، ثم نزل وباشر الأحكام ، وأحضرت له خلعة التشريف فلبسها وصلّى بها الجمعة ، وكتب إلى الملك المنصور رسالة يدعو له فيها ويتنصل مما نسب إليه ويعتذر ، فجاءه جواب الملك المنصور بالشكر وقبول العذر ، وبعد مدة أضيف له قضاء منطقة حلب وأعمالها وأذن له أن يستنيب فيها من يختاره[2] ؛ ولا ريب في أن الناس ابتهجوا بالعفو العام الذي شمل كثيراً منهم ، ولكن الكثيرين ابتهجوا أيضاً لأن قاضيهم المحبوب كان ممن شملهم ذلك العفو[3] .

ولكن يبدو أن تصرف الملك المنصور لم يكن إلا تهدئة للحال ، واسترضاء للخواطر ، وإلا فانه لم يمر أكثر من شهر ونصف على اضافة منطقة حلب إلى ابن خلكان حتى جاءه كتاب العزل عن القضاء (٢٨ محرم سنة ٦٨٠) وتولية عز الدين ابن الصائغ[4] ؛ ولا تذكر المصادر شيئاً عن سبب هذا العزل ، سوى ما يمكن أن يقال عن تأثير ابنه موسى عليه ، مما ألمعت إليه من قبل ؛

---

١ عيون التواريخ ، الورقة ٨٩ — ٩٠ (ونسخة كوبريلي ، الورقة : ١٢٢) وباختصار في ابن كثير ١٣ : ٢٩١ وعقد الجمان : ١٨٥ .

٢ عيون التواريخ : ٩٠ ، ٩٢ (ونسخة كوبر يللي ، الورقة : ١٢٥) وانظر عقد الجمان : ١٨٦ ومخطوطة برلين : ٤٤٩ .

٣ ابن كثير ١٣ : ٢٩١ .

٤ عيون التواريخ : ١٠١ وعقد الجمان : ١٨٧ ومخطوطة برلين : ٤٤٩ وابن كثير ١٣ : ٢٩٣ .

وكان معنى هذا العزل أنه أيضاً ينحى عن التدريس في المدارس التي كان يتسلمها في العادة ، وانقطع بالمدرسة النجيبية التي كان يدرس فيها ابنه موسى ، وبقي له مرتب مقداره ثلاثمائة درهم في الشهر ، ثم أضيفت إليه المدرسة الأمينية خلفاً لعلاء الدين ابن الزملكاني [1] ، وكان ذلك في العاشر من صفر سنة ٦٨١ [2] ، واستمر على ذكر الدرس بالأمينية والعود إلى مسكنه بالنجيبية ، والاجتماع بمن يتردد إليه من العلماء والفضلاء والأدباء ، والبحث معهم والمذاكرة لهم وبث العلوم والفوائد،حتى ابتدأ به المرض يوم ٢٢ رجب ثم وافته منيته وقت أذان العصر من يوم السبت ٢٦ رجب سنة ٦٨١ بالمدرسة الجمالية النجيبية ، ودفن يوم الاحد التالي له ، صلي عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح جبل قاسيون في الصحراء ، شرقي التربة الصوابية الواقعة بسفح الجبل من جانبه الغربي [3] .

٤ — ثقافته — مذهبه — شخصيته .

قد مرّ بنا في الفقرة السابقة ذكر بعض ما درسه ابن خلكان في مراحل حياته التعليمية ، ومنه يتبين لنا أن المصادر قد أبرزت اهتمامه بدراسة الفقه وأصوله — وخاصة على مذهب الشافعي — ودراسة اللغة والنحو ، واتقانه لهذه العلوم ، التي لا نعرف له فيها مؤلفاً خاصاً ، ولكنها واضحة في كتابه كلما عرّج على بعض القضايا الفقهية واللغوية والنحوية ، مؤكدة بشهادة معاصريه والآخذين عنه ، فقد شهدوا له بالبراعة في الفقه والأصول والعربية وبالمعرفة بالمذهب (أي مذهب الشافعي) وبحسن ما صدر عنه من الفتاوى [4] ،

---

١ انظر الدارس ١ : ١٩١ ، والمدرسة الأمينية قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي المسمى قديماً باب الساعات ، وبانيها هو أمين الدولة كمشتكين بن عبد الله (الدارس ١ : ١٧٧).

٢ مقدمة الوفيات ٤ : الصفحة (ي) وعيون التواريخ : ١١٣ (ونسخة كوبريللي : ١٢٥).

٣ مقدمة الجزء الرابع من الوفيات : (ي ، ط) وانظر مخطوطة برلين : ٤٥١ وابن كثير ١٣ : ٣٠١ ، والدارس ١ : ١٩٣ .

٤ الدارس ١ : ١٦٣ نقلا عن تاج الدين الفزاري ، وانظر كذلك : المنهل الصافي .

وتلك المعارف – بالاضافة إلى عناصر أخرى في شخصيته – هي التي أهلته لمنصب القضاء، وكفلت له التوفيق في ذلك المنصب، مدة طويلة من الزمن، كما كفلت له القيام بأعباء التدريس فيما وكل إليه من مدارس .

غير أن الأخبار التي استطعت جمعها عن تحصيله العلميّ لا تصوّر إلا جانباً يسيراً من ثقافته ، فقد كان الرجل دائم الاطلاع ، محباً للكتب ينفق على اقتنائها ، أو يعتمد الاطلاع عليها في المكتبات الموقوفة على المدارس ، ويكاد كتابه أن يكون مرآة تصوّر تدرّج اطلاعه على تلك الكتب [1] .

ويفصح كتابه عن ميل شديد إلى الشعر وأيام الناس[2]، ويغلبه حبّه للشعر أحياناً ويزاحم لديه الحقيقة التاريخية ؛ وقد عرفنا أن ابن خلكان كان يطمح في أوائل عهده بطلب العلم أن يكون شاعراً ، وقد نظم كثيراً من الشعر – سيأتي الحديث عنه في موضعه – وربما انتسب إلى جمهرة الشعراء من أصدقائه أمثال ابن مطروح وابن الخيمي والجزار والبهاء زهير ، لولا أن انتسابه إلى القضاء كفل له رزقاً مقرراً ومكانة اجتماعية . وبعد العمل في القضاء لم تفتر صلته بالشعر والاهتمام به ، وتغذية الذوق الأدبي لديه باستمرار . وقد قيل فيه إنه كان أعرف الناس بديوان المتنبي في وقته[3] ، وهذا واضحٌ في كتابه نفسه ، لا من كثرة إحالاته على ديوان المتنبي وحسب ، بل لأنه عقد بعض التراجم في كتابه (مثل ترجمة فاتك وكافور) باعتماد كثير على الديوان . ونقل عن الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره أنه كان يحفظ سبعة عشر ديواناً من الشعر [4] ؛ ولهذا يمكن أن يقال ان الموجه الاول في ثقافته كان هو نزعته الأدبية التاريخية ، وأن من مكملات تلك الصورة الثقافية اهتمامه بالفقه والنحو واللغة .

---

١ انظر فهرست « مصادر المؤلف » في الجزء الخاص بالفهارس العامة ، وانظر فيما يلي الحديث عن تأليفه لكتابه « وفيات الأعيان » .

٢ انظر أيضاً الدارس ١ : ١٩٣ نقلا عن الفزاري .

٣ المنهل الصافي ، وابن قاضي شهبة : ٢١١ (نقلا عن البرزالي) وابن طولون : ٣٥ .

٤ ابن قاضي شهبة : ٢١٠ .

ويكاد يكون من القول المعاد الوقوفُ عند مذهبه ، فقد تقدّم القول أنه كان شافعياً ، كما كان سائر أفراد أسرته ، وأنه ولي قضاء القضاة بالشام منفرداً يوم لم يكن يعين في هذا المنصب إلا شافعي ، ثم ظلّ يلي هذا المنصب حين عين قضاة لسائر المذاهب السنية ، فلا جدال في أن الرجل كان سنياً (وهو كرديّ الأصل) شافعياً . ولكن الذي حداني إلى الوقوف عند قضية المذهب اتهام أحد المتأخرين له بأنه كان شيعياً يكيد للسنة ، ذلك هو غلام محمد بن الشيخ محيي الدين بن الشيخ عمر المدعو بالاسلمي صاحب الترجمة العبقرية [1] وهو يستشهد على اثبات اتهامه باقتباس ابن خلكان للمصادر الشيعية ، ولعله يوميْ إلى اهتمام المؤلف بالترجمة للأئمة الاثني عشر ثم بالترجمة لجميع الخلفاء العبيديين ، ولكن التهمة بالاتكاء على المصادر باطلة ، وسيثبت فهرست مصادر المؤلف الذي أفردناه في الجزء الخاص بالفهارس أن أكثر مصادر ابن خلكان إنما هي المصادر المعتمدة عند أهل السنة . ولو شئنا أن نقوي دعوى صاحب الترجمة العبقرية لقلنا : ومما يدلّ على الميل الشيعي لدى المؤلف أن كثيراً من أصدقائه كانوا من الشيعة بل من غلاتهم مثل أبي المحاسن الشوّا ، والشاعر الملقب شيطان الشام ؛ وأنه كان يرى في مدح الفرزدق لزين العابدين – محض مدح – « مكرمة ترجى له بها الجنة » [2] ؛ وأنه إذا ذكر معاوية في كتابه لا يترضى عنه [3] ؛ ولكنّ كل ذلك لا يدلّ على تشيع أو كيد للسنة . فنحن نستطيع أن نحمل اهتمامه بالأئمة الاثني عشر وبالخلفاء الفاطميين على محمل النظرة التاريخية الخالصة ، وصداقته للشيعة وغلاتهم على روح الانصاف والتسامح في قيام العلاقات الودية بين طرفين مختلفين في الانتماء المذهبي ؛ وإذا كان ابن خلكان لا يترضى عن معاوية فقد ورد بخطه الترضي عن عائشة

---

١ انظر الترجمة العبقرية والصولة الحيدرية للتحفة الاثنا عشرية (طوبقبوسراي رقم : ٣٨٦ ، الورقة ٤٨ /أ) ، والفضل في لفت نظري إلى هذا الكتاب يعود إلى الآنسة وداد القاضي .

٢ الوفيات ٦ : ٩٥ .

٣ وردت « رضي الله عنه » مرة واحدة عند ذكر معاوية ٥ : ٣٥٣ والنص غير منقول عن خط المؤلف ، وإنما كذلك ورد في المختار لابنه ، مما يدل على أن ابنه كان لا يتفق تماماً مع أبيه في هذا الموقف من الصحابة .

وعن طلحة والزبير ، وهم ممن خاصموا علياً وثاروا عليه ، أما انحرافه بعض الشيء عن معاوية وعمرو بن العاص وقبوله فيهما بعض الروايات الضعيفة ، فهو موقف لكثير ممن ينتمون إلى المذهب السني ؛ ويكفي أن أشير هنا إلى إنصافه — في موقف المؤرخ — حين أورد فتوى الكيا الهراسي في حال يزيد ابن معاوية فانه شفعها بفتوى الغزالي المناقضة لها [1] . بل انه — على المستوى الأدبي — كان شديد الغرام بديوان يزيد حتى حفظه جميعه سنة ٦٣٣ بدمشق ، وعرف صحيحه من منحوله، وتتبع المنحول حتى ردّ كل أبيات لصاحبها ، وأثنى على شعر يزيد وقال انه في نهاية الحسن [2] ؛ وخلاصة القول انه ربما كان ابن خلكان ميالاً إلى عليّ وآله ، في بعض المواقف ، ولكنه لا يحسب في الشيعة أو في من يكيدون للسنة ، كما أن ميله ذلك لم يبعد به عن منزلة الانصاف وتحري العدالة .

وإذ بلغنا الانصاف والعدالة في مناقبه فحري بنا أن نتحدث عن أهم العناصر التي تميزت بها شخصيته . لقد وصفته المصادر بأنه كان حسن الصورة فصيح المنطق [3] ؛ كما وصفته بأنه كان جواداً كريماً لا يدخر شيئاً [4] ، وقد جعلته هذه الصفة مع المنصب القضائي ، قبلة للمدح ، فكان مداحه من الشعراء كثيرين ، مثل سعد الدين الفارقي ونور الدين ابن مصعب ورشيد الدين الفارقي ونجم الدين أبي المعالي ابن اسرائيل الشيباني ، ومما مدحه به هذا الأخير ، رجاء أن يمنحه بيتاً في مدرسته قوله [5] :

قاضي قضاة المسلمين ومن إلى	أبوابه تتوجه الرغبات
شمس المعاني والمعالي والذي	بسناه زال الظلم والظلمات
بحر المعارف والعوارف من جرت	أبداً له بفوائد عادات

---

١ الوفيات ٣ : ٢٨٧ — ٢٨٨ .
٢ الوفيات ٤ : ٣٥٤ .
٣ الدارس ١ : ١٩٣ وابن قاضي شهبة : ٢١٠ نقلا عن تاج الدين الفزاري .
٤ عيون التواريخ : ١١٥/أ .
٥ عيون التواريخ ، الورقة : ٧٥ ب .

وكان يجيزهم الجوائز السنية على مدحهم[1] .

كذلك وصف بالنزاهة وكمال العقل وثبات الجأش ، وهي خصائص هامة للقاضي ، مثلما هي هامة في معاملة الناس جملة ، ومن الطبيعي أن يكون الجدّ هو الصفة الغالبة عليه مع الوقار ، فهما من متطلبات القضاء أيضاً ، وهذا هو الذي جعل مجلسه حافلاً بالبحث والتحقيق والفوائد العلمية والأدبية [2] وكان أصحابه يحبون هذا المجلس للاقتباس من فوائده ، على أن ذلك لا ينفي أنه كان يميل إلى الدعابة المهذّبة في الأغلب . وكان شديد المسارعة إلى خدمة الآخرين إلاّ أن تؤدي الخدمة إلى ما يمس روح العدالة لديه ، كذلك تحدثت فيما سبق عن عفة يده عن قبول المساعدات المادية وهو في أشد حالات الضيق ؛ وكل هذه الصفات مع ما عرف به من الرفق ولين الجانب جعلته محبباً إلى من عرفوه[3] ، وكان شديد التحرّج من أن تجري في مجالسه الغيبة ، ويكره نقل الأخبار بالنميمة ، وله في هذا الباب حكاية عميقة الدلالة ، ربما ظنناها اليوم تتعارض مع منصبه القضائي ، فقد حضر إليه ذات يوم رجل يخبره أن اثنين من الشهود العدول لديه كانا عاكفين على الخمر في مكان ما ، فأرسل أحد النقباء يأمرهما باصلاح حالهما وتغيير هيئة المجلس ، ثم توجه إلى بيته ، حتى إذا عرف أن النقيب قد وصل وبلغهما ما أمره به ، استدعى الرجل الذي أفضى إليه بالسرّ وقال له : أنا أبعث معك النقيب (ثاني النقيبين) فان كان حديثك صحيحاً فعلت بهما ما ينبغي وإلا أشهرتك في البلد وقطعت لسانك؛ فوافق الرجل لتأكده مما رآه ، فأخذه النقيب وذهب به إلى ذلك المكان فلم يجد أثراً لمجلس شراب ، وأسقط في يد الرجل ، واعيد إلى ابن خلكان ، فأخذه في دهليز ومعه الدرة ، وأخذ يهدده ، فشفع فيه النقيب ، فقبل شفاعته ، ثم أحضر المصحف وجعله يحلف عليه بألا يعود يقذف عرض مسلم[4] ؛

---

١ المنهل الصافي ؛ وابن طولون : ٣٥ .
٢ ابن قاضي شهبة : ٢١١ والمنهل الصافي ؛ وابن طولون : ٣٥ .
٣ عيون التواريخ : ١١٥ /أ .
٤ عيون التواريخ : ١١٥ /أ-ب ، وشذرات الذهب ٥ : ٣٧١ - ٣٧٢ .

وربما كان بعض الناس لا يقبل مثل هذا التصرف ويعده غمزاً في عدالة الرجل وميله إلى التحرّي الدقيق عن أمانة شهوده ، ولكن القصة من ناحية أخرى تدلّ على مبلغ حرصه على ألا يكشف عورة أحد ، وعلى صدّه لمترصدي المزالق في الآخرين .

وقد أثار بعض معاصريه زاويتين أخلاقيتين للطعن في سلوكه الشخصي – بالاضافة إلى كذبه في نسبه – وهما تعاطيه الحشيشة وميله إلى الغلمان ، وقد أجاب عن الأولى بأنه لو كان يريد مثل تلك اللذة ، لشرب الخمر ، وأنه يرى في كل ما كان من قبيل الخمر والحشيشة أمراً محرماً ، وتوقف عن الاجابة على التهمة الثانية . وذهب بعضهم إلى تعيين محبوبه ، وإلى أنه كان يتصرف في بعض حالاته في حضور من يطمئن إليه تصرف المتيم الولهان [1] ؛ ومن الصعب أن يقول الباحث الحديث شيئاً في هذه القضية ، فان أكثر أشعار ابن خلكان التي وصلتنا غزلية ، ولعلّ الذين نسبوا إليه ذلك إنما كانوا متأثرين بما يسمعونه من شعره ودوبيتاته ؛ على أن التعبير عن أحاسيس النفس شيء لا تقف دونه روح التدين التي كانت تغلب على سلوكه العام ، وربما كانت هذه العاطفة ناجمة عن زمام شديد من الورع . وليس لنا أن نقول إنه إن كان هناك مثل ذلك الميل لديه ، فانه كان مواكباً لعهد الصبا ، ذلك لأن الحديث عن هذا الميل إنما كان في دمشق ، بعد أن عين قاضياً للقضاة ، وكان قد بلغ الخمسين أو تجاوزها . أياً كان الأمر فان صورة ابن خلكان التي يمكن رسمها من المصادر تدلّ على الاعتدال والتحرّج ، ومثل هاتين الصفتين تنبعان عن قوة في الارادة ، وهي صفة تحول دون الاستسلام للتيارات العاطفية أو الشهوانية .

وقد تجلت روح التدين لديه في كثير من الصفات التي مرت الاشارة إليها : كالنزاهة والعدالة وكراهية الغيبة ... الخ ؛ وربما اقترنت أيضاً باكثاره من زيارة القبور ، وذلك أمر كان يفعله منذ أن كان في اربل [2] ؛ ولكنا

---

١ انظر الصفدي ٧ : ٣١٢ والفوات ١ : ١٠٢ .
٢ انظر الوفيات ٢ : ٢٣٨ .

يجب ألا ننسى روح المؤرخ هنا ، فان زيارته للقبور كانت جزءاً من تعرفه إلى أماكن الوفاة ، وتدقيق ما يتصل بالتأريخ جملة [1] .

٥ – ابن خلكان الناقد الأدبي والشاعر :

نثر ابن خلكان أحكاماً نقدية كثيرة في مواضع من كتابه تدل كلّها على النموذج الشعري الرفيع في نظره ؛ ويؤخذ من تلك الأحكام أنه كان يعتبر شعر البحتري وصرّدر وسبط ابن التعاويذي وابن عنين نموذجاً لما يراه قمة الشعر العربي (دون أن ينقص ذلك من اعجابه العام بالمتنبي) فهو يقول في التعليق على بعض شعر البحتري : « هذا هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع ، فلله دره ! ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه وأحسن سبكه وألطف مقاصده ، وليس فيه من الحشو شيء بل جميعه نخب »[2] ويقول في سبط ابن التعاويذي : « جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها ، وهو في غاية الحسن والحلاوة ، وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ، ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل ، فان ذلك يختلف بميل الطباع »[3]. ويقول في ابن عنين : « كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به » [4]. ولا يقارب هؤلاء بل ربما تفوق عليهم في بعض شعره سوى مروان بن أبي حفصة في مثل قصيدته اللامية التي منها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم   أسود لهم في بطون خفان أشبل

فقد قال في التعليق عليها : « هذا لعمري هو السحر الحلال المنقح لفظاً

---

١ راجع أمثلة ذلك في الوفيات ١ : ١٧١ ، ٢ : ٥٠٩ ، ٣ : ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ، ٢٢٢ ، ٤ : ١٩٢ ، ٤٦٢ ؛ ٥ : ١٨ ، ١٩٧ .

٢ الوفيات ٦ : ٢٦ .

٣ الوفيات ٤ : ٤٦٦ .

٤ الوفيات ٥ : ١٤ .

ومعنى وحقه أن يفضل على جميع شعراء عصره وغيرهم »[1] . وكل هذا يدلّ على أن الشعر المحدث – في الأغلب – هو محط اعجابه ، وأنه يميل إلى حلاوة السبك الموسيقي المتلائم مع المعنى دون أن يكون الشعر معتمداً على حشو[2] ؛ ويتميز هذا اللون من الشعر بسهولة الجريان مثلما يتميز بالاستواء العام في المعنى ، وربما ارتفع إلى مستوى الجزالة المحكمة – دون نظر إلى ما تحتها من معنى ، ولهذا نجده يرد انتقاد المعري لابن هانىء حين وصف شعره بأنه يشبه رحى تطحن قروناً فيقول : « ولعمري ما أنصفه في هذا المقال ، وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي »[3] . هذا هو رأيه العام في الشعر فاذا جاء إلى التخصيص وجدناه يعجب بالمخالص الجيدة والتقسيمات الموفقة وبعض أنواع الجناس[4] ، وذوقه في هذا لا يفترق عن أبناء عصره ؛ ويمكن أن نقول إن « مدرسة البحتري » هي التي صنعت مقاييسه النقدية ، على تفاوت المستويات في تلك المدرسة ، حتى حين تصل إلى الجزار وابن مطروح والبها زهير . ولديه مجموعة من المقاييس النقدية التي أصبحت معتمدة في عصره كالمفاضلة بين قصيدتين متشابهتين في الوزن والرويّ[5] ، والكشف عن تناوب الشعراء للمعنى الواحد ، أو الحديث عموماً عن قضية الأخذ والسرقة ، والتدقيق في تعقب الشعراء للاخلال الجزئي بالمعنى ، إلى درجة الاسراف أحياناً[6] .

وتدلّ هذه المقاييس النقدية على المستوى الذي كان يطمح إليه في شعره ؛ فهو شعر يمكن أن يوصف إجمالاً بالرقة والعذوبة ، ولكن ليس له نصيب من الجزالة ، أو من حلاوة موسيقى البحتري ، كما أنه مشغوف فيه بالتضمين

---

١ الوفيات ٥ : ١٩٠ – ١٩١ .
٢ راجع الوفيات ٤ : ٤٤١ حيث يبدي إعجابه أيضاً بشعر خالص من الحشو .
٣ الوفيات ٤ : ٤٢٤ .
٤ انظر الوفيات ٤ : ٤٦٤ ، ٤٤١ ، ١٦١ .
٥ الوفيات ٥ : ١٧ .
٦ انظر نموذجاً من ذلك في الوفيات ٦ : ٢٥٠ – ٢٥٢ .

– حسبما تبين القطع التي جمعتها له في هذه الترجمة – وللدوبيت عنده جمال خاص ، فهو يجمع إلى الرقة والعذوبة حرارة في العاطفة لا تتوفر كثيراً في قصائده، وكان أحياناً يتناول معنى ورد في شعر أحد الشعراء فيصوغه دوبيتاً [1]. وعلى الجملة لم يستطع ابن خلكان الناقد أو ابن خلكان الشاعر أن يرتفع فوق الذوق العام في عصره أو أن يباينه ، ولكنه كان مخلصاً في اعجابه بالنماذج الجميلة من الشعر المحدث .

كتابُ وفيّاتِ الأعيانْ



١ – ابن خلكان المؤرخ :

كتب ابن خلكان كثيراً ولكنه لم يؤلف إلا كتاباً واحداً ولم يعرف إلا به : كتب كثيراً من الشعر والنثر ، وقيد بخطه مسوّدات كثيرة ، وربما كانت هذه المسودات هي التي تشير إليها بعض المصادر حينما تقول انه صنع مجاميع أدبية [١] ؛ وقد أفاد هو من هذه المسودات في تأليف كتابه ، ويبدو أن الصفدي اطلع عليها ونقل عنها بعض المادة [٢] ؛ وإذا كان الصفدي قد صرّح بذلك فان غيره نقل أشياء دون تصريح ، وهذه المنقولات مما لم يرد في كتابه الوفيات : من ذلك قول الادفوي في البدر السافر : « مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق ، هكذا ذكره ابن خلكان وقال : انه رأى ذلك بخط بعض الحفاظ المتقنين » [٣] ؛ ونقل عنه صاحب ذيل مرآة الزمان نسب علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله المارديني [٤] وشرف الدين الكرابيسي المشهور بابن العجمي [٥]؛ وجاء في مرآة الجنان نقل يتعلق بعبد القادر الرهاوي لا وجود له في الوفيات [٦]، وكل ذلك يدلّ على أن مقيدات ابن خلكان كانت أوسع بكثير مما تضمنه كتابه الوحيد الذي خلّد اسمه وهو « وفيات الأعيان » .

لسنا ندري – على وجه اليقين – متى بدأ بجمع كتابه هذا ، ولكن لدينا

---

١ الصفدي ٧ : ٣٠٨ .
٢ الغيث ٢ : ٧٨ .
٣ البدر السافر ، الورقة : ١٩٦ .
٤ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٧ .
٥ ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٩ ، وانظر أمثلة أخرى ج ١ : ١٩ ، ١٨٣ .
٦ مرآة الجنان ٤ : ٢٣ .

قطعة بخط المؤلف تنتهي بترجمة ذي الرمة ، والمؤلف يسميها الجزء الأول ، ويذكر أنه فرغ منه يوم الجمعة بعد الصلاة رابع شهر ربيع الأول سنة ٦٥٥ [1] بالقاهرة المحروسة ؛ ثم تابع كتابة بقية التراجم ابتداء من حرف الفاء ، وفي نسخة مكتبة ولي الدين باستانبول (رقم ٢٤٦٠) التي تقف التراجم فيها عند يحيى بن خالد البرمكي ما يفيد أن تحريرها تم في سنة تسع وخمسين وستمائة (٦٥٩) ، وهذا يوافق ما قاله المؤلف نفسه من أنه اضطر إلى التوقف لتحركه إلى الشام متولياً منصب قاضي القضاة ، وأنه سيكمل كتابه إذا سنحت له الفرصة فيورد ما تبقى من تراجم كثيرة في حرف الياء ؛ ولدينا معظم القطعة التي أكمل بها كتابه بخطه ، ومن هذا يتبين أن كتاب ابن خلكان في صورته الأولى كان يضم ثلاثة أجزاء ، ولكنه أصبح في صورة أخرى خمسة كما يفهم من كلام ابنه موسى عندما صنع المختار . وقد انتهى ابن خلكان من اتمام كتابه يوم ٢٢ جمادى الأولى سنة ٦٧٢ بالقاهرة المحروسة ، ولكن هذا لا يعني أنه توقف توقفاً تاماً عند هذا التاريخ ، إذ نرى فيه إضافات أخرى ، لعل آخرها كان سنة ٦٨٠ هـ .

كانت النواة الأولى لكتاب ابن خلكان موجودة في مسوداته مما نقله من المصادر التي اطلع عليها حتى سنة ٦٥٤ ومما قيده عن طريق الرواية والسماع ، ولكن نمو كتابه ظل يطرد مع الأيام ، إذ كان عثوره على المصادر وأخذ الفوائد منها يشبه الكشف المتدرج ، مع أنه كان يعتقد حين أنهى الصورة الأولى من كتابه (حتى ترجمة يحيى بن خالد) أنه «لم يترك كتاباً من الكتب التي في أيدي الناس المشهورة والخاملة، المبسوطة والوجيزة إلا اختار منه ما يدخل في كتابه» [2] . ويمكن للمرء أن يقدر أن ابن خلكان

---

١ يقول المؤلف في مقدمته : وكان ترتيبي له في شهور سنة ٦٥٤ ، ولعل هذا لا يعني بداية التأليف ، وبذا تكون المسودة التي لدينا نسخة ثانية من الكتاب ؛ وقد درس هذه المخطوطة دراسة مطولة الأستاذ كوريتون – حين تملكها – في مقال نشره بمجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة ١٨٤١ ؛ وقد أفدت من مقاله في هذا البحث .

٢ الوفيات ٦ : ٢٢٩ .

رغم تنقله ، كان يقتني مكتبة حافلة بشتى المؤلفات ، فقد شهد ابنه موسى أنه رأى عند والده نسخة الوسيط للغزالي[1] وتملك كتاب « علماء الأمصار » تصنيف الحاكم النيسابوري ، بعد أن كانت النسخة في ملك شيخه ابن الصلاح (–٦٤٣) وبيعت في تركته [2] ، ورأى ابنه موسى بخزانة كتبه عشرة كتب بخط الجواليقي منها الكامل للمبرد في جزء واحد ومنها الحماسة والخطب النباتية[3] ؛ وعدا عن الكتب التي اقتناها المؤلف اعتمد على كتب رآها عند الوراقين أو في المكتبات العامة ، فقد رأى لابراهيم ابن محمد اليزيدي كتاباً في اللغة اسمه « ما اتفق لفظه وافترق معناه » في أربع مجلدات ، ووصفه بأنه من الكتب النفيسة [4] ، ورأى نسخة من ديوان صريع الدلاء [5] ونسخة من الدرة الخطيرة بخط المؤلف ابن القطاع[6] ، وعدة نسخ من صحاح الجوهري بخط ياقوت الملكي وكل نسخة تباع بمائة دينار[7] ، وكتاب الحيل لبني شاكر وهو من أحسن الكتب وأمتعها في مجلد واحد[8] ، والملخص للتبريزي في أربع مجلدات[9] ، وديوان ابن بابك في ثلاث مجلدات[10] ، وتحقيق المحيط للخبوشاني في ١٦ مجلداً[11] . ولكن رؤية هذه المصادر لم تتفق له دائماً قبل أن أنهى الصورة الأولى من كتابه ؛ إذ يبدو أن اطلاعه على كتاب « الشامل للجويني » تمّ بعد أن كتب ترجمة الحلاّج ، ولذلك جاءت مناقشته

١ الوفيات ٤ : ٢٥٣ (الحاشية) .
٢ الوفيات ٥ : ١٩٥ .
٣ الوفيات ٥ : ٣٤٢ .
٤ الوفيات ٦ : ١٩٠ .
٥ الوفيات ٣ : ٣٨٤ .
٦ الوفيات ٣ : ٣٢٤ .
٧ الوفيات ٦ : ١١٩ .
٨ الوفيات ٥ : ١٦٢ .
٩ الوفيات ٦ : ١٩٢ .
١٠ الوفيات ٣ : ١٩٦ .
١١ الوفيات ٤ : ٢٣٩ .

لما ورد في الشامل بخط مختلف قليلاً عن خطه الأصلي[1] ؛ وهو يحيل دائماً إلى كتاب الأنساب للسمعاني ، ولكنه لم يجد الكتاب بمصر حين بدأ التأليف ولم ير منه إلا نسخة واحدة حين كان في دور الطلب بديار الشام ، وإذا ذكر الأنساب فانما يعني مختصره لابن الأثير[2] ؛ كذلك يبدو أن اطلاعه على الذيل للسمعاني انما تمّ في مرحلة متأخرة ، وقلْ مثل ذلك في كتاب اسمه « اللفيف » مجهول مؤلفه[3] وفي الترجمة الذاتية التي كتبها شيخه عبد اللطيف البغدادي[4] ؛ ولم يستطع الاطلاع على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي إلا بعد أن عاش قاضياً في دمشق ورآه هنالك بخط مؤلفه في أربعين مجلداً[5] ؛ وقد مكنته اقامته بدمشق من أن يرى ديوان دوبيت لفتيان الشاغوري[6] وأن يرى في خزانة كتب المدرسة العادلية (في شوال ٦٦٥) كتاب التقريب في ست مجلدات (من أصل عشر مجلدات) وهي نسخة كانت للشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري وعليها خطه بأنه وقفها[7] ؛ وكذلك تملك بدمشق (٦٦٧) نسختين من ديوان أبي الدر الرومي بعد أن كان يسمع أن له ديواناً صغيراً ، فوجده في عشر كراريس ، أي صدّق الخُبر الخبر[8] ؛ وإذا صحت رواية نسخة الظاهرية من الوفيات ، فان المؤلف رأى نسخة من مقامات الحريري سنة ٦٧٦[9] بخط مصنفها ، وباطلاعه عليها وجد أنها ألفت للوزير جلال الدين ابن صدقة وذلك مخالف لما كان قد أثبته حول تأليفها . ونجده لم يفد من كتاب « عقود الجمان » لابن الشعار إلا في مواضع قليلة تدلّ على

١ الوفيات : ١٤٦ وما بعدها ، وقد بدأ هذه الفقرة بقوله « قلت : وبعد الفراغ من هذه الترجمة ... الخ » .
٢ الوفيات ٤ : ٢٨٣ .
٣ انظر الوفيات ٦ : ١٢٦ ، ٣٨٧ .
٤ الوفيات ٦ : ٧٦ .
٥ الوفيات ٦ : ٢٣٩ ، ٣٥٣ ؛ ٣ : ١٤٢ .
٦ الوفيات ٤ : ٢٦ .
٧ الوفيات ٤ : ٢٠٠ .
٨ الوفيات ٦ : ١٢٥ .
٩ في بعض النسخ ٦٥٦ ، انظر الوفيات ٤ : ٦٤ .

أنه رأى الكتاب أو بعض أجزائه في دور متأخر ؛ ولم يظفر بمشيخة أستاذه ابن شداد إلا سنة ٦٨٠ ، وكانت النسخة مما قرىء على ابن شداد وكتب خطه عليها بالسماع [1] ، فاذا تذكرنا أن جانباً من ترجمة ابن شداد يعتمد على سرد مشيخته أدركنا إلى أي زمن جرى التعديل في تراجم كتاب الوفيات ؛ وكان تعرفه إلى كتاب « السيل والذيل » للعماد الاصبهاني بعصر أوائل سنة ٦٧٢ ، فوجده ذيلاً على الخريدة بعد أن كان يظنه ذيلاً على كتاب آخر [2] ، وإذا كان قد فاته الافادة من كتب رآها في بعض مراحل حياته ثم لم يعثر عليها (كرسائل ابن زبادة التي رآها باربل أو بالموصل) [3] فانه لم يكن يستغرق الاطلاع دائماً على المصادر الكبيرة ذات المواد المتشعبة مثل تاريخ ابن الأثير ، فهذا الكتاب يعد من أهم مصادره ، ومع ذلك فانه حين كتب ترجمة أبي الوفاء المهندس أخلى بياضاً لادراج تاريخ وفاته ، ثم وجدها في تاريخ ابن الأثير ، وكان بين الشروع في التاريخ والعثور على الوفاة أكثر من عشرين سنة [4] ، فاذا قدرنا أنه شرع في الترجمة (وهي من القسم الثاني) سنة ٦٥٥ فانه لم يعثر على تاريخ الوفاة — في مصدر قريب منه — إلا سنة ٦٧٥ أو بعد ذلك ؛ وقد أقر المؤلف — في خاتمة كتابه — بأنه حين عاد من دمشق (٦٦٩) وجد في القاهرة كتباً كان يؤثر الاطلاع عليها ، وأن التخلي عن مهام القضاء مكنه من ذلك ، فلم ينتفع من تلك الكتب لاتمام كتابه وحسب ، بل لتحشية ما فاته في الصورة الأولى . ولا بد من أن نتذكر هذه التعديلات المستمرة في الكتاب عند الحديث عن التفاوت بين النسخ .

وكان في ذهن ابن خلكان وهو يجمع مؤلفه — في المرحلتين — أي قبل العهد الأول في قضاء القضاة وبعده ، أن يحقق خطة أخرى ، فيؤلف كتاباً كبيراً في التاريخ ، لأنه كان يرى أن مؤلفه ، على ما هو عليه ، كتاب مختصر .

١ الوفيات ٤ : ٢٦٤ .
٢ الوفيات ٦ : ٢٥٠ .
٣ الوفيات ٦ : ٢٤٦ .
٤ الوفيات ٥ : ١٦٨ .

هل كان ينوي أن يكتب تاريخاً عاماً أو أن يتوسع في كتاب للتراجم ؟ أكبر الظن أنه كان يخطط لتاريخ عام على مثال كتاب شيخه ابن الأثير ، لأنه كان يريد أن يسرد فيه تاريخ القرامطة مستوفىً ، وايراد تاريخهم على هذه الصورة لا يعتمد على التراجم – فيما أقدّر – وإنما يعتمد على الأحداث[1] ؛ وقد ظلّ هذا الأمل حياً حين انتهى من الصورة الأولى من كتابه ، وكان يقدر أن يجيء الكتاب المطوّل في أكثر من عشرة أسفار[2] ، وعاد إلى حديث القرامطة وايراد التفصيلات عنهم في التاريخ الكبير حين كتب ترجمة يعقوب ابن الليث الصفار[3] ، وهي ترجمة متأخرة كثيراً حتى عمّا قبلها وما بعدها من التراجم لأنه لا وجود لها فيما تبقى من مسودة المؤلف ، وعندما ختم الصورة الثانية من كتابه الوفيات كان ما يزال على عزم الشروع في كتابه المطوّل (أي سنة ٦٧٢) .

من السهل أن نقول إنه لم يفعل ذلك ، لأنه لم يستطع الانصراف إلى التأليف ، فقد كانت الفترة المتبقية من اقامته في القاهرة حتى عاد إلى منصب القضاء بدمشق (سنة ٦٧٦) لا تكفي لانجاز كتاب مطوّل كالذي كان يعتزم تأليفه ؛ ولم يذكر أحدٌ من معاصريه أو ممن جاء بعدهم أنه حقق تلك الأمنية ، وليس بين أيدينا اليوم مما يتصل به سوى كتابه « وفيات الأعيان » ومعنى ذلك كله أن أمنيته ظلّت أمراً نظرياً لم يخرج إلى حيز الواقع ، ولكن في النفس شيئاً من هذا القطع الجازم : ألا يمكن أن أكون مخطئاً في التقدير ويكون ما انتوى ابن خلكان كتابته تاريخاً مفصلاً في التراجم ؟ ترى لو وصلتنا نسخة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٢) كاملة – وفيها تراجم كثيرة لا ترد في سائر النسخ – ألم يكن من الممكن عدّها ذلك التاريخ المطوّل ؟ وهذه المنقولات التي وردت في البدر السافر ومرآة الجنان وذيل مرآة الزمان وقدّرت أنها مستمدة مباشرة من مسودات المؤلف : ألا يمكن أن تكون

---

[1] انظر الوفيات ٢ : ١٤٧ .
[2] الوفيات ٦ : ٢٢٩ .
[3] الوفيات ٦ : ٤٣١ .

مأخوذة من التاريخ المطوّل ؟ أم ترى الأمر بالعكس وأن المتأخرين الناقلين عن ابن خلكان خلطوا بين مسوداته وكتابه – كما أراده – وعدّوا كل ذلك كتاب « وفيات الأعيان » ؟ ومع ذلك فانني رغم توقفي عن الحسم في هذا الموضوع أجدُ العناصر المرجّحة لعدم تأليفه كتاباً مطوّلاً أقوى من العناصر التي تشير إلى وجود مثل ذلك الكتاب .

أياً كان الأمر فليس لدينا على وجه التحديد سوى كتابه « وفيات الأعيان » وقد كانت خطته في تأليفه واضحة تماماً حين شرع فيه ، ويمكن أن نلخص هذه الخطة التي بسطها في مقدمته على النحو التالي :

١) أنه لن يترجم إلا لمن عرف تاريخ وفاته ، وقد أكّد هذه الخطة في كتابه مرّات ، فلم يترجم للحسن بن وهب[1] ولم يترجم لكلثوم ابن عمرو العتابي[2] .

٢) أنه لن يذكر فيه أحداً من الصحابة ولا من التابعين ، إلا جماعة يسيرة ، فهل قوله إلا « جماعة يسيرة » يشير إلى التابعين وحدهم أو إلى الصحابة أيضاً ؛ ذلك أمرٌ غير واضح وهو مصدر لإشكال كثير حين نتحدث عن التفاوت في النسخ .

٣) أنه لن يذكر أحداً من الخلفاء .

٤) أنه سيذكر جماعة ممن شاهدهم ونقل عنهم أو عاصروه ولم يلقهم .

٥) أنه لن يقصر كتابه على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الوزراء أو الشعراء ، بل سيتناول كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه .

٦) أنه يتوخى الايجاز في ما يورده .

٧) أنه يحاول اثبات المولد – ان وجده – ويرفع في النسب ان قدر على ذلك .

---

١ الوفيات ٢ : ٤١٦ .

٢ الوفيات ٤ : ٣٨٩ .

٨) أنه سيضبط بعض الألفاظ مما يمكن أن يقع فيه التصحيف .

٩) أنه يميل إلى تسجيل محاسن الناس من مكرمة أو نادرة أو شعر أو فكاهة ، لكي يكون التنويع طارداً للملل .

تلك خطة من تسعة بنود ، فالى أي حد تمسّك المؤلف بها ؟ يبدو أنه تمسك بالبند الأول (تحديد سنة الوفاة) في كلّ مراحل كتابه ، وأنه حين أبهم الاستثناء في البند الثاني جعلنا نعجز عن الفصل في أمر ترجمة عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وهما من الصحابة ، وهل هما ترجمتان أصيلتان في كتابه أو منحولتان ؛ وحين استبعد ذكر الخلفاء أوقفنا أمام إشكال كبير : هل قصد خلفاء بني العباس ؟ فان كان الأمر كذلك فلمَ ترجم لعبد الله بن المعتز وهو أحد من بويعوا بالخلافة ؟ وقد تعقبه اليافعي في هذا الصدد فقال : « كأنه يعني بالخلفاء المذكورين الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم . وما كان حاجة إلى ذكرهم ، فانه قد ذكر أنه لم يذكر أحداً من الصحابة ... وكلامه هذا يوهم أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء الذين هم الملوك من بني العباس وغيرهم ، وليس كذلك ، بل قد ذكرهم »[1]؛ قلت : أما بنو العباس فانه لم يذكر منهم أحداً سوى ابن المعتز – حسبما جاء في النسخ المتفقة من كتابه – إلا أن يكون اليافعي يشير إلى نسخ اطلع عليها ورد فيها ذكر سليمان بن عبد الملك من بني أمية والمتوكل وأبي جعفر المنصور وغيرهما من بني العباس ؛ وأما الخلفاء من غير بني العباس فقد ذكر طائفة كبيرة منهم سواءً من العبيديين الذين ادعوا الخلافة لأنفسهم ، أو من الموحدين . ولكن ربما كان ابن خلكان لا يعدهم خلفاء بالمفهوم الدقيق ؛ ومن الغريب أنه لم يترجم لعبد الرحمن الناصر أو لابنه الحكم المستنصر من خلفاء بني أمية بالأندلس ، في سياق اهتمامه بالترجمة للعبيديين والموحدين ، وترجم لمن هم أدنى منهما شأناً كابن صمادح والمعتمد ابن عباد من ملوك الطوائف . وثمة اشكال أثير من زاوية شيعية ضدّ المؤلف ، فانه حين استبعد من كتابه ذكر الخلفاء ،

---

١ مرآة الجنان ٤ : ١٩٤ .

لم يذكر فيه علياً والحسنين ، ولكنه عاد إلى ذكر الأئمة المعصومين ، وهم خلفاء في نظر أتباعهم[1] وهذا اشكال لا يؤاخذ المؤلف عليه لأنه لا يدخل في معتقده ، مثلما لا يدخل في اعتقاده أن العبيديين كانوا خلفاء وأن الموحدين كانوا كذلك ، في نظر أنفسهم ونظر اتباعهم ، إذ انه لم يكن يؤمن بالخلافة إلا للأئمة من بني العباس ؛ حتى الخلفاء من بني أمية سمّاهم في أغلب الأحيان ملوكاً ، في غير موضعٍ من كتابه .

وقد تعقبه اليافعي مرة أخرى فيما يتصل بالبند الرابع وذلك أن المؤلف قد قال : وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ... الخ ». فقال اليافعي « وكلامه هذا أيضاً ليس بصائب فانه يوهم أنه لم ينقل إلا عن الذين عاصرهم ، وليس بصحيح ، فانه لم يقتصر على ذلك »[2] . والحق أن أسلوب المؤلف هنا موهم ، ولكن مقصده واضح من السياق العام لخطته .

وقد التزم المؤلف بالشرط الخامس فلم يقصر كتابه على طائفة دون أخرى ، ولكن الشهرة أمرٌ نسبي ، كما أن من يقع السؤال عنه ربما كان في عداد غير المشهورين ، ولكن له من الأهمية ما يحدو الناس إلى السؤال عنه ؛ والايجاز في الترجمة أمر نسبي أيضاً ، وسنجد فيما يلي أن المؤلف لم يلتزم بهذه الخطة في كثير من التراجم . وقد التزم التزاماً دقيقاً باثبات المولد حيثما وجده ، وبضبط الألفاظ والاسماء المشكلة ، وبتسجيل المحاسن ، وعدم الوقوف عند العيوب ، التزاماً لا يختل كثيراً ، وتلك هي البنود الثلاثة الأخيرة.

لقد أراد ابن خلكان أن يكون دقيقاً فيما رسم لنفسه من خطة ، ولكن عوامل كثيرة تدخلت لتفسد عليه ما كان يريده ، وأول تلك العوامل تراخي الزمن بين كتابة القسم الأول ثم كتابة القسم الثاني من الكتاب : كان في المرحلة الأولى موجزاً مدققاً فيما يختار ، لأنه كان يرى أمامه مشروعاً

---

١ انظر روضات الجنات : ٨٧ .
٢ مرآة الجنان ٤ : ١٩٤ .

كبيراً ليس من السهل الاستسلام فيه إلى التطويل ، فلما عاد إلى اكمال كتابه وجد نفسه في سعة من الوقت فأخذ يطيل في التراجم ، ويعتمد الاستطراد ، ولذلك جاءت تراجم حرف الياء ربع كتابه تقريباً ، لأنه أورد في حرف الياء تراجم لم يكن ليتوقف عندها لو طلب الايجاز أو حكّم قانون الشهرة ، ولأنه أخذ يحتال على ايراد التفصيلات التاريخية ضمن ترجمة واحدة ، فهو يؤرخ للدولة الصفارية في ترجمة يعقوب بن الليث ، ويؤرخ لدولة الموحدين في ترجمة يعقوب بن المنصور (وكأنه يئس من أن يجد الوقت الكافي لكتابة التاريخ الكبير) . ومع تراخي الزمن تتغير بعض القواعد الصارمة التي يأخذ المرء نفسه بها . ولنا أن نسأل : إذا كان الايجاز هو القاعدة الأصلية فلمَ هذا الاستطراد في ترجمة الخبزأرزي إلى ذكر حكايات مستفادة من كتاب « الهدايا والتحف » ، دون أن تكون لتلك الحكايات أية صلة بالترجمة[1] ، ولم كثر الاستطراد في ترجمة يحيى بن اكثم[2] ، ولم استكثر المؤلف في ترجمة ابن عبد البر من نقل حكايات من كتابه « بهجة المجالس » ، لا صلة لها بالترجمة[3]. ومع تراخي الزمن يقلّ التحرّج ، فبعد أن كان المؤلف شديد الحساسية في الدور الأول نحو النوادر غير المهذبة ، حتى في تراجم من اشتهر بها مثل ابن سكرة وابن الهبارية والبديع الاسطرلابي ، نجده بعد قليل يقول : إنه لا بد في المجاميع من الإحماض ، ويستطرد بذكر أشياء من هذا القبيل عن كتاب الهفوات للصابي[4] .

ومن تلك العوامل التي جعلته يعدّل في خطته ، الحاجة : فالفقهاء السبعة مثلاً أشهر من أن يترجم لهم في كتابه « ولولا كثرة حاجة فقهاء زماننا إلى معرفتهم لما ذكرتهم »[5] . كذلك خضع ابن خلكان — رغم وضوح خطته —

---

١ الوفيات ٥ : ٣٧٠ .
٢ الوفيات ٦ : ١٥٥ .
٣ الوفيات ٧ :
٤ الوفيات ٦ : ١٠٢أ وانظر ٦ : ٥١ .
٥ الوفيات ١ : ٢٨٤ .

إلى ما تفرضه ندرة المصادر ، فهو يورد قصيدة كاملة لابن قاضي ميلة ظفر بها في ظهر كتاب لأنها لا توجد بكمالها في أيدي الناس[1] ، ومثل ذلك فعل في قصيدة أخرى للقاضي أبي يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين[2] .

وقد حفزه الجهل الشائع بين الناس — وأحياناً بين الفقهاء من اقرانه — إلى أن يترجم لبعض الناس من غير المشهورين ، كترجمته لمطرف الصنعاني ، ولم يفعل ذلك إلا لأن الناس لا يعرفونه ، ولأن صاحبه العماد ابن باطيش نفسه قد أخطأ فيه فظنه مطرف بن الشخير[3] .

ولقد بدأ المؤلف عمله انتقائياً يستمدّ مادته من عدة مصادر ثمّ يلائم بين أجزائها بدقة تجعل القارىء يحسّ بمدى ما بذله في سبيل الانتقاء والدقة معاً من جهد ، غير أنه انتهى استرسالياً يأخذ مادته من مصدر واحد ، أو مصدرين ، وكأنه يلخص تلخيصاً ، كذلك فعل في ترجمة أبي يوسف القاضي فأكثرها تلخيص عن تاريخ بغداد للخطيب ، وكذلك هي ترجمة يعقوب ابن الليث الصفار ملخصة عن كتاب أو اثنين ، وهذه هي حال تلك الترجمة الطويلة التي عقدها لصلاح الدين فانها — باستثناء الشئون الهامشية الاستطرادية فيها — ملخصة عن سيرة ابن شداد وعن الكامل في التاريخ لابن الأثير .

ومنذ البداية كان تحديد معنى « العين » (مفرد أعيان) أمراً من العسير تصوّره ، ففي الدور الأول من التأليف نجد المؤلف يتوقف عند أشخاص لا يدري شيئاً يقوله فيهم مثل أبي طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي فقد ورد في ترجمته « ولم أطلع على شيء من أحواله حتى أذكره »[4] ؛ ومثل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أبي سهل الكاتب فقد قال فيه « ولم أعلم من حاله شيئاً حتى أذكره ... وما ذكرته إلا لأجل كتابه (الخراج) »[5]

١ الوفيات ٦ : ١٥٩ .
٢ الوفيات ٥ : ٢٧٠ .
٣ الوفيات ٥ : ٢٠٩ — ٢١٠ .
٤ الوفيات ١ : ١٠١ .
٥ المصدر نفسه .

غير أن التراجم التي تشبه هاتين الترجمتين قليلة في كتابه .

وقد يستغرب المرء اصرار المؤلف على أن لا يترجم إلا لمن يعرف سنة وفاته ثم على أن يختار الترتيب الأبجدي من بعد ، ذلك لأن الترتيب الأبجدي قد أفسد على المؤلف ما يمكن أن يؤديه تحديد تاريخ الوفاة للقارىء من قيمة زمنية ، إذا شاء أن يتصوّر تطوّر الحياة الثقافية والأحداث التاريخية حسب تسلسل الزمن ؛ وربما كان أقرب تعليل لهذه الظاهرة هو أن المؤلف لم يتمسك بالتاريخ الدقيق لسنة الوفاة إلا بعد أن اطلع على ما صنعه أستاذه المنذري في « التكملة لوفيات النقلة » فتأثر به ، وأعجبته دقته ، فحاول أن يحاكي صنيعه ، ولكنه حين أخذ في ترتيب كتابه كان يريد أن يخرجه في صورة مغايرة للتي درج عليها أستاذه في ذلك الكتاب ، فاختار الترتيب على حروف الهجاء ليكفل لنفسه الاستقلال ؛ ولكنه لم يلتزم الترتيب الهجائي إلاّ في الاسم الأول ولم يراع ذلك في الأسماء الواردة في سلسلة النسب واضطرب لديه الترتيب في حرف العين كثيراً فجاء « عبد الملك » قبل « عبد السلام » وورد اسم « عبد الجبار » بعد « عبد الكريم » .

وحين تباعد طرفا الكتاب وانتشرت أجزاؤه حاول المؤلف أن يربط بينها لكي ينضبط له الكتاب وتتضح معالمه أمامه ، فأخذ يكثر من التحويلات إلى ما تقدم ذكره أو إلى ما سيأتي من بعد ، ولكنه رغم ذلك لم يسلم من وهم عارض أو نسيان ، فقد وعد بإيراد ترجمة لأبي بكر محمد بن علي الماذراني ولم يفعل[1] وأحال على بيتين ذكرهما في ترجمة العلم الشاتاني ، ولا وجود لهما في المسودة أو في النسخ الأخرى[2] ، وكذلك وجه انتباه القارىء إلى منام ذكره في ترجمة المعتمد ابن عباد إلا أنه لم يرد في النسخ[3] وقال انه ضبط أسماء أجداد يحيى بن منده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد ، ولم يرد شيء من ذلك[4] . ولعلّ المؤلف أدرج هذا الذي ذكره كله في

١ الوفيات ٢ : ٢٥٠ .
٢ الوفيات ٤ : ٨٤ .
٣ الوفيات ٥ : ١٨١ .
٤ الوفيات ٦ : ١٧١ .

أوراق ملحقة ، ثم ضاعت تلك الأوراق ، فان في مسودته مواضع كثيرة ينبه فيها إلى وجود « تخريجة » ولا وجود لهذه التخريجة نفسها ، كما أن هناك تحويلات أخرى على كراريس كان يحتفظ بها ، وبقيت التحويلات وضاعت الكراريس[1] .

على أنا لو فرضنا أن هذه التحويلات كانت ناشئة عن الوهم والنسيان فانها لا تستطيع أن تكون ، هي والتساهلات التي خرجت بالمؤلف عن خطته اضطراراً أو اختياراً ، أمراً يقلل من قيمة هذا العمل الذي قام به ابن خلكان ، وما أقلّ الكتب التي لقيت تقديراً وعناية وحظوة ، كذلك التقدير وتلك العناية والحظوة التي لقيها كتابه على مرّ الزمن ، سواء أكان ذلك بالتنويه بشأن الكتاب ، أو بالاكثار من استنساخه ، أو بجعله مركزاً لدائرة كبيرة من المؤلفات التي ذيلت أو الحقت به ، أو بالاقتباس منه والاعتماد على ما ورد فيه من معلومات ، أو باختصاره أو باستخراج تراجم منفردة منه ؛ ويطول بي القول لو أردت أن أقف عند كل ظاهرة من هذه الظواهر المذكورة .

ذلك لأن هذا المعجم في التراجم قد تميز بخصائص ومميزات أفردته في الاعتبار ، وجعلته موضع ثقة الآخذين عنه . وفي مقدمة هذه المميزات أنه جعل عاماً جامعاً ، وتلك ميزة في غيره تتحوّل إلى نقيصة أحياناً ، ولكنها لم تصبح كذلك فيه لسببين هامين : أولهما شدة تحرّي المؤلف في النخل والانتقاء ، والثاني سعة المصادر التي اعتمد عليها ، ولهذا جاء معجماً متوسط الحجم يسهل نسخه والرجوع إليه ، بخلاف المؤلفات ذات الأجزاء الكثيرة . وقد تمثلت خصائص المؤلف نفسه في كتابه ، وكان من أهمها الأمانة والنزاهة والعدالة ؛ فهناك أمانة في النقل ، لا يسمح المؤلف لنفسه معها بالتجوز في شيء ، حتى إذا صاغ خبراً من الذاكرة أشار إلى ذلك[2] ، وهناك نزاهة في الحكم على الأشخاص مهما كانوا يختلفون عن المؤلف في العقيدة أو في

---

١ انظر نموذجاً من ذلك في الوفيات ٦ : ٥٥ ، ٤ : ٣٩٩ .

٢ انظر مثالا على ذلك في الوفيات ٦ : ٤٧ .

منحى الحياة، وقد كفلت تلك النزاهة بروح القاضي العادل الذي لا يستطيع أن يتساهل في الخروج عن الانصاف . وقد برز ميل ابن خلكان إلى الاعتدال واضحاً في كتابه ، فانه كان يعالج تراجمه بسماحة خلق وسعة صدر ، وحسبنا أن نذكر كيف أنه ترجم لابن الراوندي ترجمة لم تعجب كثيراً ممن جاءوا بعده لأنه لم يحطّ فيها عليه ولم يصفه بالكفر والالحاد ؛ ويتمتع الكتاب بدقة فائقة ، لا من حيث الاختيار والانتقاء وحسب ، بل من حيث الضبط لكلّ ما يظن المؤلف أن القارىء بحاجة إلى ضبطه ؛ وهذا ما يجعل الوفيات مصدراً هاماً لضبط الأعلام وأسماء الأماكن .

وانعكست على الكتاب صفتان أخريان من صفات المؤلف ؛ أولاهما الروح الأدبية ، ولهذا كانت التراجم موضعاً للنزاع بين روح المؤرخ وروح الأديب ، ولكن المؤلف كان على وعي بما يصنع ، وكان ميله إلى الشعر يجعله أحياناً يجهد في البحث عن شعر لأشخاص ليس لهم في ميدان الشعر نصيب كبير ، كما أنه أضاع ترجمة كاملة في حلّ لغز[1]؛ والثانية تحرّجه الكثير مما يدعى الغيبة أو ذكر السيئات ، فقد تجاوز في هذه الناحية عن ذكر أشياء لم يتجاوز عنها الآخرون ؛ كانت رؤيته للحسنات أوسع منظوراً من رؤيته للعيوب ، وتلك خاصية تمثلها تمام التمثيل القصة التي مرّت بنا عن العدلين اللذين كانا يشربان الخمر ؛ وقد اتخذ تلك الخاصية مبدأ في مناقشة ما يورده الآخرون ، فهو ينقل ما قاله الفتح ابن خاقان في ابن باجة ويعلق على ذلك بقوله : « ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحدّ فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة ، والله أعلم بكنه حاله »[2] ولم يورد تعليلاً لاعتقاده هذا ، كأن يبحث عن أسبابه في العداء بين ابن خاقان وابن باجة ، وإنما قال ما قال استئناساً منه إلى شعوره النفسي الذي يكره التمادي في إبراز العيوب . وقد يقال ان مثل هذا يناقض روح العدالة الصارمة ، ولكن الحكم على شئون الماضي إنما هو في الغالب حكم على قضايا ضاعت شواهدها اليقينية ، ومن

---

١ انظر الوفيات ٦ : ٢٥٥ .

٢ الوفيات ٤ : ٤٣٠ .

العدالة في هذا الموقف ، التوقف دون الترجيح ، أو الاستئناس إلى روح الاعتدال لدى البت في أمرٍ ما .

وقد حجب المؤلف كثيراً من الحكايات المتصلة بالعبث ، ومع أنه أباح لنفسه ايراد الاحماض بعد أن قطع شوطاً كبيراً في تأليفه ، فانه في الجملة ظلّ أقرب تعلقاً بروح الجدّ فيما يورده من أخبار .

ومن الانصاف أن نقول إن الروح الأدبية أو ميله إلى جانب الحسنات لم يستطيعا أن يكبّلا روح المؤرخ الناقد لديه ، فهو حصيف شديد التنبه في هذه الناحية ، إذا نقل خبرين متعارضين — رغم تفاوت الزمن — نبّه إلى هذا التعارض ، وإذا اقتبس مادة من كتاب لم يرسلها — كما ترسل الروايات — دون محاكمة أو تمحيص . ذكر نقلاً عن المرزباني أنّ والد الفراء حضر وقعة الحسين بن عليّ ، فتعقبه في هذا لأن الفراء الذي عاش ٦٣ سنة ، ولد سنة ١٤٤ بينما كانت معركة كربلاء سنة ٦٣ ، ومن غير المعقول أن يحضر والده تلك المعركة ويعيش ذلك العمر المديد[1]؛ ونقل عن الخطيب أن يحيى بن معين توفي في ذي القعدة سنة ٢٣٣ وأنه حج في تلك السنة ، وهذا متناقض لأنه لا يمكن أن يحج وأن تكون وفاته في ذي القعدة [2] ، وهكذا مضى في مواضع مختلفة من كتابه يناقش ويقرّر ، وكان أكثر نقده معتمداً على الحساب الزمني .

ومهما أوتي المرء من قوة النزاهة وروح العدالة ، فان هناك مؤثرات — ربما كانت لا شعورية — تظل تفعل فعلها في نفسه ، وخصوصاً حين يواجه المرء صعوبة الاختيار والتحديد ، وهي صعوبة لا مفرّ منها حين يكون المقياس في التمييز غامضاً أو مطاطاً . ويلحظ الدارس أن ابن خلكان كانت توجهه في اختياره عوامل كامنة لا يستطيع أن ينفك منها ؛ وفي هذا المقام يجب أن نتذكر أن ابن خلكان كان إربلياً برمكياً شافعياً ، فاذا أبرز دور الاربليين أو أطنب في الحديث عن البرامكة أو استكثر من تراجم الشافعية ، فانه لم

---

١ الوفيات ٦ : ١٨٢ .
٢ الوفيات ٦ : ١٤١ .

٨ — الترجمة (١٥١) : ابن مسكين (ر ص)
٩ — » (١٥٥) : الحسن بن علي (ص)
١٠ — » (٢٠٠) : حسان التنوخي (ر ص د)
١١ — » (٢٠٢) : حفص بن غياث (رص)
١٢ — » (٢٠٣) : الحكم بن عبدل (ر ص)
١٣ — » (٢١٤) : خالد المهلبي (ر ص)
١٤ — » (٢١٥) : خالد التميمي (ر ص)
١٥ — » (٢١٨) : خلف بن هشام (ر ص)
١٦ — » (٢٢٢) : خير النساج (ر ص والمطبوعة المصرية)
١٧ — » (٢٢٥) : داود الطائي (ر ص والمطبوعة المصرية)
١٨ — » (٢٢٨) : دعلج بن أحمد (ر ص والمطبوعة المصرية)
١٩ — » (٢٣٦) : ربعي بن حراش (ر ص والمطبوعة المصرية)
٢٠ — » (٢٥٣) : سالم الخاسر (ر ص)
٢١ — » (٢٧٨) : سليمان بن حرب (ر ص)
٢٢ — » (٢٧٩) : سليمان بن عبد الملك (ص)
٢٣ — » (٢٨٩) : شبيب بن شيبة (ص)
٢٤ — » (٢٩٢) : شعبة بن الحجاج (ص)
٢٥ — » (٢٩٣) : شعيب بن حرب (ص)
٢٦ — » (٢٩٤) : أشعب الطامع (ص)
٢٧ — » (٢٩٥) : شقيق البلخي (ص والمطبوعة المصرية)
٢٨ — » (٢٩٦) : شقيق بن سلمة (ص)

٢٩ – الترجمة (٣٠٣) : صالح بن عبد القدوس (ص)
٣٠ – » (٣٠٤) : صالح المري (ص)
٣١ – » (٣١٨) : عائشة أم المؤمنين (ص)
٣٢ – » (٣٢١) : عبدا لله بن عمر (المطبوعة المصرية، وعنوانها عند وستنفيلد)
٣٣ – » (٣٣٨) : عبد الله بن عباس (ص)
٣٤ – » : أبو بكر الصديق (ص)
٣٥ – » (٣٤٠) : عبد الله بن الزبير (ص)
٣٦ – » (٥٤٨) : كلثوم بن عمرو العتابي (ر)
٣٧ – » (٦٩٥) : محمد بن عبد الله بن طاهر (مج)

ومن هذا الثبت يتبين لنا أن (مج) انفردت بترجمة واحدة وأن (ر) انفردت بترجمة واحدة وشاركت (ص) في خمس عشرة ترجمة، وأن الترجمات الزائدة في (ص) ٣٣ ترجمة أوردت منها المطبوعة المصرية خمس تراجم، وانفردت هذه المطبوعة بترجمة واحدة لم ترد في النسخ الخطية التي اعتمدناها؛ ويبدو أن مراجعة نسخ أخرى قد تضيف تراجم جديدة، فقد أورد أحد الذين اختصروا ابن خلكان ترجمة ابن مالك النحوي وقال: «وقع كذا في بعض النسخ»[1]، وقد أشرت من قبل إلى أنه لو وصلتنا

---

١ هذا المختصر صنعه وجدي ابراهيم بن الحاج مصطفى سنة ١١٠٤، والنسخة التي اعتمدت عليها يملكها الصديق الأستاذ زهير الشاويش وقد تفضل مشكوراً باعارتها لي (وهي في ٦٤ ورقة) ومن هذا المختصر نسخة أخرى في طوبقبوسراي رقم E. H. ١٢٢٢ وتقع في ٩١ ورقة وتاريخ نسخها سنة ١١٦٠؛ ونص ترجمة ابن مالك كما وردت على الورقة ٣٧ من النسخة الأولى: «أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي اللغوي النحوي المقرىء: كان في الصرف والنحو والقراءة إماماً لا يجارى، وحبراً لا يبارى، وكان سهل النظم عذب النثر، كامل العقل حسن السمت رقيق القلب صدوق اللهجة، له التسهيل وشرحه، وسبك المنظوم، والكافية الشافية، والخلاصة، وشرحه، واكمال الأعلام، والمقصور والممدود، وفعل وأفعل، والنظم الأوجز، والاعتضاد وعمدة الحافظ، وشرحها، وغير هؤلاء (كذا) من التصانيف النفيسة، وكان أكثر ما يستشهد فيها بالقرآن الكريم، فان لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب. ولد بجيان وهي في الاقليم الخامس من الأندلس، مدينة حصينة لطيفة قريبة من قرطبة نحو خمسة أيام، نحو=

نسخة (ص) كاملة ، لارتفع عدد التراجم الزائدة بنسبة كبيرة .

تلك هي الظاهرة الأولى من الخلاف بين النسخ ، أعني تفاوتها في عدد التراجم ، فكيف يمكن أن يفسّر مثل هذا التفاوت ؟ نحن نعلم أن المؤلف كتب كتابه في مرحلتين متباعدتين ، وأنه تولاّه بالتشذيب والحذف والزيادة ، وأن الصورة الأولى من كتابه كانت متداولة بين النساخ منذ دور مبكر ، ولهذا السبب مثلاً ، وردت الترجمة رقم (٧٧) في بعض النسخ لأنها نقلت عن المسودة في ذلك الدور ، غير أن المؤلف عاد فحذف هذه الترجمة بعد عدة سنوات ، ولكن النساخ الذين رأوا الصورة الأولى لم يروا هذا الحذف . كذلك نجد ترجمة « يعقوب بن الليث الصفّار » غير واردة في المسودة التي وصلتنا مع أن بعض أجزائها وارد في المختار لابنه ، وهذا يشير إلى أن المؤلف كتبها في كراسة مستقلة ، لأنها ترجمة طويلة ، ولم يطلع على تلك الكراسة كثير من ناسخي الكتاب ، ومثل ذلك يقال أيضاً في ترجمة الوزير ابن الفرات .

غير أن هذا التعليل لا يفسّرُ كلّ ما حدث في الكتاب من زيادة في التراجم ، فبعض التراجم المزيدة خارجة على خطة المؤلف مثل ترجمة أبي بكر وعائشة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، وبعضها قد صرّح المؤلف أنه لن يورده لجهله تاريخ الوفاة مثل ترجمة كلثوم بن عمرو العتابي ، فهل نستبعد هذه التراجم وأشباهها ونقول إنها دخيلة على الكتاب ؟ الجواب بالايجاب إذا لم نفترض أن المؤلف قد أخذ يؤلف كتاب تراجم مطوّلاً - مغيراً في خطته التي اعتمدها في الكتاب الموجز - ثم اختلط الكتابان لدى بعض النساخ ، فاذا لم يصحّ هذا الفرض فذلك يعني أن بعض المعلقين والناسخين قد رأوا أن بعض التراجم هامة ، وأنه لا بدّ من زيادتها ، ليصبح الكتاب مرجعاً أوفى ، وإلى هذا يلمح ما صنعه صاحب المختصر المشار إليه ، فانه وقف عند بعض الحروف فاقترح أسماء أخرى لم يوردها المؤلف ، فمثلاً استقل

= سنة ستمائة ، وقرأ على جماعة ، ثم نزل بدمشق ، وأم بالعادلية إلى أن توفي سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، رحمه الله سبحانه . وقع كذا في بعض النسخ » .

أن لا يرد في حرف الذال سوى ترجمة واحدة فقال : « ومما يناسب أن يذكر هنا ذو القرنين الصعب بن الريّان ، سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذي القرنين الذي ذكر في القرآن المجيد فقال هو : من حمير – بكسر الحاء وسكون الميم كدرهم ، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان اسمه صعباً – كما ذكر ، وظهر زمن ابراهيم عليه السلام فبان من هذا أنه غير الاسكندر الرومي الذي بنى الاسكندرية المشهورة الآن ، وهو صاحب أرسطو وتلميذه ، وقد هلك في ناحية السودان ، أو بشهرزور ، وعمره ست وثلاثون كما ذكره صاحب حماة ، وأما بيان ذي يزن وذي كلاع وذي نواس وذي المنار وذي السيفين وذي اليدين فليس المحلّ به »[1] . وكذلك فعل صاحب المختصر في حرف الزاي ،فقد أورد ترجمة أبي القاسم يوسف بن عبد الله الزُجاجي – بضم الزاي وفتح الباء الموحدة –[2] واقترح في باب الكاف : كثير بن عمرو الهلالي ، وكعب بن عمير التغلبي وكلثوم بن عمرو العتابيّ[3] ، وفي حرف اللام لبيد بن ربيعة ، ولبيد بن عبدة[4] ؛ ومن الانصاف أن نقول إن صاحب هذا المختصر كان أميناً فميز ما في أصل ابن خلكان عما رأى هو زيادته، ولكن هذه الدقة ربما لم تكن متوفرة عند غيره ؛ وكانت الدوافع إلى ذلك متفاوتة : فربما ساء بعض المعلقين والنساخ ألا يروا في الكتاب تراجم للصحابة وبعض الخلفاء العباسيين فرأوا إكمال الفائدة بزيادتها ، وهناك آخرون كانت نزعتهم صوفية وآخرون ذوو نزعة مذهبية معينة فأضافوا من التراجم ما ينسجم مع هذه النزعة أو تلك . وأغلب الظن أن صاحب النسخة (ص) كان شديد الثقة بتاريخ بغداد للخطيب ، فأباح لنفسه أن يمزج عدداً مما ورد عند الخطيب بتاريخ ابن خلكان . وقد يكون الكتاب اختلط لدى النساخ بذيوله الكثيرة ، فنحن نعلم مثلاً أن تاج الدين عبد الباقي بن عبد

---

١ مختصر الوفيات ، الورقة ١٣ ب .

٢ الورقة ٢٠ ب .

٣ الورقة : ٣٤ .

٤ المصدر نفسه .

المجيد اليماني قد لخّص ابن خلكان وذيّل عليه في دور مبكر [1] ، ولا يستبعد أن يختلط الأصل بالذيل في مثل هذا العمل ، وهذا الخلط يحسّه من يطالع الفوات لابن شاكر وعقد الجمان للزركشي وغير ذلك من الذيول الكثيرة التي ألحقت بوفيات الأعيان [2] . وقد وجدت في مخطوطة برلين Pet. 191 نوعاً آخر من الخلط : فالتراجم هنالك هي التي أوردها ابن خلكان (ابتداء من ترجمة ابن سريج أحمد بن عمر) ولكنها محلاّة ببعض السجع في مفتتحها ويبدأ النقل الدقيق عن المؤلف ابتداء من ترجمة ابراهيم بن علي الحصري ، فاذا وصلنا ترجمة أحمد بن طولون وجدنا استطرادات تجاوزت عصر المؤلف وهكذا جرت النسخة بين اختصار وحذف لبعض التراجم وزيادة لأخرى . وبعض التراجم يمكن اعتباره مزيداً دون تردد كالترجمات التي وردت في النسخة (بر) في المتن أو في الحاشية مثل ترجمة ياقوت المستعصمي لأنه توفي بعد المؤلف . ويبدو من حواشي النسخة (س) أنه كان لدى ناسخها ثلاث نسخ يسمي احداها «النسخة الثالثة الكبرى» ، وكان يحاول التلفيق بين تلك النسخ ، ومع هذا فان (س) من أشد النسخ ايجازاً واقتصاراً على الصورة الأولى التي كتبها المؤلف ؛ لقد تداولت هذا الكتاب أيد كثيرة على مرّ الزمن ،وأضحى من العسير أن يصل المحقق بدقة إلى عدد التراجم التي خطها المؤلف بقلمه ،وقد كان من الممكن للمختار أن يدلّنا على ذلك لولا أن الموجود منه ينقص قسماً كبيراً من أصل الكتاب ، ولولا أن الاختيار يقوم على الحرية الكاملة ، ومن باب الحرية أن يحذف صاحب المختار تراجم بكاملها أحياناً .

أما الظاهرة الثانية من التفاوت بين النسخ ، فيتجلى في ورود الترجمة الواحدة في صورتين متفاوتتين ، ويمكن تعليل ذلك بأن المؤلف عدل عن الصورة الأولى في الترجمة إلى صورة ثانية ، كما فعل في ترجمة والد صلاح

---

[1] توفي سنة ٧٤٤ وربما وقع عمله مباشرة بعد عمل ابن المؤلف في المختار من حيث الزمن، انظر البدر الطالع ١ : ٣١٨ .

[2] يراجع في هذا ما ذكره صاحب كشف الظنون «وفيات الأعيان» وان يكن غير مستوفى .

الدين (وشاهد ذلك خطّه في المسودة ، فان الصورة الثانية ثابتة بخط مختلف بينما اختفت الصورة الأولى) ، غير أن هذا التعليل ليس من السهل أن ينسحب على ترجمات أخرى مثل ترجمة جعفر البرمكي ، فان الصورة التي وصلتنا منها في المسودة موجزة جداً بينما جاءت في النسخ على شكلين مطوّلين متفاوتين . وتظلّ النسخة (مج) تمثل صعوبة من نوع متفرّد ، فانها تنفرد بشكل خاصٍ لبعض التراجم مخالفةً فيه جميع النسخ الأخرى[1] .

وظاهرة ثالثة من التفاوت بين النسخ تتمثّل في مقدار ما تحتويه الترجمة الواحدة . ولهذه الظاهرة أسباب كثيرة، منها أن المؤلف كان يزيد تباعاً بعض التحشيات في نسخته ، وقد ذكرت من قبل أن الكتاب أصبح ينسخ ويتداول قبل أن تكتمل الصورة الأخيرة من الكتاب ، وبعض الزيادات ينبيء عن ذوق شعري ، فحيث اقتصر المؤلف على ذكر بعض أبيات للمترجم به ، جاء من يزيد فيها استكثاراً من الشعر ، وهناك زيادات إحماضية كان يتفكه بها بعض المعلقين ، كما أن هناك زيادات نقلت من موضع من الكتاب إلى موضع آخر للمناسبة ؛ وهناك أخبار رأى بعض المعلقين أن إضافتها ضرورية ، لأنها تزيد في الفائدة المرجوّة من الكتاب . وقد كانت تحويلات المؤلف على هامش مسوّدته بقوله « ها هنا تخريجة » أو ما أشبه ، مدعاةً إلى تساهل بعض المعلقين فيما يدرجونه ؛ وربما استطعنا القول إن تراجم الأدباء والشعراء مثل جرير وجميل وأبي العتاهية قد تحملت القسط الأوفر من تلك الزيادات ، إذ كان المعلقون يستسلمون إلى ما جاء في كتاب الأغاني من مادة غنيّة تفصيلية ، كما أن بعضهم وجد في كتاب الجليس والأنيس للمعافى ابن زكريا مادة أخرى خصبة ، فان النقول عن هذا الكتاب تدخل كلها فيما انفردت به بعض النسخ ، إلا مرة واحدة كان فيها النقل أصيلاً من عمل المؤلف نفسه ؛ وتنفرد (د) وهي من أصول وستنفيلد بمادة لم ترد فيما عداها من النسخ ، وذلك يلقي شكّاً على أصالة تلك المادة ؛ كما أنّ النسخة

[1] انظر الجزء الخامس، الترجمة ٦٩٦ ب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وهامش ص ١٠٩ ؛ وهناك فقرات مختلفة تماماً في قراءتها اثبتناها في هوامش أخرى .

(ص) تمثل مشكلة من نوع آخر ، فبعض التراجم تلتقي نصاً مع ما في المسودة ، وبعضها تميل إلى الاسهاب ، وتخرج في حدودها عن كلّ ما يمكن أن يكون المؤلف قد رسمه .

وعلى هذا فليس هناك مطبوعة – بين المطبوعات المختلفة التي صدرت لهذا الكتاب – تمثل حقيقة ما صنعه المؤلف بدقة ، ولا يجيء ذلك إلا النسخة ذات الأجزاء الخمسة التي كانت في ملك ابن المؤلف ، والتي صنع المختار بالاعتماد عليها ، فأما النسخة الموجودة لدينا من أصل المؤلف ، فهي – بالاضافة إلى ما نقص منها – لا تمثل الصورة الأخيرة تمام التمثيل ، وقد كان يخيل إليّ عند العثور عليها أنها تحقق هذا الرجاء . ومن الأمانة أن أقول إنني أدرجت التّرجمات التي انفردت بها بعض النسخ ، وأنا غير واثق من صحة نسبتها إلى المؤلف ، ولكن الأمانة كانت أيضاً تقتضي ألا أغفلها ، وعلى هذا أثبتها وميزت في الحواشي النسخة التي انفردت بها ، أو عبرت عن شيء من الشكّ في أن تكون من عمل المؤلف .

وقد كنت أودّ أن أدوّن هنا ما اطلعت عليه من نسخ ابن خلكان في المكتبات التي زرتها باستانبول وبورسه واسكدار وبرلين وتوبنجن والمتحف البريطاني ومنشستر وأدنبره ، وأن أصف كلّ نسخة منها ، وهي تقارب الثمانين بين نسخة كاملة أو أجزاء من نسخة (هذا عدا عما اطلعت عليه من مختصرات للكتاب) ولكني وجدت ذلك يثقل هذه المقدّمة بتفصيلات كثيرة فأضربت عنه ، وربما كان في ما لم أطلع عليه في المكتبات الاخرى ما يفيد في تحقيق هذا الكتاب ، ولكن هذا يحتاج إلى أضعاف ما بذلت من جهد في السفر والكلف والاعتكاف الطويل في المكتبات ، والمرء مرهون بالاستطاعة ، بعد استمداد العون من الله سبحانه وتعالى .

أشعار ابن خلكان ودوبيتاته



— ١ —

قال يمدح الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي محمد بن محمد بن أيوب بن شاذي

هوى بين أحناء الضلوع مخامر ... وفرط غرام أضمرته السرائر
ومشرع حب كلما قلت قد صفت ... موارده أبدت قذاه المصادر
خليليّ ما بال النسيم معطّراً ... أجاور نجداً أم أضاعته حاجر
ولا تعجبا أني شعرت فانني ... شممت الشذا إذ مرّ بي وهو خاطر
تضمن نشر المالكية طيه ... وما آفة الأسرار إلا النواشر
نشدتكم هل بعد عزة أعشبت ... عراص الحمى أم روّضَ الجزع ماطر
وهل عذبات البان صوحن بعدها ... لعظم الأسى أم هن لدن نواضر
إذا أومض البرق اليماني شمته ... برجع جفون لحظها متخازر
أردد فيه الطرف حتى كأنني ... إلى ضوء ثغر المالكية ناظر
ترى تسمح الايام يوماً بزورة ... فَينعم مهجور ويُنعم هاجر
لئن نزحت ذات الوشاحين فالجوى ... مقيمٌ بقلب رسمُ مغناه داثر
تولّتْ ولما يقض منها لبانةً ... أخو أسف يلقى النوى وهو صابر
يحن اشتياقاً إن تألق بارق ... بأعلام حزوى أو ترنم طائر
غريبٌ ثوى بالشام كرهاً وقلبه ... إلى الشرق في إثر الظعائن سائر
يمني بطيف المالكية جفنه ... وكيف يزور الطيفُ والطرفُ ساهر
وركب كأمثال السهام تقلّهم ... نواصل أمثال الحنايا ضوامر
تؤم جناباً كاملياً معظماً ... لهيبته ترتدّ عنه النواظر
إلى ظلّ سلطان لعزّ جلاله ... وسطوته تعنو الملوك الجبابر

إلى الكامل الملك الذي بحر جوده   لورّاده عذب المذاقة وافر
هو المخصب الاكناف والعامُ مجدبٌ   ومخجل فيض السحب والنوء هامر
لميتِ الندى والحلم والعلم مُنْشِرٌ   وللعدل في كل البسيطة ناشر
كتائبه أنصار دين محمد   فطوبى لمن أضحى إليه يهاجر
لقد خذل الباغين منصورُ جيشه   ولكنه للدين في الله ناصر
فردّ وجوه الروم سوداً ببيضه   فعاد بأحزاب الصغار الأكابر
وفي سمره حمر المنايا فمن سطا   ثعالبها تخشى الليوث الخوادر
ولم يلقه الأعداء إلا لعلمهم   بما يقتضيه حلمه وهو قادر
يسيء إليهم بأسه وهو غائب   ويحسن فيهم عفوه وهو حاضر
ويربي على الطود الأشم وقاره   وقد سئمتْ ضرب الرقاب البواتر
إليك ابنَ أيوب سمت بيَ همة   هداها ضياءٌ من جبينك ظاهر
وما أثبت الأخبار في الجود كلها   لدى الناس إلا جودك المتواتر
ولولاك ما كنا نحقق أنه   يفوقُ الملوكَ الأولين الأواخر
فما قدر وسعي أن أتيتك مادحاً   بنظم ولو أن الكلام جواهر
فلا زلت منصوراً وللدين ناصراً   وضدك مقهور وجدّك قاهر[1]

— ٢ —

وسمع قول ابن الساعاتي :

لما رأيت هلال وجهك آفلاً   ورأيت خدك قد علاه قتامُ
عرّجت بالوجنات أندب رسمها   « يا دار ما صنعت بك الأيام »

فعمل هذه الأبيات :

لما رأيت ديار وجهك أوحشت   أرجاؤها وتنكرت أعلامها
أنشدت في عرصاتها مترنماً   « عفت الديار محلّها فمقامها »[2]

---

١ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٦ — ٤٥٨ .
٢ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٨ .

— ٣ —

وقال :

لما نظرت إلى أرجـاء وجنته ... ورسمها طامسٌ محت علائمه
ظللت أندبه شجواً وأنشـده ... «يا منزلاً باللوى أقوت معالمه»[١]

— ٤ —

وقال :

ألا يا حمامات بمنعرج اللـوى ... اليكنّ عن شوقي وعن برحائي
فما الوجد منكن الغداة مبرحاً ... كوجدي ولا تبكين مثل بكائي[٢]

— ٥ —

وقال أيضاً يرثي الملك العزيز محمد صاحب حلب :

هوى من نظام الملك واسطة العقد ... ولم يك من صرف المنية من بد
فما للرماح السمر مشرعة القنا ... وما للصفاح البيض مرهفة الحدّ
أمن بعد فقدان العزيز محمد ... تدور رحى حرب على صافنٍ نهد
إذا عطلت من هذه حومة الوغى ... فما تصنع الفرسان بالقضب والملد
لقد جلّ هذا الرزءعن وصف واصف ... كما كلّ عن ادراكه حدّ ذي حد
سقى جدثاً ضمّ المكارم تربه ... ولحداً حوى تلك المناقب من لحد
مواطر دمع ما تزال تمدها ... سحائب تحدوها مواسم من وجد
فلله ما أذكى ثـراه كـأنمـا ... تنفس في روض المراحم عن ند
لئن أظلمت دنيا العفاة لفقده ... فقد أشرقت من وجهه جنة الخلد
عليك سلام الله يا خـير مـالك ... مضى غير مصحوب سوى حلة الحمد[٣]

١ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٩ .
٢ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٩ .
٣ عقود الجمان ١ : ٤٥٩ — ٤٦٠ .

— ٦ —

وقال :

قلت للائم في الدمـــــع وقــد نمّ بحــالي[1]
منــذ أحببــت عليـــاً صـــار دمعــي متــوالي

— ٧ —

وقال :

يا من كلفت بـه فعذب مهجـتي رفقاً على كلف الفؤاد معذب
(إن فاتــه منك اللقاء فـانـه يرضى بلقيا طيفك المتأوب)[2]
قسماً بوجدي في الهوى وبحرقتي وبحيرتي وتلهـفي وتلهـبي
لو قلت لي جد لي بروحك لم أقف فيما أمرت وان شككت فجرّب
مولاي هل من عطفة تصغي إلي قصصي وطول شكايتي وتعتـبي
قد كنت تلقاني بوجــه باسم واليوم تلقـاني بوجـه مقطب
ما كان لي ذنب إليك سوى الهوى فعلام تهجرني إذا لم أذنب
قل لي بأي وسيلــة أدلي بها ان كنت تبعدني لأجل تقــربي
وحياة وجهك وهــو بدر طالع وجمال طرتك الـتي كالغيهب
وفتور مقلتك الـتي قد أذعنت لكمال بهجتهـا عيــون العتب
وبياض مبسمك النقي الواضح الـــعذب الشهي اللؤلؤي الأشــنب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها في الحب أصعب مركب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها الـــعهد القديم صيانــة للمنصب
لهتكت ستري في هـواك ولـذّ لي خلع العذار ، ولجّ فيك مؤنبي
قد خانني صبري وضاقت حيلتي وتقسمت فكري وعقلي قد سبي
ولقد سمحت بمهجتي وحشاشتي وبحالتي ووجاهـتي وبمنصبي

---

١ الزركشي ١ ، الورقة : ٥٢ .
٢ البيت زيادة من طبقات السبكي .

حتى خشيت بأن يقول عـواذلي قد جنّ هذا الشيخ في هذا الصبي
فانظر إليّ برحمة أحيا بها وتريح قلبي من غرام متعب[1]

— ٨ —

ووردت القصيدة السابقة على النحو الآتي أيضاً [٢] :

يا سادتي إني قنعتُ وحقكم في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً ورأيتمُ هجري وفرطَ تجنبي
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتني ورثيتَ لي من حالة لولاك لم يك حملها من مذهبي
ومن البلية والرزية أنني أقضي وما تدري الذي قد حلّ بي
قسماً بوجهك وهو بدر طالع وبليل طرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من أخطارها في الحب أعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهي البارد الـ ـعذب النمير اللؤلؤي الأشنب
لو لم أكن في رتبة أرعى لها الـ ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذّ لي خلع العذار ، ولج فيك مؤنبي
لكن خشيت بأن يقول عواذلي قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت كشف القناع بحق ذياك النبي
لا تفضحنّ بحبك الصبّ الذي جرعته في الحب أكدر مشرب

— ٩ —

وقال :

وسرب ظباء في غدير تخالهم بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب

---

١ مخطوطة برلين رقم We 407 الورقة ١٧٥ ب ، وطبقات السبكي ٥ : ١٥ .
٢ الفوات ١ : ١٠١ — ١٠٢ والزركشي ١ : ٥٣ والشذرات ٥ : ٣٧٢ وفيه الأبيات ١ — ٣ ، ٧ وبعده الثالث من الرواية السابقة ، ٨ ، ٩ ، ١٠ — ١٢ ؛ وعيون التواريخ الورقة ١١٥ (أحمد الثالث : ٢٩٢٢/٢١) .

يقول عـذولي والغرام مصاحبي أما لك عن هذي الصبابة مـذهـب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له : ذرهم يخوضوا ويلعبوا [1]

— ١٠ —

وقال :

كم قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
لعذاره الساري العجـول بخده « ما في وقوفك ساعة من باس » [2]

— ١١ —

وقال :

لمـا بدا العارض في وجهـه بشرت قلبي بالنعـيم المقيـم
وقلت هـذا عارض ممطر فجاءني فيه العـذاب الأليم [3]

— ١٢ —

وقال :

انظر إلى عارضه فـوقـه لحاظه ترسـل منها الحتوف
تشاهد [4] الجنـة في وجهه لكنها تحت ظلال السيوف [5]

— ١٣ —

وقال :

ولمـا أن تفـرقنـا وحالت نوب الدهر

---

١ الفوات ١ : ١٠٢ — ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٣ ب والصفدي ٧ : ٣١٣ والشذرات ٥ : ٣٧٢ وعيون التواريخ : ١١٧ /أ (أحمد الثالث ٢٩٢٢ /٢١) .
٢ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٣ ب والصفدي ٧ : ٣١٣ .
٣ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٣ ب والصفدي ٧ : ٣١٣ .
٤ الفوات والزركشي : تعاين .
٥ الفوات ١ : ١٠٣ — ١٠٤ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٣ .

رأيت الشهد لا يحلو فما ظنك بالصبر[1]

— ١٤ —

وقال :

وما سرّ قلبي منذ شطت بك النوى نعيمٌ ولا لهوٌ ولا متصرّفُ
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلا تكلفاً وأي سرور يقتضيه التكلف[2]

— ١٥ —

وقال :

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم من الصبابة ما لاقيتُ في ظَعَني
لأصبح البحر من أنفاسكم يبساً والبرّ من أدمعي ينشق بالسفن[3]

— ١٦ —

وقال :

تمثلتمُ لي والبلاد[4] بعيدة فخيّلَ لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكمُ قلبي على البعد والنوى فأوحشتم لفظاً وآنستم معنى[5]

— ١٧ —

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا

---

١ الصفدي ٧ : ٣١٤ والزركشي ١ : ٥٦ وعيون التواريخ : ١١٦/أ (أحمد الثالث ، ٢٩٢٢/٢١) .
٢ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ .
٣ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ .
٤ الفوات والزركشي : والديار .
٥ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٥ والمنهل الصافي وإنباء الأمراء لابن طولون ٣٥/أ .

تملكوا مهجَ العشاق وافتتحوا بالسيف قلبي ولولا السيف ماملكوا[1]

— ١٨ —

ألا يا سائراً[2] في فقد عـمـرٍ يقاسي في السرى حَزْناً وسهلا
قطعتَ نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النقـا إلا المصلّى[3]

— ١٩ —

وقال :

يا رب إن العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافعٍ لذنوبه فاقبل شفاعةَ شيبه[4]

— ٢٠ —

وقال :

أعدمتني بالجوى يا فاتر المقل فضجَّ وجدي على ما بي من العلل
وملتَ عني إلى الواشي فلا عجب فالغصن ما زال مطبوعاً على الميل
يا واحد الحسن عـدني زورةً حلماً وها يدي أن نومي قد جفا مقلي
يا جيرةً بأعـالي الخيف مـن إضم خيبتمُ بجفاكمْ في الهوى أمـلي
وملتمُ بجميل الصبر عـن دنـف أجلّ ما يتمنى سرعةُ الأجل
تجري على الربع مذ غبتم مدامعه وما عسى ينفع الباكي على طلل[5]

---

١ الفوات ١ : ١٠٤ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ .
٢ الفوات : سارياً .
٣ الفوات ١ : ١٠٤ والزركشي ١ : ٥٤ .
٤ الفوات ١ : ١٠٦ والزركشي ١ : ٥٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٥ والمختار من وفيات الأعيان (حاشية ص ١٦٤ من الجزء السادس) والمنهل الصافي وإنباء الأمراء لابن طولون ، ٣٥ / أ .
٥ الفوات ١ : ١٠٦ والزركشي ١ : ٥٥ .

وقال :

أيا غادراً خانت مواثيقُ عهده ... لقد جرت في حكم الغرام على الصبّ
وأقصيته من بعد أنس وصحبة ... وما هكذا فعلُ الأحبة والصحب[١]
فلله أيام تقضت حميدة ... بقربك واللذات في المنزل الرحب
وإذ أنت في عيني ألذ من الكرى ... وأشهى إلى قلبي من البارد العذب
فلهفي على ذاك الزمان الذي غدت[٢] ... عليه دموع العين دائمة السكب
ومذ صرت ترضيني بقول تملق ... وتظهر لي سلماً أشدّ من الحرب
ثنيت عناني عن هواك زهادة ... وإن كنت في أعلى المراتب من قلبي
لأني رأيت القلب عبدك طائعاً[٣] ... تعذبه كيف اشتهيت بلا ذنب
ولم تحفظ الودّ الذي هو بيننا ... ولم ترعَ أسباب المودة والحبّ
ولا أنت في قيد المحب إذا غدا ... تقلبه الأشواق جنباً إلى جنب[٤]
ولا أنت ممن يرعوي لمقالتي ... فأشفيَ قلبي بالسكينة والعتب
ولا رمت منك القرب إلا جفوتني ... وأبعدتني حتى أيست من القرب
وأصغيت للواشي وصدّقتَ قوله ... وضيعت ما بيني وبينك بالكذب
فلم يبق لي والله فيك إرادة ... كفاني الذي قاسيتُ فيكَ مَن العجب[٥]
ولا ليَ في حبيك ما عشت رغبة ... أبى الله أن تسبي فؤاديَ أو تُصبي
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما ... تجرعته بالذل من خلقك الصعب
فلا ترجُ مني بعد ذا حسنَ صحبة ... فحسبي سلواً بعض ما قلته حسبي
ولا تعتبني قد قطعتُ مطامعي ... وخففت حتى في الرسائل والكتبِ[٦]

---

١ الزركشي : بالصحب .
٢ الزركشي : لقد غدت .
٣ الزركشي : عندك ضائعاً .
٤ الزركشي : على جنب .
٥ الزركشي : قاسيته فيك من عجب .
٦ الفوات ١ : ١٠٦ — ١٠٧ والزركشي ١ : ٥٥ ب — ٥٦ وعيون التواريخ : ١١٦ ب (أحمد الثالث ٢٩٢٢/٢١) .

— ٢٢ —

وقال :

أبا معرضاً عني بغير جناية ٍ أما تستحي من فرط تيهك والعجب

سلوتك فاصنع ما تشاء فانه محا كثرةُ التقبيح حبّك من قلبي

— ٢٣ —

وقال :

كأنني يوم بان الحيّ عن إضمٍ والقلبُ من سطوات البين ِ مذعور

ورقاء ظلت لفقد الإلف ساجعةً تبكي عليه اشتياقاً وهو مأسور

يا جيرة الحيّ هل من عودةٍ فعسى يفيقُ من نَشَوات الشوق[٢] مخمور

إذا ظفرتُ من الدنيا بقربكمُ فكلّ ذنب جناه الدهرُ[٣] مغفور[٤]

— ٢٤ —

وكتب إلى ابن عدلان الموصلي من دمشق إلى مصر لغزاً في سراج :

أيها العالم الذي صار حبراً ممارسا

والذي موضحاته يجتليها عرائسا

أي شيء ترى جميع الورى منه قابسا

ان في السرب نصفه حيثما كان كانسا

ثم صحّف تمامه تلق ضوءاً مؤانسا

واحذفن منه ثالثاً تنظرن فيه فارسا

من يصحفه عاكسا يلف في الليل حارسا[٥]

---

١ الفوات ١ : ١٠٧ والزركشي ١ : ٥٦ (وهو مكرر أيضاً في الصفحة نفسها) .

٢ ابن طولون : سكرات الوجد .

٣ ابن طولون : الحب .

٤ الصفدي ٧ : ٣١٥ والزركشي ١ : ٥٥ ب (حاشية) ، والثالث والرابع في المنهل الصافي ، وهما في إنباء الأمراء لابن طولون ، ٣٥/أ .

٥ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٩٣ .

— ٢٥ —

وقال :

وهواك يا سلمى وحرمة ما جرى بيني وبينك من أكيد وداد
لا حُلتُ عن عهد الهوى ولو انني حاولتُ ذاك لما أطاع فؤادي [١]

— ٢٦ —

وقال :

أي ليل على المحب أطاله سائق الظعن يوم زمّ جماله
يزجر العيس طاوياً يقطع المهـــمه عسفاً سهوله ورماله
أيها السائق المجدّ ترفق بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها قد براها فرط السرى والكلاله
لا تطلْ سيرها العنيف فقد برّ ح بالصب في سراها الإطاله
قد تركتم وراءكم حلف وجد نادباً في محلكم أطلاله
يسأل الربعَ عن ظباء المصلّى ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحالٌ من المحيل جواب غير أن الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحبين يبكو ن على كل منزل لا محاله
يا ديار الأحباب لا زالت الأد مع في ترب ساحتيك مُذاله
وتمشى النسيم وهو عليلٌ في مغانيك ساحباً أذياله
أين عيش لنا مضى فيك ما أسـ ـرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضيرٌ والتصابي غصونه ميّاله
ولنا فيك طيب أوقات أنس ليتنا في المنام نلقى مثاله
وبأرجاء جوّك الرحب سرب كلّ عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو من جفون لحاظها مغتاله
ورخيم الدلال حلو المعاني تتثنى أعطافه مختاله

١ الزركشي ١ : ٥٦ .

ذو قوام تودّ كل غصون الـبان لـو أنها تحـاكي اعتداله
وجهه في الظـلام بـدرُ تمـام وعـذاراه حـوله كالهاله
ظبية تبهـرُ العيـون جمـالاً وغزالٌ تغـار منه الغزاله
يا خليلي إذا أتيت ربى الجـزع وعانيت روضه وظلالـه
قف به ناشداً فؤادي فلي ثمّ فؤاد أخشى عليـه ضلالـه
وبأعلى الكثيب بيت أغض الـطرف عنـه مهـابة وجلاله
كلّ من جئتـه لأسأل عنه أظهر العي غـيرةً وتبـالـه
أنا أدرى بـه ولكن صوناً أتعامى عنـه وأبـدي جهـاله
منزلٌ حقّـهُ علـيّ قـديمٌ في زمان الصبا وعصر البطاله
يا عريب الحمى اعذروني فاني ما تجنبت أرضكم عن ملاله
حاش لله غـير أنيَ أخشى من عدوٍ يسيء فينـا المقاله
فتأخرت عنكم قانعاً من طيفكم في المنام يهدي خياله
أتمنى في النوم زور خيـال والأمـاني أطماعهـا قتـالـه
يا أهيلَ النقا وحـق ليالي الـوصل ما صبوتي عليكم ضلاله
ليَ مذ غبتمُ عن العين نارٌ ليس تخبو وأدمـع هطالـه
فصلونا إن شئتمُ أو فـصُدّوا لا عدمناكمُ عـلى كلّ حاله [١]

— ٢٧

قدم عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي مرة إلى دمشق ، وبلغ ابن خلكان قدومه فكتب إليه :

لله درّ مبشري بقـدومـه فلقد أتى بغرائب المسموع
لو كان يرضى بالخليع وهبته قلباً تمزق ساعة التوديع [٢]

١ الفوات ١ : ١٠٤ – ١٠٦ والزركشي ١ : ٥٤ ب – ٥٥ والصفدي ٧ : ٣١٤ وأورد منها الأبيات ١ – ١٧ . والأبيات ١ ، ٢ ، ٧ ، ٩ ، ٢٧ ، ٣٣ في مرآة الجنان ٤ : ١٩٦ .
٢ عيون التواريخ : ٨٢ وكان جواب ابن غانم المقدسي :

حاشاك يا قاضي القضاة بأن تـرى حكمـاً يخالف سنة التشريع
أصـل القضية أنـني عبـد لهـم والأصل لا ينفك بالتفـريـع
القلب يعصى ، كيـف أملـك رده من بعد ما ملك الغرام جميعي

الدوبيت

— ١ —

هذا الصلف الزائد في معناه   قد حيّرني فلست أدري ما هو
كم يحملُ قلبي من تجنيك ولا   يدري أحدٌ بذاك إلا الله[١]

— ٢ —

في هامش خدك البديع القاني   أسرار هوىً لكلّ صبّ عان
قد خرّجها الباري فما ألطفها   من حاشية بالقلم الريحاني[٢]

— ٣ —

روحي بك يا معذبي قد شقيت   في جنب رضاك في الهوى ما لقيت
لا تعجل بالله عليها فعسى   أن تدركها برحمة إن بقيت[٣]

— ٤ —

يا سعد عساك تطرق الحيّ عساك   قصداً فاذا رأيت من حلّ هناك
قل صبّك ما زال به الوجد إلى   أن مات غراماً ، أحسن الله عزاك[٤]

— ٥ —

لاحت سحراً لزائر الخيف بروق   فازددت بها شوقاً وما زلت مشوق

---

١ الزركشي : ٥٦ ، والفوات : ١٠٧ .
٢ الصفدي : ٣١٦ الفوات : ١٠٧ الزركشي : ٥٦ .
٣ الصفدي : ٣١٦ وتذكرة النواجي .
٤ الصفدي وتذكرة النواجي والفوات : ١٠٨ والزركشي : ٥٦ .

[...] البارق على الخيف إذا ما أومض إلا واعترى القلب خفوق[1]

— ٦ —

ما شمت على الخيف بروقاً لمعت إلا وحسبتها لقلبي صَدَعَتْ
يا من بعدوا لا تبعثوا طيفكمُ نحوي فجفوني بعدكم ما هجعت [2]

— ٧ —

يا من ليَ من جميلهم عاداتُ بنتمْ عني فبانت اللذات
كم رمت أزوركم وأقضي عمري في خدمتكم فضاقت الأوقات

— ٨ —

من أين لأجفانك هذا الكَحَلُ من أين لأعطافك هذا الكسلُ
من أين لقلبي قدرة الصبر على أخلاقك ، كم هذا الجفا والملل

— ٩ —

الصبّ بكم قد فنيت أدمعه من فرط جوى تضمه أضلعه
لا يطمع في الوصل ، وهيهات ، بلى أدنى خطرات طيفكم تقنعه

— ١٠ —

يا من لهم الجميلُ والإنعامُ بنتمْ فتزايدت بيَ الأسقام
عندي وحياتكم من الشوق لكم ما تعجزُ أن تشرحه الأقلام

— ١١ —

من لي بغزال كلما قلت خطر حُمّلتُ خطر
يهتز كغصن بانةٍ ماس سحر للناس سحر
ما يشبهه في حسنه غير قمر للعقل قمر
لو زوّدني بقبلةٍ حين سفر زاداً لسفر

١ الزركشي : ٥٦ .
٢ القطع من ٦ — ٢٧ وردت في تذكرة النواجي (برلين 8400 Spr. 1196) .

— ١٢ —

قاسوك بغصن البان لما وصفوا لا ذنب لهم لأنهم ما عرفوا
من أين لخوط البان منك بدت هبْ أنّ له ملاحاً هذا الهيف

— ١٣ —

مذ أعرض عني جيرتي وانتزحوا لم أُصغ إلى العذال فيما نصحوا
ناشدتك يا عذول دعني وهمُ لا تدخل بيننا عسى نصطلح

— ١٤ —

ما أومض بارق ولا هبّ نسيم إلا وغدا القلب من الوجد يهيم
يا عاذل قد أطلتَ في اللوم فَدَعْ شاني وهمُ فلستَ بالوجد عليم

— ١٥ —

لله ليالٍ سلفتْ بالعلم في أنعم عيشة وأوفى نعم
ما أطيب ما كانت وما أسعدني لو فزت بمثلها ولو في الحلم

— ١٦ —

الصبّ ببينكم كثير العبراتْ من بعدكم قد طلّقَ النومَ بتات
إن طال فراقكم عليه يخشى أن تذهب نفسه عليكم حسرات

— ١٧ —

يا شمس ضحى جبينه وضاح ساعات رضاك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم ماتوا كمداً وبالهوى ما باحوا

— ١٨ —

ما أطيب ليلة مضت بالسفح والعيشُ بها يَقْصُر عنه شرحي

إذ قلت لها : بوّابنـا أنتِ متى ... ما غبتِ نخاف من دخول الصبح[1]

— ١٩ —

مالي أرَبٌ سواك مالي أرب ... يا من حسنت به وطابت حلب
ما الحاجة أن أشرح ما أضمره ... الله معــذّبي وأنت السبب

— ٢٠ —

بالصحبة يا صاح إذا جزت بمي ... فاشرح كلفي بها وما تمّ علي
قل ذاك حليف الشوق قد صيره ... هجرانك شاهداً على صورة حي

— ٢١ —

يا من بفراقهم ظنوني خابت ... هذي كبدي عليكمُ قد ذابت
طابت بكم الحياة بعدي وصفت ... لكن حيـاتي بعدكم ما طابت

— ٢٢ —

يا من بمغيبه نأى الصبر وغاب ... ما ضرّك لو بعثت لي منك خطاب
لا بُلّـغَ قلـبي منك ما يأمله ... إن كان صفالي بعدك العيش وطاب

— ٢٣ —

قد قال ليَ الخيالُ إذ وافاني ... هل تقنع أن أغشاك في الأحيان
ما أحسبه يسمحُ بالوصل سُدَىً ... بل قد حبس الرقاد عن أجفـاني

— ٢٤ —

لا تعتقدوا رحلت عنكم مللا ... حاشاي ولا اخترت سواكم بدلا
إن راق لعيني أحــدٌ بعدكمُ ... لا بُلّغَ قلبي من لقاكم أملا

— ٢٥ —

يا مرتحلاً يطوي متونَ الفلـوات ... إن جزت على الحمى فقف بالأثلات

---

١ الوفيات ٣ : ١٦١ .

وابك الدمن الخوالي منهم فعسى تروى عرصاتها بصوب العبرات

— ٢٦ —

ألحاظك والجفون أصل الفتن يا بدرَ دجىً عن غيره ألفتني
يا من بدوام هجره أمرضني ما آن بأن تنظر في أمرِ ضني

— ٢٧ —

قاسوك ببدر التمّ قوم ظلموا لا ذنبَ لهم لأنهم ما علموا
من أين لبدر التم يا ويحهمُ جيدٌ وعيونٌ وقوام وفم[1]

— ٢٨ —

أهوى رشأً مهفهف القدّ رشيق قد حمل قلبي منه ما ليس يطيق
ما ترحم في هواك يا بدرَ دجى من يرحمه كل عدوٍ وصديق[2]

— ٢٩ —

قومٌ لهمُ عليّ فرضٌ وحقوق بانوا فحياتي بعدهم ليس تروق
أحبابي لو أمكنني قصدكمُ بادرتُ ولكنْ حادثُ الدهريعوق[3]

— ٣٠ —

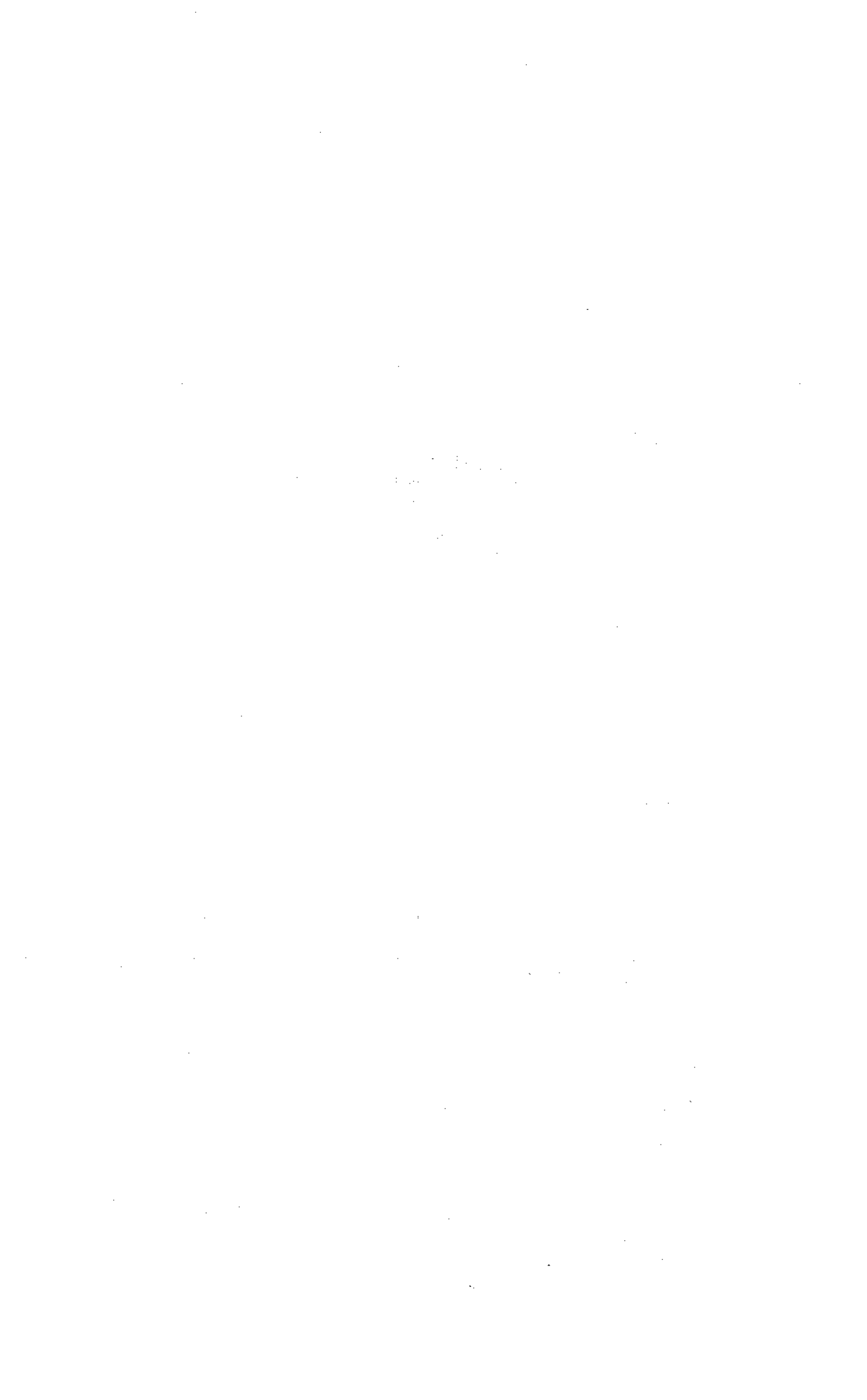
يا غصنَ نقا قوامه ميّاد أيام رضاك كلها أعياد
ما أكتم حزني عندما تهجرني إلا حذراً أن تشمت الحساد[4]

---

١ تذكرة النواجي والنجوم ٧ : ٣٥٥ .
٢ تذكرة النواجي وعيون التواريخ .
٣ عيون التواريخ .
٤ الوفيات ٣ : ٤٨١ .

حرف الياء

(تتمة)



٨٢٩

المنصور الموحـــدي

أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي ، القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب – قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن ، وسيأتي ذكر أبيه يوسف إن شاء الله تعالى – .

كان [١] صافي السمرة جداً ، إلى الطول ما هو ، جميل الوجه أفْوَهَ أعْيَنَ شديد الكحل ضخم الأعضاء جهوري الصوت جزل الألفاظ ، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن ، مجربا للأمور ، ولي وزارة أبيه ، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور [٢]. ولما مات أبوه – في التاريخ الآتي في ترجمته إن شاء الله تعالى – اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصور ، فقام بالأمر أحسن قيام ، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في

---

٨٢٩ – أخباره في الحلل الموشية : ١٢١ وروض القرطاس : ١٦٠ وأعمال الأعلام : ٢٦٩ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ – ٢١١ والاستقصا ٢ : ١٥٨ وتاريخ الدولتين : ١٠ والمعجب : ٣٣٦ وجذوة الاقتباس : ٣٤٨ والأنيس المطرب : ١٥٣ ونفح الطيب (انظر الفهرست : المنصور يعقوب بن يوسف) وابن الأثير (انظر فهرسته أيضاً) .

١ قارن بما في المعجب : ٣٣٦ .

٢ قوله : كان صافي .... الأمور : لم يرد في ر بر س من والترميم في المسودة ، وهو وارد في موضعين متفاوتين في المختار .

أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين[١] كما أقامها في سائر الناس أجمعين ، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات .

ولما مات أبوه كان معه في الصحبة[٢] ، فباشر تدبير المملكة من هناك ، وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس ، فأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين . وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الإسلام التي في مملكته ، فأجاب قوم وامتنع آخرون . ثم عاد إلى مراكش التي هي كرسي ملكهم[٣]، فخرج عليه علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية الملثم من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين[٤] وملك بجاية وما حولها ، فجهز إليه الأمير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولاً في البحر ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد إلى مراكش .

وفي سنة ست وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شِلْب وهي في غرب جزيرة الأندلس ، فتجهز إليها بنفسه وحاصرها وأخذها ، وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين ومعه جماعة من العرب ، ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة ، وخافه صاحب طُلَيْطلة وسأله الصلح ، فصالحه خمس سنين وعاد إلى مراكش . فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسَبَوا وعاثوا عيثاً فظيعاً ، فانتهى الخبر إلى الأمير يعقوب وهو بمراكش ، فتجهز لقصدهم في جَحْفَل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب ، واحتفل وجاز إلى الأندلس ، وذلك في سنة

---

١ بر من : وعترته والأقربين ؛ س : وعشيرته والأقربين .

٢ توفي أبوه بالأندلس على مراحل من مدينة شنترين .

٣ س : مملكتهم .

٤ زاد في ر : وخمسمائة .

إحدى وتسعين وخمسمائة ، فعلم الفرنج به ، فجمعوا خلقاً كثيراً من أقاصي بلادهم وأدانيها[1] ، وأقبلوا نحوه .

قلت : ورأيت بدمشق في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءاً بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ[2] كان بها ، وكان قد سافر إلى مراكش وأقام بها مدة ، وكتب فصولاً تتعلق بتلك الدولة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الوقعة فينبغي ذكره[3] ها هنا ، فقال[4] : لما انقضت الهدنة بين الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الأذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الأندلس ، وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة ، وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسمائة ، عزم الأمير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاة الأطراف وقواد الجيوش بالحضور ، وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماعُ العساكر بظاهرها، فاتفق أنه مرض مرضاً شديداً حتى أيس منه أطباؤه ، فتوقف الحال عن[5] تدبير ذلك الجيش، فحمل الأمير يعقوب إلى مراكش ، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف ، وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس ، واقتضى الحال تفرقة جيوش الأمير يعقوب شرقاً وغرباً ، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة ، فكثر طمع الأذفونش في البلاد ، وبعث رسولاً إلى الأمير يعقوب يتهدد ويتوعد ، ويطلب بعض الحصون

---

١ ر : أقصى بلادهم وأدناها .

٢ كان مفتناً في العلوم عارفاً بالأصلين والفروع والترسل والتواريخ والهندسة والطب ، عاد من رحلته إلى الشام سنة ٦٠٠ وكانت وفاته سنة ٦٤٢ (انظر مرآة الزمان: ٧٤٨ وذيل أبي شامة : ١٧٤ والشذرات ٥ : ٢١٤ والنفح ٣ : ٩٩) .

٣ ع ر س : ذكرها .

٤ انظر المصادر السابقة في وصف معركة الأرك (Alarcos)

٥ س بر : على .

المتاخمة له من بلاد الأندلس ، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف بابن الفخار ، وهي : باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، وصلى الله على السيد[1] المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح، أما بعد فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل[2] لازب ، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية ، وإخلادهم إلى الراحة[3] ، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثّل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك[4] يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله تعالى فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا تملكون امتناعاً ، وقد حكي لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ، ثم قيل لي إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعلة لا يسوغ لك التقحم معها ، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لكّ وعنك ، على أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان ، وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات ، وأجوز بجملتي إليك ، وأقاتلك في أعز الأماكن لديك ، فإن كانت[5] لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك ، وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك ، واستحقيت[6] إمارة

---

[1] ع : سيدنا ؛ س بر : سيدنا السيد .

[2] المختار : وعقل .

[3] زاد في ر : والأريحية .

[4] ر : أمكنتكم .

[5] ر : كانت الدائرة .

[6] كذا في النسخ جميعاً .

الملتين والحكم على البرين ، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة ، لا رب غيره ولا خير إلا خيره ، إن شاء الله تعالى .

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه : ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ (النمل : ٣٧) الجواب ما ترى لا ما تسمع :

ولا كُتُبَ إلا المشرفية عنده ولا رسُلٌ إلا الخميس العرمرمُ

قلت : وهذا البيت للمتنبي .

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار ، وضرب السرادقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر ، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه إلى الأندلس ، وسار إلى أن دخل بلاد الفرنج ، وقد أعتدوا واحتشدوا وتأهبوا ، فكسرهم كسرة شنيعة ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ؛ انتهى ما نقلته من الجزء المذكور .

قلت : ثم وجدت في كتاب «تذكير العاقل وتنبيه الغافل» تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي[1] هذه المكاتبة وجوابها، قد كتبها الأذفونش بن فرذلند إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين — الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى — وجواب يوسف على هذه الصورة أيضاً ، والله أعلم .

قلت : وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على أنه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري ، فإن كان كذلك فما يمكن أن تكون هذه الرسالة إلى يعقوب ابن يوسف ، لأن ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير ، والله أعلم .

---

١ س : التيفاشي ، وهو تصحيف .

ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما نشرحه إن شاء الله تعالى : وهو أن الفرنج جمعوا جمعاً عظيماً وقصدوه ، وبلغ الأمير يعقوب خبرُ مسيرهم وكثرة جموعهم ، فما هاله ذلك ، وجَدّ في السير نحوهم حتى التقوا في شمال قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج الحديد[1] ، وفيه نهر يشقه ، فعبر إلى منزلة الفرنج وصافّهم ، وذلك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، واقتفى في ذلك طريقة أبيه وجده فانهما أكثر ما كانوا يصافون يوم الخميس ، ومعظم حركاتهم[2] في صفر ، ووقع القتال وبرزت الأبطال وصبرت الرجال ، فأمر الأمير يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يَحْملوا ففعلوا ، وانهزم الفرنج وعمل فيهم السيف فاستأصلهم قتلاً ، وما نجا ملكهم إلا في نفر يسير ، ولولا دخول الليل لم يبق منهم أحد ، وغنم المسلمون أموالهم ، حتى قيل إن الذي حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع ، وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يُحْصَر لها عدد ، ولم يسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها .

ومن عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشركاً محارباً إن ظفروا به ولو كان ملكاً عظيماً ، بل تضرب رقابهم كثروا أو قلوا ، فلما أصبح جيش المسلمين اتبعوهم فألفوهم قد أخلَوْا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب ، فملكها الأمير يعقوب وجعل فيها والياً وجيشاً . ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه الدخول إلى بلاد الفرنج في ذلك الوقت ، فعاد إلى مدينة طليطلة وحاصرها وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشنّ الغارات على بلادها ، وأخذ من أعمالها حصوناً كثيرة وقتل رجالها وسبى حريمها وخرب مبانيها[3] وهدم أسوارها ، وترك الفرنج في أسوأ حال ، ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة .

---

١ سماه المراكشي « فحص الحديد » .

٢ من هنا يبدأ النص بخط المؤلف .

٣ ر : مغانيها .

ثم رجع إلى إشبيلية وأقام إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين ، فعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة[1] وفعل فيها كفعله المتقدم ، فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاقتْ عليهم الأرض بما رَحُبَتْ ، فأرسلوا إليه يلتمسون منه الصلح ، فأجابهم إلى ذلك لما اتصل به من أخبار علي بن إسحاق الميورقي — المقدم ذكره في هذه الترجمة — فإنه كان قد خرج على بلاد إفريقية وخرب أكثر بلادها ، وتوجه نحو الغرب ، وسوّلت له نفسه النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الأمير يعقوب بجزيرة الأندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين . فأوقع الصلح بينه وبين ملوك بلاد الأندلس جميعاً على ما اختاره لمدة خمس سنين ، ثم عاد إلى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين . ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر للتوجه إلى بلاد إفريقية ، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا له : يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالأندلس ، فمنا من له خمس سنين ومنا من له ثلاث سنين وغير ذلك ، فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين ، فأجابهم إلى سؤالهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المتنزهات المعدة له ، وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة ، سماها « رباط الفتح » على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه ، وبناها على البحر المحيط الذي هناك ، وهي على نهر سلا مقابلة لها من البرّ القبلي ، وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع إلى مراكش .

قلت : وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره ، فمن الناس من يقول : إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق[2] وهو مستخف لا يعرف ، ومات خاملا ، ومنهم من يقول : إنه لما رجع

---

[1] ر : مرة أخرى ثالثة .

[2] المختار : المشرق .

إلى مراكش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الأولى ، وقيل في شهر ربيع الآخر في سابع عشره ، وقيل في غرة صفر ، سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش ، وقيل إنه مات بمدينة سلا ، والله أعلم . وكانت ولادته على ما ذكر هو ليلة الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته.

قلت : ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ثمانين وستمائة أن بالقرب من المجدل ، البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي ، قرية يقال لها حمّارة ، وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب ، وكلُّ أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف ، وهذا القبر بينه وبين المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب ، والله أعلم[1] .

وكان ملكاً جواداً عادلاً متمسكاً بالشرع المطهر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير مُحاباة ويصلي بالناس الصلوات الخمس ، ويلبس الصوف[2] ، ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق . وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحّم عليه مَنْ يمر به .

وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها ها هنا وهي : أن الأمير الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر والد الأمير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد صاحب إفريقية كان قد تزوج أخت الأمير يعقوب المذكور وأقامت عنده ، ثم جرت[3] بينهما منافرة فجاءت إلى بيت أخيها الأمير يعقوب ، فسير الأمير عبد الواحد طلبها فامتنعت عليه ، فشكا الأمير عبد الواحد ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش ، وهو القاضي أبو عبد الله محمد ابن علي بن مروان ، فاجتمع القاضي المذكور بالأمير يعقوب وقال له :

---

١ قلت... أعلم : سقط من ر س بر من ، وهو بهامش المسودة ، وثابت في المختار و ع ق .
٢ هنا سقط في المسودة ، وقد أكمل النص بخط مخالف .
٣ ع : حتى جرت .

إن الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله ، فسكت الأمير يعقوب ، ومضى على ذلك أيام ، ثم إن الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الأمير يعقوب بمراكش ، وقال له : أنت قاضي المسلمين ، وقد طلبت أهلي فما جاءوني ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : يا أمير المؤمنين ، الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية ، فسكت الأمير يعقوب ؛ ثم بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء إلى خدمة الأمير يعقوب فقال له : يا قاضي المسلمين ، قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة : أنا أطلب أهلي وقد منعوني عنهم ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : يا مولانا إن الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لأهله ، فاما أن تسير إليه أهله وإلا فاعزلني عن القضاء ، فسكت الأمير يعقوب ، وقيل إنه قال له : يا أبا عبد الله ما هذا إلا جلد كبير . ثم استدعى خادماً وقال له في السر : تحمل أهل الشيخ عبد الواحد إليه ، فحملت إليه في ذلك النهار ، ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئاً يكرهه ، وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لأوامره ، وهذه حسنة تُعَدّ له وللقاضي أيضاً ، فإنه بالغ في إقامة منار العدل[1] .

وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور يشدد في إلزام الرعية باقامة الصلوات الخمس ، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر ، وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم ، وأمر برفض فروع الفقه ، وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية ، ولا يقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين ، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس . ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا إلى البلاد وهم على ذلك الطريق : مثل أبي الخطاب ابن دحية وأخيه أبي عمر ومحيي الدين ابن العربي نزيل دمشق وغيرهم .

---

[1] علق بعضهم في هامش المختار متهكماً من المؤلف زاعماً أن الحكاية لا تدل على شيء وليست ذات مغزى .

وكان يعاقب على ترك الصلاة ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها ، فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيراً بليغاً .

وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى إنه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته وداخل في ولايته ، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس . وكان محسناً محباً للعلماء مقرباً للأدباء مصغياً إلى المدح مثيباً عليه ، وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي[1] كتابه الذي سماه « صفوة الأدب وديوان العرب » في مختار الشعر ، وهو مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان .

وإلى الأمير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية .

وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — رسولاً من بني منقذ في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ليستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية وساحل الشام ، ولم يخاطبه بأمير المؤمنين[2] بل خاطبه بأمير المسلمين ، فعز ذلك عليه ، ولم يجبه إلى ما طلبه منه .

(355) والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد — وقد سبق في ترجمة عمه أسامة بن منقذ تتمة نسبه — هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب « الوفيات » وقال : توفي في سنة ستمائة بالقاهرة ، ومولده في شيزر سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وله نظم ونثر .

---

١ انظر ترجمة الجراوي في التكملة : ١٢٨ والغصون اليانعة : ٩٨ .

٢ هنا يعود خط المؤلف في المسودة ؛ وانظر رسائل صلاح الدين اليه في مفرج الكروب ٢ : ٤٩٦ وما بعدها ؛ وراجع النفح ١ : ٤٤٤ والروضتين ٢ : ١٧٠ .

رجعنا إلى حديث يعقوب .

(356) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجْبَّر الأندلسي المرسي[1] . ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب ، فمن ذلك قوله :

أتراه يتركُ الغزلا	وعليه شبّ واكتهلا
كَلِفٌ بالغيد ما عقلتْ	نفسُه السلوانَ مذ عقلا
غير راضٍ عن سجية مَن	ذاق طعمَ الحبّ ثم سلا
أيها اللوامُ ويحكمُ	إن لي عن لومكم شُغُلا
ثقلتْ عن لومكم أذُن	لم يجد فيها الهوى ثقلا
تسمعُ النجوى وإن خفيتْ	وهي ليست تسمع العذلا
نظرتْ عيني لشِقْوَتها	نظراتٍ وافقتْ أجلا
غادةٌ لما مثلتُ لها	تركتني في الهوى مثلا
هي بزّتني الشباب فقد	صار في أجفانها كَحَلا
أبطل الحقَّ الذي بيدي	سِحْرُ عينيها وما بطلا
عرضتْ دلاً فإذ[2] فطنتْ	بولوعي أعرضتْ خجلا
وبدا لي أنها وجلت	من هنات تبعث الوجلا
حسبتْ أني سأحرقها	إذ رأت رأسي قد اشتعلا
يا سراةَ الحيّ مثلكمُ	يتلافى الحادثَ الجَلَلا
قد نزلنا في جواركمُ	فشكرنا ذلك النُّزلا
ثم واجهنا ظباءكمُ	فلقينا الهول والوهلا[3]

---

[1] توفي ابن مجبر سنة ٥٨٨ ، راجع ترجمته في زاد المسافر : ٩ وبغية الملتمس رقم ٩٣ والنفح ٣ : ٢٣٧ وله شعر في النفح وشرح مقصورة حازم والبيان المغرب (ج ٣ ط . تطوان) والحلل الموشية .

[2] بر : فمذ ؛ س : وإذ

[3] ر من بر : والوجلا .

أضمنتم أمْسنَ جيرتكمْ	ثمّ ما آمنتم السبلا
وأردتمْ غَصْبَ أنفسهم	فبثثتم بينها المقلا
ليتنا خضنا السيوفَ ولم	نلقَ تلك الأعين النجلا
عارضتنا منكم فئةٌ	أحدثتْ في عهدنا دَخَلا
ثُعَليّاتٌ جفونهمُ	وهُمُ لم يعرفوا ثُعَلا
أشرعوا الأعطاف ناعمة	حين أشرعنا القنا الذبلا
واستفزتنا عيونهمُ	فخلعنا البَيْضَ والأسَلا
ورمتنا بالسهام فلم	نر إلا الحلي والحللا
نُصروا بالحسن فانتهبوا	كل قلب بالهوى جذلا
عطلتني الغيدُ من جلَدي	وأنا حليتها الغزلا
حملت نفسي على فتَن	سُمتها صبراً فما احتملا
ثم قالت سوف نتركها	سلباً للحب أو نَفَلا
قلت أما وَهْيَ قد علقت	بأمير المؤمنين فلا
ما عدا تأميلها ملكاً	من رآه أدرك الأملا
أودع الإحسانُ صفحته	ماء بشر ينقع الغُللا
فإذا ما الجودُ حرّكه	فاض من يمناه فانهملا

قلت : وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات ، فنقتصر منها على هذا المقدار .

وكانت وفاة هذا الشاعر في سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

ودخل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود الشاعر[1] على الأمير يعقوب فأنشده :

---

[1] انظر النفح ٤ : ٣٨٠ وعقود الجمان لابن الشعار ١ : ٣٧ والنقل فيه عن شيخ الشيوخ ابن=

أزال حجابه عني وعيني ... تراه من المهابة في حجابِ
وقرّبني تفضّلــه ولكن ... بعدتُ مهابةً عند اقترابي

وكانم : بكسم النون ، جنس من السودان وهم بنو عم تكرور ، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى أب ولا أم ، وإنما كانم اسم بلدة بنواحي غانة ، وهي دار ملك السودان الذين بجنوب الغرب ، فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة ، وتكرور اسم للأرض التي هم فيها ، وسمي جنسهم باسم أرضهم ، والجميع من بني كوش بن حام بن نوح عليه السلام ، والله أعلم[1] .

(357) ولما حضرت الوفاة الأمير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر ، ونهض إلى إفريقية فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهدية من نوابه ، وقد كان استولى عليها في مدة اشتغال الأمير يعقوب بالأعداء ، ثم تحرك محمد بن يعقوب إلى جزيرة الأندلس ، فكانت وقعة العقاب في سنة تسع وستمائة . وتوفي محمد سنة ست عشرة وستمائة [لعشر خلون من شعبان][2] ومولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة . والمغاربة يقولون: إن محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم . ثم أراد أن يختبر قدر أمره لهم ، فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلاً ، فعندما رأوه جعلوه غرضاً لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة ، أنا الخليفة ، فما تحققوه حتى هلك ، والله أعلم بصحة ذلك .

(358) ثم ولي بعده ولده أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الأمير يعقوب ، وتلقب

= حمويه . وقد ترجم ابن الابار (التكملة : ١٧٧) لكانمي اسمه ابراهيم بن محمد وكان شاعراً فلا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره .

١ ودخل الأديب ... أعلم : سقط من بر من رس وهو ثابت في المختار وهامش المسودة .

٢ لم يرد في النسخ الخطية .

المستنصر بالله ، ومولده أول شوال سنة أربع وتسعين ، ولم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجهاً منه ولا أبلغ في المخاطبة ، إلا أنه كان مشغوفاً براحته ، فلم يبرح عن حضرته ، فضعفت الدولة في أيامه. ومات في شوال أو ذي القعدة سنة عشرين وستمائة ، ولم يخلف ولداً .

(359) فاتفق أرباب الدولة على تولية أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ووفور عقله ، فلم يحسن التدبير ، ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة أشهر من ولايته . ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان بالأندلس أبو محمد عبد الله بن الأمير يعقوب المذكور ، فامتنع بمرسية ، ورأى أنه أحق بالأمر من عبد الواحد ، وخرج إلى ما في جهته من بلاد الأندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعادل ، فلما خنق عبد الواحد بمراكش ، ثارت الفرنج بالأندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا ، وانهزم أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش ، وترك باشبيلية أخاه أبا العُلا إدريس بن الأمير يعقوب ، وقاسى عبد الله شدائد في طريقه إلى مراكش من العربان ، فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش .

(360) وتفاوضوا فيمن يقدمونه ، فوقع اختيارهم على أبي زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب ، وهو إذ ذاك كما بقل وجهه غِرّ لم يجرب الأمور ، فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى ورد الخبر من الأندلس أن أبا العُلا إدريس بن الأمير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه أهل الأندلس ، ثم آل أمره إلى أن حصره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد أخرى ، حتى ضجر منه أهل مراكش وتشاءموا به وأخرجوه عنهم ، فهرب إلى جبل دَرَن ، ثم راسلَ في الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود إليها ويقتل من بها من أعوان أبي العُلا إدريس ، فحضر إليها وقتل المذكورين .

(361) وجاء أبو العلا من الأندلس ، وقد خرج عليه بها الأمير محمد بن يوسف

ابن هود الجذامي ، ودعا إلى بني العباس فمال إليه الناس ورجعوا عن أبي العلا إدريس ، فانتهى إلى مراكش ،ويحيى بها ، فتواقعوا وانهزم يحيى من أبي العلاء إلى الجبل ، واستولى أبو العلا على مراكش .

وجمع يحيى رجالاً وقصد أبا العلا بمراكش فهزمه أبو العلا مراراً وأضعف جماعته ، فألجأته الضرورة إلى الاستجارة بقوم في حصن بجهة تلمسان ، وكان لغلام منهم عنده ثأر بأبيه ، فرصده يوماً وهو راكب فطعنه فقتله ، واستبد أبو العلا بالأمر وتلقب بالمأمون . وكان شجاعاً حازماً صارماً فتاكاً. ثم إن أبا العلا مات في الغزو حتف أنفه، ولم أتحقق تاريخ وفاته . ثم أخبرني بعض أهل بلادهم أنه توفي سنة ثلاثين وستمائة ، والله أعلم .

(362) وأخفى ولده موته حتى دبر أمره وبلغ مأمنه ،وهو أبو محمد عبد الواحد ابن أبي العلا إدريس ، وتلقب بالرشيد ، وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الأكبر واستبد بالأمر . وكان أبوه أبو العلاء قد أزال اسم المهدي أبي عبد الله محمد بن تومرت — المقدم ذكره— من الخطبة يوم الجمعة، فأعاده ولده الرشيد المذكور ، واستمال به قلوب جماعته وتحبب إليهم . وكان إلى سنة إحدى وأربعين وستمائة ملك المغرب الأقصى وبعض الأندلس ، ولم أعلم ما وراء ذلك حتى أذكره[1] .

وبعد تسطير هذه الترجمة كتب لي بعض أهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة ، وكان قريب عهد ببلاده ، فأخبرني أن الرشيد المذكور توفي غريقاً في صهريج بستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة ، وكتم حاجبه أمره مدة فجهل لذلك شهر وفاته .

(363) وولي بعده أخوه لأبيه المعتضد ويعرف بالسعيد ،وهو أبو الحسن علي ابن إدريس . ثم خرج إلى ناحية تلمسان ، وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان

---

[1] هنا تنتهي الترجمة في النسخة س ، سوى ضبط كلمة « الأذفونش » .

مسافة يوم واحد ، وقتل هناك على ظهر فرسه في صفر سنة ست وأربعين وستمائة .

(364) وولي بعده المرتضى أبوحفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسف في شهر ربيع الآخر من السنة . وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلا إدريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن المعروف بأبي دبوس ، مراكش ، وهرب المرتضى إلى آزمور ، وهي من نواحي مراكش ، فقبض عليه عامله بها وبعث إلى الواثق بذلك ، فأمره الواثق بقتله ، فقتله في العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة بموضع يقال له كتامة ، بُعده عن مراكش ثلاثة أيام .

(365) وأقام الواثق ثلاث سنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني مرين ملوك تلمسان ، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن ، وكان قتل الواثق في المحرم سنة ثمان وستين ، بموضع بينه وبين مراكش مسيرة ثلاثة أيام في جهتها الشمالية . واستولى بنو مرين على ملكهم ، وملكهم الآن أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن حمامة ، والله تعالى أعلم .

(366) وأما علي بن إسحاق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة ، وكان أبوه أبو إبراهيم إسحاق بن حَمّو ، بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة ثم واو ، ابن علي ، ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة ويابسة ، وهي ثلاث جزائر متجاورة في البحر الغربي ، فتوفي في سنة ثمانين وخمسمائة ، وخلف أربعة بنين ، وهم : أبو عبد الله محمد ، توجه بعد موت أبيه إلى الموحّدين بالأندلس فأعطوه مدينة دانية وأحسنوا إليه غاية الإحسان ، وأبو الحسن علي وأبو زكريا يحيى ، خرجا إلى بلاد إفريقية وفعلا الأفاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث في البلاد ، فمات عليّ ، ولا أعلم تاريخ وفاته ، لكنه كان حياً في سنة إحدى وتسعين .

واستمرّ يحيى على حاله فطالت مدته ، وذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتاب « الوفيات » فقال : خرج من مَيُورْقة في شعبان

سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة ، وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . وتوفي في أواخر شوّال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في البرية من قطر تلمسان، وكان خروجه على بني عبد المؤمن .

(367) وبقي أصغر الإخوة، وهو أبو محمد عبد الله ملك ميورقة إلى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، فجهز إليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور أسطولاً نزل بساحل ميورقة ، فبرز إليهم ، وكان شجاعاً كريماً ، فعثر به فرسه فسقط إلى الأرض فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى مراكش ، وعلقوا جثته على السور ، وأخذوا ميورقة وبقيت بأيديهم إلى أن تغلب الفرنج عليها في سنة سبع وعشرين وستمائة ، وفعلوا فيها العظائم من القتل والأسر ، وغير ذلك .

والأذفونش : بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة ، وهو اسم لأكبر ملوك الفرنج ، وهو صاحب طليطلة .

٨٣٠
يعقوب بن داود

أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر[1] بن طَهْمَان ، السّلمي بالولاء ، مولى أبي صالح عبد الله بن خازم السّلمي والي خراسان ؛ كان يعقوب

٨٣٠ـ أخباره في الطبري والجهشياري وابن خلدون وابن الأثير وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ والبداية والنهاية ١٠ : ١٤٧ ومرآة الجنان ١ : ٤١٧ ومعجم المرزباني : ٤٩٥ ونكت الهميان : ٣٠٩ .

١ فوق لفظة عمر في المسودة : عثمان ؛ وقد جعلت في النسخ : بن عمر بن عثمان ... الخ .

المذكور كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقُتلا في سنة خمس وأربعين ومائة ، وقصتهما مشهورة في التواريخ، وليس هذا موضع ذكرها .

وكان أبوه داود بن طهمان وإخوته كتاباً لنصر بن سيّار عامل خراسان من جهة بني أمية ، ولما مات داود نشأ ولداه علي ويعقوب المذكور أهل أدب وفضل وافتنان في صنوف العلوم . ولما ظهر المنصور على إبراهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة ، وقيل في سنة ست وأربعين ومائة .

قلت : ولعله الأصح ، لأن إبراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه ، إلا أن يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل إبراهيم ، وذلك في أول خروجه ، والله أعلم .

وكان يعقوب سَمْحاً جواداً كثير البر والصدقة واصطناع المعروف ، وذكره دِعْبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء ، وكان مقصوداً مُمَدّحاً ، مدحه أعيان شعراء عصره ، مثل أبي الشيص الخزاعي وسَلْم الخاسر وأبي حَنَش ، وغيرهم .

ولما مات المنصور وقام بالأمر ولده المهدي جعل يعقوب يتقرب إليه حتى أدناه ، واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه ، حتى خرج كتابه إلى الدواوين أن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود ، فقال في ذلك سلم[1] بن عمرو المعروف بالخاسر :

قل للإمام الذي جاءت خلافته ... تُهْدَى إليه بحقٍّ غير مردودِ
نعم القرينُ على التقوى أعِنْتَ به ... أخوك في الله يعقوبُ بن داود

---

[1] ر بر من : سالم .

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه ، وفي سنة إحدى وستين تقدم إليه بتوجيه الأمناء إلى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك ، فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب إلى أمينه بانفاذه ، وكان[1] وزير المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار الأشعري الطبراني صاحب مربعة عبيد الله ببغداد ، وكان جده يَسَار مولى عبد الله بن عضاه الأشعري ، فلم يزل الربيع بن يونس – المقدم ذكره في حرف الراء[2] – يسعى به إلى المهدي وصحح على ابنه الزندقة فقتله المهدي ، وكان الربيع بعد ذلك يقبح أمره عنده ويقول له : لا تثق به بعد قتلك ابنه ، ويذكر كفاية يعقوب ابن داود ، حتى عزله عن الوزارة وأفرده في ديوان الرسائل ، واستوزر يعقوب في سنة ثلاث وستين .

ثم إن المهدي عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة سبع وستين ، ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور ، وكان أبو عبيد الله يصل إلى المهدي على عادته رعايةً منه لخدمته . فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي[3] من جملة أبيات :

قل للوزير أبي عبيـ ... ـد الله هلْ من باقيه
يعقوبُ يلعبُ بالأمو ... رِ وأنت تنظر ناحيه
أدخلته فعَلا عليـ ... ـك كذاك شؤم الناصيه
وأخذت حتْفَكَ جاهداً ... بيمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على أمور المهدي كلها ، وكان المنصور قد خلف في بيوت المال تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف درهم ، وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدي بالاقتصاد في الإنفاق وحفظ الأموال ، فلما عزل

١ هنا ضاعت ورقة فيها خط المؤلف ، وكمل النقص بخط حديث .
٢ ج ٢ : ٢٩٤ .
٣ ترجمته في الأغاني ١٤ : ١٦٦ والأبيات في ص : ١٦٩ .

وولي يعقوب زيّن له هواه ، فأنفق الأموال وأكبّ على اللذات والشرب وسماع الغناء ، واشتغل يعقوب بالتدبير ، ففي ذلك يقول بشار بن برد الشاعر المشهور – المقدم ذكره في حرف الباء[1] –:

بني أمية هبّوا طال نومكمُ   إن الخليفةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفةَ الله بين الزق[2] والعود

وكان أبو حارثة النهدي يتقلد خُزُنَ بيوت الأموال ، فلما خلت من المال دخل إلى المهدي ومعه المفاتيح وقال له : إذا كنت قد أنفقت جميع الأموال فما معنى هذه المفاتيح معي ؟ مر من يقبضها مني ، فقال له المهدي : دعها معك فإن الأموال تأتيك . ثم سير في استحثاث الأموال فوردت عليه في مدة يسيرة ، وقصّر في النفقات قليلاً فتوفرت الأموال ، وتشاغل أبو حارثة في قبض ما ورد عليه وتصحيحه ، فلم يدخل إلى المهدي ثلاثةَ أيام ، فقال المهدي : ما فعل هذا الأعرابي الأحمق ؟ فخبر بالسبب في تأخره ، فدعا به وقال له : ما أخرك عنا ؟ فقال : ورود الأموال ، فقال : يا أحمق توهمت أن الأموال لا تأتينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحادث لو حدث واحتيج إلى المال ولم يصلح إلا به لم ينتظر حتى يوجه في حمل الأموال .

وروي أن المهدي حج في بعض السنين فمر بميل وعليه كتابة ، فوقف وقرأه فإذا هو :

لله درك يا مهديّ من رجلٍ   لولا اتخاذك يعقوبَ بنَ داودِ

فقال لمن معه : اكتب تحته على رغم أنف الكاتب لهذا وتعساً لجده ! فلما انصرف وقف على الميل فقلنا : لم يقف عليه إلا لشيء قد علق بقلبه من ذلك الشعر ، فكان كذلك لأنه أوقع بيعقوب بعد قليل .

---

١ انظر ج ١ : ٢٧١

٢ المختار : الدف ؛ بر من : الدن .

وكثرت الأقوال في يعقوب ووجد أعداؤه مقالا فيه وذكروا خروجه على المنصور مع إبراهيم بن عبد الله العلوي ، وعرفه بعض خدمه أنه سمعه يقول : بنى هذا الرجل مستنزهاً أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين ، وكان المهدي قد بنى عيسى باد ، وأراد المهدي أمراً فقال له يعقوب : هذا يا أمير المؤمنين من السَّرَف[1] ، فقال له : ويلك ، وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ؟ وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه ، وسأل المهدي الإقالة وهو يمتنع .

ثم إن المهدي[2] أراد أن يمتحنه[3] في ميله إلى العلوية ، فدعا به يوماً وهو في مجلس فُرُشُه موردة وعليه ثياب موردة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب موردة وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الأوراد ، فقال له : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : على غاية الحسن ، فمتّع الله أمير المؤمنين به ، فقال له : جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليتم سرورك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، فدعا له ، فقال له المهدي : ولي إليك حاجة ، فقام يعقوب قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا لموجدة وأنا أستعيذ بالله من سخطك ، فقال : أحب أن تضمن لي قضاءها ، فقال : السمع والطاعة ، فقال له : والله ، فقال : والله ، ثلاثا ، فقال له : ضع يدك على رأسي واحلف به ، ففعل ذلك ، فلما استوثق منه قال له : هذا فلان بن فلان ، رجل من العلوية ، أحبّ أن تكفيني مؤونته ، وتريحني منه فخذه إليك . فحوله إليه وحول إليه الجارية وما كان في المجلس والمال ، فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس تقرب منه ليصل إليها ، ووجه فأحضر العلوي فوجده لبيباً فهماً فقال له : ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمي ،

[1] ر : فيه سرف .

[2] انظر الجهشياري : ١٦٠ .

[3] هنا تعود النسخة بخط المؤلف .

وأنا رجل من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له يعقوب : يا هذا أفيك خير ؟ فقال : إن فعلت خيراً معي شكرت ودعوت لك ، فقال له : خذ هذا المال وخذ أي طريق شئت ، فقال : طريق كذا وكذا آمن لي ، فقال له امض مصاحَباً . وسمعتِ الجارية الكلام كله . فوجهت مع بعض خدمها به وقالت : قل له : هذا فعلُ الذي آثرته على نفسك بي ، وهذا جزاؤك منه ؛ فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ، ثم وجه إلى يعقوب فأحضره ، فلما رآه قال : ما حال الرجل ؟ قال : قد أراحك الله منه ، قال : مات ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال : فضع يدك على رأسي ، فوضع يده على رأسه وحلف له به ، فقال : يا غلام أخرج إلينا مَنْ في هذا البيت ، ففتح بابه عن العلوي والمال بعينه ، فبقي يعقوب متحيراً وامتنع الكلام عليه فما درَى ما يقول ، فقال له المهدي : لقد حل دمك ، ولو آثرت إراقته لأرقته ، ولكن احبسوه في المطبق ، فحبسوه ، وأمر بأن يطوى عنه خبره وعن كل أحد . فأقام فيه سنتين وشهوراً في أيام المهدي وجميع أيام الهادي موسى بن المهدي وخمس سنين وشهوراً من أيام هارون الرشيد ، ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكي أمره وشفع فيه فأمر باخراجه ، فأخرج وقد ذهب بصره . فأحسن إليه الرشيد ، وردّ ماله ، وخيّرهُ المقام حيث يريد ، فاختار مكة ، فأذن له في ذلك ، فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة .

ولما أطلق يعقوب سأل عن جماعة من إخوانه فأخبر بموتهم فقال :

لكل أناسٍ مَقْبرٌ بفنائهم ... فهم ينقصون والقبورُ تزيدُ

همُ جيرةُ الأحياءِ أما محلهم ... فدانٍ ، وأما الملتقى فبعيدُ

قلت : هذان البيتان في باب المراثي في كتاب « الحماسة »[1] .

1 شرح المرزوقي رقم : ٢٩٧ ، وانظر الجهشياري : ١٦٣ .

قلت : هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتابه « تاريخ الوزراء » وذكر غيره أن يعقوب بن داود مات في سنة اثنتين وثمانين ومائة ، والله أعلم بالصواب .

وقال عبد الله بن يعقوب بن داود : أخبرني أبي أن المهدي حبسه في بئر وبنى عليها قبة، قال: فمكثتُ فيها خمس عشرة سنة، وكان يدلّى لي فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلوات ، فلما كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آتٍ في منامي فقال[1] :

حنا على يوسف ربّ فأخرجه   من قعرِ جبٍّ وبيتٍ حوله غُمَمُ[2]

قال : فحمدت الله تعالى وقلت : أتاني الفرج ، ثم مكثت حولاً لا أرى شيئاً ، فلما كان رأس الحول الثاني أتاني ذلك الآتي فأنشدني :

عسى فرجٌ يأتي بـه الله إنـه   له كلّ يوم في خليقته أمرُ

قال : ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً ، ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيـه   يكون وراءهُ فـرجٌ قريبُ
فيأمنُ خائفٌ ويفـك عـانٍ   ويأتي أهلـه النـائي الغريب

فلما أصبحت نوديت ، فظننت أني أوذن بالصلاة ، فدلي لي حبل أسود وقيل لي : اشْدُدْ به وسطك ، ففعلت وأخرجت ، فلما قابلت الضوء عشي بصري، فانطلقوا بي ، فأدخلت على الرشيد فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، المهدي ، فقال الرشيد : لست به ، فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الهادي ، فقال : لست به فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله

---

١ ينقطع هنا خط المؤلف ، ويستكمل النص بخط آخر ، وانظر تاريخ بغداد : ٢٦٤ .
٢ ر س بر : غمم.

وبركاته، فقال: الرشيد، فقلت: الرشيد[1]، فقال: يا يعقوب بن داود، إنه والله ما شفع[2] فيك إليّ أحد، غير أني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك، فرثيت لك من المحل الذي كنت به فأخرجتك، وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير يلاعبه.

(368) ولما حبس المهدي يعقوب رتب في الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبي صالح[3]، وكان من غلمان عبد الله بن المقفع، وكان شديد الكبر، وكان أبوه نصرانياً، وفيه يقول الشاعر:

يا حابسي عن حاجتي ظالماً أحْوَجَكَ الله إلى الفيضِ
ذاك الذي يأتيك معروفه كأنما يمشي على البيض

وطَهْمان: بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الألف نون.

(369) وكانت ولادة أبي عبيد الله معاوية الأشعري في سنة مائة، وتوفي سنة سبعين ومائة. وقيل في سنة تسع وستين، وقيل مات في الوقت الذي مات فيه موسى الهادي، وكانت وفاته ببغداد، ودفن في مقابر قريش.

وتوفي الفيض في سنة ثلاث وسبعين ومائة.

وتولى الوزارة بعده الربيع بن يونس — وقد سبق ذكره في ترجمة بشار ابن برد الشاعر[4]— وذكر أن يعقوب بن داود أعان على قتله.

(370) ولما مات يعقوب رثاه أبو حنش الهلالي، وقيل النميري، واسمه حضير ابن قيس البصري وعاش مائة سنة، بأبيات هي في كتاب «الحماسة» أولها[5]:

يعقوب لا تَبْعَدْ وجُنِّبت الردى فليبكينّ زمانك الرطب الثرى

١ س: فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: الرشيد .... الخ.
٢ ر: تشفع.
٣ انظر الجهشياري: ١٦٤. ٤ انظر ج ١: ٢٧٣
٥ الحماسية رقم: ٣٢٥ والجهشياري: ١٦٣ وسماه «حصين بن قيس».

٨٣١
يعقوب بن كلِّس

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كِلّس ، وزير العزيز نزار بن المعز العبيدي صاحب مصر ــ المقدم ذكرهما ــ ، كان يعقوب أولاً يهودياً يزعم أنه من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران ، عليهما السلام ، وقيل إنه كان يزعم [1] أنه من ولد السموأل بن عاديا اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق ، وهو المشهور بالوفاء ، وقصته مع امرىء القيس الكندي الشاعر المشهور مشهورة مستفيضة بين العلماء في الوفاء له في ودائعه .

وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشأ بها عند باب القز ، وتعلم الكتابة والحساب ، وسافر به أبوه من بغداد إلى الشام ، وأنفذه إلى مصر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع إلى بعض خواص الاستاذ كافور الإخشيدي ــ المقدم ذكره [2] ــ فجعله كافور على عمارة داره ، ثم صار ملازماً لباب داره ، فرأى كافور من نَجَابته وشهامته وصيانته ونزاهته وحسن إدراكه ما نفق عليه ، فاستحضره وأجلسه في ديوانه الخاص . وكان يقف بين يديه ويخدم ويستوفي الأعمال والحسابات [3] ، ويدخل يده في كل شيء ، ثم

٨٣١ــ ترجمته في ابن الصيرفي : ١٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢١ وابن ميسر : ٤٥ ، ٥١ ومرآة الجنان ٢ : ٢٥٠ وابن الأثير (ج : ٩) والمواعظ والاعتبار ٢ : ٥ ــ ٨ وابن القلانسي : ٣٢ واتعاظ الحنفا (صفحات متفرقة) والدرة المضية (في مواطن مختلفة) .

١ انه كان يزعم : سقطت من ع .

٢ ج ٤ : ٩٩ .

٣ ع : والحسبانات .

لم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب والأشراف يقومون له ويكرمونه ، ولم تتطلع نفسه إلى اكتساب مال ، وأرسل له كافور شيئاً فرده عليه وأخذ منه القوت خاصة . وتقدم كافور إلى سائر الدواوين أن لا يمضي دينار ولا درهم إلا بتوقيعه، فوقع في كل شيء. وكان يبر ويصل من اليسير الذي أخذه . هذا كله وهو على دينه . ثم إنه أسلم يوم الإثنين لثماني عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم . ورتب لنفسه رجلاً من أهل العلم شيخاً عارفاً بالقرآن المجيد والنحو حافظاً لكتاب السيرافي ، فكان يبيت عنده ويصلي به ويقرأ عليه ، ولم تزل حاله تزيد وتنمي مع كافور إلى أن توفي كافور في التاريخ المذكور في ترجمته .

وكان أبو الفضل جعفر بن الفرات – المقدم ذكره في حرف الجيم[1] – وزير كافور يحسده ويعاديه . فلما مات كافور قبض ابنُ الفرات على جميع الكتاب وأصحاب الدواوين ، وقبض على يعقوب بن كِلّس في جملتهم ، فلم يزل يتوصل ويبذل الأموال حتى أفرج عنه . فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه ومن غيره مالاً وتجمل به وسار مستخفياً قاصداً بلاد المغرب فلقي القائد جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز العبيدي – المقدم ذكره[2]– في الطريق ، وهو متوجه بالعساكر والخزائن إلى الديار المصرية ليملكها ، فرجع في الصحبة ، وقيل إنه استمر على قصده وانتهى إلى إفريقية وتعلق بخدمة المعز العبيدي – المقدم ذكره[3]– ثم رجع إلى الديار المصرية ، ولم يزل يترقى إلى أن ولي الوزارة للعزيز نزار بن المعز معدّ ، وعظمت منزلته عنده وأقبلت عليه الدنيا ، وانثال الناس عليه ولازموا بابه ، ومَهّد قواعد الدولة وساس أمورها أحسن سياسة . ولم يبق لأحد معه كلام . وكان في أيام المعز

١ انظر ج ١ : ٣٤٦ .
٢ ج ١ : ٣٧٥ .
٣ ج ٥ : ٢٢٤ .

يتصرف في الخدم الديوانية ، ثم انتقل إلى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة .

وقال ابن زولاق في تاريخه ، بعد ذكر المعز وتاريخ وفاته ، ما مثاله : « وممن وزر للمعز الوزير يعقوب بن كِلِّس. وهو أول من وزر للدولة الفاطمية في الديار المصرية ، وكان من جملة كتاب كافور ، فلما وصل المعز أحسن في خدمته وبالغ في طاعته إلى أن استوزره »؛ هذا آخر كلام ابن زولاق .

وقال غيره : كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ، ورتب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعة يقرأ فيه بنفسه مصنفاته على الناس ، وتحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث ، فاذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح .

وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب ، حتى الطب ، ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطونها . وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب « الأسجاع » . ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد اتخذه في داره؛ وأقام في داره مطابخ لنفسه ولجلسائه، ومطابخ لغلمانه وحاشيته وأتباعه ، وكان ينصب كل يوم خِواناً لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه ومن يستدعيه ، وينصب موائد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية . وصنع في داره ميضأة للطهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغرباء . وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام ، وتعرض عليه رقاع الناس في الحوائج والظلامات . وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قواداً يركبون بالمواكب والعبيد ، ولا يخاطب واحد منهم إلا بالقائد ، وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذي تنسب إليه منية القائد فضل ، وهي بليدة بالأعمال الجيزية من الديار المصرية .

ثم إن الوزير المذكور شرع في تحصين داره ودور غلمانه بالدروب والحرس والسلاح والعدد ، وعمرت ناحيته بالأسواق وأصناف ما يباع من الأمتعة ومن المطعوم والمشروب والملبوس . ويقال إن داره كانت بالقاهرة في موضع مدرسة الوزير صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية ، وإن [1] الحارة المعروفة بالوزيرية التي بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة إلى أصحابه ، لأنهم كانوا يسكنونها .

وكان الوزير أبو الفضل ابن الفرات – المقدم ذكره – يغدو إليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويعول عليه فيها ويجلس معه في مجلسه وربما حبسه لمؤاكلته فيأكل معه بعد أن جرى عليه منه ما سبق ذكره .

وكانت هيبته عظيمة وجوده وافراً ، وأكثر الشعراء من مدائحه . ولقد نظرت في ديوان أبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعمق الشاعر – المقدم ذكره [2] – فوجدت أكثر مديحه في الوزير المذكور ، والقصيدة التي نقلت بعضها في ترجمته مدح بها الوزير المذكور . ورأيت في تاريخ الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسبحي – المقدم ذكره [3] – فصلاً طويلاً يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ، ومعظم ما ذكرته ها هنا نقلته منه .

وصنف الوزير المذكور كتاباً في الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز ، وجلس في شهر رمضان سنة تسع وستين وثلثمائة مجلساً حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتابَ بنفسه على الناس ، وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل ابن الفرات المذكور ، وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب .

وسمعت من جماعة من المصريين يقولون : إن الوزير المذكور كانت

---

١ عودة إلى خط المؤلف .

٢ ج ١ : ١٣١ . ٣ ج ٤ : ٣٧٧ .

له طيور فائقة أصيلة مختارة تسبق كلّ طائر يسابقها ، وكان لمخدومه العزيز طيور أيضاً سابقة فاخرة، فسابقه العزيزُ يوماً ببعض الطيور فسبّق طائر الوزير، فعز ذلك على العزيز ، ووجد أعداؤه سبيلاً إلى الطعن فيه ، فقالوا للعزيز : إنه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه إلا أدناه ، حتى الحمام ، وقصدوا بذلك الإغراء به حسداً منهم لعله يتغير عليه ، فاتصل ذلك بالوزير فكتب إلى العزيز[1] :

قل لأمير المؤمنين الذي　　له العلا والنسبُ الثاقِبُ
طائرك السابقُ لكنه　　جاء وفي خدمته حاجبُ

فأعجبه ذلك منه وسُرّي عنه ما كان وَجَده عليه ، هكذا ذكره القاضي الرشيد ابن الزبير – المقدم ذكره[2] – في كتاب « الجنان » وذكر غيره أن هذين البيتين لولي الدولة أبي محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصري ، – وقد سبق ذكره في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الشاعر[3] – وإنما لم أفرده بترجمة لأني لم أظفر بتاريخ وفاته ، وقد التزمت في هذا الكتاب أني لا أذكر إلا مَنْ وقفتُ على تاريخ وفاته .

وذكر أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء سماه « الإشارة إلى من نال الوزارة » ذكر فيه وزراء المصريين إلى عصره، وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال : « كان كاتباً يهودياً صائناً لنفسه محافظاً على دينه ، جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه ، واتصل بخدمة كافور الإخشيدي فحمد خدمته ، وردّ إليه زمام ديوانه بمصر والشام فضبطه له على حسب إرادته . وكان سبب حَظْوته عنده أن يهودياً قال

١ المواعظ والاعتبار : ٧ .
٢ انظر ج ٢ : ٣٣٩
٣ انظر ج ٣ : ١٤٩ .

له : إن في دار ابن البلدي[1] بالرملة ثلاثين ألف دينار مدفونة ، وقد توفي ، فكتب يعقوب إلى كافور رقعة يقول فيها : إن في دار ابن البلدي بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة في موضع أعرفه وأنا أخرجُ أحملها ، فأجابه إلى ذلك ، وأنفذ معه البغال لحملها ، وورد الخبر بموت بُكَيْر بن هرواز[2] التاجر ، فجعل إليه النظر في تركته . واتفق موت يهودي بالفَرَما ومعه أحمال كتان ، فأخذها وفتحها فوجد فيها عشرين ألف دينار ، فكتب إلى كافور بذلك ، فتبرك به وكتب إليه بحملها ، فباع الكتان وحمل الجميع وسار إلى الرملة ، فحفر الدار التي لابن البلدي[1] وأخرج المال ، وهو ثلاثون ألف دينار ، فكتب إلى كافور : عرّفْتُ الأستاذَ أنها عشرون ألف دينار ووجدت ثلاثين ألف دينار ، فازداد محله من قلبه ، وتصوره بالثقة ، ونظر في تركة ابن هرواز[2] واستقصى وحمل منها مالاً كثيراً ، فأرسل إليه كافور صلة كثيرة ، فأخذ منها ألف درهم ورد الباقي وقال : هذه كفايتي ، فزاد أمره عنده ، حتى إنه كان يشاوره في أكثر أموره .

وقال عبد الله أخو مسلم العلوي : رأيت يعقوب قائماً يسارّ كافورا ، فلما مضى قال لي : أيّ وزير بين جنبيه ؟!» .

وسار إلى المغرب وخدم المعز ، وتولى أمور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلثمائة ، ولقبه بالوزارة وأمر أن لا يخاطبه أحد إلا بها ، ولا يكاتب إلا بذلك . ثم اعتقله في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة في القصر ، فأقام معتقلاً شهوراً ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين ورده إلى ما كان عليه .

ووُجِدَتْ رقعة في دار الوزير المذكور في سنة ثمانين وثلثمائة ، وهي السنة التي توفي فيها ، ونسختها :

احذَرُوا مِنْ حوَادث الأزْمَان ... وَتَوَقّوا طوَارِقَ الحدَثَانِ

---

١ س : ابن البكري ؛ وما في المتن ثابت في المسودة وابن الصيرفي .
٢ س : هزوان ؛ ع بر : هروان ؛ وأثبتنا ما في المسودة .

قد أمنتمْ مِنَ الزمَان ونمتـمْ   رُبَ خوْفٍ مكمَنٍ في أمَان

فلما قرأها قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم،واجتهد أن يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك .

ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب إليه العزيز عائداً وقال له : وددت أنك تباع فأبتاعك بملكي أو تفدى فأفديك بولدي ، فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب ؟ فبكى وقبل يده وقال : أما فيما يخصّني فأنت أرعى لحقي من أن أسترعيك إياه، وأرأف على من أخلّفه من أن أوصيك به. ولكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك : سالِمِ الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ، ولا تُبْقِ على مفرج بن دغفل بن جرّاح إن عرضت لك فيه فرصة . ومات ، فأمر العزيز أن يدفن في داره ، وهي المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر ، في قبة كان بنَاها ، وصلى عليه وألحده بيده في قبره ، وانصرف حزيناً لفقده ، وأمر بغلق الدواوين أياماً بعده .

وكان إقطاعه من العزيز في كل سنة مائة ألف دينار ، ووجد له من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام ، ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار ، وبزّ من كل صنف بخمسمائة ألف دينار . وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال :« كان يهودياً من أهل بغداد خبيثاً ذا مكر ، وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء . وكان في قديم أمره خرج إلى الشام فنزل الرملة ، وصار بها وكيلا ، فكسر أموال التجار وهرب إلى مصر ، فتاجر كافوراً الإخشيدي ، فرأى منه فطنةً وسياسة ومعرفة بأمر الضياع فقال : لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فطمع في الوزارة ، فأسلم يوم جمعة في جامع مصر ، فلما عرف الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات أمره قصده فهرب إلى المغرب ، واتصل بيهود كانوا مع الملقب بالمعز ، وخرج معه إلى مصر ، فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده الملقب بالعزيز استوزر ابن كِلّس في سنة خمس وستين وثلثمائة ، فلم

يزل مدبر أمره إلى أن هلك في ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمائة» .

وقال غيره : ابتدأ المرض بالوزير المذكور يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانين وثلثمائة ، وأخذته سكتة ، ثم تزايد به المرض واشتد،وانطلق لسانه ، ثم توفي ليلة الأحد على صباح الاثنين لخمس خلون من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وكفن في خمسين ثوباً ، واجتمع الناس كلهم من القصر إلى داره . وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهر، وركب بغلته بغير مظلة ، وكانت عادته أنه لا يركب إلا بها، وصلى عليه وبكى ، وحضر مواراتَه .

ويقال إنه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار ، وذكر من سمع العزيز وهو يقول : واطول أسفي عليك يا وزير ، وبكى عليه القائد جوهر بكاء شديداً ، وإنما كان بكاؤه على نفسه لأنه عاش بعده سنة واحدة . وغدا الشعراء إلى قبره ، ويقال إنه رثاه مائة شاعر ، وأخذت قصائدهم وأجيزوا .

وقيل إنه مات على دينه ، وكان يظهر الإسلام ، والصحيح أنه أسلم وحسن إسلامه . وقال يوماً — وقد ذُكر اليهود في مجلسه — كلاماً يسوء اليهودَ سماعهُ ، ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم ، وأنهم على غير شيء ، وأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهم يَجْحَدونه .

وكانت ولادته في سنة ثماني عشرة وثلثمائة ببغداد ، عند باب القز ، رحمه الله تعالى .

وكِلّس : بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة .

والسَّمَوْأل بن عادياء : بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام .

وعادياء : بعين مهملة وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة .

وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره في ترجمته .

(371) وأما القائد فضل فإنه كان رجلاً نبيلاً كريماً ممدحاً وإليه تنسب

« مُنية القائد فضل » البليدة التي في أعمال الجيزة التي قبالة مصر، وفيه يقول أبو القاسم عُبَيد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور :

إنما الفضلُ غُـرّةٌ في وجـوهِ المدائحِ
أريحيّ رياحـه عبقات الروائح
كعبـةُ الجـود كفّـهُ بـينَ غـادٍ ورَائح
إنمـا تصلحُ الأمو رُ برأي ابن صالـح

وكان مكيناً في دولة الحاكم المذكور ، ثم نقم عليه وحبسه وضربت عنقه في محبسه يوم السبت عشيةً لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، ولم يظهر منه جزَع ، ولفّ في حصير ، وأُخرج من الحجرة التي كان محبوساً بها ، رحمه الله تعالى .

(372) وأما أبو القاسم الشاعر المذكور، فإن الحاكم قتله مع جماعة من الأعيان في يوم الأحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، وأحرقهم بالنار . وكان قتل الجميع في حجرة واحدة ، والله أعلم .

٨٣٢
يعقوب بن صابر المنجنيقي

أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن علي بن الحسين بن علي بن حَوْثَرة ، الحرّاني الأصل البغدادي المولد والدار المَنْجَنيقي ، الملقب نجم الدين ، الشاعر المشهور ؛ ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدُّبيثي في تاريخه الذي جعله ذيلا لتاريخ الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن

٨٣٢ــ ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ١٤٤ والحوادث الجامعة : ٨ – ١١ والبداية والنهاية ١٣ : ١٢٥ والشذرات ٥ : ١٢٠ وأضاف الأستاذ الزركلي في الأعلام أن له ترجمة في التكملة في وفيات النقلة للمنذري ، وانظر البدر السافر الورقة : ٢٣٧ والزركشي ٣ : ٣٦٤ .

السمعاني الذي ذيله على «تاريخ بغداد» تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي — وقد سبق ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة في هذا التاريخ — فقال ابن الدبيثي: «كان يعقوب المذكور متقدماً على أهل صناعته، يعني في صنعة المنجنيق وما يتعلق به. وكان فيه فضل ويقول الشعر، سمع شيئاً من الحديث من أبي المظفر ابن السمرقندي وأبي منصور ابن الشطرنجي، علقت عنه شيئاً من شعره، أنشدني أبو يوسف يعقوب بن صابر لنفسه[1]:

قبلتُ وجنته فألفتَ جيده خجلاً ومال بعطفه المياسِ

فانهلّ من خديه فوق عذاره عَرَقٌ يحاكي الطلّ فوق الآس

فكأنني استقطرتُ وردَ خدوده بتصاعدِ الزفرات من أنفاسي

سألته عن مولده فقال: في ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة أربع وخمسين وخمسمائة».

وقال غير ابن الدبيثي[2]: «كان ابن صابر المنجنيقي جندياً في ابتداء أمره مقدماً على المنجنيقيين بمدينة السلام ببغداد، ولم يزل مُغْرى بآداب السيف والقلم وصناعة السلاح والرياضة، واشتهر بذلك، ولم يلحقه أحد من أبناء زمانه في درايته وفهمه لذلك، وصنف فيه كتاباً سماه «عمدة السالك[3] في سياسة الممالك» ولم يتممه وهو مليح في معناه، يتضمن أحوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور، وبناء المعاقل وأحوال الفروسية والهندسة والمصابرة على القلاع والحصار[4] والرياضة الميدانية والحيل الحربية، وفنون العلاج بالسلاح وعمل أداة الحرب والكفاح، وصنوف الحيل وصفتها، وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبواباً، كلّ باب منه يشتمل على فصول».

«وكان شيخاً هشّاً مليحاً لطيفاً فكهاً طيب المحاورة، شريف النفس متواضعاً، فيه تودد وبشر وسكون، وهو مع ذلك شاعر مكثر مجيد ذو

١ الأبيات في ابن الشعار ١٠ : ١٤٨

٢ لم يصرح المؤلف هنا بالمصدر، والنص متفق مع ما جاء عند ابن الشعار ١٠ : ١٤٤ .

٣ ابن الشعار : عمدة المالك .

٤ ابن الشعار : والمصابرة والحصار والمعاقل والأمصار .

معان مبتكرة . يقصّد الشعر ويعمل المقاطيع ، وجمع من شعره كتاباً مختصراً سماه « مغاني المعاني » ومدح الخلفاء ، وكانت له منزلة لطيفة عند الامام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت »[1] .

قلت : وكانت أخباره في حياته متواصلة إلينا وأشعاره تنقلها الرواة عنه ، ويحكون وقائعه وماجراياته وما ينظم في ذلك من الأشعار الرائقة والمعاني البديعة . ولم تتفق لي رؤيته مع المجاورة وقرب الدار من الدار ، لأنه كان ببغداد ونحن بمدينة إربل . وهما متجاورتان . لكن لكثرة اطلاعي على أخباره وما يتفق له من النظم المنقول عنه في وقته كأني كنت معاشره ، وما زلت مشعوفاً بشعره مستعذباً أسلوبه فيه . واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين عنه ، منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان المعروف بالمترجم الموصلي ، فإنه أنشدني له شيئاً كثيراً ، فمن ذلك قوله[2] :

كلفتُ بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصيّاصي وافتتاح المرابطِ
وعدتُ إلى نظم القريضِ لشقوتي فلم أخلُ في الحالين من قصدِ حائط

وأنشدني عنه أيضاً ، وذكر أنه لم يسبق إليه[3] :

لا تكنْ واثقاً بمن كظم الغيـ ـظَ اغتيالاً وَخَفْ غرارَ الغرور
فالظّبَا المُرْهفاتُ أقتـل[4] ما كا نت إذا غاض ماؤُها في الصدور

وأنشدني له أيضاً في جارية سوداء كان يهواها ، وهي حبشية :

وجارية من بنات الحبوش بذات[5] جفون صحاحٍ مراضِ
تعشّقتها للتصابي فشبْتُ غراماً ولم أكُ بالشيب راض
وكنت أعيّرها بالسواد فصارت تعيّرني بالبياض

١ هنا ينتهي النقل مؤقتاً عن ابن الشعار.
٢ ابن الشعار ١٠ : ١٤٩ ورواية البيت الأول :
كلفت بعلم المنجنيق فلم أزل أحث ركابي بين ناء وشاحط
٣ ابن الشعار ١٠ : ١٤٩
٤ ابن الشعار : أقطع . ٥ كذا في المسودة والمختار .

وأنشدني عنه أيضاً :

وجاريـــة عبرت للطواف وعبْرتهـــا حــذراً تدمـــعُ
فقلتُ ادخلي البيتَ لا تجزعي ففيـــه الأمـــان لمـــن يجـــزع
سِدَانتُـــهُ لبَنِي شَيْبة فقالت : ومِنْ شيبةٍ أفزع

وأنشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد ، وقد لبس تبّاناً[1] أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم[2] ، فقال في ذلك :

يا للرجـال شكايتي من شكوة أضحت تُعَانق مَنْ أحبّ وأعشقُ
جمعت هوىً كهوايَ إلا أنها تطفو ويُثْقلني الغـرام فأغرق
ويُغـيرني التبان عند عناقه أردافـه فهـو العـدو الأزرق

وقال صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي صاحب كتاب «عقود الجمان»[3] : أنشدني ابن صابر لنفسه هذه الأبيات ، لكنه روى البيت الثاني منها على صورة أخرى فقال :

حملت هوى كهواي فهي بوصله تطفو[4] ويبكيني الغرامُ فأغرقُ

وهذا من المعاني النادرة ، فإن العرب إذا وصفت العدو بشدة العداوة قالت : هو عدوّ أزرق ، وقد جاء هذا في كلامهم وأشعارهم كثيراً ، واستعمله الحريري في المقامة الرابعة عشرة[5] فقال : « فمذ اغبرّ العيشُ الأخضر ، وازورّ المحبوب الأصفر ، اسودّ يومي الأبيض ، وابيض فَوْدي الأسود ، حتى رثى لي العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأحمر » . ورأيت في بعض الرسائل ، ولا أتحقق الآن صاحبها : « قد أوردنا ظبا الحديد الأخضر ، في ماء الوريد

---

١ المختار : تباناً ، وأثبتنا ما جاء في المسودة .
٢ المختار : السباحة .
٣ ابن الشعار ١٠ : ١٤٦ .
٤ كتبها في المسودة « تقفو » .
٥ كذا في المسودة ، وهي الثالثة عشرة في المطبوعة ، انظر المقامات ص : ١٢٥

الأحمرَ ، من عدو الله الأرزق ، من بني الأصفر »، وهو باب متسع فلا حاجة إلى الإطالة في ذكر شواهده .

وأنشدني عنه أيضاً في جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب إلى شيخهم يذكر حاله معهم[1] :

مولاي يا شيخَ الرباط الذي أبان عن فضلٍ وعلياءِ
إليك أشكو جَوْرَ صوفية باتوا ضيوفي وأودّائي[2]
أتيتهم بالزاد مستأثراً وبتُّ تشكو الجوعَ أحشائي
مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء
وهم إلى الآن ضيوفي فجدْ لهمْ بخبزٍ وبحلواء
أو لا فخذهم واكفنيهمْ فما يحسنُ في مثلهمُ رائي

وأنشدني عنه في الصوفية أيضاً[3] :

قد لبس الصوفَ لترك الصفا مشايخ العصر لشرب العصيرْ
الرقصُ والشاهد من شأنهم شرّ طويل تحت ذيل قصير

وأنشدني عنه أيضاً ، وهو من المعاني المستطرفة :

قالوا نراه يسلّ شعرَ عذاره وسباله مستهتَراً بزواله
فتسلّ عنه وخذْ حبيباً غيره فأجبتهم لا زلتُ عبدَ وصاله
هل يحسنُ السلوانعن حبيبٍ يرى أن لا يفارقني بنتْفِ سباله

وأنشدني له غير ابن عَدْلان وقال : لما كبر ابن صابر وضعفت حركته صار إذا مشى يتوكأ على عصا ، فقال في ذلك :

---

١ من هذه القطعة بيتان في البدر السافر .

٢ روايته في البدر السافر :

أشكو إلى عدلك صوفية قد أضرموا بالنار أحشائي

٣ ابن الشعار ١٠ : ١٥٠

أَلقيتُ عن يديَ العصا زمنَ الشبيبة للنـزولِ
وحملتها لما دعا داعي المشيب إلى الرحيلِ

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بِشْران ، وكان كثير الأراجيف . فمنع من ذلك ، فقعد على الطريق ينجم ، فقال فيه ابن صابر :

إن ابن بشرانٍ ولستُ أَلومه[1] من خيفةِ السلطان صار منجما
طُبِـعَ المشومُ على الفضولِ فلم يطقْ في الأرضِ إرجافاً فأرجفَ في السما

قلت[2] : وأنشدني الأديبُ شهابُ الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سالم المعروف بابن التَلّعفَري لنفسه في بعض ليالي شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة ، وهو من شعراء العصر المجيدين :

ياشيبُ كيفَ وما انقضى زمنُ الصبا عاجلتَ مني اللِّمَّةَ السوداءَ
لا تعجلنّ فوالذي جعل الدجى من ليلِ طُرَّتيَ البهيم ضياء
لو أنها يومَ الحسابِ صحيفتي ما سرّ قلبي كونُها بيضاء

فقلت له : قد أغرت على بيت نجم الدين ابن صابر ، حتى إنلك قد أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي ، وهو قوله :

لو أن لحيةَ من يشيبُ صحيفةٌ لمعاده ما اختارها بيضاء

فحلف أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله للأبيات المذكورة ، والله أعلم بذلك . وهذا البيت لابن صابر من جملة أبيات وهي :

قالوا بياضُ الشيبِ نورٌ ساطعٌ يكسو الوجوهَ مهابةً وضياءَ
حتى سَرَتْ وخَطاته في مَفْرِقي فوددت أن لا أفقد الظلماء
وعدلتُ أستبقي الشبابَ تعللا بخضابها فصبغتها سوداء
لو أن لحيةَ من يشيبُ صحيفةٌ لمعاده ما اختارها بيضاء

[1] المختار وهامش المسودة : على علاته
[2] انظر الغيث ٢ : ١٠٤ .

وأخبرني بعض الأدباء أن ابن صابر كتب إلى بعض الرؤساء ببغداد :

ما جئتُ أسألك المواهبَ مادحاً ... إني لما أوليتني لشكورُ
لكن أتيتُ عن المعالي مُخْبراً ... لك أن سعيك عندها مشكور

ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره ، وقد أجاد في كل ما نظمه ، ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ، ولا يعرف قائلهما على الحقيقة[1] ، وهما :

ألقِني في لَظىً فإن أحرقَتْني ... فتيقّنْ أن لستُ بالياقوتِ
جمع[2] النسجَ كلّ مَنْ حاكَ لكنْ ... ليس داودُ فيه كالعنكبوتِ

فعمل ابن صابر جوابهما :

أيها المدّعي الفخار دعِ الفخـ ... ـرَ لذي الكبرياء والجبروتِ
نسجُ داود لم يفسد ليلة الغا ... رِ وكان الفخارُ للعنكبوت
وبقاءُ السَّمند في لهبِ النا ... ر مزيلٌ فضيلةَ الياقوت
وكذاك النعام يلتقمُ[3] الجمـ ... ـرَ وما الجمر للنعام بقوت

قلت : وعلى البيتين الأولين نظم جماعة من الشعراء المعاصرين لنا أبياتاً ، فمن ذلك قول الكمال أبي محمد القاسم بن القاسم بن عمرو بن منصور الواسطي نزيل حلب صاحب « شرح المقامات »[4] :

حق دود القز يبني ... فوقه ثم يموتُ
بعد ما سدّى وقد صا ... ر يسدّي العنكبوتُ

وقول المهذب أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن بن يمن الأنصاري المعروف بابن الأردخل الموصلي نزيل ميّافارقين :

---

١ اوردهما ابن الشعار ١٠ : ١٥٢ ثم قال : ذكروا انهما للقاضي الفاضل.
٢ ابن الشعار : شمل ٣ ابن الشعار : يبتلع .
٤ ترجمته في الانباه ٣ : ٣١ وانظر الحاشية .

أقولُ وقد قالـوا نراك مُقَطّباً   إذا ما ادّعى دينَ الهوى غيرُ أهلهِ
يحق لدود القـزّ يقتـلُ نفسه   إذا جاء بيتُ العنكبوت بمثلـه

وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

إذا شوركْتَ في أمـر بـدون   فلا يلحقْكَ عـارٌ أو نفورُ
ففي الحيوان يشـترك اضطراراً   أرسطاليسُ والكلبُ العقور

وقول الآخر :

وللزُّنبـور والبـازي جميعاً   لدى الطيران أجنحةٌ وخَفْقُ
ولكنْ بـين ما يصطاد بـازٍ   وما يصطاده الزنبور فرقُ

قلت : وعلى ذكر دود القز ينبغي أن يذكر ما يقال عن السّرْفة ، بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء ؛ قال الجوهري في كتاب « الصحاح » هي دويبة تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دُقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناووس ، ثم تدخل فيه وتموت ، يقال في المثل : هو أصنع من سُرْفة ، وذكر لي بعض الفضلاء أن السّرْفة هي الأرَضَة ، والله أعلم .

ومما ينبغي أن يلحق بالأبيات المقدم ذكرها قول بعضهم :

إن أعوزَ الحاذق فاستبدلوا   مكانه أخـرقَ لم يحـذقِ
فلاعبُ الشطرنـج من دأبه   وَضْعُ حصاةٍ موضعَ البيْدقِ

والأصل في هذا كله قول المتنبي :

وشر ما قَنَصتَه راحتي قَنَصٌ   شُهْبُ البزاة سواء فيه والرخَمُ

ويقرب منه قول أبي العلاء المعري أيضاً :

وهل يَدّخر الضرغامُ قوتاً ليومه   إذا ادّخر النملُ الطعام لعامه [1]

قلت : وفي هذه الأبيات الأوائل ما يحتاج إلى زيادة إيضاح ، فليس

---

[1] قلت وعلى البيتين ... لعامه : لم يرد في س .

كل مَن يقف عليها يفهم معناها : أما البيت الأول وما ذكره من أمر الياقوت فإن الياقوت من خاصيته أن النار لا تؤثر فيه ، وإلى هذا أشار الحريري في المقامة السابعة والأربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات[1] :

وطالما أُصْلِيَ الياقوتُ جمرَ غضاً ثم انطفا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ

وقال آخر في غلام له اسمه ياقوت :

ياقوتُ يا قوتَ قلبي المستهام به من المروءة أن لا يمنع القوتُ
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه وكيف يخشى لهيبَ النار ياقوتُ

وقد جاء هذا كثيراً في الشعر ، لكن الاختصار أولى .

وأما قول ابن صابر في الجواب في البيت الثاني : « نَسْجُ داود لم يفد ليلة الغار » إلى آخره ، فهذا إشارة إلى مهاجرة النبي ﷺ ، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فإنهما خافا من مشركي مكة أن يتبعوهما فدخلا غار ثور ، بالثاء المثلثة – وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من من مكة – ونسج العنكبوت في الحال على باب الغار ، فلما وصل المشركون إليه ورأوا أثر العنكبوت على الباب قالوا : ليس ها هنا أحد ؛ فإنه لو دخله أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال ؛ لأن المشركين بادروا إليهما ليلحقوهما ، فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما ، وهي من جملة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله في البيت الثالث : « وبقاء السمند في لهب النار » إلى آخره : السمند ، بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ، ويقال « السمندل » أيضاً بزيادة اللام ، ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ، ويعمل من ريشه مناديل وتحمل إلى هذه البلاد ، فاذا اتسخت المنديل طرحت في النار فتأكل النار الوسخ الذي عليها ، ولا تحترق المنديل ولا تؤثر النار فيها ، ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة ، وهي في طول الحزام وعرضه ، فجعلوها على النار فما عملت فيه ، فغمسوا أحد جوانبه في الزيت

---

١ مقامات الحريري : ٥١٤

ثم تركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زماناً طويلاً يشتعل ثم اطفأوه وهو على حاله ما تغير فيه شيء[1] ، ويقولون إنه يجلب من بلاد الهند ، وإن هذا الطائر يكون هناك ، وفيه نكتة ينبغي أن تذكر ها هنا ، وهي أن طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زماناً طويلاً والنار لا تعلق فيه ، فقال بعض الحاضرين : هذا ما تعمل فيه النار ، ولكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار ، ففعلوا ذلك فاشتعل ؛ فظهر من هذا أن النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لا بد من غمسه في شيء من الأدهان .

ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي جعله لنفسه سيرة أنه قدم للملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل ، عرض ذراع في طول ذراعين ، فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يتقد الزيت وترجع بيضاء كما كانت ، والله أعلم .

ومثله السَّرَفُوت : دُوَيْبة تعشش في كور الزجاج في حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرّخ ، ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرة الدائمة ، فسبحان خالق كل شيء – وهي بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها .

وأما البيت الرابع الذي ذكر فيه النعام وأنه يلتقم الجمر ، فهذا شيء شاهدناه كثيراً ، وهو معروف بين الناس وليس بغريب . وبالجملة فقد خرجنا عن المقصود ، لكن الكلام اتصل بعضه ببعض فانتشر .

وتوفي ابن صابر المذكور في ليلة الثامن والعشرين من صفر من سنة ست وعشرين وستمائة ببغداد[2] ، ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الجديدة ، بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر ، رضي الله عنهما .

---

١ علق هنا صاحب المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ورأيت أنا أيضاً منه قطعة من منشفة قد كانت نسجت منه وجربتها على النار فكانت على ما شرح ، والله أعلم »

٢ ذكر في البدر السافر نقلا عن ابن سعيد انه توفي سنة ٦٢٣ .

وأخبرني الشهاب ابن التلعفري المذكور أن مولده في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وتوفي في عاشر شوال سنة خمس وسبعين وستمائة بمدينة حماة، وأنشد قبيل موته لنفسه وهو آخر شعره:

إذا ما بات من تربٍ فراشي ... وبتُّ مجاورَ الربّ الكريم

فهنـوني أصَيْحَابي وقولوا ... لك البشرى قدمتَ على رحيمِ

وحَوْثَرة: بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الثاء المثلثة وبعدها راء ثم هاء، وهي في الأصل اسم لحشفة الذكر، وبها سمي الإنسان. قال ابن الكلبي في كتاب «جمهرة النسب»: سمي ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل حوثرة لأنه حج فمر بامرأة معها قعب لها، فاستامها فأكثرت فقال: والله لو أدخلت حوثرتي فيه، يعني كمرته، لملأته، فسمي حوثرة.

والمنجنيقي: بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف، هذه النسبة إلى المنجنيق، وهو معروف. وإذ قد جرى ذكره ينبغي الكلام عليه ففيه أشياء غريبة: منها: انه من جملة الآلات المنقولة المستعملة، والقاعدة في هذا الباب: أن تكون ميمه مكسورة، إلا ما شذ عن ذلك في ألفاظ قليلة مثل مُنْخُل ومُدْهُن ومُسْعُط، وغير ذلك، مع أن ابن الجواليقي في كتاب «المعرب»[1] حكى فيه أربع لغات: فتح الميم، وكسرها على القاعدة، ومنجنوق بالواو بدل الياء، ومنجليق باللام عوضَ النون الثانية، وحكى في الميم والنون الأولى ثلاثة أقوال، قيل إنهما أصليتان، وقيل زائدتان، وقيل الميم أصلية والنون زائدة، والله أعلم. وهو اسم أعجمي، فإن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية. مثل الجرموق والجردق والجوسق والجلاهق والقبج وغير ذلك، وهذا بابٌ مطرد، وكذلك الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية

[1] المعرب: ٣٠٥ — ٣٠٧

مثل الصهريج والجص والصاج والجصطل وغير ذلك[1]، وهو أيضاً باب مطرد . وإذا جمعناه حذفنا إحدى النونين ، فإن حذفنا النون الأولى قلنا : مجانيق ، وإن حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق . وقال الجوهري في كتاب « الصحاح » الأصل في المنجنيق : من جي نيك تفسيره بالعربي: ما أجودني؛ قلت : فتفسير « من » أنا ، وتفسير « جي » أيش ، وتفسير « نيك » جيد ، أي أنا أيش جيد . قال الجوهري : ثم عرب فقيل منجنيق .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »[2] وأبو هلال العسكري في كتاب « الأوائل » أن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب وبلد الحيرة في ذلك الزمان . وقال الواحدي في تفسيره « الوسيط » في سورة الأنبياء : إن المشركين لما عزموا على إحراق إبراهيم الخليل عليه الصلاةوالسلام وأضرموا النار ، لم يدروا كيف يلقونه فيها ، فجاءهم إبليس لعنه الله تعالى، فدلهم على المنجنيق ، وهو أول منجنيق وضع ، فوضعوه فيه ثم رموه ، والله أعلم .

وهذا الفصل كله وإن كان خارجاً عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة ، فلذلك بسطت القول فيه .

٨٣٣

موفق الدين ابن يعيش

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن محمد بن علي بن المفضّل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حيّان القاضي بن بشر بن حيان

---

١ علق ابن المؤلف هنا بقوله : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكذلك الجيم والكاف لا يجتمعان في كلمة عربية كالكيلجة والكماج وغير ذلك ، والله أعلم» .

٢ المعارف : ٥٥٤ .

٨٣٣ – ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ٢١٥ والشذرات ٥ : ٢٢٨ وابن الوردي ٢ : ١٧٦ وبغية الوعاة : ٤١٩ .

الأسدي ، الموصلي الأصل ، الحلبي المولد والمنشأ ، الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصائغ ؛ قرأ النحو على أبي السخاء فتيان الحلبي ، وأبي العباس المغربي النّيْروزي[1] وسمع الحديث على أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي بالموصل ، وعلى أبي محمد عبد الله بن عُمَر بن سويدة التكريتي ، وبحلب من أبي الفرج يحيى بن محمود[2] الثقفي والقاضي أبي الحسن أحمد بن محمد بن الطرسوسي وخالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني ، وبدمشق على تاج الدين[3] الكندي ، وغيرهم ، وحدث بحلب وكان فاضلاً ماهراً في النحو والتصريف .

رحل من حلب في صدر عمره قاصداً بغداد ليدرك أبا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الأنباري — المقدم ذكره[4] — وتلك الطبقة بالعراق وبلاد الجزيرة ، فلما وصل إلى الموصل بلغه خبر وفاته ، وقد ذكرت تاريخ موته في ترجمته ، فأقام بالموصل مديدة وسمع الحديث بها ، ثم رجع إلى حلب . ولما عزم على التصدر للاقراء سافر إلى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبي اليُمن زيد بن الحسن الكندي الإمام المشهور — وقد تقدم ذكره في حرف الزاي[5] — وسأله عن مواضع مشكلة في العربية ، وعن إعراب ما ذكره أبو محمد الحريري في المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية ، وهو قوله في أواخرها «حتى إذا لألأ الأفقَ ذنبُ السرحان ، وآن انبلاج الفجر وحان» فاستبهم جواب هذا المكان على الكندي : هل الأفق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان ، أو الأفق مرفوع وذنب السرحان منصوب ، أو على العكس ؟ وقال له : قد علمتُ قصدك ، وأنك أردت إعلامي بمكانتك من هذا العلم ، وكتب له خطه بمدحه والثناء عليه ، ووصف تقدمه في الفن[6] الأدبي .

قلت : وهذه المسألة يجوز فيها الأمور الأربعة ، والمختار منها نصب

---

١ س : التبريزي ؛ ابن الشعار : البيزوزي .
٢ س : محمد .
٣ زاد في المختار : أبي اليمن زيد بن الحسن .
٤ انظر ج ٣ : ١٣٩
٥ انظر ج ٢ : ٣٣٩
٦ المختار : في هذا الفن .

الأفق ورفع ذنب السرحان ، وقد ذكر ذلك تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن — المقدم ذكره[1]— المعروف بالبندهي في كتاب « شرح المقامات » ولولا خوف الإطالة لبينت ذلك .

ولما وصلت إلى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف ، وكان دخولي إليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة ، وهي إذ ذاك أم البلاد مشحونة[2] بالعلماء والمشتغلين ، وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب ، لم يكن فيهم مثله ، فشرعت في القراءة عليه ، وكان يقرىء بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية ، وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به ، وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه في وقت الإقراء وابتدأت بكتاب « اللمع » لابن جني ، فقرأت عليه معظمها مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين ، وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين ، وما أتممتها إلا على غيره لعذر اقتضى ذلك .

وكان حسن التفهيم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدىء والمنتهي ، وكان خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون ، مع سكينة ووقار ؛ ولقد حضرت يوماً حلقته ، وبعض الفقهاء يقرأ عليه « اللمع » لابن جني ، فقرأ بيت ذي الرمة في باب النداء :

أيا ظبيةَ الوعساء بين جُلاجلٍ ... وبين النقا آأنتِ أم أمّ سالمِ

فقال له الشيخ : إن هذا الشاعر لشدة وله في المحبة وعظم وجده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابهتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمَهَا ، اشتبه عليه الحال ، فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية ، فقال : آأنت أم أم سالم ؛ وأطال الشيخ موفق الدين القول في ذلك وبسطه بأحسن عبارة ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكليته ، حتى يتوهم مَنْ يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله ، فلما فرغ الشيخ من شرحه قال له الفقيه : يا مولانا أيش في المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فقال له الشيخ قولَ منبسط : تشبهها في

[1] انظر ج ٤ : ٣٩٠ .
[2] بر : محشوة .

ذنبها وقرونها ، فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه ، وما عدت رأيته حضر مجلسه .

قلت : وجلاجل ، بفتح الجيم وضمها ، اسم مكان ، والثانية جيم أيضاً .

وكنا يوماً نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية ، فجاءه رجل من الأجناد وبيده مسطور بدَيْن ، وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية ، فقال له : يا مولانا اشهد عليّ في هذا المسطور ، فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله : أقرت فاطمة ، فقال له الشيخ : أنت فاطمة ؟ فقال له الجندي : لا يا مولانا ، الساعة تحضر ، وخرج إلى باب المدرسة ، فأحضرها وهو يَتَبَسّم من كلام الشيخ .

ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي[1] أن شخصاً دخل عليه وعنده امرأة ، فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال له : هذه .

وكنا يوماً نقرأ عليه في داره ، فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام ماء فأحضره له ، فلما شرب قال : ما هذا إلا ماء بارد ، فقال له الشيخ : لو كان خبزاً حاراً كان أحب إليك .

وكنا يوماً عنده بالمدرسة الرواحية ، فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة جيدة ، فقال له الحاضرون : أيش هذا يا شيخ وأين وقت العصر ؟ فقال الشيخ موفق الدين : دعوه عسى أن يكون له شغل فهو مستعجل .

وكان يوماً عند القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب ــ الآتي ذكره ان شاء الله تعالى ــ فجرى ذكر زرقاء اليمامة ، وأنها كانت ترى الشيء من المسافة البعيدة ، حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة أيام ، فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من ذلك ، فقال الشيخ موفق الدين : أنا أرى الشيء من مسافة شهرين ، فتعجب الكل من قوله وما أمكنهم أن يقولوا له شيئاً ، فقال له القاضي : كيف هذا يا موفق الدين ؟ فقال : لأني أرى الهلال ، فقال

---

[1] انظر ج ٣ : ١٥ .

له : كان قلت[1] مسافة كذا كذا سنة ، قال : لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضي، وكان قصدي الإبهامَ عليهم . وله نوادر كثيرة يطول ذكرها.

وكنت يوماً عنده وقد قدم من الموصل رجل من فضلاء المغاربة في علم الأدب ، فحضر حلقته وبحث في دروسه بحثَ رجل فاضل ، وجرى ذكر مباحثَ جرت له بالموصل مع جماعة من أدبائها وقال : كنت عند ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزري — قلت : وقد سبق ذكره[2] — قال فتحاورنا وتناشدنا ، فأنشدته قول بعض المغاربة قلت : هذه الأبيات ذكر أبو إسحاق الحُصْرِي أنها لبعض مشايخ القيروان ، رواها عنه ولم يعينه[3] ؛ وهي :

ومُعَذَّرين كأن نَبْتَ خدودهم ... أقلام مسك تستمد خَلُوقَا
قَرَنُوا البنفسج بالشقيق ونَضَّدُوا ... تحت الزبرجدِ لؤلؤاً وعقيقا
فهمُ الذين إذا الخليّ رآهُمُ ... وجد الهوى بهمُ إليه طريقا

قلت : ونصف البيت الثاني مثل قول ابن الذَّرَوي المصري في أبياته التي سبق ذكرها في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله :

جلا تحت ياقوت اللّمى ثغرَ لؤلؤٍ ... رَطيبا[4] وأبدى شارباً من زُمُرُّذِ

ومن المنسوب إلى أبي محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي — المقدم ذكره في حرف الحاء[5] — :

جوهريّ الأوصاف يقصر عنه ... كلّ فهمٍ وكلّ ذهنٍ دقيقِ

---

[1] بر: كنت تقول   [2] انظر ج ٥ : ٣٨٩ .

[3] ثبت في المطبوعة المصرية بعد هذا : «قلت : وغالب ظني أنه أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري ، (ر والمسودة : المقدم ذكره) والأبيات التي أنشدها (والمسودة : هي ، ثم وجدت أن الحصري المذكور أنشدها) ولم يذكر أنها له رأيتها في بعض المجاميع منسوبة إلى أبي الحجاج الشاعر المشهور » (ر والمسودة : والله أعلم) وقد رمج المؤلف عليه في مسودته ، ووضع بدله ما أثبتناه في المتن . وقد مر بيتان منها في زيادات نسختي ض د في الجزء الأول الصفحة : ٣٩٤ ، وهو مما يدل على أن تلك الزيادة دخيلة .

[4] خ بهامش المسودة : عقد لؤلؤ نضيد .   [5] انظر ج ٢ : ١٠٤

شاربٌ من زمردٍ وثنايا لؤلؤٌ فوقها فمٌ من عقيق

وذكرت بهذه الأبيات بيتين كنت أحفظهما ، ويحسن ذكرهما بعد هذا وهما :

لما وقفنا للوداع وصار ما كنّا نظنّ من النوى تحقيقا
نثروا على ورقِ الشقائق لؤلؤاً ونثرتُ من فوقِ البَهار عقيقا

وكذاك بيت الوأواء الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤا من نرجسٍ فسقَتْ ورداً وعضّتْ على العناب بالبرد

وكذا قول محمد بن سعيد العامري الدمشقي[1] ، وقيل إنها لابن كَيَغْلَغ :

لما اعتنقنا للوداع وأعربتْ عبراتُنا عنا بدمعٍ ناطقِ
فرّقْن بين معاجرٍ ومحاجرٍ وجمعن بين بنفسجٍ وشقائق
وأنا الفداءُ لظبيةٍ أحداقنا موصولةٌ من وجهها بحدائق

وينسب[2] إلى أبي الفتح الحسن بن أبي حصينة الحلبي الشاعر المشهور من هذا أيضاً[3] :

ولما وقفنا للوداع وقلبها وقلبي يفيضان الصبابةَ والوجدا
بكتْ لؤلؤاً رطباً وفاضت مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عِقدا

وأنشدني صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري الإربلي — المقدم ذكره[4] — لنفسه :

ولما التقينا ومنّ الزمان رأى دمعَ عيني دَماً في المآقي

---

١ ترجم له المرزباني في المعجم : ٤١٤ والقفطي في المحمدون : ٣٤٩ وفيهما الأبيات التي أوردها ابن خلكان .

٢ من هنا حتى قوله « قلت وقد قيل في هذا الباب ... الخ » لم يرد في س بر .

٣ ديوانه ١ : ٢٢٧ .

٤ انظر ج ٣ : ٥٠١ .

فقال وعهدي به لؤلؤاً أيجري عقيقاً وهذا التلاقي
فقلت حبيبيَ لا تعجبنْ جعلتُ فدىً لك ميْتاً وباقي
فتلك أوائل دمع الوداع وهذي أواخر دمع الفراق

وكان[1] الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد منسوباً إلى أبي علي الحسن ابن رشيق – المقدم ذكره[2] – ثم كشفت ديوانه ، فلم أجد هذه الأبيات فيه ، والله أعلم وهي :

وقد كنت لا آتي إليك مخاتلاً لديك ولا أثني عليك تصنعا
ولكن رأيت المدح فيك فريضة عليّ إذا كان المديح تطوعا
فقمتُ بما لم يخفَ عنك مكانُهُ من القول حتى ضاق مما توسعا
فلا تتخالَجْكَ الظنونُ فإنها مآثم واتركْ فيّ للصلح موضعا
فلو غيرك الموسومُ عندي بريبةٍ لأعطيتُ فيه مدّعي القول ما ادعى
فوالله ما طوّلْتُ بالقول فيكمُ لساناً ولا عرضتُ للذّم مسمعا
ولكنني أكرمتُ نفسي فلم تهنْ وأجللتها من أن تذلّ وتخضعا
فباينتُ لا أن العداوة باينتْ وقاطعتُ لا أن الوفاء تقطعا

قلت : وقد قيل في هذا الباب[3] شيء كثير ولا حاجة إلى الإطالة .

وشَرَحَ الشيخ موفق الدين كتاب « المفصل » لأبي القاسم الزمخشري شرحاً مستوفىً ، وليس في جملة الشروح مثله . وشرح « تصريف الملوكي » لابن جني شرحاً مليحاً ، وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها ، حتى إن الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته .

وكانت ولادته لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

١ ثابت بهامش المسودة ولكن أرجح أنه ليس بخط المؤلف ، وهو ثابت في المختار أيضاً .
٢ انظر ج ٢ : ٨٥ .
٣ يعني باب البكاء وتشبيه الدموع باللؤلؤ والعقيق، وهو يدل على أن النص السابق قد باعد هذا التعليق عن موضعه .

بحلب ؛ وتوفي بها في سحر الخامس والعشرين[١] من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب إلى إبراهيم الخليل ، صلوات الله عليه وسلامه ، ورحمه الله تعالى .

٨٣٤
يموت بن المزرَّع

أبو بكر يموت بن المزرّع بن يموت بن عيسى[٢] بن موسى بن سيّار بن حُكَيم[٣] بن جَبَلة بن حِصْن بن أسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحارث بن الدّيل بن عمرو بن غَنْم بن وديعة بن لُكَيْز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان ، العبدي البصري .

قلت : وجدت في كتاب « جمهرة النسب » تأليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبَلة المذكور ، وقد ساق نسبه على هذه الصورة ، وفي الحاشية مكتوب ما مثاله : من ولد حكيم بن جبَلة المذكور يموت بن المزرع ابن يموت ، وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى ألحقه بحكيم بن جبَلة المذكور ، والعُهدة عليه في ذلك . ورأيت بخطي في مسوداتي : يموت بن المزرّع بن يموت بن عُدُس بن سيّار بن المرزّع[٤] بن الحارث بن ثعلبة بن

١ ابن الشعار : ثالث وعشرين جمادى الأولى .

٨٣٤— ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٥٨ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٥٧ وطبقات الزبيدي : ٢٣٥ والنجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ وعبر الذهبي ٢ : ١٢٨ والشذرات ٢ : ٢٤٣ ومعجم المرزباني : ٥٠٥ وبغية الوعاة : ٤٢٠ ومروج الذهب ٤ : ١٩٦ ونزهة الالباء : ١٦٣ .

٢ فوقها في المسودة : خ : المزرع ؛ وفي تاريخ بغداد : عبدوس ، وفي نسبه اختلاف كثير عما ورد هنا .

٣ فوق الحاء « معاً » في المسودة أي أنها تفتح وتضم .

٤ كذا في المسودة بتقديم الراء المهملة هنا وهو مخالف للضبط في آخر الترجمة .

عمرو بن ضمرة بن دلهاث بن وديعة بن بكر بن وديعة بن لكيز بن أفصى المذكور ، والله أعلم بالصواب في ذلك .

وكان يموت قد سمى نفسه محمداً ، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في المحمدين ، ثم ذكره في حرف الياء وقال : هو يموت وهو ابن أخت أبي عثمان الجاحظ ، وقد تقدم ذكره[1] .

قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة إحدى وثلثمائة وهو شيخ كبير ، وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهضمي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، ومحمد بن يحيى الأزدي وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي وغيرهم ؛ روى عنه أبو بكر الخرائطي وأبو الميمون ابن راشد ، وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي ، وأبو بكر ابن مجاهد المقرىء وأبو بكر ابن الأنباري وغيرهم .

وكان أديباً أخبارياً ، وله ملح ونوادر ، وكان لا يعود مريضاً خوفاً أن يتطيّر من اسمه ، وكان يقول : بليت بالاسم الذي سماني أبي به ، فاني إذا عدت مريضاً فاستأذنت عليه ، فقيل من هذا ؟ قلت : أنا ابن المزرع[2] ، وأسقطت اسمي .

ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر المشهور بقوله :

أنت تحيا والذي يكـــره أن تحيا يموتُ
أنت صنوُ النفسِ بل أنـــت لروح النفس قوت
أنت للحكمـــة بيـــتٌ لا خلتْ منكَ البيوت

فمن أخباره أنه قال ، أخبرني أبو الفضل الرياشي قال ، سمعت الأصمعي يقول : كان سخط هارون الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله ابن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، في سنة ثمان وثمانين ومائة ،

---

١ انظر ج ٣ : ٤٧٠

٢ في المختار هنا : المرزع ، بتقديم الراء المهملة .

ولقد كنت عند الرشيد وقد أتي بعبد الملك يَرْفُل في قيوده ، فلما نظر الرشيد إليه قال له : هيه يا عبد الملك ، كأني والله أنظر إلى شؤبوبها قد همع ، وإلى عارضها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ، ورؤوس بلا غلاصم ، مهلاً مهلاً بني هاشم، فبي والله سهل لكم الوَعـَر وصفا لكم الكَدَر ، وألقت إليكم الأمور أثناء أزِمّتِها ، فخذوا حذاركم مني قبل حلول داهية خَبُوطٍ باليد والرجل ، فقال له عبد الملك : أفذاً أتكلم أم تَوأما ، فقال : بل توأما ، فقال : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ، وراقبه في رعاياك التي استرعاك ، فقد سهلت والله لك الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب[1] :

ومقامٍ ضَيّق فرجته بلسانٍ وبيانٍ وجَدَلْ
لو يقومُ الفيلُ أو فَيّالُه زلّ عن مثل مقامي وزَحل

قال : فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك بلغني أنك حقود ، فقال له : أصلح الله الوزير ، إن يكن الحقد هو بقاء الخير والشر عندي فانهما لباقيان في قلبي .

قال الأصمعي : فالتفت الرشيد إلي وقال : يا أصمعي حررها ، فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ، ثم أمر به فرد إلى محبسه .

قال الأصمعي : ثم التفت الرشيد إلي وقال : يا أصمعي والله لقد نظرت إلى موضع السيف من عنقه مراراً ، ويمنعني من ذلك إبقائي على قومي في مثله .

قلت : وعبد الله بن صالح قد ذكرته في ترجمة أبي عبادة الوليد البحتري الشاعر المشهور ونبهت على تاريخ وفاته[2] .

وروى يموت بن المزرّع[3] أيضاً أن أحمد بن محمد بن عُبَيد الله أبا الحسن

---

1 هو لبيد بن ربيعة ، انظر ديوانه : ١٩٣ - ١٩٤ .
2 انظر ج ٦ : ٣٠ 3 المختار : المرزع .

الكاتب المعروف بابن المدبّر الضبي الرستيساني ، كان إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع ولا تفارقه حتّى يصلي مائة ركعة ثم أطلقه ، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين[1] ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل ، فاستأذنه في النشيد فقال له : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، ثم أنشده[2] :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تُنْتَجَعُ الولاةُ
وقلنا أكرم الثقلين طرا ومَنْ كفّاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن جوائزه عليهن الصّلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي عيالي ، إنما الشأن الزكاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصّلاةُ هي الصلات

فضحك ابن المدبر واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ فقال : من قول أبي تمام الطائي :

هن الحَمام فإن كسرتَ عيافةً من حائهن فإنهن حِمَامُ

فاستحسن ذلك وأحسن صلته .

(373) وكان أحمد بن المدبر[3] يتولى الخراج بمصر، فحبسه أحمد بن طولون في سنة خمس وستين ومائتين ، ومات في حبسه في صفر سنة سبعين ومائتين ، وقيل بل قتله ابن طولون ، والله أعلم ، والمدّبر : بكسر الباء الموحدة المشدة .

وحدث ابن المزرع أيضاً عن خاله أبي عثمان الجاحظ أنه قال : طلب المعتصم جاريةً كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور المعروف بالوراق ، وكانت تسمى نَشْوَى وكان شديد الغرام بها ، وبذل في ثمنها سبعة آلاف

---

١ المختار : المجيدون .
٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٠٦ - ٣٠٧ وللجمل أيضاً ترجمة في المغرب (قسم مصر) ١ : ٢٧٠ وهذا هو الجمل الأكبر ، وهناك الأصغر ، وللجمل الأكبر أشعار في كتاب الكندي ومعجم الأدباء ١٠ : ١٢١ ؛ ووردت الحكاية في ٢ : ١٩ من زيادات در.
٣ أخباره في الخطط ١ : ٣١٤ والمغرب (قسم مصر) : ١٢٣ وصفحات أخرى .

دينار ، فامتنع محمود من بيعها لأنه كان يهواها أيضاً ، فلما مات محمود اشتريت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار ، فلما دخلت عليه قال لها : كيف رأيت ؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة ، قالت : أجل ، إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته[1] المواريث ، فإن سبعين ديناراً لكثيرة في ثمني فضلاً عن سبعمائة ، فخجل المعتصم من كلامها .

وقال ابن المزرع : حدثني من رأى قبراً بالشام عليه مكتوب : لا يغترن أحد بالدنيا فاني ابن مَن كان يطلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء ، وبحذائه قبر عليه مكتوب : كذب الماص بظر أمه ، لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام ، إنما هو ابن حدّاد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر ، قال : فما رأيت قبلها قبرين يتشاتمان ، والله أعلم .

ولابن المزرع أخبار وحكايات ونوادر ، ولسنا نقصد الإطالة بل الإيجاز حسب الإمكان إلا أن ينتشر الكلام .

(374) وكان له ولد ، يدعى أبا نَضلة مهلهل بن يموت بن المزرع[2] ، وكان شاعراً مجيداً ، ذكره المسعودي في كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » فقال في حقه[3] : هو من شعراء هذا الزمان ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وفيه يقول أبوه مخاطباً له :

مهلهلُ قد حلبتُ شطورَ دهري	وكافحني بها الزمن العَنُوتُ
وحاربتُ الرجال بكلّ رِيْعٍ	فأذعنَ لي الحُتالة والرتوت
فأوجعُ ما أُجنّ عليه قلبي	كريمٌ غتّه زمن غتُوت
كفى حزناً بضيعةِ ذي قديمٍ	وأبناء العبيد لها البخوت

---

١ المختار : بشهواته .

٢ ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٣ وله شعر في الديارات ، وانظر مقدمة رسالته في سرقات أبي نواس (القاهرة — دار الفكر العربي) .

٣ مروج الذهب ٤ : ١٩٧ .

وقد أسهرتُ عيني بعد غُمْضٍ | مخافةَ أن تضيعَ إذا فنيت
وفي لطف المهيمن لي عزاء | بمثلك إن فنيتُ وإن بقيت
فَجُبْ في الأرض وابغ بها علوماً | ولا تقطعْكَ جائحة سَبوتُ
وإن بخل العليمُ عليك يوماً | فَذِلّ له ودَيْدَنك السكوت
وقلْ بالعلم كان أبي جواداً | يقال ومن أبوك فقل يموت
يقرّ لكَ الأباعدُ والأداني | بعلمٍ ليس يجحده البَهُوتُ

وكان يموت قد قدم مصر مراراً ، وآخر قدومه إليها في سنة ثلاث وثلثمائة ، وخرج في سنة أربع وثلثمائة . قال أبو سعيد ابن يونس الصدفي المصري في تاريخه المختص بالغرباء : مات يموت بن المزرع سنة أربع وثلثمائة بدمشق ؛ وقال أبو سليمان بن زَبْر في تاريخه : إنه مات في سنة ثلاث وثلثمائة بطبرية الشام ، والله أعلم .

وأما ولده مهلهل فإن الخطيب ذكره في «تاريخ بغداد» وقال : هو شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره ، وسكن بغداد وسُمع منه ، وكتب عنه شعره أبو بعضة[1] إبراهيم بن محمد المعروف بتُوزُون . ثم قال الخطيب : أخبرني التنوخي قال ، قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الأخباري : حضرت في سنة ست وعشرين وثلثمائة مجلس تحفة القوّالة جارية أبي عبد الله ابن عمر البازيار ، وإلى جانبي عن يسرتي أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع[2] ، وعن يميني أبو القاسم بن أبي الحسن البغدادي ، فغنت تحفة من وراء الستارة بهذه الأبيات :

بيَ شُغْلٌ به عن الشُّغْلِ عنه | بهواه وإن تشاغلَ عنّي
ظن لي جفوةً فأعرضَ عني | وبدا منه ما تخوف مني
سره أن أكونَ فيه حزيناً | فسروري إذا تضاعف حزني

فقال لي أبو نضلة : هذا الشعر لي ، فسمعه أبو القاسم ، وكان ينحرف

---

١ س : أبو بعضه .
٢ وضع في المسودة كسرة تحت الشدة على الراء في هذا الموضع .

عن أبي نضلة فقال : قل له : إن كان هذا الشعر له يزيد فيه بيتاً ، فقلت له ذلك على وجه جميل فقال :

هو في الحسن فتنةٌ قـد أصارتْ فتنتي في هـواه من كلّ فن

ومن المنسوب إلى مهلهل أيضاً :

جلّتْ محاسنه عـن كلّ تشبيـهِ وجل عن واصفٍ في الناس يحكيه
انظر إلى حسنه واستغنِ عـن صفتي سبحانَ خالقه ، سبحان باريه
النرجسُ الغضّ والوردُ الجنيّ له والأقحوانُ النضيرُ النضرُ في فيه
دعـا بألحاظـه قلبي إلى عَطَـبي فجاءه مسرعـاً طوعاً يُلبيه
مثل الفراشة تأتي إذ تـرى لهبـا إلى السراج فتُلْقي نفسَها فيه

وذكر له الخطيب شعراً غير هذا فأضربت عن ذكره .

والمزرّع : بضم الميم وفتح الزاي وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة ، هكذا قاله[1] لي الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ، رحمه الله تعالى .

(375) وأما حكيم بن جبلة المذكور في عمود هذا النسب فإنه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ، ويقال أيضاً بضم الحاء وفتح الكاف ، ويقال جَبَلة وَجَبَل ، وكان من أعوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما بويع علي بالخلافة بايعه طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما ، فعزم علي رضي الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن ، فخرجت مولاة لعلي فسمعتهما يقولان : ما بايعناه إلا بألسنتنا وما بايعناه بقلوبنا ، فأخبرت مولاها بذلك ، فقال : أبعدهما الله تعالى ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وبعث إلى البصرة عثمان بن حُنَيْف الأنصاري ، وإلى اليمن

---

١ ع ر : قال .

عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فاستعمل ابن حُنَيْفٍ حكيمَ بن جبلة المذكور على شرطة البصرة .

ثم إن طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عائشة رضي الله تعالى عنها ، فاتفقوا وقصدوا البصرة ، وفيها ابن حنيف المذكور ، فأتى حكيم بن جبلة إلى ابن حنيف ، وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة ، فأبى وقال : ما أدري ما رأي أمير المؤمنين في ذلك ، فدخلوها وتلقاهم الناس ، فوقفوا في مربد البصرة وتكلموا في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وبيعة علي رضي الله تعالى عنه ، فرد عليهم رجل من عبد القيس ، فنالوا منه ونتفوا لحيته ، وترامى الناس بالحجارة واضطربوا ، فجاء حكيم بن جبلة إلى ابن حنيف ودعاه إلى قتالهم فأبى . ثم أتى عبد الله بن الزبير إلى مدينة الرزق ليرزق أصحابه من الطعام الذي فيها ، وغدا حكيم بن جبلة في سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من أصحابه .

وروي أن ابن جبلة قال لامرأته وكانت من الأزد : لأعملنّ بقومك اليوم عملاً يكونون به حديثاً للناس ، فقالت له : أظن قومي سيضربونك اليوم ضربة تكون حديثاً للناس، فلقيه رجل يقال له سُحَيم فضرب عنقه ، فبقي معلقاً بجلدةٍ ، فاستدار رأسه ، فبقي مقبلاً بوجهه على دبره ، وكان ذلك قبل وصول علي رضي الله عنه بجيوشه إليهم ، ثم قدم عليهم وتقابل الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، ثم كانت الوقعة العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور، وكان أول قدومهم، وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بأيام في هذا الشهر أيضاً ، وقتل بين الفريقين مقدار عشرة آلاف ، وقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما في ذلك اليوم ، لكنه بغير قتال ، ولولا خوف الإطالة لشرحته .

وقال المأموني في تاريخه : وقيل إن أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس ، وفيه كان القتال ، وذلك أن نسراً مر بما

حول المدينة ومعه شيء معلق، فتأمله الناس فوقع فإذا كف فيها خاتم نقشه: عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد . ثم إن كل مَنْ بين مكة والمدينة ممن قرب من البصرة أو بعد علموا بالوقعة مما نقلت النسور إليهم من الأيدي والأقدام . قلت : وذكر كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد »[1] أن العقاب ألقت كف عبد الرحمن بمكة ، وكذلك ذكره في كتاب « المهذب » في الفقه في باب الصلاة على الميت ، وذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان في كتابيهما أن العُقَاب ألقتها باليمامة ، والله أعلم بالصواب .

٨٣٥
أبو يعقوب البويطي

أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي ، صاحب الشافعي رضي الله عنه ؛ كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة ، اختص به في حياته ، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته ، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي – المقدم ذكره[2]– ومن الإمام الشافعي ، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي[3] وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم . وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن

١ المصايد والمطارد : ٩٨ .

٨٣٥– ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٩ والفهرست : ٢٩٨ وتهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٧٥ وعبر الذهبي ١ : ٤١١ والشذرات ٢ : ٧١ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٣ وطبقات العبادي : ٧ والاسنوي ١ : ٢٠ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣١ والحسيني: ٤ ومعجم البلدان (بويط) وابن قاضي شهبة : ٤٥ .

٢ ج ٣ : ٣٦ .

٣ هو محمد بن اسماعيل الترمذي المحدث الحافظ الثقة (انظر تذكرة الحفاظ : ٦٠٤) .

الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك ، فحبس ببغداد ، ولم يزل في السجن والقيد حتى مات . وكان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً .

قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطي على بغل ، في عنقه غل وفي رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول : إنما خلق الله سبحانه الخلقَ بِكُنْ ، فاذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً ، فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ، ولئن أدخلت عليه لأصدقنه – يعني الواثق .

وقال أبو عمر ابن عبد البر الحافظ في كتاب « الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء[1] » : إن ابن أبي الليث الحنفيّ قاضي مصر كان يحسده ويعاديه ، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر إلى بغداد ، ولم يُخرج من أصحاب الشافعي غيره ، وحمل إلى بغداد وحبس ، فلم يجب إلى ما دعي إليه في القرآن ، وقال : هو كلام الله غير مخلوق ، وحبس ومات في السجن .

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « طبقات الفقهاء »[2] : كان أبو يعقوب البُوَيْطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجان : أين تريد ؟ فيقول : أجيب داعيَ الله ، فيقول : ارجع عافاك الله ، فيقول أبو يعقوب : اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعوني .

وقال أبو الوليد ابن أبي الجارود[3] : كان البُوَيْطي جاري فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي .

وقال الربيع : كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى ، وما

---

١ الانتقاء : ١٠٩ .

٢ طبقات الفقهاء : ٩٨ .

٣ تاريخ بغداد : ٣٠٠ .

رأيت أحداً أنزعَ بحجةٍ من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي . وقال الربيع أيضاً : كان لأبيّ يعقوب منزلة من الشافعي ، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له : سل أبا يعقوب ، فإذا أجابه أخبره فيقول : هو كما قال . وقال أيضاً : ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البُوَيْطي ويقول : هذا لساني .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه[1] : لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البُوَيْطي في مجلس الشافعي ، فقال البويطي : أنا أحق به منك ، وقال ابن عبد الحكم : أنا أحق بمجلسه منك ، فجاء أبو بكر الحميدي ، وكان في تلك الأيام بمصر ، فقال ، قال الشافعي : ليس أحد أحقّ بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابي أعلم منه ، فقال له ابن عبد الحكم : كذبت ، فقال الحميدي : كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك، وغضب ابن عبد الحكم، فترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق ، وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه ، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه .

وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم[2] : رأيت أبي في المنام فقال لي : يا بني عليك بكتاب البُوَيْطي فليس في الكتب أقل خطأ منه .

وقال الربيع بن سليمان[3] : كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي ، فنظر إلينا فقال لي : أنت تموت في الحديث ، وقال للمزني : هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدّله ، وقال للبويطي : أنت تموت في الحديد ، قال الربيع : فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيته مقيداً إلى أنصاف ساقَيْه مغلولةً يداه إلى عنقه .

وقال الربيع أيضاً : كتب إليّ أبو يعقوب من السجن : إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي ، فاذا قرأتَ كتابي

---

١ تاريخ بغداد : ٣٠١ .

٢ متابع للنقل عن تاريخ بغداد ؛ وانظر ترجمة الأصم في تذكرة الحفاظ للذهبي : ٨٦٠ .

٣ ورد في ج ٢ : ٢٩١ .

هذا فأحسن خُلقك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيراً ، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت :

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تُكرِمَ النفسَ التي لا تُهينها

وأخباره كثيرة ؛ وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين، في القيد والسجن ببغداد ، وقيل إنه توفي سنة اثنتين وثلاثين ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى ؛ وقال ابن القرّاب في تاريخه : توفي يوم الثلاثاء في رجب ، والله أعلم .

والبويطي ، بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى بُوَيْط ، وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر .

ويوسف : فيه ستّ لغات ، ضمّ السين وفتحها وكسرها مع الواو وضم السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض الواو ، فالمجموع ست لغات ، والياء أوله مضمومة في اللغات الست ، وسيأتي نظيره في يونس .

٨٣٦
ابو القاسم ابن كجّ القاضي

أبو القاسم يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الكجي الدينوري ؛ كان أحد أئمة الشافعية ، صحب أبا الحسين ابن القطان ، وحضر مجلس أبي القاسم عبد العزيز الداركي ، وجمع بين رياسة العلم والدنيا ، وارتحل الناس إليه من الآفاق للاشتغال عليه بالدينَوَر رغبة في علمه وجَودة نظره ، وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وصنف كتباً كثيرة انتفع بها الفقهاء .

قال أبو سعد ابن السمعاني : لما انصرف أبو علي الحسين بن شعيب السنجي من عند الشيخ أبي حامد الإسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله ، فقال له : يا أستاذ ، الاسم لأبي حامد والعلم لك ، فقال : ذاك رفعته بغداد وحطتني الدينور.

وتولى القضاء ببلده ، وكانت له نعمة كثيرة . وقتله العَيّارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وكج : بكاف مفتوحة وجيم مشددة . وقد تقدم الكلام على الدينور فأغنى عن الإعادة ، والكَجّي : نسبة إلى جده المذكور .

٨٣٦- ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٩ ومرآة الجنان ٣ : ١٢ وعبر الذهبي ٣ : ٩٢ والشذرات ٣ : ١٧٧ وطبقات الشيرازي : ١١٨ - ١١٩ والانساب واللباب (الكجي) وطبقات العبادي : ١٠٧ والبداية والنهاية ١١ : ٣٥٥ والاسنوي ٢ : ٣٤٠ والحسيني : ٤٢. وابن قاضي شهبة : ٩٠

٨٣٧
ابن عبد البرّ

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ؛ إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد نصر وأبي محمد ابن عبد المؤمن وأبي عمر الباجي وأبي عمر الطلمنكي وأبي الوليد ابن الفرضي وغيرهم . وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وأبو محمد ابن النحاس المصري وغيرهم .

قال القاضي أبو علي ابن سكرة[1] : سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي يقول : لم يكن بالأندلس مثلُ أبي عمر ابن عبد البر في الحديث ؛ وقال الباجي أيضاً : أبو عمر أحفظ أهل المغرب .

وقال أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد الغساني الأندلسي الجياني — المقدم ذكره[2] — : ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة ، بها طلب الفقه ولزم أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الإشبيلي وكتب بين يديه ، ولزم أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث ، ودأب في

٨٣٧— ترجمته في الصلة : ٦٤٠ وبغية الملتمس رقم : ١٤٤٢ والجذوة : ٣٤٤ والمغرب ٢ : ٤٠٧ والمطمح : ٦١ والديباج المذهب ٣٥٧ وترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨ وتذكرة الحفاظ : ١١٢٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٥٥ والشذرات ٣ : ٣١٤ .

١ هو أبو علي الحسين بن محمد الصدفي ، انظر ترجمته في النفح ٢ : ٩٠ وفي الحاشية ذكر لمراجع أخرى .

٢ ج ٢ : ١٨٠ .

طلب العلم وافتنّ فيه ، وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس . وألف في « الموطأ » كتباً مفيدة ، منها كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله ، وهو سبعون جزءاً ؛ قال أبو محمد ابن حزم : لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه ؟ ثم صنع كتاب « الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار » شرح فيه الموطأ على وجهه ونسّق أبوابه . وجمع في أسماء الصحابة رضي الله عنهم كتاباً جليلاً مفيداً سماه « الاستيعاب » وله كتاب « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » وكتاب « الدرر في اختصار المغازي والسير »[1] وكتاب « العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم » وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم[2] ، وغير ذلك من تواليفه . وكان موفقاً في التأليف معاناً عليه ، ونفع الله به . وكان ، مع تقدمه في علم الأثر وبَصره بالفقه ومعاني الحديث ، له بسطة كبيرة في علم النسب .

وفارق قرطبة وجال في غرب الأندلس مُدّةً ، ثم تحول إلى شرق الأندلس وسكن دانيَةَ من بلادها ، وبَلَنْسية وشاطبة ، في أوقات مختلفة . وتولى قضاء الأشبونة وشنترين في أيام ملكها المظفر بن الأفطس ؛ وصنف كتاب « بهجة المجالس وأنس المجالس »[3] في ثلاثة أسفار ، جمع فيه أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة :

من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عِذْقاً مُدَلّى فأعجبه وقال : لمن هذا ؟ فقيل : لأبي جهل ، فشقّ ذلك عليه وقال : ما لأبي جهل والجنة ؟ والله لا يدخلها أبداً ، فإنها لا تدخلها

---

١ طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور شوقي ضيف (القاهرة : ١٩٦٦) .

٢ مطبوع باسم « القصد والأمم في التعريف باصول أنساب العرب والعجم » ومعه كتيب آخر هو « الانباه على قبائل الرواة » (القاهرة : ١٣٥٠) .

٣ صدر من هذا الكتاب جزء واحد بتحقيق الأستاذ محمد مرسي الخولي (القاهرة ١٩٦٢) .

إلا نفس مؤمنة ، فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به وقام إليه ، وتأول ذلك العذْقَ عكرمة ابنه .

ومنه أيضاً أنه قيل لجعفر بن محمد ، يعني الصادق : كم تتأخر الرؤيا ؟ قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم كأن كلباً أبقع يلغ في دمه ، فكان شمر ابن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وكان أبرص ، فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة .

ومن ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ، رأيت كأني أنا وأنت نرقى درجةً ، فسبقتك بمرقاتين ونصف ، فقال : يا رسول الله ، يقبضك الله تعالى إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعدك سنتين ونصفا .

ومن ذلك أن بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ، ومع كل واحد منهما فريق من النجوم ، قال : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر ، قال : مع الآية الممحُوّة ، لا عملتَ لي عملاً أبداً ، فعزله ، وقُتل مع معاوية بن أبي سفيان بصفين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجْري ، فقال لها أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إن صدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض ، فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها قال لها أبو بكر : هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها .

ومنه أيضاً أن أعرابياً — وقيل هو الحطيئة الشاعر — أراد سفراً ، فقال لامرأته :

عُدّي السنين لغيبتي وتَصَبّــري ... وذري الشهورَ فإنهن قصــارُ

فأجابته :

اذكر صبابتنا إليــكَ وشــوقنــا ... وارحمْ بناتِكَ إنهــنّ صغار

فأقام وترك سفره .

وقال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حيّان : مَنْ أفقه الشعراء ؟ فقلت : اختلف في ذلك ، فقال : أفقه الشعراء وضاح اليمن حيث يقول :

إذا قلتُ هاتي نوليني تبسمتْ وقالت : معاذَ اللهمن فعل ماحرمْ
فما نولت حتى تضرعتُ عندها وأعلمتها ما أرخصَ اللهفي اللّمم

ومنه أيضاً : قيل لأسلم بن زرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس[1] غضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد ، فقال : لأن يغضب علي وأنا حي خير من أن يرضى عني وأنا ميت .

ومنه أيضاً : سبّ أعرابيّ أعرابياً فسكت ، فقيل له لم سكت عنه ؟ فقال : ليس لي علم بمَسَاويه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ثالبني عمرو وثالبته قد أثِم المثلوبُ والثالبُ
قلتُ له خيراً وقال الخنا كلٌّ على صاحبه كاذب

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير أوشك أن يقول فيك ما لا يعلم من الشر .

ومنه أيضاً : ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : كان والله أفضل من أن يَخْدع ، وأعقلَ من أن يُخدَع .

ومنه أيضاً : روي أنه لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام فقال : يا آدم إن الله عز وجل قد أحضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة وتتخلى عن ثنتين ، قال : وما هن ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، قال آدم : إني قد اخترت العقل ، فقال جبريل للحياء والدين : ارتفعا فقد اختار العقل ، قالا : لا ، لا نرتفع ، قال : ولم ؟ أعصيتما؟ قالا : لا ولكن أمرنا أن لا نفارق العقل حيث كان .

---

[1] يعني مرداس بن أدية شيخ الخوارج .

وقال عبد الملك بن عبد الحميدمن أبيات [1] :

المــاءُ في دار عثمـــان لـــه ثمنٌ ... والخبزُ فيها له شأن من الشانِ
عثمانُ يعلـم أن الحمدَ ذو ثمـن ... لكنه يشتهي حمداً بمجّانِ
والناسُ أكيس من أن يحمدوا أحداً ... حتّى يروا عنده آثار إحسان

ومن كتاب « بهجة المجالس » أيضاً قال الرياشي : خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان ، فرآه رجلٌ واحد منهم ، ولم يزل يومىء إليه حتّى رآه معه غيره وعاينوه . فلما كان هلال الفطر جاز الجماز صاحب النوادر إلى ذلك الرجل ، فدقّ عليه الباب فقال : قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(376) قلت : وهذا الجماز هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وهو ابن أُخت سَلْم الخاسر ؛ قال السمعاني في حقه : كان خبيث اللسان حسن النادرة ، وكان أكبر من أبي نواس ، وقيل في نسبه غير ذلك ، والجماز لقبه ، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الألف زاي . فمن نوادره أنه قال : أصبحت في يوم مطير ، فقالت لي امرأتي : أي شيء يطيب في هذا اليوم ؟ فقلت لها : الطلاق ، فسكتت عني . ودخل عليه يوماً بعضُ إخوانه وقد طبخ وغرَفَ الطعام ، فقال الداخل : سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق ! فقال الجماز : الحرمان والله أعجب منه ، امرأته طالق إن ذقتَه . وقال له السَّرَوي الشاعر : ولدت امرأتي البارحة ولداً كأنه دينار منقوش ، فقال له الجماز : لاعِنْ أمه . وللجماز شعر أيضاً ذكره في كتاب « الورقة » ، فمن ذلك ما كتبه إلى صاحب له ، وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه :

هجرتَ المسجدَ الجامـــعَ والهجرُ له ريبـه

[1] ورد منها في النفح (٣ : ٥٨٠) بيتان نسبهما إلى الأمير القاسم الأموي يقولهما في أخيه عثمان ، وكذلك قال ابن حيان في المقتبس : ٢٠١ (تحقيق مكي) وقال ابن الايار : وهو غلط لا خفاء به وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدهما ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس .

فــلا نافلَــةً تــأتي ولا تشهدُ مكتوبه
وأخبارك تأتينا على الأعلام منصوبه
فان زدت مــن الغَيْبَــــــةِ زدناك من الغيبه

ومنه أيضاً : قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوساً ، واللئام أصبر أجساماً .

قلت : هذا كله نقلته من « بهجة المجالس » وفيه كفاية فلا حاجة إلى الإطالة .

وتوفي الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، بمدينة شاطبة من شرق الأندلس . وقال صاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوّز المعافري ، وهو الذي صلى عليه : سمعت أبا عمر ابن عبد البر يقول : ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى ؛ وقد تقدم في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أنه كان حافظ الشرق ، وابن عبد البرّ حافظ الغرب ، وماتا في سنة واحدة ، وهما إمامان في هذا الفن .

والنمري : بفتح النون والميم وبعدها راء ، هذه النسبة إلى النمر بن قاسط ، بفتح النون وكسر الميم ، وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة . وقد تقدم الكلام على القرطبي وشاطبة ، فأغنى عن الإعادة .

وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة ومولده سنة ثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

(377) وكان ولده أبو محمد عبد الله بن يوسف [1] من أهل الأدب البارع

[1] ترجمة أبي محمد ابن عبد البر الكاتب في الذخيرة (القسم الثالث : ٣٩) .

والبلاغة ، وله رسائل وشعر ، فمن شعره قوله :

لا تـكـثـرنّ تـأمـلا   واحبس عليك عنان طَرْفِكْ
فلـربمـا أرسلتـه   فرماك في ميدان حتفـك

قيل إنه مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

٨٣٨

ابو محمد يوسف بن الحسن السيرافي

أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ، النحوي اللغوي الأخباري ، الفاضل ابن الفاضل ، قد تقدم ذكر أبيه الحسن في حرف الحاء[1] ؛ كان أبو محمد المذكور عالماً بالنحو ، وتصدر في مجلس أبيه بعد موته في التاريخ المذكور في ترجمته وخلفه على ما كان عليه ، وقد كان يفيد الطلبة في حياة أبيه ، وأكمل كتاب أبيه الذي سماه « الإقناع » وهو كتاب جليل نافع في بابه ، فإن أباه كان قد شرح كتاب سيبويه — كما تقدم في ترجمته — وظهر له بالاطلاع والبحث في حال التصنيف ما لم يظهر لغيره ممن يعاني هذا الشأن ، وصنف بعد ذلك « الإقناع » فكأنه ثمرة استفادته حال البحث والتصنيف ، ومات قبل إتمامه فكمله ولده يوسف المذكور[2] ، وإذا تأمله المنصف لم يجد بين اللفظين والقصدين تفاوتاً كثيراً . ثم صنف يوسف المذكور عدة كتب في شرح أبيات استشهادات كتب مشهورة ، مثل « شرح أبيات كتاب سيبويه » وهو الغاية في بابه وبسطه ، و « شرح

٨٣٨— ترجمته في الجواهر المضية ٢ : ٢٢٦ ومرآة الجنان ٢ : ٤٢٩ وبغية الوعاة : ٤٢١ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ .

١ انظر ج ٢ : ٧٨ .

٢ قال المعري : والبغداديون يحكون أن أبا سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمقنع أو الاقناع الى باب التصغير ، ثم توفي وأتمه بعده ولده أبو محمد (رسالة الغفران : ٤١٦) .

أبيات إصلاح المنطق » وأجاد فيه ، و « شرح أبيات المجاز لأبي عبيدة وأبيات معاني الزجاج » و « شرح أبيات غريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام ، إلى غير ذلك . وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة رواية ومرة دراية ، وقرىء عليه كتاب « البارع » للمفضل بن سلمة ، وهو كتاب كبير في عدة مجلدات هذب به كتاب « العين » في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد — المقدم ذكره[1] — وأضاف إليه من اللغة طرفاً صالحاً .

ونُقِلَ من ظهر نسخةٍ بكتاب « إصلاح المنطق »، قال أبو العلاء المعري: حدثني عبد السلام البصري خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً ، قال : كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، فمضى بيت حميد بن ثور[2] :

ومطويـةُ الأقرابِ ، أمـا نهارُها   فَسَبْتٌ ، وأما ليلُها فذميلُ

فقال أبو سعيد « ومطويةِ » أصلحه بالخفض ، ثم التفت إلينا فقال : هذه واو رُبّ ، فقلت : أطال الله بقاء القاضي ، إن قبله ما يدلّ على الرفع ، فقال : وما هو ؟ فقلت :

أتاك بيّ الله الذي أنـزل الهـدى   ونورٌ وإسلامٌ عليكَ دَليلُ

ومطويةُ الأقرابِ ...

فعاد وأصلحه ، وكان ابنه أبو محمد حاضراً فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته ووقته والغضبُ يستطيرُ في شمائله إلى دكانه ، وكان سماناً ، فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية ، فعمل « شرح إصلاح المنطق » . قال أبو العلاء : وحدثني مَنْ رآه وبين يديه أربعمائة ديوان ، وهو يعمل هذا الكتاب .

ولم يزل أمره على سداد واشتغال وإفادة إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث

---

١ انظر ج ٢ : ٢٤٤ .

٢ ديوان حميد : ١١٦ .

بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ، ودفن من الغد ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، ذكر ذلك هلال بن المحسن ابن الصابي الكاتب في تاريخه . وقال غيره : مولده في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وتوفي يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وكان ديناً صالحاً ورعاً متقشفاً ، وكان بينه وبين أبي طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي – المقدم ذكره[1] – مباحث ومناظرات منقولة بين الناس ، وليس هذا موضع ذكرها .

وقد تقدم الكلام في ترجمة أبيه على السيرافي فلا حاجة إلى إعادته ها هنا . وقال ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك »[2] : سيراف فُرْضَة عظيمة لفارس ، وهي مدينة جليلة ، وأبنيتها ساج متصل إلى جبل يطل على البحر ، وليس بها ماء ولا زرع ولا ضَرْع ، وهي من أغنى بلاد فارس ، بالقرب من جنابة ونجيرم ، والله أعلم . ومن سيراف ينتهي الإنسان على ساحل البحر إلى حصن ابن عمارة ، وهو حصن منيع على نحر البحر ، وليس بجميع فارس حصن أمنع منه . ويقال إن صاحبه هو الذي قال الله تعالى في حقه ﴿وكان وراءهم ملِكٌ يأخذ كلّ سفينة غصبا﴾ (الكهف : ٧٩) .

وقال غير ابن حوقل : كان اسم هذا الملك الجُلُنْدَى ، بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف ، وإليه أشار بعضهم يخاطب بعض الظلمة :

كان الجلندى ظالماً وأنت منه أظلمُ

وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

١ ج ١ : ١٠١ .
٢ صورة الأرض : ٢٤٨ وفي النقل اختلاف .

٨٣٩

يوسف النجيرمي

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خُرّزاذ النَّجيرمي ، اللغوي البصري نزيل مصر ؛ هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الأدباء ما منهم إلا من هو ماهر في اللغة كامل الأدوات متقن لها . روى أبو يعقوب المذكور عن أبي يحيى زكريا بن يحيى بن خلاّد الساجي وطبقته ، وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي وغيره .

وكان يوسف أمثل أهل بيته ، وله خط ليس بالجيد في الصورة ، وهو في غاية الصحة ، وكذلك خطوط جماعته قريبة منه ، ولأهل مصر رغبة وتنافس كثير في خطه ، حتى بلغت نسخة من « ديوان جرير » بخطه عشرة دنانير ، وأكثر ما تروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب في الديار المصرية من طريقه ، فإنه كان راوية لها عارفاً بها . وكان أهل بيته يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب .

وكان أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدي النحوي المصري[1] قد أخذ اللغة من أصحاب أبي يعقوب المذكور ، وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ عنه شيئاً لأنه رآه وهو صبي . قال الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال المصري كاتب الإنشاء — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — قال لي ابن بركات :

٨٣٩— ترجمته في بغية الوعاة : ٤٢٥ والأنساب واللباب (النجيرمي) ، وعبر الذهبي ٢ : ٣٥٨ والشذرات ٣ : ٧٥ (وفي المصدرين الأخيرين أدرج في وفيات ٣٧٠ وهو بعيد عما أثبته المؤلف) .

١ انباه الرواة ٣ : ٧٨ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١٥٦ ومعجم الأدباء ١٨ : ٣٩ والوافي ٢ : ٢٤٧ والمحمدون : ١٦٧ .

رأيت أبا يعقوب وهو ماش في طريق القرافة ، وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه في مشيته . وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر ، فان الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكره في كتاب « الوفيات » الذي جمعه فقال : توفي أبو يعقوب بن خرزاذ النجيرمي يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . وقال غيره : ولد أبو يعقوب يوسف النجيرمي يوم عرفة من سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وابن بركات المذكور[1] ولد بمصر في سنة عشرين وأربعمائة وتوفي بها في سنة عشرين وخمسمائة وكان نحوي مصر ، هكذا قاله الموفق ابن الخلال المذكور ، فكيف يمكن أن يرى أبا يعقوب ، وقد كان ابن بركات في تاريخ وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره[2] ، لكن لعله رأى ولده ، والله أعلم .

وقال القاضي الفاضل : ليس في شعر ابن بركات المذكور أحسن من هذين البيتين ، وعملهما في مسافر العطار :

يا عنقَ الإبريق من فضةٍ ويا قوامَ الغُصُنِ الرّطْبِ
هَبْكَ تجافيتَ فأقصيتني تقدرُ أن تخرجَ من قلبي ؟

وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي – المقدم ذكره في حرف الطاء[3] – وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب « الجنان » وأثنى عليه .

وخرّزاذ : بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الألف ذال معجمة . قلت : هكذا يضبط أهل الحديث هذا الاسم ، وهو لفظ أعجمي ، وتفسير زاذ بالعربي ابن ، وأما خُرّ بتشديد الراء فليس له معنى ،

١ انظر الانباه ٣ : ٧٩ .
٢ قال القفطي نقلا عن ابن الخلال : وأدرك ابن خرزاذ ورآه وهو صبي فلم يهتد للأخذ عنه لصبوته .
٣ ج ٢ : ٥١٥ .

إلا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك ، فيكون أصله خار بالألف وهو الشوك فيكون خارزاذ معناه ابن الشوك ، وَخُرَشَيْذ أيضاً الشمس ، فان كانوا أرادوا هذا وحذفوا « شيذ » فيحتمل ، وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالأسماء العجمية ، والله أعلم بالصواب .

ثم وجدت في كتاب « البلدان » [1] تأليف البلاذري في الفصل المتضمن حديث بلاد فارس وأعمالها أرض أردشير خره ثم قال : ومعنى أردشير خره ولد أردشير بها . قلت : وأردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خُرّزاذ: بها ولد، كما هو عادتهم في التقديم والتأخير ، وتقدير الكلام ولد بها أي بالناحية أو غير ذلك ، والله أعلم .

والنجيرمي : بفتح النون وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفي آخرها ميم ، هذه النسبة إلى نجيرم ، ويقال نجارم ، قال أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » هي محلة بالبصرة ؛ وقال غيره : هي قرية في برّ البصرة في طريق فارس عند سيراف ، والله أعلم بالصواب . وكذا هي في كتب « المسالك والممالك » وهي على بحر فارس ، وظاهر الحال أن جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذا المحلة ، فسميت باسم بلدهم ، والله أعلم .

---

[1] فتوح البلدان : ٤٧٦ وفي المطبوعة : ومعنى اردشير خره بهاء أردشير .

٨٤٠

يوسف بن وهرة الهمذاني

يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وَهَرَة ، أبو يعقوب الهمذاني الفقيه العالم الزاهد الجليل[1] الرباني صاحب المقامات والكرامات ؛ قدم بغداد في صباه بعد الستين وأربعمائة ، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ــ المقدم ذكره[2] ــ وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب والخلاف ، وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين محمد بن علي ابن المهتدي بالله وأبي الغنائم عبد الصمد بن علي بن المأمون ، وأبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة وطبقتهم ، وسمع بأصبهان وسمرقند ، وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك ورفضه ، واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علماً من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله تعالى .

وقدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها ، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيماً من الناس ، قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح : حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمذاني في النظامية ، وكان قد اجتمع العالم فقام فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسألة ، فقال له الإمام يوسف : اجلس فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير دين الإسلام ؛ قال أبو الفضل :

---

٨٤٠ ــ ترجمته في المنتظم ١٠ : ٩٤ ومرآة الزمان : ١٨٠ ومرآة الجنان ٣ : ٢٦٤ وعبر الذهبي ٤ : ٩٧ والشذرات ٣ : ١١٠ وطبقات الشعراني ١ : ١٥٩ والأنساب واللباب (البوزنجردي) والبدر السافر ، الورقة : ٢٣٩ والاسنوي ٢ : ٥٣١ .

١ الجليل : سقطت من : س ق ع ر .

٢ ج ١ : ٢٩ .

فاتفق أنه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة ، فمضى إليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له : يقع لي أن أترك دين الإسلام وأدخل في دينكم ، فقبله النصراني ، وخرج معه إلى القسطنطينية والتحق بملك الروم ، وتنصر ومات على النصرانية .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي في « تاريخ بغداد » في ترجمة يوسف الهمذاني المذكور : سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرىء يقول : كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم مجوداً في تلاوته ، حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقىً على دكة مريضاً ، وبيده خَلَقٌ مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه ، قال فسألته : هل القرآن باق على حفظك ؟ فقال : ما أذكر منه إلا آية واحدة ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ (الحجر : ٢) والباقي أنسيته ، نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نقمته ، ونسأله الثبات على دين الإسلام ، آمين آمين آمين .

قال أبو سعد ابن السمعاني [١] : يوسف بن أيوب الهمذاني من أهل بُوزَنَجِرْدَ ، قرية من قرى همذان مما يلي الريّ ، الإمام الورع التقي المتنسك العامل بعلمه والقائم بحقه ، صاحب الأحوال والمقامات الجليلة ، وإليه انتهت تربية المريدين الصادقين ، واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربُطِ مثلهم ، وكان من صغره إلى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة ، خرج من قريته إلى بغداد ، وقصد الإمام أبا إسحاق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه ببغداد حتى برع في الفقه وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر ، وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه مع صغر سنه ، لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه . ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه ، واشتغل بما هو الأهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق إليها وإرشاد الأصحاب

١ بينه وبين ما ورد في الأنساب بعض اختلاف .

إلى الطريق المستقيم ، نزل مرو وسكنها ، وخرج إلى هراة وأقام بها مدة ، ثم سئل الرجوع إلى مرو في آخر عمره فأجاب ورجع إليها ، وخرج إلى هراة ثانياً ، وعزم على الرجوع إلى مرو في آخر عمره وخرج منها متوجهاً إلى مرو ، فأدركته منيته ببامَيين بين هراة وبَغْشور في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ، ثم نقل بعد ذلك إلى مرو ؛ وكان مولده تقديراً لا تحقيقاً في سنة أربعين أو إحدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجرد ، رحمه الله تعالى .

قلت : هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضباً ، وفيه ألفاظ تحتاج إلى إيضاح .

أما وَهـرَة: فهو بفتح الواو والهاء والراء وفي آخره هاء ثانية ، وهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربي .

والقسطنطينية[1] : بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفي آخرها هاء ساكنة ، وهي أعظم مدائن الروم ، بناها قسطنطين ملك الروم ، وهو أول من تنصر من ملوك الروم ، فنسبت المدينة إليه .

وأما بوزَنَجرد : فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، وهي قرية من قرى همذان على مرحلة منها مما يلي ساوة ، كذا قال أبو سعد السمعاني في كتاب «الأنساب» [2]

وأما مَرْو فقد تقدم الكلام عليها .

وأما بامَيين : بالباء الموحدة وبعد الألف ميم مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون ، فهي بليدة بخراسان كما ذكرهـا .

---

١ ورد ضبطها ج ٢ : ٦٤

٢ انظر الأنساب ٢ : ٣٥٦ .

وهَرَاة قد تقدم الكلام عليها وأنها إحدى كراسيّ خراسان فإنها أربعة : نيسابور وهراة ومرو وبلخ .

وبغشور : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة وبعد الواو الساكنة راء ، وهي بليدة بخراسان أيضاً بين مرو وهَرَاة ، وقد تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوي أنه منسوب إليها .

٨٤١

الاعلم الشنتمري

أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي ، المعروف بالأعلم من أهل شَنْتَمريّة الغرب ؛ رحل إلى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها مدة ، وأخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الإفليلي وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب .

وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، حافظاً لجميعها ، كثير العناية بها حسن الضبط لها مشهوراً بمعرفتها وإتقانها ، أخذ الناس عنه كثيراً ، وكانت الرحلة في وقته إليه ؛ وقد أخذ عنه أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني الجياني — المقدم ذكره [1] — وغيره .

وكُفّ بصره في آخر عمره ؛ وشرح كتاب « الجمل » في النحو لأبي القاسم الزجاجي ، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد ، وساعد شيخه ابن الإفليلي المذكور على شرح ديوان المتنبي ، وغالب ظني أنه شرح « الحماسة » فقد

---

٨٤١ – ترجمته في الصلة : ٦٤٣ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ وبغية الوعاة ٤٢٢ وفهرست ابن خير ، ونكت الهميان : ٣١٣ ومرآة الجنان ٣ : ١٥٩ .

١ ج ٢ : ١٨٠ .

كان عندي« شرح الحماسة » للشنتمري في خمس مجلدات، وقد غاب عني الآن من كان مصنفه ، وأظنه هو ، والله أعلم ، وقد أجاد فيه .

وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية من جزيرة الأندلس، وكانت ولادته في سنة عشر وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكر أبو الحسن شُريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي خطيب جامعها ، قال : مات أبي أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوّال سنة ست وسبعين وأربعمائة ، فسرت إلى الشيخ الأستاذ أبي الحجاج الأعلم ، فأعلمته بوفاته فانهما كانا كالأخوين محبة ووداداً ، فلما أعلمته انتحب وبكى كثيراً واسترجع ثم قال : لا أعيش بعده إلا شهراً ، فكان كذلك .

ورأيت بخط الرجل الصالح العالم محمد بن خَيْر المقرىء الأندلسي ، رحمه الله تعالى ، أن أبا الحجاج المذكور إنما قيل له « الأعلم » لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً فاحشاً . قلت : ومَنْ كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم ، والفعل الماضي منه علم بكسر اللام يعلم بفتحها علماً بفتحها أيضاً ، والمرأة علْماء إذا كانت كذلك ، فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال له أفلح ، بالفاء والحاء المهملة ، والفعل منه كما تقدم في الأعلم يقال : فلِح بكسر اللام يفلح فلحاً بفتحها فيهما ، وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعاهات كلها أن تكون عين الفعل الماضي مكسورة وفي المضارع والمصدر مفتوحة تقول خرِس يخرَس خرساً ، وبرِص يبرَص برصاً ، وعمي يعمى عمى ، وكذلك جميعه ، واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس وأبرص وأعمى ، وكذلك أعلم وأفلح .

(378) وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري رضي الله عنه أعلمَ ، فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، قال صلى الله عليه وسلم : دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده، وكان سهيل من الخطباء الفصحاء

البلغاء ، وهو الذي جاء في صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه . والمقام الذي وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل هو أنه لما قبض صلى الله عليه وسلم كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف ، فقام سهيل خطيباً وسكّن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو المقام المحمود . وقول عمر رضي الله عنه: « دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً » فإنما قال ذلك لأنه إذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام إلا بمشقة وكلفة، فهذا الذي قصده عمر رضي الله عنه .

وكان عنترة بن شداد العبسي الفارس المشهور أفلح ، فكان يقال له الفلحاء لفلحة كانت به ، وإنما ذهبوا به إلى تأنيث الشفة ، والله أعلم .

وشنتمرية [1] : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، وهي مدينة بالأندلس في غربها .

والحديبية : بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفي آخرها هاء ساكنة ، وهو موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ، ويروى بتشديد الياء الأخيرة أيضاً .

---

[1] شنتمرية الغرب (Santa Maria de Algarve) تسمى اليوم فارو (Faro) وتقع في المنطقة الجنوبية من البرتغال .

٨٤٢

بهاءُ الدين عرف بابن شداد

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عُتبة بن محمد بن عتّاب الأسدي ، قاضي حلب ، المعروف بابن شداد ، الملقب بهاء الدين ، الفقيه الشافعي ؛ توفي أبوه وهو صغير السنّ ، فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم ، وكان شداد جده لأمه ، وكان يكنى أولاً أبا العزّ ، ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته .

ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وحفظ بها القرآن الكريم في صغره ، ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ــ المقدم ذكره ــ[1] إلى الموصل فلازمه وقرأ عليه بالطرق السبع ، وأتقن عليه فن القراءات . قال أبو المحاسن المذكور في بعض تواليفه : أول من أخذت عنه شيخي الحافظ صائن الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي ، رحمه الله تعالى ، فاني لازمت القراءة عليه إحدى عشرة سنة ، فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراءات ، وقراءة القرآن العظيم ، ورواية الحديث وشروحه ، والتفسير ، حتى كتب لي خطه ، شهد لي بأنه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت ، وعندي خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كراسين ، وفهرستُ ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه . ومما يشتمل عليه فهرستُ البخاري ومسلم من عدة طرق ، وغالب كتب

---

٨٤٢ – ترجمته في غاية النهاية ٢ : ٣٩٥ وذيل الروضتين : ١٦٣ وابن الوردي ٢ : ١٦٠ ومرآة الجنان ٤ : ٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٣٢ والشذرات ٥ : ١٥٨ والبدر السافر ، الورقة ٢٤١ والزركشي ٣ : ٣٧٧ وابن الشعار ١٠ : ٣٤٩ والاسنوي ٢ : ١١٥ والأنس الجليل ٢ : ٤٤٧ وطبقات السبكي ٥ : ١٥١ وابن قاضي شهبة : ١٧٩ .

[1] أنظر ج ٦ : ١٧١

الحديث ، وغالب كتب الأدب وغيره ، وآخر روايتي عنه « شرح الغريب » لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قرأته عليه في مجالس ، آخرها في العشر الأخير من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة – قلت : وهي السنة التي مات فيها الشيخ القرطبي ، حسبما ذكرته في ترجمته .

(379) ثم قال : ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي[1] ، سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي ، وأجازني أن أروي عنه جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات ، وكتب لي خطه بذلك في فهرست سماعي مؤرخاً بخامس جمادى الأولى سنة ست وستين وخمسمائة ، وكان مشهوراً بعلمي الحديث والفقه ، ولي قضاء البصرة ودرس بالأتابكية القديمة ، يعني بالموصل .

(380) ومنهم الشيخ مَجْدُ الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل ، وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من الآفاق ، وعاش نيفاً وتسعين سنة – قلت : وكانت ولادة أبي الفضل ابن الطوسي الخطيب المذكور في منتصف صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ببغداد بباب المراتب ، وتوفي ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بالموصل ، ودفن بمقبرة باب الميدان ، رحمه الله تعالى .

رجعنا إلى تتمة كلام أبي المحاسن ابن شداد :

وسمعت عليه – يعني على الخطيب المذكور – كثيراً من مسموعاته ، وأجاز لي جميع ما رواه في السادس والعشرين من رجب ، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

ومنهم القاضي فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشَّهرزُوري ، سمعت عليه مسند الشافعي رضي الله عنه ، ومسند أبي عوانة ، ومسند أبي يعلى الموصلي ، وسنن أبي داود ، وكتب لي خطه بذلك ، وهو في فهرستي ،

[1] ترجمة ابن الشيرجي في الاسنوي ٢ : ١١٠ والسبكي ٤ : ٢٣٤ .

وسمعت عليه «الجامع» لأبي عيسى الترمذي، وأجاز لي رواية ما رواه، وكتب لي خطه بذلك في شوال سنة سبع وستين وخمسمائة .

(381) ومنهم الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري الصنهاجي ، أجاز لي جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه ، وفي فهرستي خطه بذلك مؤرخاً بشهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وفهرسته عندي بذلك – قلت : توفي أبو محمد عبد الله الأشيري المذكور في شوال سنة إحدى وستين وخمسمائة بالشام ، ودفن ببعلبك رحمه الله تعالى ظاهر باب حمص شمالي البلد .

ومنهم الحافظ سراج الدين أبو بكر محمد بن علي الجياني[1] ، قرأت عليه « صحيح مسلم » من أوله إلى آخره بالموصل ، و « الوسيط » للواحدي ، وأجاز لي رواية ما يرويه في تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

فهذه أسماء من حضرفي خاطري ، وقد سمعت من جماعة لم يحضرني روايتهم عند جمع هذا الكتاب ، كَشُهْدة الكاتبة في بغداد وأبي المغيث في الحربية ، والشيخ رضي الدين القزويني المدرس بالنظامية وجماعة شذت عني طرقهم ، فلم أذكرهم ، إذ كان في هؤلاء غُنية ؛ هذا آخر ما ذكره عن نفسه .

وقال غيره : إنه قرأ الفقه على أبي البركات عبد الله ابن الشيرجي المذكور فقيه الموصل ، وكان عالماً زاهداً متقشفاً ، وتوفي في جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بظاهرها .

ثم اشتغل بالخلاف على الضياء ابن أبي حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري . ثم باحث في الخلاف متفنني أصحابه ، كالفخر النُوقاني والبرَوَي والعماد النوقاني والسيف الحواري والعماد الميانجي .

ثم انحدر إلى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها

---

1 ترجمة الجياني في التكملة : ٥٠٠ والنفح ٢ : ٥٨ .

معيداً بعد وصوله إليها بقليل ، وأقام معيداً نحو أربع سنين ، والمدرس بها يوم ذاك أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي . وكانت ولاية ابن الشاشي المذكور التدريس بالنظامية في شهر ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمسمائة ، وعزل عنها في سلخ شهر رجب سنة تسع وستين ، وتولاها بعده رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني في التاريخ المذكور ، وأبو المحاسن المذكور مستمر بها على الإعادة . وكان رفيقه في الإعادة السديد محمد السلماسي – وقد تقدم ذكره[1] – ثم أصعد إلى الموصل في سنة تسع وستين فترتب مدرساً في المدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري – المقدم ذكره[2] – ولازم الاشتغال ، وانتفع به جماعة .

وله كتاب في الأقضية سماه « ملجأ الحكام عند التباس الأحكام » ذكر في أوائله أنه حج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزار البيت المقدس والخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم. ثم دخل دمشق والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب ، فذكر أنه سمع بوصوله فاستدعاه إليه ، فظن أنه يسأله عن كيفية قتل الأمير شمس الدين ابن المقدم[3] ، فإنه كان أمير الحاج في تلك السنة من جهة صلاح الدين ، وقتل على جبل عرفات لأمر يطول شرحه ، وليس هذا موضع ذكره . فلما دخل عليه ذكر أنه قابله بالإكرام التام ، وما زاد على السؤال عن الطريق ، ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل ، وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه ، فأخرج له جزءاً جمع فيه أذكار البخاري ، وأنه قرأه عليه بنفسه ، فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الأصفهاني وقال له : السلطان

١ ج ٤ : ٢٣٧ .

٢ ج ٤ : ٢٤١ .

٣ هو محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ، اختلف مع طاش تكين أمير الحاج العراقي عام ٥٨٣ حول الافاضة من عرفات قبله ، فلم يستجب ابن المقدم له فهجم العراقيون على الحجاج الشاميين وفتكوا فيهم ، وجرح ابن المقدم وهو يكف الناس عن القتال (انظر ابن الأثير ١١ : ٥٥٩ – ٥٦١) .

يقول لك : إذا عدت من الزيارة وعزمت على العود تعرفنا بذلك فلنا إليك مُهِم ، فأجابه بالسمع والطاعة . فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه ، وجمع له في تلك المدة كتاباً يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين ، يحتوي على مقدار ثلاثين كراسة ، فخرج إليه واجتمع به على بُقيعة حصن الأكراد ، وقدم له الكتاب الذي جمعه ، وقال : إنه كان عزم على الانقطاع في مشهد بظاهر الموصل إذا وصل إليها .

ثم إنه اتصل بخدمة صلاح الدين في مستهل جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم ولاه قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف .

ولما كنتُ متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني في بعض شهور سنة ست وستين وستمائة إسجال قد ثبت مضمونه عند القاضي أبي المحاسن المذكور ، وهو يومئذ قاضي العسكر الصلاحي ، وقد انقطع ثبوته بموت شهوده ، فتعذر إثباته عندي لذلك ، وتأملته إلى آخره ، لأنني استغربته ، فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيراً وحصل الانتفاع بصحبته .

عدنا إلى بقية ما ذكره أبو المحاسن المذكور — فقال : إنه كان قد حضر إلى خدمة صلاح الدين في صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل والقاضي محيي الدين ابن الشهرزوري لما وصلا إليه في رسالة ، واتفق في تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقي المدرس — كان — بمصر في مدرسة منازل العز وخطيب مصر ، وأن صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل ، وأنه حضر عند السلطان دفعة ثانية في رسالة من الموصل وهو على حران ، وكان صلاح الدين مريضاً يومئذ .

وذكر أنه لما توفي صلاح الدين كان حاضراً ، وتوجه إلى حلب لجمع كلمة الإخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض . وأن الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب حلب كتب إلى أخيه الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين صاحب دمشق ، يطلبه منه ، فأجابه إلى ذلك . فأرسله الظاهر إلى مصر لاستحلاف أخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح

الدين ، وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على ذلك، فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضي بحلب قد مات ، فعرض عليه فأجاب ، هكذا ذكره في كتابه «ملجأ الحكّام» .

وذكر القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم في تاريخه الصغير الذي سماه «زبدة الحلب في تاريخ حلب» ما مثاله : وفي سنة إحدى وتسعين ، يعني وخمسمائة ، اتصل القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر ، وقدم إليه إلى حلب وولاه قضاءها ووقوفها ، وعزل عن قضائها زين الدين أبا البيان نبا ابن البانياسي ، نائب محيي الدين ابن الزكي ، وحل عنده بهاء الدين في رتبة الوزارة والمشاورة ؛ انتهى كلامه .

قلت : وهذا القاضي نبا هو ابن الفضل بن سليمان الحميري ، يعرف بيتهم بدمشق ببيت البانياسي ، وكان السلطان صلاح الدين قد ولى القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن الزكي الدمشقي – المقدم ذكره[1] – القضاء بحلب فاستناب فيها زين الدين نبا ابن البانياسي المذكور ، واستمر بها إلى التاريخ المذكور .

وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء إلا نفر يسير ، فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة . وكان الملك الظاهر قد قرر له إقطاعاً جيداً يحصل منه جملة مستكثرة ، ولم يكن له خَرْجٌ كثير ، فانه لم يولد له ولا كان له أقارب ، فتوفر له شيء كثير ، فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي ، رحمه الله تعالى ، الشافعية . ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على سقف مسجدها ، وهو الموضع المعد لإلقاء الدروس ، وذلك في سنة إحدى وستمائة . ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي، وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها، ولها بابان: باب إلى المدرسة

---

1 ج ٤ : ٢٢٩ .

وباب إلى دار الحديث ، وشباكان إلى الجهتين ، وهما متقابلان بحيث إن الذي يقف في أحد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر .

ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة ، وكثر الجمع بها .

وكان بين والدي ، رحمه الله تعالى ، وبين القاضي أبي المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة وصحبة صحيحة المودة من زمن الاشتغال بالموصل ، فجئت إليه ، وكان أخي قد سبقني بمدة قليلة ، وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ، رحمه الله تعالى — المقدم ذكره في حرف الكاف[1] — كتاباً بليغاً في حقنا يقول فيه: أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين ، وأنهما ولدا أخي وولدا أخيك ، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصية ، وأطال القول في ذلك ، فتفضل القاضي أبو المحاسن وتلقانا بالقبول والإكرام وأحسن حسب الإمكان وعمل ما يليق بمثله ، وأنزلنا في مدرسته ورتب لنا أعلى الوظائف ، وألحقنا بالكبار ، مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتغال — وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ دخولي إلى حلب فأغنى عن الإعادة[2] — ولم نزل عنده إلى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره ، ولم يكن بمدرسته في ذلك الزمان درس عام ، لأنه كان المدرس بنفسه ، وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس وإلقائها ، فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الإعادة ، والجماعة يشتغلون عليهم . وكنت أنا وأخي نقرأ على الشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني ، لأنه كان من بلدنا ، ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس — المقدم ذكره[3] — فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقد نيف على ثمانين سنة ، فترددت إلى الشيخ نجم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه

---

١ ج ٤ : ١١٣ .   ٢ انظر هذا الجزء : ٥٢

٣ ج ٤ : ٢٥٣ .

الإمام ، وهو إذ ذاك مدرس المدرسة السيفية ، فقرأت عليه من أول كتاب «الوجيز» للغزالي إلى الإقرار .

وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصدده بسبب اتصال الكلام .

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الأمور وعقدها ، لم يكن لأحد معه في الدولة كلام ، وكان سلطانها الملك العزيز أبا المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين ، وهو صغير السن ، تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل ، وهو أتابكه ومتولي تدبير الدولة باشارة القاضي أبي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الأمور .

وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصاً جماعة مدرسته فانهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سماطه ، وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد إليه في داره فقد كانت له قبة تختص به ، وهي شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها ، لأنّ الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف ، لا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة ؛ وكانت النزلات تعتريه في دماغه فلا يفارق تلك القبة ، وفي الشتاء يكون عنده مِنْقَلٌ كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير ، ومع هذا كله فلا يزال مزكوماً وعليه الفرجية البُرْطاسي[1] والثياب الكثيرة ، وتحته الطّراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الخمائل الثخينة ، بحيث إنا كنا نجد عنده الحرّ والكرب ، وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف . وكان لا يخرج لصلاة الجمعة إلا في شدة القيظ ، وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ، ولقد كنت أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما. وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه ، وكان يعجبه ذلك . وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة. والأدب غالب عليه ؛ وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

إن السلامةَ من ليلى وجارتها ... أن لا تمر على حال بناديها

---

[1] نسبة إلى برطاس شمالي بحر قزوين .

وكان يتمثل أيضاً كثيراً بقول صَرّدر الشاعر – المقدم ذكره في حرف العين[1]– وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو :

وعهودهم بالرمل قد نُقِضتْ وكذاك ما يُبْنَى على الرملِ

فأنشده في بعض الأيام ، فقال له بعض أصحابنا الحاضرين : يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالاً مليحاً ، فقال : ابن المعلم هو أبو الغنائم ؟ فقال : نعم ، فقال : صاحبنا كان ، كيف قال ؟ فأنشده :

نقضوا العهودَ ، وحَقّ ما يُبْنَى على رملِ اللوى بيدِ الهوى أن يُنْقَضَا

فقال : ما أقصر ، ولقد تلطف في قوله « بيد الهوى »، فقال له : يا مولانا وقد استعمله في قصيدة أخرى ، فقال : هات ، فأنشده :

ولم يُبْنَ على الرملِ فكيف انتقضَ العهدُ

فاستحسنه . وكان كثيراً ما ينشد أبيات أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف بحَيْصَ بَيْص – المقدم ذكره[2]– وكان يقول إنه سمعها منه ويرويها عنه ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة الحيص بيص ، فأغنى عن الإعادة ، وأولها :

لا تَضَعْ من عظيم قدر وإن كنت مُشاراً إليه بالتعظيمِ

وكان يقول : أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم ، ونحن نزول على قلعة صفد :

قلتُ للنزلةِ لما أن ألمتْ بلهَاتي
بحياتي خلّ حلقي فهو دهليزُ حياتي

قلت : هذان البيتان منسوبان إلى ابن الهَبّارية – المقدم ذكره[3] – والله أعلم[4] .

---

١ ج ٣ : ٣٨٥ ، وانظر ديوان صردر : ١٥٥ .
٢ ج ٢ : ٣٦٢ .
٣ ج ٤ : ٤٥٣ .
٤ وكان يقول أنشدني ... أعلم : سقط من س .

وكان كلما نظر إلى نفسه على تلك الحال من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ، ينشد :

من يتمنّ العمر فليدّرع صبراً على فقد أحبائه
ومن يُعَمّر يسر في نفسه ما يتمناه لأعدائه

ثم وجدت هذين البيتين للظهير أبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، قاضي السلامية المقدم ذكره في هذا الكتاب[1] ، والله أعلم ؛ ذكر ذلك صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي في كتابه « عقود الجمان » في ترجمة الظهير المذكور[2].
وهذا ينظر إلى قول أبي العلاء المعري[3] :

تدعو بطول العمر أفواهنا لمن تناهى القلب في وُدّه
يسرّ إن مُدّ بقاء له وكلّ ما يُكْرَهُ في مده

والأصل في هذا قول لبيد بن ربيعة العامري[4] :

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربي بالسلامة جاهداً ليُصحّني فاذا السلامة داء[5]

ودخل عليه يوماً رجل من أهل الغرب يقال له أبو الحجاج يوسف ، وكان قريب العهد بلاده ، ورد حلب في تلك الأيام ، وكان فاضلا في الأدب والحكمة ، فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده :

لو يعلمُ الناسُ ما في أن تعيش لهم بكوا لأنك من ثوب الصبا عاري
ولو أطاقوا انتقاصاً من حياتهمُ لما فَدَوْكَ بشيء غيرِ أعمار

---

١ ج ١ : ٣٧ .
٢ انظر ابن الشعار ١ : ٢٨ .
٣ شروح السقط : ١٠٠٨ .
٤ هو من المنسوب له ، انظر ديوانه : ٣٦٠ – ٣٦١ ؛ وفي المختار : قول الآخر .
٥ ثم وجدت ... داء : سقط من س .

فأعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له .

وقال لي بعض أصحابنا : سمعته يوماً وهو يحكي للجماعة الحاضرين عنده ، قال : لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد اتفق أربعة خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال[1] حَبّ البلاذُر[2] ، لأجل سرعة الحفظ والفهم ، فاجتمعوا ببعض الأطباء ، وسألوه عن مقدار ما يستعمل الإنسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب وشربوه في موضع خارج عن المدرسة ، فحصل لهم الجنون ، وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ما جرى عليهم ، وبعد أيام جاء إلى المدرسة واحد منهم ، وكانَ طويلاً ، وهو عريان ليس عليه شيء يستر عورته ، وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة ، وقد ألقاها وراءه فوصلت إلى كعبه ، وهو ساكت عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعبث ، فقام إليه مَنْ كان حاضراً من الفقهاء وسألوه عن الحال ، فقال لهم : كنا قد اجتمعنا وشربنا حبّ البلاذر ، فأما أصحابي فانهم جنوا وما سلم منهم إلا أنا وحدي ، وصار يظهر العقل العظيم والسكون ، وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ، ويعتقد أنه سالم مما أصاب أصحابه ، وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت إليهم .

وأخبرني جماعة مما كانوا عنده قبلَ وصولنا إليه أنه قدم عليه الأديب نظام الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف بابن خروف الشاعر المعروف ، فكتب إليه رسالة ، وفي أولها أبيات يستجديه فروة قرَظ ، وهي :

بهاءَ الدينِ والدنيا	ونورَ المجدِ والحسبِ
طلبتُ مخافةَ الأنوا	ءِ من نعماك جِلْدَ أبي
وفضلك عالمٌ أني	خروفٌ بارعُ الأدب
حلبتُ الدهر أشطره	وفي حَلَبٍ صفا حلبي

[1] المختار : شرب .

[2] أسمه العلمي : Semecarpus anacardium

« ذو الحسب الباهر ، والنسب الزاهر ، يسحب ذيول سيرّاء السرّاء ، ويحب النحاةَ من أجل الفرّاء ، ويمن على الحروف النبيه ، بجلد أبيه ، قانيء الصباغ ، قريب عهد بالدباغ ، ما ضل طالبُ قرظه ولا ضاع ، بل ذاع ثناء صانعه وضاع ، أثيثَ خمائل الصوف ، يهزأ من الرياح بكل هوجاء عصوف ، إذا طَهُرَ إهابه ، يخافه البرد ويهابه ، ما في الثياب له ضريب ، إذا نزل الجليد والضريب ، ولا في اللباس له نظير ، إذا عريَ من ورقه الغصن النضير ، لا كطيلسان ابن حرب ، ولا جلد عمرو الممزق بالضرب ، كأنه من جلد حمل الجرباء ، الذي يراعي البدر والنجم ، لا من جلد السخلة الجرباء التي ترعى الشجر والنجم ، فرَجيّ النوع ، أرَجيّ الضوع ، ليكون تارة لحافاً وتارة بُرداً ، وهو في الحالين يحيي حراً ويميت بَرداً ، لا زال مهديه سعيداً ، ينجز للأولياء وعداً وللأعداء وعيداً ، إن شاء الله تعالى ، والسلام » .

قلت : وقد ذكرت في ترجمة أبي الفتح محمد سبط ابن التعاويذي[1] رسالة كتبها إلى عماد الدين الكاتب الأصفهاني – المقدم ذكره[2] – يطلب منه فروة قرظ[3] أيضاً ، وكل واحدة من الرسالتين بديعة في بابها .

وفي هذه الرسالة كلام يحتاج إلى إيضاح ، وهو قوله « لا كطيلسان ابن حرب » وهو مثل مشهور بين الأدباء ، فاذا كان الشيء بالياً شبهوه بطيلسان ابن حرب ، ولذلك سبب لا بد من ذكره ، وهو أن أحمد بن حرب ابن أخي يزيد المهلبي أعطى أبا علي إسماعيل بن إبراهيم بن حَمْدُويَه البصري الحمدوي[4] ، الشاعر الأديب ، طيلساناً خليعاً ، فعمل فيه الحمدوي مقاطيع عديدة ظريفة سارت عنه وتناقلتها الرواة ، فمن ذلك قوله من أبيات[5] :

---

١ انظر ج ٤ : ٤٧٢ .

٢ ترجمة العماد في ج ٥ : ١٤٧ .

٣ س : قرض .

٤ له ترجمة في الجزء التاسع من الوافي وطبقات ابن المعتز : ٢٧١ والأغاني ١٢ : ٦١ (ط. دار الكتب) .

٥ أكثر هذه القطع وردت عند الصفدي ، وبعضها في طبقات ابن المعتز .

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ... ملَّ من صحبة الزمان فصَدّا
طالَ تردّاده إلى الرّفْو حتّى ... لو بعثْناهُ وَحْدهُ لتهدّى

وقوله أيضاً من أبيات :

لقد حالف الرفاء حتّى كأنه ... يحاولُ منه أن يعلمّه الرفوا

وقوله أيضاً :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا ... أبلته الأزمان فهو سقيمُ
فإذا ما رفوته قال سبحا ... نك محيي العظام وهي رميم

وقوله أيضاً :

يا ابن حربٍ أطلتَ وِتري[1] برفوى ... طيلساناً قد كنتُ عنه غنيا
فهو في الرفو آل فرعون في العرْ ... ضِ على النارِ بكرةً وعشيا

وله فيه أيضاً :

رأينا طيلسانك يا ابنَ حربٍ ... يزيدُ المرءَ ذا الضعة اتضاعا
إذا الرفاءُ أصلح منه بعضاً ... تداعى بعضُهُ الباقي انصداعا
يسلّم صاحبي فيقدّ شبراً ... به وأقدّ في ردّي ذراعا
أجيلُ الطرفَ في طَرَفيه طولاً ... وعرضاً ما أرى إلا رقاعا
فلستُ أشك أن قد كان دهراً ... لنُوحٍ في سفينته شراعا
وقد غنّيْتُ إذ أبصرتُ منه ... بقاياه على كتفي تداعى
«قفي قبل التفرق يا ضُباعا ... ولا يكُ موقفٌ منكِ الوداعا»

وقال فيه أيضاً ، وكتبها إلى بعض الرؤساء :

دعني أبكّي كسوتي إذ ودّعت ... فلأزمعنّ على البكا إذ أزمعتْ
يا ابن الحسين أما ترى درّاعتي ... سَمَلاً تردّتْ بالبلى وتدرّعت

---

[1] الصفدي وابن المعتز : فقري .

فيها من التمزيق ما لو أنه مرّتْ بها ريح الصبا لتقشعت
تحكي تخرق طيلساني إنها منه تعلمتِ البـلى فتضعضعت
لا فرّج الرحمنُ عنه إنـه أعدى ثيابي كلهـا فتقطعت
فلتحمد اللهَ الجبـالُ فانها لو قارنته تخشّعَتْ وتصدّعت

وله فيه أيضاً :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا يُزْرَعُ الرفوُ فيه وهو سباخُ
مات رفـاوْه ومات بنـوه وبدا الشيبُ في بنيهم وشاخوا

وقال فيه أيضاً :

طيلسانٌ لـو كان لفظاً إذن ما شكّ خَلْقٌ في أنـه بهتـانُ
فهـو كالطور إذ تجـلى لـه الله فَدُكّـتْ قـواه والأركان
كـم رفونـاه إذ تمـزقَ حتى بقي الرفوُ وانقضى الطيلسـان

وله فيه أيضاً :

يا ابنَ حرب إني أرى في زوايا بيتنا مثلَ من كسوت جماعه
طيلسـانٌ رفوته ورفـوتُ الرّفو منه وقد رقعتُ رقاعه
فأطاع البلى فصار خليعاً ليس يعطي الرّفاءَ في الرفو طاعه
فاذا سائلٌ رآنيَ فيـه ظن أني فتىً من اهل الصناعه

وله فيه أيضاً :

قـل لابن حربٍ طيلسا نُكَ قومُ نوحٍ منه أحْدثْ
هـو طيلسانٌ لم يزلْ عمـن مضى من قبـلُ يورث
فإذا العيونُ لحظـنه فكأنـه باللحـظ يُحْرَث
يـودي إذا لم أرفه فـإذا رفوتُ فليس يلبث
كالكلـب إن تحملْ عليـه الدهرَ أو تتركْهُ يلهـث

ويقال إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع ، في كل مقطوعة معنى بديع .

وكان الأصل الذي حمل الحمدوي المذكور على عمل هذه المقاطيع ، أنه وقف على أبيات عملها أبو حُمران السلمي ، بضم الحاء المهملة ، في طيلسانه ، وكان قد أخلق حتى بلي ، فقال فيه :

يا طيلسانَ أبي حمران قد برمت منك الحياةُ فما تلتذّ بالعُمُرِ
في كلّ يومين رفاء يجدده هيهاتِ ينفعُ تجديدٌ مع الكبر
إذا ارتداهُ لعيدٍ أو لجمعته تنكب الناسَ لا يبلى من النظر

وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام ، بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة ، أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المتكلم المعتزلي في وصف غلام رقيق البشرة :

رقّ فلو بُـزّتْ سرابيله عُلّقَهُ الجوّ من اللطفِ
يجرحه الناسُ بألحاظهم ويشتكي الإيماءَ بالكفّ

وأنشدني بعض الأدباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في هذا المعنى لبعض الشعراء :

توهمها طرفي فأصبح خدّها وفيه مكانَ الوهم من نظري أثرُ
وصافحها قلبي فأدمى بنانها فمن لمس قلبي في أناملها عقْرُ

وأنشدني الشيخ أيدمر الصوفي المسمّى إبراهيم لنفسه دوبيت في هذا المعنى :

كلّفتُ صبَا العراقِ لما خطَرتْ أن تحملَ لي تحيةً ما قدرت
قالتْ لي خيفتي على وجنته إن جزتُ بها جرحتها فاعتذرت

ولبعض الأدباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله ورثاثة ثيابه ، ما يقرب من هذا المعنى ، وهو قوله :

ولي ثيابٌ رثاثٌ لستُ أغسلها أخافُ أعصرها تجري مع الماء

وقد قيل في هذا المعنى شيء كثير ، والاختصار أولى والله أعلم .

وأما قوله : ولا جلد عمرو الممزق بالضرب ، فيريد قول النحاة : ضرب زيداً عمراً، فإنهم أبداً يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره، فكأنهم يمزقون جلده بكثرة الضرب .

عدنا إلى ما كنا عليه :

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور يسلك طريق البغاددة في ترتيبهم وأوضاعهم وحتى إنه كان يلبس ملبوسهم ، والرؤساء الذين يترددون إليه كانوا ينزلون عن دوابهم على قدر أقدارهم ، لكل واحد منهم مكان معين لا يتعداه .

ثم إنه تجهز إلى الديار المصرية لإحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل للملك العزيز صاحب حلب ، وكان قد عُقد نكاحه عليها ، فسافر في أول سنة تسع وعشرين أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وعاد وقد جاء بها في شهر رمضان من السنة . ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه ورفعوا عنه الحجر ، ونزل الأتابك طُغْرُل من القلعة إلى داره تحت القلعة ، واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذين كانوا يعاشرونه ويجالسونه، فاشتغل بهم ، ولم ير القاضي أبو المحاسن وجهاً يرتضيه ، فلازم داره إلى حين وفاته ، وهو باقٍ على الحكم وإقطاعه جارٍ عليه ، غاية ما في الباب أنه لم يبق له حديث في الدولة ، ولا كانوا يراجعونه في الأمور ، فصار يفتح بابه لإسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين ، وظهر عليه الخرف بحيث إنه صار إذا جاءه الإنسان لا يعرفه ، وإذا عاد قام يسأل عنه ولا يعرفه ، واستمر على هذه الحال مُدَيْدة ، ثم مرض أياماً قلائل وتُوفي يوم الأربعاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، رحمه الله تعالى، بحلب ، ودفن في التربة المقدم ذكرها ، وحضرتُ الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك .

وصنف كتاب « ملجأ الحكام عند التباس الأحكام » يتعلق بالأقضية في مجلدين ، وكتاب « دلائل الأحكام » تكلم فيه على الأحاديث المستنبط

منها الأحكام ، في مجلدين ، وكتاب « الموجز الباهر » في الفقه ، وغير ذلك ، وكتاب « سيرة صلاح الدين ابن أيوب »، رحمه الله تعالى .

وجعل داره خانقاه للصوفية ، لأنه لم يكن له وارث ، ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة ، يقرأون عند قبره . وكان قد قرر قدام كلّ واحد من الشباكين المذكورين اللذين للتربة سبعة قراء ، وكان غرضه أن يقرأ عندهّ كل ليلة ختمة كاملة ، فكان كل واحد من القراء الأربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة . وفارقتُ حلب متوجهاً إلى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، والأمور جارية على هذه الأوضاع ، ثم بعد ذلك تغيرت تلك الأمور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغني .

(382) وتوفي الشيخ نجم الدين ابن الخباز المذكور في السابع من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ، ودفن ظاهرها خارج باب أربعين ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى . وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل .

(383) وتوفي الأتابك شهاب الدين طُغْرُلُ المذكور ليلة الاثنين الحادية عشرة من محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ، ودفن بمدرسته الحنفية خارج باب أربعين ، وكان خادماً أرميّ الجنس أبيض ، حسن السيرة محمود الطريقة، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى .

(384) وتوفي أبو الحسن ابن خروف[1] الأديب المذكور بحلب في سنة أربع وستمائة متردياً في جُبّ[2] .

---

[1] أبو الحسن ابن خروف شاعر قرطبي روى عن مشيخة بلده ثم رحل وحج وجاور بالقدس ثم قفل من رحلته الأولى إلى الأندلس ثم عاد إلى المشرق فاستوطن حلب وتوفي فيها (راجع ترجمته في صلة الصلة ١١٤ والتكملة رقم : ١٨٩٤ وزاد المسافر (رقم : ٦) والذيل والتكملة ٥ : ٣٩٦ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، وهو غير ابن خروف النحوي ؛ وقال ابن عبد الملك إنه توفي في نحو العشرين وستمائة ؛ وانظر الغصون اليانعة : ١٣٩

[2] عند نهاية هذه الترجمة انتهى ما اختاره ابن المؤلف وهو ببعلبك ، يوم الاثنين سابع صفر سنة ٧٠٢ وما بعده نقله بدمشق .

٨٤٣

يوسف بن عمر الثقفي

أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي — وقد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ، فإنه ابن ابن عم الحجاج ، يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل ؛ قال خليفة بن خياط : ولى هشامُ بن عبد الملك يوسفَ بن عمر اليمن ، فقدمها لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست ومائة ، فلم يزل والياً بها حتّى كتب إليه هشام في سنة عشرين ومائة بولايته على العراق ، فاستخلف على اليمن ابنه الصّلْت ابن يوسف .

وقال البخاري : كانت ولاية يوسف بن عمر العراقَ سنة إحدى وعشرين ومائة إلى سنة أربع وعشرين . وقال غيره : لما أراد هشام بن عبد الملك صَرْفَ خالد بن عبد الله القَسْري عن العراق ، كان قد جاءه رسول يوسف ابن عمر الثقفي من اليمن ، فدعا هشام بالرسول وقال له : إن صاحبك قد تعدى طَوْره وسأل فوق قدره ، وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطاً ، وقال له : امض إلى صاحبك،فعل الله به وصنع ، ودعا بسالم اليماميّ مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك ، وكان على ديوان الرسائل وقال له : اكتب إلى يوسف ابن عمر ، بشيء أمره به ، واعرض الكتاب علي ، فمضى سالم ليكتب ما أمره به ، وخلا هشام بنفسه ، وكتب كتاباً صغيراً بخطه إلى يوسف بن عمر

---

٨٤٣ – أخباره في المصادر التاريخية المتصلة بخلافة هشام بن عبد الملك، مثل الطبري والمسعودي (المروج والتنبيه والاشراف) والاخبار الطوال للدينوري والعيون والحدائق وأنساب الأشراف للبلاذري ... الخ .

وفيه : « سر إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بك أحد ، واشْفني من ابن النصرانية ، يعني خالداً ، ومن عماله » وأمسك الكتاب بيده ، وحضر سالم بالكتاب الذي كتبه وعرضه عليه ، فغافله وجعل الكتاب الصغير في طيّه ، وختمه ودفعه إلى سالم وقال له : ادفعه إلى رسول يوسف ، ففعل ذلك ، وانفصل الرسول . فلما وصل إلى يوسف قال له : ما وراءك ؟ قال : الشر ، أمير المؤمنين ساخط عليك ، وقد أمر بتخريق ثيابي وضربي ، ولم يكتب جواب كتبك ، وهذا كتاب بخط صاحب الديوان ، ففض الكتاب وقرأه ، فلما بلغ إلى آخره وقف على الكتاب الصغير ، فاستخلف ابنه الصلتَ وسار إلى العراق .

وقد كان يخلف سالماً الكاتب على ديوان الرسائل بشير بن أبي طلحة من أهل الأردن ، وكان فطناً ، فلما وقف على ما كان من هشام قال : هذه حيلة ، وقد ولي يوسف بن عمر العراق ، فكتب إلى عياض عامل أجمة سالم ، وكان واداً له : إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني ، فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى ، وأعلم طارقاً بذلك ، وكان عامل خالد بن عبد الله القسري على الكوفة وما يليها . ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب إلى عياض : إن القوم قد بدا لهم في البعثة إليكَ بالثوب اليماني ، فعرّف عياض أيضاً طارقاً بذلك ، فقال طارق : الخبر في الكتاب الأول ، ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر أمره ، وركب من ساعته إلى خالد فخبره الخبر ، فقال له : فما ترى ؟ قال : أرى أن تركب من ساعتك هذه إلى أمير المؤمنين ، فإنه إذا رآك استحيا منك وزال شيء إن كان في نفسه عليك ، فلم يقبل ذلك ، فقال له : فتأذن لي أن أصير إلى حضرته وأضمن له مال جميع هذه السنة ؟ قال : وما مبلغ ذلك ؟ قال : مائة ألف ألف درهم ، وآتيك بعهدك قال : ومن أين هذه الأموال ؟ والله ما أملك عشرة آلاف درهم ، فقال : أتحمل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم — وكان سعيد يتقلد سقي الفرات — والزينبي وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم ونفرق الباقي على باقي العمال ، فقال له : إني إذاً للئيم أن أسوغ قوماً شيئاً ثم أرجع عليهم

به ، فقال له : إنما نقيك ونقي أنفسنا ببعض أموالنا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا بك ونستأنف طلب الدنيا ، خيرٌ من أن نُطالبَ بالأموال ، وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فنقتل وتذهب أنفسنا ، وتحصل الأموال لهم يأكلونها ، فأبى خالد ذلك عليه ، فودعه وقال : هذا آخر العهد بك . ووافاهم يوسف بن عمر ، فمات طارق في العذاب ، ولقي خالد وجميع عماله كل شر ، ومات منهم في العذاب بَشَرٌ كثير ، وكان ما استخرج يوسف من خالد وأسبابه تسعين ألف ألف درهم .

قلت : وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القَسْري في ترجمته[1] ، فتطلب منه ، وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف ابن عمر المذكور ، وما جرى له معه في الوديعة[2] .

وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب « أنساب الأشراف وأخبارهم » : إن هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله القَسْري أمير العراق لأمور نقلت عنه ، فحقد عليه ، منها : كثرة أمواله وأملاكه ، ومنها : أنه كان يطلق لسانه في حق هشام بما يكرهه ، وغير ذلك من الأسباب ، فعزم على عزله وأخفى ذلك. وكان يوسف بن عمر الثقفي عامله على اليمن ، فكتب هشام إليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه إلى الكوفة ، وكتب مع الكتاب بعهده على العراق ، فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً ، فعرّس قريباً منها ، وقد ختن طارقٌ خليفةُ خالدٍ القسري على الخراج ولَدَهُ ، فأهديَ إليه ألفُ عتيق وألف وصيف وألفُ وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك ، فجاء رجل إلى طارق فقال له : إني رأيت قوماً أنكرتهم وزعموا أنهم سُفّار . وصار يوسف بن عمر إلى دور بني ثقيف ، فأمر بعض الثقفيين ، فجمع له من قدر عليه من مضر ، ففعل ، فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فقال : حتى يأتي الإمام ،

---

1 انظر ج ٢ : ٢٢٦ .

2 انظر ج ٣ : ٤٨٨ .

فانتهره ، فأقام ، وتقدم يوسف فصلى، وقرأ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾(الواقعة : ١) و﴿ سأل سائل ﴾(المعارج : ١) ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وإنّ القدور لتَغْلي .

وقال أبو عبيدة : حبس يوسف خالداً ، فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف ، وقيل له لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مائة ألف ألف درهم ، فقال : ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني. وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال : أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة ، ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم ؟ فارجعوا إليه ، فأتوه فقالوا : إنا أخبرنا خالداً بما فارقناك عليه من المال ، فذكر أنه ليس عنده ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم ، فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعتم لم أمنعكم ، قالوا : فإنا قد رجعنا ، قال : فوالله لا أرضى بتسعة آلاف [ألف] ، ولا بمثلها ومثلها، فذكر ثلاثين ألف ألف، ويقال مائة ألف ألف .

وقال أشرس مولى بني أسد ، وكان تاجراً ليوسف بن عمر : أتانا كتاب هشام ، فقرأه يوسف، فكتمنا ما فيه وقال : أريد العمرة، فخرج وأنا معه، واستخلف ابنه الصلتَ على اليمن ، فما كلم أحداً منا بكلمة واحدة حتى انتهى إلى العُذَيْبِ فأناخ وقال : يا أشرس أين دليلك ؟ فقلت : هوذا ، فسأله عن الطريق ، فقال : هذه طريق المدينة وهذه طريق العراق ، فقلت : والله ما هي بأيام عمرة ، فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ، ثم استلقى على ظهره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وقال :

فما لبّثتنا العيسُ أن قذفتْ بنا   نوى غربةٍ والعهدُ غيرُ قديمِ

ثم قال : يا أشرس : ابغني إنساناً أسائله ، فأتيته برجل فقال : سله عن ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري ، فقلت : ما فعل خالد ؟ قال : في الحمة ، اشتكى فخرج إليها ، فقال : سله عن طارق ، فقال : ختن بنيه فهو يطعم الناس بالحيرة، وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة ،

قال : خل عن الرجل. ثم ركب فأناخ بالرَّحَبَة ، ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره ، فمكثنا ليلاً طويلاً ، ثم جاء المؤذنون وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذ على الكوفة خليفة لخالد ، فأذنوا ثم سلموا ، وخرج زياد فأقيمت الصلاة ، فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف ، يا أشرس نَحِّه ، فقلت : يا زياد تأخر ، الأمير ، فتأخر زياد وتقدم يوسف ، وكان حسن القراءة فصيحاً ، فقرأ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ و﴿ سال سائل بعذاب واقع ﴾ فصلى الفجر ، وتقدم القاضي فحمد الله وأثنى عليه ودعا للخليفة وقال : ما اسم أميركم ؟ فأخبر ، فدعا له بالصلاح ، فما تفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ، ولم يبرح يوسف حتى بعث إلى خالد وإلى أبان بن الوليد بفارس ، وإلى بلال بن أبي بردة بالبصرة ، وإلى عبد الله بن أبي بردة بسجستان ، وأمر هشام أن تعزل عمال خالد جميعهم ، إلا الحكم بن عوانة ، وكان على السند ، فأقره حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد ، قتله ناكَهْرُ .

ولما أتى خالد قيل له : الأمير يوسف ، قال : دعوني من أميركم ، أحيّ هو أمير المؤمنين ؟ قيل نعم ، فقال : لا بأس علي . فلما قُدِمَ بخالد على يوسف حبسه ، وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أعطي الله عهداً لئن شاكت خالداً شوكةٌ لأضربن عنقك ، فخلّ سبيله بثَقَله وعياله ، فأتى الشام فلم يزل مقيماً به يغزو الصوائف حتى مات هشام .

وقيل إن يوسف استأذن هشاماً في بسط العذاب على خالد فلم يأذن له ، حتى ألح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار إليه وإلى عماله منه ، فأذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به ، فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط عليه العذاب ، فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال : يا ابن الكاهن ، يعني شقّاً أحد أجداد خالد وهو الكاهن المشهور — قلت : كما تقدم في ترجمة خالد — قال فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعيرني بشرفي ، لكنك ابن السبّاء ، إنما كان أبوك يسبأ الخمر — قلت : معناه يبيع الخمر — قال : ثم رد خالداً إلى محبسه فأقام ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب إليه هشام

يأمره بتخلية سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، وخرج خالد ومعه جماعة من أهله وغيرهم حتى أتى القُرَيّة ، وهي من أرض الرصافة ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ، لا يأذن له هشام في القدوم عليه .

قال الهيثم بن عدي : وخرج زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على يوسف بن عمر ، فكتب يوسف إلى هشام : إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً ، حتى كانت همة أحدهم قوتَ يومه ، فلما ولي خالد العراق قواهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا باذن خالد ، وما مقامه بالقُرَيّة إلا لأنها مَدْرجة الطريق ، فهو يسأل عن أخباره ، فقال هشام للرسول : كذبت وكذب صاحبك ، ومهما اتّهمنا به خالداً فانا لا نتهمه في طاعته ، وأمر بالرسول فوجئت عنقه ، وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق .

وقال أبو الحسن المدائني : أمر يوسف بن عمر ببلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وكان بلال عامل خالد القسري على البصرة، فعذب ، فضمن ثلثمائة ألف درهم ، وأخذ منه كفلاء ، فأخفرهم وهرب إلى الشام ، فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له دُرّاجاً فعرف ، ويقال بل شوَى له غلامه دراجاً فأحرقه ، فضربه فسعى به ، فأتي به يوسف بن عمر ، فأمر به فأقيم في الشمس فقال : أدنوني من أمير المؤمنين فله عليّ ما طلب ، فأبى ورده إلى يوسف فعذبه حتى قتله ، وقال أخوه عبد الله بن أبي بردة للسجان : ارفع اسمي في الموتى فرفعه ، فقال يوسف : أرنيه ميتاً ، فَغَمّه السجان حتى مات ؛ ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى[1] ، والمقتول في العذاب عبد الله ، والله أعلم بذلك . وقال يونس النحوي : ما قتل بلالاً إلا دهاؤه ، سأل السجان أن يرفع اسمه في الموتى

[1] زاد في المختار : ويعطيه مالا فرفع اسمه في الموتى .

ويعطيه مالاً ، فقال يوسف : اعرض الموتى علي ، فغمه حتى مات وعرضه عليه ميتاً .

وقال المدائني : ولى يوسف بن عمر صالح بن كُرَيز ولاية ، فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها ، وبلال بن أبي بردة يومئذ محبوس ، فقال له بلال : إنّ على العذاب سالما ، ويلقب رتبيل ، فاياك أن تقول له رُتْبيل ، فانه يكره ذلك ، وجعل بلال يردد عليه القول في ذلك ، فعذبه سالم ، فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له : يا رتبيل اتق الله ، يا رتبيل اتق الله ، وكرر عليه القول في ذلك من ألم العذاب، وهو يقول اقتلْ، من غيظه عليه ، فلما خلي عنه قال له بلال : ألم أنهك عن رتبيل ؟ فقال : وهل أوقعني في رتبيل غيرك !! أنا ما كنت أعرف رتبيل لولا أنت ، وما تدع شرك في سراء ولا ضراء .

وقال المدائني أيضاً : كان على شُرَطِ يوسف بن عمر العباسُ بن سعد المري ، وكان كاتبه قحذم بن سليمان بن ذكوان وزياد بن عبد الرحمن مولى ثقيف ، وعلى حرسه وحجابته جندب ، وفيه يقول الشاعر :

أتانا أميرٌ شديد النّكال   لحاجبِ حاجبهِ حاجبُ

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : بلغني أن يوسف بن عمر كان قد أخذ مع آل الحجاج بن يوسف الثقفي ليعذب ، ويطلب منه المال ، فقال : أخرجوني لأسأل ، فدُفع إلى الحارث بن مالك الجهضمي يطوف به، وكان مغفّلاً ، فانتهى به إلى دار لها بابان، فقال يوسف : دعني أدخل هذه الدار فإن فيها عمة لي أسألها ، فأذن له ، فدخل وخرج من الباب الآخر وهرب ، وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك . وكان يوسف يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف في الصرامة والشدة في الأمور وأخذ الناس بالمشاق ، ولم يزل على ذلك إلى حين عزله .

وذكر عمر بن شبة النميري في كتاب « أخبار البصرة » أن يوسف بن عمر وزن درهماً فنقص حبة ، فكتب إلى دور الضربِ بالعراق فَضَربَ

أهلها ، فأحصي في تلك الحبة مائة ألف سوط ضربها الناس . وكان يوسف مذموماً في عمله أخرق سيء السيرة ، وكان جواداً ، فكان يطعم الناس على خمسمائة خوَان ، أقصاها وأدناها سواء ، يأكل منها الشامي والعراقي، وعلى كل خوانْ فُرْنيّة عليها السكر ، فنفد السكر من فرنية ، فتكلم أهلها ، فضرب الخباز ثلثمائة سوط والناس يأكلون ، فكان الخباز يتخذ الخرائط فيها السكر ، فكلما نفد زادوا .

وروى الحكم بن عوانة الكلبي عن أبيه قال : لم يؤيد الملك بمثل كلب، ولم تُعلَ المنابر بمثل قريش،ولم تطلب التّرات بمثل تميم، ولم تُرْعَ الرعايا بمثل ثقيف ، ولم تسد الثغور بمثل قيس ، ولم تُهيَج الفتن بمثل ربيعة ، ولم يُجبَ الخراج بمثل اليمن .

وقال الأصمعي : قال يوسف بن عمر لرجل ولاه عملاً : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، فقال له : فمال من آكل منذ خلقتُ وإلى الساعة ؟ والله لو سألتُ الشيطانَ درهماً واحداً ما أعطانيه .

وكان يوسف بن عمر قد استعمل على خراسان نصر بن سيار الليثي ، وبقي إلى آخر أيام بني أمية ، وقضاياه ووقائعه مع أبي مسلم الخراساني مشهورة في مواضعها ، وفيه وفي يوسف يقول سوار بن الأشعر :

أضحتْ خراسانُ بعد الخوف آمنة ... منْ ظُلم كل غشوم الحكم جبّار
لما أتى يوسفاً أخبارُ ما لقيتْ ... اختارَ نَصراً لها ، نَصرَ بن سَيّار

وقال سماك بن حرب : بعث إليّ يوسف بن عمر وهو أمير العراق ، أنّ عاملاً لي كتب إليّ : إني قد زرعت لك كل خُق ولُق ، فما هما ؟ فقلت : إن الخُقّ : ما اطمأن من الأرض ، واللق : ما ارتفع منها ، انتهى كلامه ؛ قلت : وذكر الجوهري في كتاب « الصحاح » : أن الخق الغدير ، إذا جف وتقلع ، واللق : الشق المستطيل ، وقيل : الخق حفرة غامضة في الأرض ، والخق : بضم الخاء المعجمة وتشديد القاف ، واللق : بضم اللام وتشديد القاف ، والله أعلم .

وكان يوسف بن عمر من أعظم الناس لحية ، وأصغرهم قامة ، كانت لحيته تجوز سرته .

وكان يُضرب به المثل في التّيه والحمق ، ذكر ذلك حمزة الأصبهاني في كتاب « الأمثال » ، فقال : قولهم « أتيه من أحمق ثقيف » هو يوسف ابن عمر ، كان أتيه وأحمق عربي أمر ونهى في دولة الإسلام ، فمن حمقه أن حجاماً أراد أن يحجمه فارتعدت يده ، فقال لحاجبه : قل لهذا البائس ، لا تخف ، وما رضي أن يقول له بنفسه . وكان الخياط إذا أراد أن يفصل ثيابه ، فإن قال : يحتاج إلى زيادة ثوب آخر ، أكرمه وحبّاهُ ، وإن فضل شيء أهانه وأقصاه ، لأنه يكون قد نبه على قصره ودمامته .

واستمر يوسف على ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك ، فلما توفي في يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة من أرض قنسرين وبها قبره ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة ، وقيل أربعاً وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين سنه ، والله أعلم ، وكنيته أبو الوليد ، تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده فأقر يوسف ابن عمر على ولايته بالعراق . وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وكان قد عزم على عزل يوسف ابن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي .

وكانت أم الوليد بن يزيد المذكور أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف ، فالحجاج عمها ، فكتب الوليد إلى يوسف بن عمر : إنك قد كنت كتبت إليّ تذكر أن خالد بن عبد الله القَسْري أخرب العراق ، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتّها إلى ما كانت عليه ، فاشخص إلينا وصدق ظننا بك فيما تحمله إلينا بعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بيننا وبينك من القرابة ، فانك خالُنا وأحق الناس بالتوفير علينا ، وقد علمت ما زدنا لأهل الشام في العطاء ، وما وصلنا أهل بيتنا به لجفوة هشام إياهم ، حتى أضر ذلك ببيوت الأموال ؛

فخرج يوسف بن عمر بنفسه إلى الوليد بن يزيد وحمل من الأموال والامتعة والآنية ما لم يُحمل من العراق مثله، فقدم وخالد بن عبد الله القَسْرِي محبوس، فلقيه حسان النبطي ليلاً وأخبره أن الوليد قد عزم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج، وأنه لا بد له من إصلاح أمر وزرائه، فقال يوسف: ليس عندي شيء، فقال له حسان: عندي خمسمائة ألف درهم فإن شئت فهي لك، وإن شئت فارددها إذا تيسرت، فقال له يوسف: أنت أعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد، ففرقها على قدر علمك فيهم، ففعل، فقدم يوسف والقومُ يعظمونه، وقرر يوسف بن عمر مع أبان بن عبد الرحمن النميري أن يشتري خالد بن عبد الله القسري بأربعين ألف ألف درهم، فقال الوليد ليوسف، ارجع إلى عملك، فقال أبان له: ادفع إليّ خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم، فقال الوليد، ومن يضمن عنك هذا المال؟ فقال: يوسف، فقال ليوسف: أتضمن عنه؟ فقال يوسف: ادفعه إلي فأنا أستأديه خمسين ألف ألف درهم، فدفعه إليه، فحمله في محمل بغير وطاء، وقدم به إلى العراق فقتله، كما شرحته في ترجمته.

ولما قتل الوليد بن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشام وانبرم له الأمر، ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هارون ابن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي، فقال له عبد العزيز: لو كان معي جند لقبلت، فتركه وولاها منصور بن جمهور. وأما أبو مخنف فإنه قال: قتل الوليد بن يزيد بالبخْراء في التاريخ المذكور، وبويع يزيد بن الوليد بدمشق، وسار منصور بن جمهور من البخراء في اليوم الذي قتل فيه الوليد إلى العراق، وهو سابع سبعة، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب، وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلت من رجب، فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق، وولى العمال بالعراق، وأقام بقية أيام رجب وشعبان ورمضان، وانصرف لأيام بقيت منه.

ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوة حتى أتى إلى البلقاء فاستخفى بها، وكان أهله مقيمين فيها، فلبس زي النساء وجلس بينهن،

وبلغ يزيدَ بن الوليد خبره فأرسل إليه من يحضره ، فوصلوا إليه فوجدوه بعد أن فتشوا عليه كثيراً جالساً على تلك الهيئة بين نسائه وبناته ، فجاء به في وَثَاق ، فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وكان يزيد ابن الوليد قد حبسهما عند قتله أباهما في الخضراء ، وهي دار بدمشق مشهورة قبليّ جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم . ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فأقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد إلى أن مات في ذي الحجة على الخلاف الكثير فيه : هل مات في أول الشهر أو في عاشره أو بعد العاشر أو في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة ، وجعل ولي عهده أخاه إبراهيم بن الوليد ، ومن بعده عبدَ العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . واستمر يوسف بن عمر في سجنه مدة ولاية إبراهيم بن الوليد ، فجاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بأهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الأمر وخلع إبراهيم بن الوليد وتولى مكانه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك ، وكانت ولاية إبراهيم أربعة أشهر ، وخلع في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل كانت ولايته سبعين يوماً لا غير ، وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع إبراهيم بن الوليد .

فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر إبراهيم ، وهرب عسكر إبراهيم ودخلوا دمشق ، ومروان وراءهم ، خافت جماعة إبراهيم أن يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ويجعل لهما الأمر فلا يستبقيا أحداً ممن أعان على قتل أبيهما ، فأجمع رأيهم على قتلهما ، فأرسلوا يزيد بن خالد القسري ليتولى ذلك ، فانتدب يزيد المذكور مولى أبيه ، وهو أبو الأسد ، في جماعة من أصحابه ، فدخلوا السجن وشدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه ، لكونه قتل خالد ابن عبد الله القسري والد يزيد المذكور — كما شرحناه في ترجمة خالد — وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة ، وهو ابن نيف وستين سنة . ولما قتل أخذوا رأسه عن جسده وشدوا في رجليه حبلا ، فجعل الصبيان يجرونه

في شوارع دمشق ، فتمر المرأة به فترى جسداً صغيراً فتقول : في أي شيء قتل هذا الصبي المسكين ؟ لما ترى من صغر جثته .

قال بعضهم : رأيت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ، ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسري قاتله وفي مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع . وقد قيل إنه قتل في العشر الوسط من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، والله أعلم .

٨٤٤
يوسف بن تاشفين

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين وملك الملثّمين ، وهو الذي اختط مدينة مراكش — وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتصم محمد بن صُمَادح[١] الملكين ببلاد الأندلس طرَف من أخباره وما جرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما ، واستأسر ابنَ عباد وحبسه في أغمات ، وقد استوفيت الكلام عليه هناك ، ونبهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه أن هذا الملك هو ذلك، وأنه عظيم الشان كبير السلطان .

ذكر أرباب التواريخ شيئاً من أحواله فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب « المعرب عن سيرة ملك المغرب » ، لأنه[٢] أوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره ، غير أنه قال في أول النسخة التي

٨٤٤— أخباره في الحلل الموشية والبيان المغرب (ج : ٤) وروض القرطاس وأعمال الأعلام والروض المعطار (الزلاقة) وتاريخ ابن خلدون وابن الأثير والمعجب للمراكشي والأنيس المطرب ومذكرات الأمير عبد الله والاستقصا وجذوة الاقتباس ... الخ .

١ انظر ج ٥ : ٢١ ، ٣٩ .

٢ س : في أنه .

نقلت منها هذا الفصل: إنه كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وفرغ منها في غرّة ذي القعدة من السنة بالموصل ، وهو في مجلد واحد لطيف ؛ فاخترت منه مقتضباً ما مثاله :

كان بر المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زَنَاتة — برابر — فخرج عليهم من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان الملثّمون يقدِّمُهم أبو بكر ابن عمر منهم ، وكان رجلاً ساذجاً خير الطباع مؤثراً لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية ، وكانت ولاة المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا الملثمين ، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط . فلما حصلت البلاد لأبي بكر ابن عمر المذكور سمع أن عجوزاً في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت وقالت : ضيعنا أبو بكر ابن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب ، فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلاً من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده الجنوبية .

وكان يوسف هذا رجلاً شجاعاً عادلاً مقداماً ، اختط بالمغرب مدينة مراكش ، وكان موضعها مكمناً للصوص ، وكان ملكاً لعجوز مَصْمُودية تمدّنه منها؛ فلما تمهدت له البلاد تاق إلى العبور إلى جزيرة الأندلس، وكانت مُحَصَّنة بالبحر ، فأنشأ شواني ومراكب وأراد العبور إليها ، فلما علم ملوك الأندلس بما يروم من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا إلمامه بجزيرتهم ، إلا أنهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا أن يصبحوا بين عدوين : الفرنج من شماليهم والملثمون من جنوبيهم . وكانت الفرنج تشدّ وطأتها عليهم ، إلا أن ملوك الأندلس كانت تُرْهِبُ الفرنج باظهار موالاتهم لملك المغرب يوسف بن تاشفين ، وكان له اسم كبير لنقله دولة زَنَاتة وملك الغرب إليه في أسرع وقت . وكان قد ظهر لأبطال الملثمين في المعارك ضربات بالسيوف تقد الفارس وطعنات تنظم الكُلَى ، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم .

وكان ملوك الأندلس يفيئون إلى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على

ملكهم مهما عبر إليهم وعاين بلادهم ، فلما رأوا عزيمته متقدمة على العبور أرسل بعضهم إلى بعض ، وكاتبوهم يستنجدون آراءهم في أمره ، وكان مفزعهم في ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم على مكاتبته، وقد تحققوا أنه يقصدهم، يسألونه الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتاباً هو : « أما بعد ، فانك إن أعرضت عنا نُسبْتَ إلى كرم ولم تنسب إلى عَجْز ، وإن أجبنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم ننسب إلى وهن ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا ، فاختر لنفسك أكرم نسبتيك، فانك بالمحلّ الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة ، وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت ، والسلام » .

فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا — وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه كان يُجيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية — فقال له : أيها الملك ، هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك، ويلتمسون منك ألا تجعلهم في منزلة الأعادي ، فانهم مسلمون ، وهم من ذوي البيوتات ؛ فلا تغيّر بهم ، وكفى بهم مَنْ وراءهم من الأعداء الكفار ، وبلدهم ضيّق لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم إعراضك عمن أطاعك من أهل المغرب؛ فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه : فما ترى أنت ؟ فقال : أيها الملك ، اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يردّ بابه خليق بما حصل في يده من الملك أن يعفو إذا استعفي وأن يهب إذا استوهب ، وكلما وهب جزيلا كان أعظم لقدره ، فاذا عظم قدره تأصل ملكه ، وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته ، وإذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ولم يتجشم المشقة إليهم ، وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته ؛ واعلم أن بعض الملوك الأكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال : من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد . فلما ألقى الكاتب هذا الكلام إلى يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم أنه صحيح ، فقال للكاتب : أجب القوم ، واكتب بما يجب في ذلك ، واقرأ

عليّ كتابك ، فكتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحية من سالمكم ، وسلم إليكم ، وحكّمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم ، وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم . واستصلحوا إخاءنا باصلاح إخائكم ، والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام ». فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه ، وقرن به يوسف بن تاشفين دَرَقاً لمطية مما لا يكون إلا في بلاده . — قلت : اللمطية . بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، هذه النسبة إلى لمطة ، وهي بليدة عند السوس الأقصى ، بينها وبين سجلماسة عشرون يوماً ، قاله ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » وهي معدن الدرق اللمطية ، ولا يوجد مثلها في الدنيا على ما يقال ، والله أعلم — قال : وأنفذ ذلك إليهم . فلما وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا بولايته ملك المغرب ، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج ، وأزمعوا إن رأوا من ملك الفرنج ما يريبهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج ، فتحصل ليوسف بن تاشفين برأي وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس له ، وكفاه الحرب لهم .

وإن الأذفونش بن فَرْذَلَند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ يجوس خلال الديار ويفتتح بلاد الأندلس ويشتط على ملوكهم بطلب البلاد منهم ، وخصوصاً المعتمد بن عباد ، فإنه كان مقصوداً فيه — وقد تقدم في ترجمة المعتمد ذكر تاريخ أخذه طليطلة والأبيات التي قيلت في ذلك — فنظر المعتمد في أمره فرأى أن الأذفونش قد داخله طمع فيما يلي بلاده ، فأجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور ، على ما فيه من الخطر ، وعلم أن مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار ، وأن الفرنج والملثمين ضدان له ، إلا أنه قال : إن دهينا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر الملثمين ، ولأن يرعى أولادنا جمالهم أحبّ إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج ، ولم يزل هذا الرأي نصب عينيه مهما اضطر إليه .

وان الأذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الأندلس في جمع كبير من الفرنج ، فخافه ملوك الأندلس على البلاد ، وأجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا إلى المعاقل ، فكتب المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين يقول له : إن كنت موثراً للجهاد فهذا أوانه ، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد ، فأسرعْ في العبور إليه ، ونحن معاشرَ أهل الجزيرة بين يديك ؛ وكان يوسف بن تاشفين على أتم أهبة ، فشرع في عبور عساكره ، فلما أبصر ملوك الأندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد ،وكانوا قد وعدوا من أنفسهم بالمساعدة ، أعدوا أيضاً للخروج ، فلما رأى الأذفونْش اجتماع العزائم على مناجزته علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجية للخروج فخرجوا في عدد لا يحصيه إلا الله تعالى . ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خَيْلاً ورَجْلا من الفريقين ، كل أناس قد التفوا على ملكهم . فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها وأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغصّ الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملاً ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق ، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأيٌ مصيب ، كان يحدق بها معسكره ، وكان يحضرها الحرب،فكانت خيل الفرنج تحجم عنها . فلما تكاملت العساكر بالجزيرة قصدت الأذفونش، وكان نازلاً بمكان أفْيَحَ من الأرض يسمى الزلاّقة بالقرب من بَطَلْيَوْس — قال البياسي : بين المكانين أربعة فراسخ ؛ وقال أيضاً : إن يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الحرب أو الجزية ، ومن فصول كتابه : وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك ، وتمنيت أن يكون لك فلكٌ تعبر البحر عليها إلينا ، فقد أجزناه إليك . وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾(غافر : ٥٠). فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وأقسم أنه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه .

ثم إن ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة ، فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها ، فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولاً ،وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم وتبعوه ، يميل عليهم بعساكره ، وتتألف معه عساكر الأندلس ، فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير الأذفونش في دون الثلاثين من أصحابه ، فلحق ببلده على أسوأ حال، فغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ أيديهم خيراً .

قلت : وكانت الوقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وقيل في شهر رمضان في العشر الأواخر من السنة ، والله أعلم . وقال البياسي : كان حلول العساكر الإسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

فحكي أن موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أو دم ، وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم ، فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين وآثر بها ملوك الأندلس ، وعرفهم أن مقصوده إنما كان الغزو لا النهب ، فلما رأت ملوك الأندلس إيثار يوسف ابن تاشفين لهم بالمغانم استكرموه وأحبوه وشكروا له .

ثم إن يوسف بن تاشفين أزمع الرجوع إلى بلاده ، وكان عند قصده ملاقاة الأذفونش تحرّى المسير بالعراء من غير أن يمرّ بمدينة أو رستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش وهناك اجتمع بعساكر الأندلس ؛ وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي في كتاب « تذكير العاقل وتنبيه الغافل » أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء ، وكان الموعد في المناجزة يوم السبت الأدنى فغدر الأذفونش ومكر ، فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة ، فبادر ابن عباد للركوب ، وانبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ، ووقع البهت ورجفت الأرض ، وصارت الناس

فوضى على غير تعبية ولا أهبة ، ودهمتهم خيلُ العدو ، فقمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها ، وتركت الأرض حصيداً خلفها ، وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه ؛ وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم ، وظنوا أنها وهية لا ترقع ونازلة لا تدفع ، وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فركب أمير المسلمين وأحدق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل ، فعمدوا إلى محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها ، وضربت الطبول فاهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق ، وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها ، فصدموا أمير المسلمين فأفرج لهم عنها ، ثم كر فأخرجهم منها ، ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حَشَمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللمط وسيوف الهند ومزاريق الزان ، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها ، وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه بالقذف، فأهوى ليضربه بالسيف، فلصق به الأسود وقبض على أعنته وانتضى خنجراً كان منتطقاً به ، فأثبته في فخذه فهتك حلق درعه وشك فخذه مع بداد سرجه ، وكان وقت الزوال من ذلك اليوم ، فهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه ، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه ، فأخرجوهم عن محلتهم ، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم ، والسيوفُ تصفعهم إلى أن لحقوا بربوة لجأوا إليها واعتصموا بها ، وأحدقت بهم الخيل ؛ فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة ، وأفلتوا بعدما نشبت فيهم أظفارهم ، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة ، وأمر ابن عباد بضم رءوس قتلى الروم ، فنشر منها أمامه كالتل العظيم ، ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد كتاباً وأطار به الحمَام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر .

وقد روي أيضاً أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدده ، فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى ، وذكر فيه أن جماعة أفتوه

بجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال أهل المرية لقاضي بلدهم وهو أبو عبد الله ابن الفراء أن يكتب جوابه ، وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي ، فكتب إليه : أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك ، وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعُدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله ، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ، ولا مَنْ لا يشك في عدله ، فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فالله سائلُهم عن تقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أنْ ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم ، فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم، وتحلف أن ليس عندك درهم واحد، ولا في بيت مال المسلمين ، وحينئذ تستوجب ذلك ، والسلام .

ولما قضى أمير المسلمين من هذه الوقعة ما قضى ، أمر عساكره بالمقام وأن تشن الغارات على بلاد الفرنج ، وأمَّر عليهم سِيْرَ ابن أبي بكر ، وطلب الرجوع في طريقه ،فتكرم له المعتمد بن عباد، فعرج به إلى بلاده وسأله أن ينزل عنده ، فأجابه يوسف إلى ذلك . فلما انتهى إلى إشبيلية مدينة المعتمد ، وكانت من أجمل المدن منظراً ونظر إلى موضوعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبةً من بر المغرب وحاملة إليه ، في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون ، وهذا الموضع هو المسمى شَرَف إشبيلية ، وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الأصناف ، وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد في غاية الحسن والبهاء ، وفيها أنواع ما يحتاج إليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك، فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها ، وتولى من إكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له ، وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينبهونه على تأمل تلك الحال وما هي عليه من النعمة والإتراف ،

ويُغْرُونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون له: إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه ؛ وكان يوسف بن تاشفين مقتصداً في أموره غيرَ متطاول ولا مبذر متنوق في صنوف الملاذ بالأطعمة وغيرها ، وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شَظَف العيش ، فأنكر على مُغريه بذلك الإسراف وقال : الذي يلوح من أمر هذا الرجل ، يعني المعتمد ، أنه مضيّع لما في يده من الملك ، لأن هذه الأموال التي تعينه على هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبداً ، فأخذه بالظلم وأخرجه في هذه الترهات ، وهذا من أفحش الاستهتار ، ومَنْ كانت همته في هذا الحد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد هـمّة في حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها ؟!!

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته : هل تختلف فتنقص عما هي عليه في بعض الأوقات ؟ فقيل له : بل كل زمانه على هذا ، قال : أفكل أصحابه وأنصاره على عدوّه ومنجديه على الملك ينال حظاً من ذلك ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف ترون رضاهم عنه ؟ قالوا : لا رضا لهم عنه ، فأطرق يوسف وسكت . فأقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياما . وفي بعض تلك الأيام استأذن رجل على المعتمد ، فدخل وهو ذو هيئة رثة ، وكان من أهل البصائر ، فلما دخل عليه قال له : أصلحك الله أيها الملك ، إن من أوجب الواجبات شكرَ النعمة ، وإن من شكر النعمة إهداء النصائح ، وإني رجل من رعيتك ، حالي في دولتك إلى الاختلال أقرب منها إلى الاعتدال . لكنني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه الملك على رعيته ، فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك ، وقد رأيت رأيا فإن آثرت الإصغاء إليه قلته ؛ قال له المعتمد : قله ، قال : رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعته على ملكك رجل مستأسد على الملوك ، قد حطّم ببر العدوة زَنَاتة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على أحد منهم ، ولا يؤمن أن يطمح إلى الطماعية في ملكك ، بل في ملك جزيرة الأندلس كلها بما قد عاينه من بلهنية

عيشك ، وإنه لمتخيل في مثل حالك سائر ملوك الأندلس ، وإن له من الولد والأقارب ممن يؤثرمسراتهم من يودّ له الحلول بما أنت فيه من خصب الجناب ، وقد أودى الأذفونش وجيشه واستأصل شأفتهم وأعلمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه ، فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى مجن ، وبعد أن فات الأمر في الأذفونش لا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم ، قال له المعتمد : وما هو الحزم اليوم؟ قال : ان تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك ، وتجزم انك لاتطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الاندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ، ثم تتفق أنت وملوك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه بغزاة له ، ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الإيمان ألا يضمر في نفسه عوداً إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم ومنه ، وتأخذ منه على ذلك رهائن ، فإنه يعطيك من ذلك ما تشاء ، فنفسه أعز عليه من جميع ما تلتمس منه ، فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاده التي لا تصلح إلا له ، وتكون قد استرحت منه بعدما استرحت من الأذفونش ، وتقيم في موضعك على خير حال ، ويرتفع ذكرك عند ملوك الأندلس وأهل الجزيرة ، ويتسع ملكك وتنسب بهذا الاتفاق لك إلى سعادة وحزم ، وتهابك الملوك ، ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في محاورة من عاملته هذه المعاملة ، واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تتفانى الأمم وتجري بحار الدم دون حصول مثله .

فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصة . وكان للمعتمد ندماء قد انهمكوا معه في اللذات ، فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح : ما كان المعتمد على الله ، وهو إمام أهل المكرمات ، ممن يعامل بالحيف ويغدر بالضيف ، فقال له الرجل : إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذورَ إذا ضاق به ؛ قال ذلك النديم : لضيمٌ مع وفاء خير من حزم مع جفاء . ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر وتلافاه ، فشكر له المعتمد ووصله بصلة ، وانصرف . واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين فأصبح غادياً ، فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ،

ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة — قلت : وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدي الناس فيه من أحد البرين إلى الآخر ، أعني بر الأندلس وبر العدوة ، وقد تقدم الكلام على هذا المكان .

قال : ولما عبر يوسف إلى بر العُدْوَة أقام عسكره بجزيرة الأندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الأذفونش فتوغل في بلاده . ولما رجع الأذفونش إلى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وأبطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتلوا ، ولم يسمع إلا نياحَ الثكالى عليهم ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هماً وغماً ، ولم يخلف إلا بنتا جعل الأمر إليها ، فتحصنت بمدينة طُلَيْطلة .

وأما عسكر ابن تاشفين فانهم في غارتهم هذه كسبوا من المغانم ما لا يحد ولا يوصف وأنفذوا ذلك إلى بر العدوة ، واستأذن أميرهم سير ابن أبي بكر يوسفَ بن تاشفين في المقام بجزيرة الأندلس وأعلمه أنه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب بها مستحفظين ورجالاً يغنون فيها ، وأنه لا يستقيم لهذه الجيوش أن تقيم بالثغور في ضنك من العيش تصابح العدو وتماسيه ، وتحظى ملوك الأندلس من الأرياف برَغَدِ العيش ، فكتب إليه ابن تاشفين يأمره باخراج ملوك الأندلس من بلادهم وإلحاقهم بالعدوة ، فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفّس عنه حتى يخرجه، وليبدأ منهم بمجاوري الثغور، ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستولِ على البلاد ، ثم يولي تلك البلاد أمراء عسكره وأكابرهم. فابتدأ سير ابن أبي بكر بملوك بني هُود من ملوك الأندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روطة — قلت: هي بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء ، قلعة منيعة من عاصمات الذرا ، ماؤها ينبوع في أعلاها، وكان بها من الأقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الأزمان — فلم يقدر عليها فرحل عنها ، ثم جند أجناداً على صور الفرنج وأمرهم أن يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ، ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها ، ففعلوا ذلك ، فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل في طلبهم ، فخرج سير ابن أبي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة . ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس ، فسلموا إليه ولحقوا بالعدوة . ثم نازل بني صُمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة ،

إلا أنهم لم يكن عندهم أجناد ولا أنجاد من الرجال فزحفوا عليهم وغلبوهم، فلما علم المعتصم بن صمادح أنه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف قضى عليه ، فمات من ليلته فاشتغل أهله به ، فسلموا المدينة . ثم نازلوا المتوكل عمر بن الأفطس ببَطَلْيَوس ، وكان رجلاً شجاعاً عظيم القدر كبير البيت – وكان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي من فحول العلماء ، وكان ملكاً له تصانيف أعظمها وأشهرها الكتاب المنسوب إليه وهو « المظفري » في علم التاريخ ،[وكانت]مدينته بَطَلْيوس من أجمل البلاد – لم يذعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال إلى أن خامر عليه أصحابه فقبض عليه باليد وعلى ولدين له ، فقتلوا صبراً ، وحمل أولاده الأصاغر إلى مراكش ؛ وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا إلى بر العدوة إلا ما كان من المعتمد بن عباد ، فإن سير ابن أبي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة ، كتب إلى يوسف بن تاشفين أنه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد ، فارسم في أمره بما تراه ، فأمره بقصده وأن يعرض عليه التحول إلى بر العدوة بأهله وماله ، فإن فعل فبها ونعمت ، وإن أبى فنازِلْهُ ، فلما عرض عليه سير ابن أبي بكر ذلك لم يعطه جواباً ، فنازله وحاصره أشهراً ثم دخل عليه البلد قهراً واستخرجه من قصره قسراً ، فحمل إلى العدوة مقيداً ، فأنزل بأغمات وأقام بها إلى أن مات ، ولم يعتقل من ملوك الأندلس غيره . وتسلم سير ابن أبي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها ، فمات يوسف بن تاشفين في التأريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأفضى الملك إلى ولده أبي الحسن علي بن يوسف ، وكان رجلا حليماً وقوراً صالحاً عدلاً منقاداً للحقّ والعلماء ، تجبى إليه الأموال من البلاد ، لم يزعزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه – قلت : قد تقدم في ترجمة أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي صاحب «قلائد العقيان»[1] أنه جمع الكتاب المذكور باسم إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ،

---

1 انظر ج ٤ : ٢٤ .

وأن الذي أشار بقتل الفتح المذكور هو علي بن يوسف بن تاشفين المذكور .

ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف وعلى يده انقرض ملكهم ، وسيأتي شرح ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى. وقد تقدم في أوائل هذه الترجمة أن يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراكش؛ قال صاحب هذا الكتاب الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب : إن مراكش[1] مدينة عظيمة بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراكش – معناه : امش مسرعاً بلغة المصامدة – كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة ، فعرف الموضع بها . وقال غير مؤلف هذا الكتاب : بنى ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة خمس وستين وأربعمائة، قاله أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه « النبراس » في خلافة القائم بأمر الله، قال : وكانت مزرعة لأهل نفّيس[2]، فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من الصحراء – ونفيس[2]: بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها، جبل مُطل على مراكش، قلت : وهي بنواحي أغمات في المغرب الأقصى – . وذلك أنه لما توطنت نفسه على الملك ، وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه من لُمتُونة سمت همته إلى بناء هذه المدينة ، وكان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر ، وبها قوم من البربر ، فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة ، وهي في مرج فسيح ، وحولها جبال على فراسخ منها ، وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها .

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس ، وكانت إذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام ، وضيق على أهلها ثم أخذها فأقر العامة بها . ونفى البربر والجند، بعد أن حبس بعضهم وقتل بعضهم، فعند ذلك قوي شأنه وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه ، مع ما صار بيده من بلاد جزيرة الأندلس كما شرحناه . وكان حازماً سائساً للأمور ضابطاً

١ انظر الاستبصار في الحديث عن مراكش ص : ٢٠٨ والحاشية .
٢ راجع المصدر السابق .

لمصالح مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم ، وبلغني أن الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي ، تغمده الله تعالى برحمته ، لما سمع ما هو عليه من الأوصاف الحميدة وميله إلى أهل العلم عزم على التوجه إليه ، فوصل إلى الإسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه، فوصله خبر وفاته، فرجع عن ذلك العزم ، وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب ، وقد ذهب عني في هذا الوقت أين وجدته .

وكان يوسف معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت، وكان يخطب لبني العباس ، وهو أول من تسمى بأمير المسلمين ، ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة ، وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة ، رحمه الله تعالى .

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله[1] : سنة خمسمائة فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس ، وكان حسن السيرة خيراً عادلاً ، يميل إلى أهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن آرائهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها ، وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته، وكانت من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنى زوجته : يا جاهل ، ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ؟ ثم أرسله إليها ، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له : ما أكلت في هذه الأيام ؟ قال : طعاماً واحداً ، فقالت له : كل النساء شيء واحد ؛ وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته .

(385) وأما ولده علي المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، ومولده في حادي عشر رجب سنة ست وسبعين وأربعمائة ،

---

١ ابن الأثير ١٠ : ٤١٧ .

وقد سبق ذكر طرف من حديثه في ترجمة محمد بن تومرت المهدي ، فيكشف عنه .

ولما خرج عبد المؤمن بن علي – المقدم ذكره[1] – قاصداً جهة البلاد المغربية ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ، كان مسيره على طريق الجبال فسير علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون في قبالة عبد المؤمن ، ومعه جيش فساروا في السهل وأقاموا على هذا مدة ، فتوفي علي بن يوسف في أثنائها في التاريخ المذكور ، فقدم أصحابه ولده إسحاق بن علي وجعلوه نائب أخيه تاشفين على مراكش ، وكان صبياً ، وظهر أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال ، وفيها غُمارة وتالدة والمصامدة ، وهم أمم لا تحصى ، فخاف تاشفين بن علي واستشعر القهر ، وتيقن أن دولتهم ستزول ، فأتى مدينة وَهْران ، وهي على البحر ، وقصد أن يجعلها مقره ، فإن غُلب عن[2] الأمر ركب منها في البحر إلى بر الأندلس يقيم بها كما أقامت بنو أمية بالأندلس عند انقراض دولتهم بالشام وبقية البلاد ، وفي ظاهر وَهْران رُبوة على البحر تسمى صلب الكلب ، وبأعلاها رباط يأوي إليه المتعبدون . وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم في جماعة يسيرة من خواصه ، وكان عبد المؤمن بجمعه في تاجرة – وهي وطنه كما ذكرته في ترجمته – واتفق أنه أرسل مَنْسراً إلى وهران فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ، ومقدمهم الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدي ، فكمنوا عشية ، وأعلموا بانفراد تاشفين في ذلك الرباط ، فقصدوه وأحاطوا به ، وأحرقوا بابه ، فأيقن الذين فيه بالهلاك ، فخرج تاشفين راكباً فرسه ، وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو ، فترامى الفرس نازيا لروعته ، ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف هنالك إلى جهة البحر على حجارة في وَعْر ، فتكسر تاشفين وهلك في الوقت ، وقتل الخواص الذين كانوا معه ، وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في الليل .

---

[1] أنظر ج ٣ : ٢٣٧ .   [2] هكذا في المسودة .

وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن ، فوصل إلى وهران ، وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ، ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل. ثم توجه إلى تلمسان وهي مدينتان قديمة ومحدثة بينهما شوط فرس، ثم توجه إلى فاس فحاصرها ، وأخذها في سنة أربعين وخمسمائة ، ثم قصد مراكش في سنة إحدى وأربعين فحاصرها أحد عشر شهراً وفيها إسحاق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم قدموه بعد موت أبيه علي بن يوسف بن تاشفين نائباً عن أخيه تاشفين ، فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد ، وأخرج إليه إسحاق بن علي ومعه سير بن الحاج، وكان من الشجعان وخواص دولتهم، وكانا مكتوفين ، وإسحاق دون البلوغ ، فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن إسحاق لصغر سنه فلم يوافقه خواصه ، وكان لا يخالفهم ، فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما، ثم نزل عبد المؤمن في القصر،وذلك في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، وانقرضت دولة بني تاشفين .

قلت : وقد ذكرت في ترجمةالمعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى الأندلس في العام الثاني من وقعة الزلاّقة ، وذكرت ها هنا ما يدل على أنه ما عاد إليها ، وإنما نوّابه هم الذين أخذوا بلاد الأندلس له ، فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب أن هذا متناقض ، والعذر في هذا أنني وجدته في ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة ، والله أعلم بالصواب .

ثم رأيت في كتاب « تذكير العاقل » تأليف أبي الحجاج يوسف البياسي أن ابن تاشفين لما جاز البحر قصد إشبيلية ، فخرج ابن عباد إلى لقائه ومعه الضيافة والإقامة ، ثم خرج من إشبيلية بقضّه وقضيضه قاصداً بَطَلْيَوْس ، وجرت الواقعة المذكورة ، ثم عاد ابن تاشفين إلى بلاده ، وان ابن عباد جاز البحر ومضى إليه في سنة إحدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من بلاد العدو ، فأكرمه ابن تاشفين وأجابه إلى إنجاده ، ثم عاد ابن عباد إلى بلاده واستعد للعدو ، ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة إحدى وثمانين ، ثم خرج الأذفونش في جيش كثيف ، وكان ملوك الأندلس قد اجتمعوا عند

ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه ، وأوهمه خواصه أن ملوك الأندلس يفرون عنه ويخلون بينه وبين الأذفونش فأصغى إلى كلامهم وعمل في نفسه قولهم ، فأخذ في الحركة إلى البرية ، وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائداً إلى بلاده ، وقد وغر صدره على ملوك الأندلس ، وتبين لهم تغيره عليهم وخافوه ، فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الأقوات ، وراسل بعضهم الأذفونش ليكون عوناً له خوفاً من ابن تاشفين ، فأجابه الأذفونش بالإعانة والمساعدة ، وكان قد سيّر له هدايا وألطافاً كثيرة فقبلها منه ، وحلف له على جميع ما التمس منه ، واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظاً .

ثم إن ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهي لابن عباد ، فوصلها في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقد سبقه إليها ابن عباد ، فخرج إليه بالضيافة وجرى معه على عادته . ثم ان ابن تاشفين أخذ غَرْناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس وحبسه ، فطمع ابن عباد في غَرْناطة وأن ابن تاشفين يعطيه إياها ، فعرّض له بذلك ، فأعرض عنه ابن تاشفين،وخاف ابن عباد منه ، وعمل على الخروج عنه فقال له : إنه جاءته كتب من إشبيلية ، وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه في العود إليها ، فأذن له فعاد . ثم رجع ابن تاشفين إلى بلاده وجاز البحر في في شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين ، وأقام ببلاده إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين ، ثم عزم على العبور إلى الأندلس لمنازلة ابن عباد ، وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ في التأهب والاستعداد ، ووصل ابن تاشفين إلى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدّم عليهم سير بن أبي بكر فجازوا البحر وضايقوا بلاد ابن عباد ، فاستصرخ بالأذفونش فلم يلتفت إليه ، وكان ما ذكرته ، والله أعلم .

وفي هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج إلى الكلام عليه ، والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ، ويسكنون الصحارى الجنوبية وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب، وبيوتهم من الشعر والوبر ، وأول مَنْ جمعهم وحرضهم على القتال وأطمعهم في تملك

البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه ، وقتل في حرب جرت مع برغواطة ، وقام مقامه أبو بكر ابن عمر الصنهاجي الصحراوي – المقدم ذكره – ومات في حرب السودان ، وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه ، وهو الذي سمى أصحابه المرابطين ، وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ، فلذلك سموهم الملثمين ، وذلك سُنّة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف ، وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم ، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم . وقيل كان سببه أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء ، فاذا أتاهم العدو ظنوهم النساء فيخرجون عليهم ، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدوّ .

وقال شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله : وقيل إن سبب اللثام لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ، ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنه رجالاً وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والرأي أن نسوق النعم ونمضي ، فإن اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم . فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ أقبل رجال الحي ، فبقي العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو وأكثروا وكان من قبل النساء أكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً .

ومما قيل في اللثام :

قوم لهم درك العــلا في حمير — وإن انتموا صنهاجةً فهمُ همُ[1]
لما حووا إحــرازَ كــلّ فضيلة — غلبَ الحياءُ عليهمُ فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر ابن عمر الصنهاجي ، وخرج من سجلماسة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وكان أبو بكر ابن عمر قد أتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها ، وقاتل أهلها أشد قتال وأخذها ، ثم رتّب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان .

٨٤٥
يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب

أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب – وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن في حرف العين ، وذكر ولده يعقوب قبل هذا ؛ ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف بالملك ، وكان ولي العهد قبله أخوه محمد بن عبد المؤمن ، ونقش على الدنانير اسمه ، وكان ذلك باستخلاف أبيه وتحليفه الجند له ، فظهر منه اشتغال بالراحة وانهماك في البطالة فخلعه يوسف ، وكان له أخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاه جزيرة الأندلس .

وكان يوسف المذكور فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف ، فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان ، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء . وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر

---

١ هامش المختار : خ وإذا دعوا لمتونة .

٨٤٥ – أخباره في الحلل الموشية والمن بالإمامة وروض القرطاس ونظم الجمان والمعجب وأعمال الأعلام وتاريخ ابن خلدون والأنيس المطرب والاستقصا والبيان المغرب (ج : ٣ ط تطوان) ... الخ .

من ميله إلى الأدب وبقية العلوم ، وكان جمّاعاً مناعاً ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته ، وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر ، وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الأمور إليهم لما علم من صلاحهم لذلك ، والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة إليه .

فلما مهدت له الأمور واستقرت قواعد ملكه ، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها ، وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين ، فنزل باشبيلية .

(386) فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس: مرسية وما انضاف إليها، وحمل على قلبه فمرض مرضاً شديداً ومات، وقيل إن أمه سقته السم، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته ، فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه ، فعملت عليه فقتلته بالسم . وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية ، ومولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة في قلعة من أعمال طرطوشة يقال لها بُنُشْكُلَه، وهي من الحصون المنيعة . ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده ، وقيل إخوته ، إلى الأمير يوسف ابن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم، وقيل لأخيهم، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم ، وأصبحوا عنده في أعز مكان .

ثم إن الأمير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج ، وكانوا قد استولوا عليها ، فاتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى باب طليطلة ، وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم . ثم إنه حاصرها ، فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء في عسكره ، فرجع عنها وعاد إلى مراكش .

وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة ، ثم دخل جزيرة الأندلس في سنة ثمانين ومعه جمع كثيف ، وقصد غربي بلادها

أن عبد المؤمن كان في حياته قد عهد إلى أكبر أولاده وهو محمد ، وبايعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد ، فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام . واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع ، وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوماً ، وذلك في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكان الذي سعى في خلعه أخويه يوسف وعمر ابني عبد المؤمن . ولما تم خلعه دار الأمر بين الأخوين المذكورين ، وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوي الرأي،وتأخر عنهما أبو حفص عمر ، وسلم الأمر إلى أخيه يوسف فبايعه الناس واتفقت عليه الكلمة .

وكان[1] أبيض تعلوه حمرة،شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين ، إلى الطول ما هو ، في صوته جَهارة ، رقيق حواشي اللسان حلو الألفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لأيامها في الجاهلية والإسلام ، صرف عنايته إلى ذلك ، ولقي فضلاء إشبيلية أيام ولايته لها ، ويقال إنه كان يحفظ صحيح البخاري . وكان شديد الملوكية بعيد الهمة سخياً جواداً استغنى الناس في أيامه، وكان يحفظ القرآن العظيم مع جملة من الفقه ، ثم طمح إلى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئاً كثيراً .

(388)وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن أبو بكر محمد بن الطفيل[2]، كان متحققاً لجميع أجزاء الحكمة ، قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة[3]وغيره.ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة ، وكان

---

١ هذا النص ملخص عن المعجب للمراكشي ، انظر ص : ٣٠٩ .

٢ هو صاحب « حي بن يقظان » ، له ترجمة في المغرب ٢ : ٨٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٧٨ والمقتضب من تحفة القادم : ٧٢ والبدر السافر ،الورقة : ١٢٨والمعجب : ٣١١ — ٣١٥ وقد كتبت عنه بحوث ودراسات متعددة .

٣ مرت ترجمته ، انظر ج ٤ : ٤٢٩ .

حريصاً على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفنناً .

ولم يزل يجمع إليه العلماء من كل فن من جميع الأقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي .

ولما استوثق ليوسف الأمر وملك بلاد مردنيش من الأندلس خرج من إشبيلية قاصداً بلاد الأذفونش من الأندلس أيضاً فنزل على مدينة له تسمى وبذة[1] فأقام محاصراً لها شهوراً إلى أن اشتد عليهم الحصار وعطشوا، فراسلوه في تسليم المدينة وأن يعطيهم الأمان على نفوسهم ، فامتنع من ذلك ، فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة ، وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى ، فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج ، فارتووا وتقوّوا على المسلمين ، فانصرف عنهم إلى إشبيلية بعد أن هادنهم مدة سبع سنين .

وكان يرتفع إليه في كل سنة من خراج إشبيلية وقر مائة وخمسين بغلاً ، خارجاً عما يرتفع إليه من خراج بقية البلاد في بر العدوة وفي بر الأندلس .

وفي سنة تسع وسبعين[2] تجهز للغزو في جيش عظيم وعبر إلى جزيرة الأندلس ونزل إشبيلية كعادتهم في إصلاح شأنهم ، ثم رحل إلى شنترين ، وهي بليدة في غرب الأندلس ، وهي في غاية المنعة والحصانة ، فحاصرها وضيق عليها ، فلم يقدر عليها ، وهجم الشتاء ، وخاف المسلمون من البرد وزيادة مدّ النهر فلا يقدرون على العبور وتنقطع عنهم المادة ، فأشاروا عليه بالرجوع إلى إشبيلية ، فاذا طاب الزمان عاد إليها ، فقبل ذلك منهم وقال: نحن راحلون غداً إن شاء الله تعالى ، ولم ينتشر هذا الحديث لأنه قاله في مجلس الخاصة ، فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب

١ ر و المختار : ربذة .

٢ قارن بما في المعجب : ٣٣٠ وما بعدها ؛ وأورد صاحب البيان المغرب الخبر عن هذه المعركة مفصلا (ص ١٢٨ – ١٣٨) .

المالقي[1]، وكان من أهل العلم والفضل ، فلما رآه الناس قد قوض خباءه قوضوا أيضاً ثقة به،لمكانه من الدولة ومعرفته بأسرارها، فعبر تلك الليلة أكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلباً لجيد المنازل ، ولم يبق إلا من كان بقرب خباء الأمير يوسف بن عبد المؤمن ، ولا علم له بذلك ، فلما رأى الروم عبور العسكر وبلغهم من جواسيسهم ما عزم عليه الأمير يوسف وأصحابه خرجوا منتهزين الفرصة وحملوا حتّى انتهوا إلى جهة الأمير يوسف ، فقتل على بابه خلق كثير من أعيان الجند ، وخلصوا إلى الأمير يوسف فطعنوه تحت سرته طعنة كانت سبب منيته ، وتداركهم الناس ، فانهزم الروم ، وجعل الأمير يوسف في محفة ، وعبر به النهر ، ولم يسر به سوى ليلتين ومات في الثالثة ، فلما وصلوا به إلى إشبيلية صبّروه وصيروه في تابوت وحملوه إلى تين مل ، ودفن هناك عند أبيه عبد المؤمن والمهدي محمد بن تومرت .

وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان قبل موته بأشهر ينشد هذا البيت ويردده في أوقات كثيرة :

طوى الجديدان ما قد كنتُ أنشره ... وأنكرتني ذواتُ الأعينِ النُّجُلِ

وقام بعده بالأمر ولده أبو يوسف يعقوب ، بويع في حياة أبيه ، وقيل إن أشياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة أبيه ، والله أعلم .

(389) وكان الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورايي[2] — وكورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي مدينة فاس ، وقيل إن هذه القبيلة إنما يقال لها جرّاوة : بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافاً فيقال لها كراوة ، والنسبة إليها جراوي وكراوي — وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة، وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبد المؤمن ، ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب ،

---

١ شرح المراكشي في المعجب : ٣٣٣ ما حل بأبي الحسن المالقي هذا ، فقد هرب خوفاً من الخليفة الموحدي ، ولجأ إلى ابن الريق ، ثم دس كتاباً إلى الموحدين يدلهم فيه على عورات الروم ، فكشف أمره ، وعوقب بالموت حرقاً ، ولكن صاحب البيان المغرب (٣ : ١٣٧) عده من استشهد في المعركة .

٢ قد مر التعريف به ، انظر ما تقدم ص : ١٢ .

وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع « الحماسة » لأبي تمام الطائي ، وسماه « صفوة الأدب وديوان العرب » وهو كثير الوجود بأيدي الناس ، وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق . والمقصود من ذكر هذا الأديب أنه كانت له نوادر نادرة وملح مستظرفة عند أهل الأدب ، فمن ذلك أنه حضر يوماً إلى باب دار الأمير يوسف المذكور ، وهناك الطبيب سعيد الغماري – وغمارة ، بضم الغين المعجمة ، قبيلة من البربر أيضاً – فقال الأمير يوسف لبعض خدمه : انظر مَنْ بالباب من الأصحاب ، فخرج الخادم إلى الباب ثم عاد إليه فقال : أحمد الكوراني وسعيد الغماري ، فقال الأمير يوسف : من عجائب الدنيا شاعر من كورايا وطبيب من غمارة ، فبلغ ذلك الكوراني ، فقال ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ﴾ (يس : ٧٨) أعجبُ منهما والله خليفةٌ من كومية ، فيقال إن الأمير يوسف لما بلغه ذلك قال : أعاقبه بالحلم عنه والعفو ففيه تكذيبه .

ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الأمير يوسف المذكور ، وهو بديع غريب :

إن الإمام هو الطبيبُ وقد شفى ... عللَ البريّة ظاهراً ودخيلا
حملِ البسيطةَ وهي تحملُ شخصه ... كالروح توجدُ حاملاً محمولا

ومن شعره أيضاً في ذم أهل فاس ، وهي مدينة بالمغرب فيما بين سبتة ومراكش :

مشى اللؤم في الدنيا طريداً مشرداً ... يجوب بلاد الله شرقاً ومغربا
فلما أتى فاساً تلقاه أهلها ... وقالوا له : أهلا وسهلا ومرحبا

وله كل شعر مليح . وكان شيخاً مسناً جاوز ثمانين سنة ، وتوفي في آخر أيام الأمير يعقوب ابن الأمير يوسف – وقد ذكرت وفاة الأمير يعقوب في ترجمته فيكشف منها – وله مديح في الأمير عبد المؤمن بن علي وأولاده إلى آخر زمنه ، رحمه الله تعالى .

وأما شنترين : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، فهي مدينة في غرب الأندلس ؛ وذكر ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » أن شنترين على البحر المحيط ، وبها يقع العنبر ، ولا يعلم ببلد الروم والمحيط عنبر يقع في غير هذا الموضع وشيء وقع بالشام . ويقع بشنترين في وقت من السنة دابة تحك الحجارة في وسط البحر ، فيقع بها وبرة في لين الخزّ و لون الذهب ، فيجمع منه ما يغزل وينسج ثياباً ، ويتلون الثوب ألواناً ، وتحجر عليه ملوك بني أمية بالأندلس ، فلا ينقل ولا يشترى ، فتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه ، والله أعلم .

قلت : وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب هناك ، وأراد أن يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها ، ثم قال : لكنها أرفع وأنعم من نسج العنكبوت ، فتعالى الله ما أجل قدرته وألطف حكمته وأحسن صنعته ، وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ، ولله در أبي نواس حيث قال :

وفي كلّ شيء له آيةٌ تدلّ على أنه واحدُ

٨٤٦

السلطان صلاح الدين

أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية ؛ قد تقدم في هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه أخيه الملك العادل أبي بكر محمد ، وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته ؛ وصلاح الدين كان واسطة العقد ، وشهرته أكبر من أن تحتاج إلى التنبيه عليه .

اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دُوِين ، بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أرّان وبلاد الكرج ، وأنهم أكْرَاد رَوَادية ، بفتح الراء والواو وبعد الألف دال مهملة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء — والروادية : بطن من الهذبانية — بفتح الهاء والذال المعجمة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد . وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول ، وهو من أهل دُوِين : إن على باب دُوِين قرية يقال لها أجْدَانقَان ، بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون مفتوحة وقاف مفتوحة وبعد الألف الثانية نون أخرى ، وجميع أهلها أكراد رَوَادية ، ومولد أيوب والد صلاح الدين

٨٤٦ — من المتعذر حصر المصادر الأصلية عنه وعن أخباره ، ويكفي أن نذكر تاريخ ابن الأثير وسيرة ابن شداد والروضتين ومفرج الكروب والفتح القسي والبرق الشامي ومضمار الحقائق ورسائل القاضي الفاضل ومرآة الزمان والسلوك ... الخ ، هذا عدا عما كتب عنه في اللغات الأجنبية ، والدراسات التي تناولته (تخصيصاً أو تعميماً للحروب التي سميت بأسم الحروب الصليبية) .

بها ، وشاذي أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ، ومن هناك نزلوا تكريت ، ومات شاذي بها ، وعلى قبره قبة داخل البلد .

ولقد تتبعت نسبتهم كثيراً فلم أجد أحداً ذكر بعد شاذي أبا آخر ، حتى إني وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه وأيوب ، فلم أر فيها سوى شيركوه بن شاذي ، وأيوب بن شاذي ، لا غير ؛ وقال لي بعض كبراء بيتهم : هو شاذي بن مروان ، وقد ذكرت ذلك في ترجمة أيوب وشيركوه ؛ ورأيت مُدَرَّجاً رتبه الحسن بن غريب بن عمران الحرشي[1] يتضمن أن أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي بن عنترة بن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هدبة بن الحُصَين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن أسامة بن بيهس بن الحارث صاحب الحمالة ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نُشْبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان[2] بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ثم رفع بعد هذا في النسب حتى انتهى إلى آدم عليه السلام . ثم ذكر بعد ذلك أن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز يقال إنه ممدوح المتنبي ، ويعرف بالخراساني ، وفيه يقول من جملة قصيدته[3] :

شَرِقَ الجوُّ بالغبارِ إذا سا ... رَ عليُّ بن أحمد القمقامُ

وأما حارثة بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحَمَالة ، فهو الذي حمل الدماء بين عبس وذبيان ، وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن

---

١ المختار : الجرشي ، وقد ضبط المؤلف الاسم برسم صورة الحاء تحت الحرف ، كما جرى به الضبط .

٢ بضم الذال أو كسرها ، وكتب فوقه « معاً » في المسودة .

٣ ديوان المتنبي : ١٠٥ .

٤ كذا كتبه المؤلف هنا ، وقبل أسطر كتبه « الحارث » ، والمشهور أن اسمه الحارث .

سنان ، وفيهما قال زهير بن أبي سلمى المزني قصائد منها قوله[1] :

على مكثريهم حقّ من يعتريهم   وعند المُقلّين السماحة والبَذلُ
وهل ينبتُ الخطيَّ إلا وَشيجُهُ   وتُغرَسُ إلا في منابتها النّخلُ

هذا آخر ما ذكره في المدرج ، وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم ، وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة ، والله أعلم ؛ انتهى ما نقلته من المدرج .

ورأيت في « تاريخ حلب » الذي جمعه القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي بعد أن ذكر الاختلاف في نسبهم فقال : وقد كان المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ابن أيوب ملك اليمن ادعى نسباً في بني أمية وادعى الخلافة . وسمعت شيخنا القاضي بهاء الدين عرف بابن شداد يحكي عن السلطان صلاح الدين أنه أنكر ذلك وقال : ليس لهذا أصل أصلاً .

قلت : ذكر شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري صاحب التاريخ الكبير في تاريخه الصغير الذي صنفه للدولة الأتابكية ملوك الموصل ، في فصل يتعلق بأسد الدين شيركوه ، ومسيره إلى الديار المصرية فقال[2] : كان أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب ، وهو الأكبر ، ابنا شاذي من بلد دُوين ، وأصلهما من الأكراد الروادية قد قدما العراق . وخدما مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي شحنة بالعراق.

(390) قلت : وهذا مجاهد الدين كان خادماً رومياً أبيض اللون تولى شحنة بالعراق من جهة السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلجوقي — المقدم

---

١ ديوان زهير : ١١٤ — ١١٥ .
٢ علق ابن المؤلف هنا بأن هذا ورد أيضاً في ترجمة نجم الدين أيوب ، قلت : انظر ج١ : ٢٥٥ وما بعدها ؛ وانظر الباهر : ١١٩ .

ذكره وذكر والده وجماعة من أهل بيته – وكان صاحب همة في عمل المصالح الجليلة وعمارة البلاد ، واسع الصدر والصبر في البذول والإنفاقات والمطاولة والمراجعة إذا امتنع عليه الغرض ، وكانت تكريت إقطاعاً له ، وكان خادم السلطان محمد والد مسعود المذكور ، وبنى في بغداد رباطاً وقف عليه وقفاً جيداً ، ومات يوم الأربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة أربعين وخمسمائة . وبهروز : بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو وبعدها زاي ، وهو لفظ عجمي ، معناه يوم جيد ، على التقديم والتأخير على عادة كلام العجم .

قال شيخنا ابن الأثير : فرأى مجاهد الدين في نجم الدين أيوب عقلاً ورأياً حسناً وحسن سيرة ، فجعله دُزْدار تكريت إذ هي له – قلت : دزدار ، بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الألف راء ، وهو لفظ عجمي معناه حافظ القلعة ، وهو الوالي ، ودزه[1] بالعجمي القلعة، ودار: الحافظ – فسار إليها ومعه أخوه أسد الدين شيركوه، فلما انهزم أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا – قلت : وهي وقعة مشهورة خلاصتها أن مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، المقدم ذكره[1]، وعماد الدين زنكي صاحب الموصل قصدا حصار بغداد في أيام الإمام المسترشد ، فأرسل إلى قراجا الساقي واسمه برس صاحب بلاد فارس وخوزستان ، يستنجد به ، فأتاه وكبس عسكرهما وانهزما بين يديه وانكسرا . وذكر في تاريخ الدولة السلجوقية أنها كانت في شهر ربيع الآخر يوم الخميس ثاني عشر الشهر المذكور من سنة ست وعشرين وخمسمائة على تكريت . وقال أسامة بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه : إنه حضر هذه الوقعة مع زنكي في التاريخ المذكور ، ذكر ذلك في موضعين أحدهما في ترجمة إربل ، والثاني في ترجمة تكريت –

---

١ أنظر ج ٥ : ٢٠٠ .

رجعنا إلى ما كنا فيه :

فوصل زنكي إلى تكريت ، فخدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن ، فعبر دجلة هناك وتبعه أصحابه ، فأحسن نجم الدين إليهم وسيرهم ، وبلغ ذلك بهروز ، فسير إليه وأنكر عليه وقال له : كيف ظفرت بعدونا فأحسنت إليه وأطلقته !! ثم إن أسد الدين قتل إنساناً بتكريت لكلام جرى بينهما ، فأرسل مجاهد الدين إليهما فأخرجهما من تكريت ، فقصدا عماد الدين زنكي – قلت : وكان إذ ذاك صاحب الموصل – قال : فأحسن عماد الدين إليهما وعرف لهما خدمتهما ، وأقطعهما إقطاعاً حسناً وصارا من جملة جنده . فلما فتح عماد الدين زنكي بعلبك جعل نجم الدين دزدارها ، فلما قتل زنكي – قلت : وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته – قال : فحصره عسكر دمشق – قلت : وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين أبق بن محمد بن بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين ، وهو الذي حاصره نور الدين محمود بن زنكي في دمشق ، وأخذها منه – قال شيخنا ابن الأثير : فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وقد قام بالملك بعد والده يُنْهي إليه الحال ، ويطلب منه عسكراً ليرحل صاحب دمشق عنه ، وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه[1] ، وهو مشغول باصلاح ملوك الأطراف المجاورين له ، فلم يتفرغ له ، وضاق الأمر على من في بعلبك من الحصار ، فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف أن تؤخذ قهراً أرسل في تسليم القلعة ، وطلب إقطاعاً ذكره ، فأجيب إلى ذلك ، وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة ، ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الإقطاع والتقدم وصار عنده من أكبر الأمراء ، واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكي .

قلت : هو نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب[2] ، وكان يخدمه في أيام والده ، فقربه نور الدين وأقطعه ، وكان يرى منه في الحروب آثاراً

---

١ المختار : مملكته .

٢ زاد في المختار : يومئذ .

يعجز عنها غيره لشجاعته وجرأته ، فصارت له حمص والرحبة وغيرهما ، وجعله مقدم عسكره .

قلت : ثم خرج شيخنا ابن الأثير بعد هذا إلى حديث سفر أسد الدين إلى الديار المصرية ، وما تجدد لهم هناك ، وليس هذا موضع هذا الفصل ، بل نتم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدأ أمره حتى نصير إلى آخره إن شاء الله تعالى ، ويندرج فيه حديث المملكة وما صار حالهم إليه ، وإن كان قد سبق في ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من أخبارهم ، لكن ما استوفيته هناك اعتماداً على استيفائه ها هنا إن شاء الله تعالى .

قلت : اتفق أرباب التواريخ أن صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت لما كان أبوه وعمه بها ، والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة ، لأنه قد سبق القول أن نجم الدين وأسد الدين لما خرجا من تكريت ،كما شرحناه، وصلا إلى عماد الدين[1] زنكي فأكرمهما وأقبل عليهما ، ثم إن عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم تحصل له ، فرجع إلى بعلبك فحصرها أشهراً ، وملكها في رابع عشر صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ،كما ذكره أسامة بن منقذ ــ المقدم ذكره ــ في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها . وذكر أبو يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلا على تاريخ أبي الحسين هلال ابن الصابي[2]: أن عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم ذكر في مستهل سنة أربع وثلاثين أنه ورد الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها ، والله أعلم . وإذا كان كذلك فيكون قد خرجوا من تكريت في بقية سنة اثنتين وثلاثين التي ولد فيها صلاح الدين ، أو في سنة ثلاث وثلاثين ؛ لأنهما أقاما عند عماد الدين بالموصل ، ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب ، وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين .

---

١ المختار : اتصلا بخدمة عماد الدين .

٢ ذيل تاريخ دمشق : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

كما شرحته ، فيتعين أن يكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة تقديراً، والله أعلم ــ قلت : ثم أخبرني بعض أهل بيتهم ، وقد سألته : هل تعرف متى خرجوا من تكريت ؟ فقال : سمعت جماعة من أهلنا يقولون : إنهم أخرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين ، فتشاءموا به وتطيروا منه ، فقال بعضهم : لعل فيه الخيرة وما تعلمون ، فكان كما قال ، والله أعلم .

ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع . ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم الدين أيوب خدمته ، وكذلك ولده صلاح الدين ، وكانت مخايل السعادة عليه لائحة ، والنجابة تقدّمه من حالة إلى حالة ، ونور الدين يرى له ويؤثره ، ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد، حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه إلى الديار المصرية ، كما سنشرحه إن شاء الله تعالى .

وجدت في بعض تواريخ المصريين أن شاور ــ المقدم ذكره[1] ــ هرب من الديار المصرية من الملك المنصور أبي الأشبال ضرغام بن عامر بن سوّار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره وأخذ مكانه في الوزارة كعادتهم في ذلك ، وقتل ولده الأكبر طيّ بن شاور ، فتوجه شاور إلى الشام مستغيثاً بالملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن زنكي ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ودخل دمشق في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة ، فوجه نور الدين معه الأميرَ أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في جملتهم في خدمة عمه ، وهو كاره للسفر معهم . وكان لنور الدين في إرسال هذا الجيش غرضان : أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه مستصرخاً ، والثاني أنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال ، فقصد الكشف عن حقيقة ذلك ،

١ انظر ج ٢ : ٤٣٩ .

وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته ، فانتدبه لذلك ، وجعل أسدُ الدين شيركوه ابنَ أخيه صلاح الدين مقدم عسكره، وشاور معهم ، فخرجوا من دمشق في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الأمر في رجب من السنة .

وقال شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد – المقدم ذكره – في كتابه الذي وسمه بـ «سيرة صلاح الدين»[1] : إنهم دخلوا مصر في ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، والقول الأول أصح ؛ لأن الحافظ أبا طاهر السِّلَفي ذكر في «معجم السَّفَر» أن الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وزاد غيره فقال : يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، فيما بين القاهرة ومصر ، واحتز رأسه وطيف به على رمح ، وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ، ثم دفن عند بركة الفيل ، وعمرت عليه قبة – قلت : والقبة إلى الآن باقية في موضعها تحت الكبش[2] المستجدّ بناؤه، ورأيت فيها جماعة من الفقراء الجُوالقية مقيمين. وقد قيل إن الضرغام إنما قتل في رجب من سنة تسع وخمسين . وقد اتفقوا على أن الضرغام إنما قُتل عند قدوم أسد الدين شيركوه وشاور إلى مصر ،فما يمكن أن يكون دخولهم مصر في سنة ثمان وخمسين ؛لأن الضرغام لا خلاف في قتله في سنة تسع وخمسين ، وأنه كان في أول وصولهم ، والحافظ السلفي أخبر بذلك لأنه كان مقيماً في البلاد أول وصولهم، وهو أضبط لهذه الأمور من غيره ، لأن هذا فنه ، وهو من أقعد الناس به .

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا

---

١ سيرة صلاح الدين : ٣٦ .

٢ ذكر المقريزي (الخطط ٢ : ١٣٣) أن مناظر الكبش بين بركة الفيل وبركة قارون أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في أعوام بضع وأربعين وستمائة ، وظلت بعده من المنازل الملوكية حتى خرب الكبش بعد سنة ٧٦٨ وظل خراباً لا ساكن فيه حتى سنة ٧٧٥ ثم بنى فيه الناس دوراً لهم .

الضرغام ، وحصل لشاور مقصوده وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره ، غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنج عليه ، وحصروه في بلبيس . وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها ، وأنها مملكة بغير رجال ، تمشي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال ، فطمع فيها ، وعاد إلى الشام في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين ، وقال شيخنا ابن شداد : في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ، بناء على ما قرره أولاً أن دخولهم البلاد كان في سنة ثمان وخمسين. وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكراً في تدبير عَوْده إلى مصر ، محدثاً نفسه بالملك لها ، مقرراً قواعد ذلك مع نور الدين ، إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وبلغ شاور حديثه وطمعه في البلاد فخاف عليها ، وعلم أن أسد الدين لا بد له من قصدها ؛ فكاتب الفرنج وقرر معهم أنهم يجيئون إلى البلاد ويمكنهم منها تمكيناً كلياً ليعينوه على استئصال أعدائه .

وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبةُ شاور للفرنج وما تقرر بينهم ، فخافا على الديار المصرية أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد ، فتجهز أسد الدين ، وأنفذ معه نور الدين العساكر ، وصلاح الدين في خدمة عمه أسد الدين . وكان توجههم من الشام في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقارناً لوصول الفرنج إليها . واتفق شاور والمصريون بأسرهم والفرنج على أسد الدين ، وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة ، وانفصل الفرنج عن البلاد ، وانفصل أسد الدين أيضاً راجعاً إلى الشام .

وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين جرد العساكر إلى بلادهم ، وأخذ المنيطرة منهم في رجب من هذه السنة ، وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا إليها . وكان سبب عود أسد الدين إلى الشام ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين[1] وما عانوه من الشدائد ، وعاينوه من الأهوال ، وما

---

1 المختار : بسبب الحروب التي جرت .

عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر . وعاد إلى الشام في بقية السنة ، وقد انضاف إلى قوة الطمع في الديار المصرية شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بأنهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها ، فأقام بالشام على مَضَض وقلبه قلق ، والقضاء يقوده إلى شيء قُدّر لغيره وهو لا يشعر بذلك ، وكان عوده في ذي القعدة من هذه السنة إلى الشام ، وقيل إنه عاد في ثامن عشر شوّال من السنة ، والله أعلم[1].

ورأيت في بعض المسوّدات التي بخطي ، ولا أعلم من أين نقلته ، أن أسد الدين لما طمع في الديار المصرية توجه إليها في سنة اثنتين وستين ، وسلك طريق وادي الغزلان ، وخرج عند إطفيح ، فكانت فيها وقعه البابَيْن عند الأشمونَيْن ، وتوجه صلاح الدين إلى الإسكندرية فاحتمى بها ، وحاصره شاور في جمادى الآخرة من السنة ، ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس ، وتم الصلح بينه وبين المصريين ، وسيروا له صلاح الدين ، فساروا إلى الشام .

ثم إن أسد الدين عاد إلى مصر مرة ثالثة ، قال شيخنا ابن شداد[2]: «وكان سبب ذلك أن الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم ، وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعاً في البلاد ، فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون أن سارعا إلى قصد البلاد ، أما نور الدين فبالمال والرجال ، ولم يمكنه المسير بنفسه خوفاً على البلاد من الفرنج ، ولأنه كان قد حدث له نظر إلى جانب الموصل بسبب وفاة علي بن بكتكين» — قلت : هو زين الدين والد السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده كوكبوري — قال : «فإنه توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وسلم ما كان في يده من الحصون لقطب الدين أتابك ما عدا إربل فإنها كانت له من أتابك زنكي ؛ وأما أسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله ورجاله . ولقد

١ — وأقام أسد الدين ... أعلم : أكثره منقول عن سيرة صلاح الدين : ٣٧ — ٣٨ .
٢ — سيرة صلاح الدين : ٣٨ — ٤٠ .

قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه : كنت أكرهَ الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختياري، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (البقرة : ٢١٦) ».

«وكان شاور لما أحس بخروج الفرنج إلى مصر على تلك القاعدة سير إلى أسد الدين يستصرخه ويستنجده ، فخرج مسرعاً ، وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة . ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكصين ، وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان ، وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة ، فلم يوصل إليهم شيئاً ، وعلقت مخاليب أسد الدين في البلاد ، وعلم أنه متى وجد الفرنج رخصة أخذوا البلاد ، وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج أخرى ، ومُلاّكها فقد كانوا على البدعة المشهورة ، وتحقق أسد الدين أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور ، فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه . وكان الأمراء الواصلون مع أسد الدين يترددون إلى خدمة شاور ، وهو يخرج في الأحيان إلى أسد الدين يجتمع به ، وكان يركب على عادة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم ، ولم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة إلا السلطان بنفسه ، وذلك أنه لما سار إليهم تلقاه راكباً ، وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه ، وأمر العسكر بأن قصدوا أصحابه[1] ، ففروا ونهبهم العسكر ، وأنزل شاور إلى خيمة مفردة . وفي الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول : لا بد من رأسه ، جرياً على عادتهم في وزرائهم ، فحز رأسه وأرسل إليهم ، وسيروا إلى أسد الدين خلع الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر وترتب وزيراً ، وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودام آمراً وناهياً ، والسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى مباشر الأمور مقرر لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته ، إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . فمات أسد الدين» ــ قلت : وقد تقدم حديث أسد الدين

[1] في السيرة : وأمر العسكر أن خذوا أصحابه .

وصورة موته ، فلا حاجة إلى شرحها ها هنا ، وكذلك وفاة شاور ، وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » ولكنني أتيت منه بالمقصود وحذفت الباقي .

ورأيت بخطي في جملة مسوداتي أن أسد الدين دخل القاهرة يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسمائة ، وخرج إليه العاضد عبد الله العبيدي آخر ملوك مصر – المقدم ذكره[1] – وتلقاه ، وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان ، وجلس إلى جانب العاضد وخلع عليه ، وأظهر له شاور وداً كثيراً ، فطلب منه أسد الدين مالاً ينفقه في عسكره ، فدافعه ، فأرسل إليه أن الجند تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة ، فاذا خرجت فكن على حذر منهم ، فلم يكترث شاور بكلامه ، وعزم أن يعمل دعوة يستدعي إليها أسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم ، فأحس أسد الدين بذلك ، فاتفق صلاح الدين وعز الدين جُورديك النوري وغيرهما على قتل شاور ، وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه . وخرج شاور إلى أسد الدين ، وكانت خيامهم على شاطىء النيل بالمقس ، فلم يجده في جهته[2] ، وكان قد راح إلى زيارة تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة ، فقال شاور : نمضي إليه ، فالتقوه فساروا جميعاً ، فاكتنفه صلاح الدين وجورديك وأنزلاه عن فرسه وكتفوه ، فهرب أصحابه ، فأخذوه أسيراً ، ولم يمكنهم قتله بغير إذن نور الدين ، وجعلوه في خيمة ورسموا عليه جماعة ، فأرسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه ، وسيّروا رأسه على رمح إلى العاضد ، وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقيل إن أسد الدين لم يحضر ذلك ، بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر ، فسلم بعضهم على بعض وساروا ، ثم فعلا به هذه الفعلة ، والله أعلم .

ثم إن العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور ، وكان في الخيَم

١ انظر ج ٣ : ١٠٩ .   ٢ ربما قرئت في المسودة « خيمته » .

فدخل القاهرة ، فرأى جمعاً كبيراً من من العامة فخافهم فقال لهم : إن مولانا العاضد أمركم بنهب دار شاور ، فتفرقوا ومضوا لنهبها ، ودخل على العاضد فتلقاه وأفاض عليه خلَع الوزارة ، ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش . ثم إنه مات يوم الأحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلة الخوانيق، وقيل إنه سم في حنك الوزارة لما خلع عليه . وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ، ثم نقل إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام . وقيل إن أسد الدين دخل على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، والله أعلم .

قلت : قد تقدم في ترجمة كل واحد من شاور وأسد الدين ذكر شيء من هذه الأمور التي ذكرتها ها هنا ، وإنما أعدت الكلام فيها لأني استوفيتها ها هنا أكثر من هناك ، وأيضاً فان المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من أول أمره إلى آخره ، فأحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كي لا ينقطع الكلام فيبقى أبتر ، فأقول :

ذكر المؤرخون[1] أن أسد الدين لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمهدت القواعد ومشي الحال على أحسن الأوضاع ، وبذل الأموال وملك قلوب الرجال ، وهانت عنده الدنيا فملكها ، وشكر نعمة الله تعالى عليه ، فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقمص بقميص الجد والاجتهاد ، وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه إلى الله تعالى ، إلى أن مات .

قال شيخنا ابن شداد[2] : «سمعته يقول رحمه الله تعالى : لما يسر لي الله الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي . ومن حين استتب له الأمر ما زال يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك وبلادهما

١ انظر سيرة صلاح الدين : ٤٠
٢ المصدر السابق : ٤١ .

وغشي الناس من سحائب الإفضال والإنعام ما لم يؤرخ عن غير تلك الأيام ، وهذا كله وهو وزير متابع القوم ، لكنه يقول بمذهب أهل السنة ، غارسٌ في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين ، والناس يهرعون إليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب ، وهو لا يخيب قاصداً ولا يعدم وافداً إلى سنة خمس وستين وخمسمائة » .

«ولما عرف نور الدين استقرار أمر السلطان بمصر أخذ حمص من نوّاب أسد الدين وذلك في رجب سنة أربع وستين » .

«ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الأمر بالديار المصرية، علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقلع آثارهم ، لما حدث له من القوة والملك ؛ واجتمع الفرنج والروم جميعاً وقصدوا الديار المصرية ، فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون إليه من العُدَد . ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم ، فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها ، وكان مملوكاً لنور الدين يقال له خُطْلُخ العلم دار ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين . ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شَغْل قلوبهم ، فنزل على الكرك محاصراً لها في شعبان من السنة المذكورة ، فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ، ثم بلغه وفاة مجد الدين ابن الداية ، وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين ، فاشتغل قلبه لأنه كان صاحب أمره ، وعاد يطلب الشام ، فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخربت كثيراً من البلاد ، وكانت في ثاني عشر شوال منها ، فسار يطلب حلب ، فبلغه خبر موت أخيه قطب الدين بالموصل — قلت : وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودود[1] — قال : وبلغه الخبر وهو بتل باشر ، فسار من ليلته طالباً بلاد الموصل» .

«ولما بلغ صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجميع

[1] انظر ج ٥ : ٣٠٢ — ٣٠٣ .

الآلات إليها ، ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم ، وبالغ في العطايا والهبات ، وكان وزيراً متحكماً لا يرد أمره في شيء . ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم وقتالهم عليها ، وهو رحمه الله يشن عليهم الغارات من خارج ، والعسكر يقاتلهم من داخل ، ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تدبيره ، فرحلوا عنها خائبين ، فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم ، وقتل من رجالهم خلق كثير ، واستقرت قواعد صلاح الدين ، وسير طلبَ والده نجم الدين أيوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام، فوصل والده إليه في جمادى الآخرة من سنة خمس وستين — قلت : هكذا ذكر ابن شداد تاريخ وصوله إلى مصر ، والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته[1] — وسلك معه من الأدب ما جرت به عادته ، وألبسه الأمر كله ، فأبى أن يلبسه وقال : يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفء له ، ولا ينبغي أن يُغيّر موضعُ السعادة ، فحكّمه في الخزائن كلها ، ولم يزل وزيراً حتى مات العاضد في التاريخ المقدم ذكره» — قلت : أكثر ما ذكرته في هذا الفصل منقول من كلام شيخنا ابن شداد في «سيرة صلاح الدين» ، وفيه زوائد من غيرها .

والذي ذكره شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير المذكور قبل هذا في تاريخه الأتابكي[2] أن كيفية ولاية صلاح الدين « أن جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة ، يعني بعد موت أسد الدين ، منهم الأمير عين الدولة الياروقي ، وقطب الدين خسرو بن تُلَيل وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهذباني الذي كان صاحب إربل — قلت : هو صاحب المدرسة القطبية التي بالقاهرة — ومنهم سيف الدين علي بن أحمد الهكّاري ، وجده كان صاحب القلاع الهكارية — قلت : هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب ، وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة[3] —

---

١ ذكر في ترجمته أنه دخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسمائة (١ : ٢٥٧) .

٢ التاريخ الباهر : ١٤١ وما بعدها .

٣ ترجمة عماد الدين ابن المشطوب في ج ١ : ١٨٠ .

قال : ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي ، وهو خال صلاح الدين ، وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسه ، وقد جمع ليغالب عليها ، فأرسل العاضد صاحب مصر إلى صلاح الدين ، وأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويوليه الأمر بعد عمه ، وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين ، فإنه ظن أنه إذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفاً يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة ، وأنه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم إليه ، فاذا صار معه البعض أخرج الباقين ، وتعود البلاد إليه ، وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين ، والقصة مشهورة ، أردت عمراً وأراد الله خارجة» — قلت : هذا المثل مشهور بين العلماء وسيأتي الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمة إن شاء الله تعالى — .

عُدنا إلى تمام الكلام الأول :

«فامتنع[1] صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه وأخذ كارهاً، إن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل . فلما حضر في القصر خلع عليه خلع الوزارة: الجبة والعمامة وغيرهما ، ولقب الملك الناصر وعاد إلى دار أسد الدين فأقام بها ، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه ، وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري معه» — قلت : وقد سبق ذكره في ترجمة مفردة[2] — قال ابن الأثير :«فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله إليه، وقال له: إن هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل ، فمال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهاب الدين الحارمي وقال له : إن هذا صلاح الدين هو ابن أختك وملكه لك ، وقد استقام الأمر له ، فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه ، ولا يصل إليك، ولم يزل به حتى أحضره أيضاً عنده وحلفه له؛ ثم عدل إلى

[1] النقل مستمر عن التاريخ الأتابكي : ١٤٢ .
[2] انظر ج ٣ : ٤٩٧ .

قطب الدين وقال له : إن صلاح الدين قد أطاعه الناس ، ولم يبق غيرك وغير الياروقي ، وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد فلا يخرج الأمر عنه إلى الأتراك ، ووعده وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح الدين أيضاً ؛ وعدل إلى عين الدولة الياروقي ، وكان أكبر الجماعة وأكثرهم جمعاً ، فلم تنفعه رُقاه ولا نفذ فيه سحره ، وقال: أنا لا أخدم يوسف أبداً، وعاد إلى نور الدين ومعه غيره، فأنكر عليهم فراقه، وقد فات الأمر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » .

« وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه، وهو نائب عن الملك العادل نور الدين ، والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ، ولا يتصرفون إلا عن أمره ، وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالأمير الاصفهسلار[1]، ويكتب علامته في الكتب تعظماً أن يكتب اسمه ، وكان لا يفرده في كتاب ، بل يكتب : الأمير الإصفهسلار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا . واستمال صلاح الدين قلوب الناس ، وبذل الأموال مما كان أسد الدين قد جمعه، وطلب من العاضد شيئاً يخرجه فلم يمكنه منعه، فمال الناس إليه وأحبوه ، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه ، وضعف أمر العاضد ، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه » .

[قال ابن الأثير في تاريخه الكبير[2]: «قد اعتبرت التواريخ، ورأيت كثيراً من التواريخ الإسلامية فرأيت كثيراً ممن يبتدىء الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه ، منهم في أول الأسلام معاوية بن أبي سفيان أول من ملك من أهل بيته، فانتقل الملك عن أعقابه إلى بني مروان من بني عمه، ثم من بعده السفاح أول من ملك من بني العباس انتقل الملك من أعقابه إلى أخيه المنصور ، ثم السامانية أول من استبد فيهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه ، ثم يعقوب بن الليث الصفار وهو أول

---

١ الاصفهسلار (أو الاسفهسلار) : مقدم العسكر .

٢ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٣٤٤ .

من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه ، ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك من أهل بيته، ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه معز الدولة وركن الدولة ، ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرل بك ثم انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود ، ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك إلى ولد أخيه نجم الدين أيوب ، ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا ، والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولته يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به ، فلهذا يحرم الله أعقابه ، ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة له » .

نعود إلى ذكر صلاح الدين] [1] .

«وأرسل[2] صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته فلم يجبه إلى ذلك ، وقال : أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد» .

« ثم إن الفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر ، فسيّر نور الدين العساكر وفيهم إخوة صلاح الدين ،منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب» — قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة[3]— قال : «وهو أكبر من صلاح الدين ، فلما أراد أن يسير قال له نور الدين : إن كنت تسير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد ، فلا تسر فانك تفسد البلاد ، وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه ، وإن كنت تنظر إليه صاحبَ مصر وقائم مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني ، فسر إليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصدده ، فقال : أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك إن شاء الله تعالى ، فكان معه كما قال » .

ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا بأوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية وإقامة الدولة العباسية بها في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة فقال[4] :

١ لم يرد في المسودة .
٢ عاد إلى متابعة النقل عن التاريخ الأتابكي : ١٤٢ .
٣ انظر ج ١ : ٣٠٦ .
٤ الباهر : ١٥٦ .

« قطعت خطبة العاضد صاحب مصر ، وخطب فيها للإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، وكان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له ، وضعف أمر العاضد ، ولم يبق من العساكر المصرية أحد ، كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية ، فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر ، وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى دولة المصريين ، فلم يصغ نور الدين إلى قوله ، وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاماً لا فسحة له فيه ، واتفق أن العاضد مرض ؛ وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة ، فاستشار أمراءه كيف الابتداء بالخطبة العباسية ، فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ، ومنهم من خاف ذلك ، إلا أنه لا يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين . وكان قد دخل إلى مصر إنسان عجمي يعرف بالأمير العالم ، وقد رأيناه بالموصل كثيراً ، فلما رأى ما هم فيه من الإحجام قال : أنا أبتدىء بها ، فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ، ودعا للمستضيء بأمر الله فلم ينكر أحد ذلك ، فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ، ففعلوا ذلك ، ولم ينتطح فيها عنزان ، وكتب بذلك إلى سائر ديار[1] المصرية . وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك ، وقالوا : إن سلم فهو يعلم وإن توفي فلا ينبغي أن ننغص عليه هذه الأيام التي بقيت من أجله[2] ، فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم . ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء ، واستولى على قصره وجميع ما فيه ، وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه » — قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة أيضاً[3] — قال : « وجعله كأستاذ دار العاضد ، فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ، ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكل بحفظهم ، وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم

---

١ كذا في المسودة ؛ وفي المختار والباهر : « الديار » .

٢ المختار : عمره .

٣ انظر ج ٤ : ٩١ .

شوقُ المغرَّبِ شَرّدتــــه يدُ البعادِ عن الوطن
ولقد عهـدتك والزما نُ بشملنا بك ما فَطَنْ
وثراك مـا اغبرّتْ مسا رحُهُ وماؤُك ما أجِن
وظباؤُك الأترابُ لي وطرٌ، وتربك لي وطن
لام العذولُ وما درى وجدي وبلبالي بمن
وجدي بمن فضح القضيـــبَ وأخجل الرشأ الأغن
ما ضرّ مَنْ هو فتنتي لو كان يرحمُ من فتن
دمعي طليقٌ في محبـ ـته وقلبي مرتَهن
يا محنّي أودى الصدو دُ بعاشقٍ بك ممتحن
غادرته وقفـاً على الــعَبَرَاتِ بعدك والحـزن
كلفَ الفؤادِ معذَّباً بين الإقامة والظعـن
عطفاً على قَرِحِ الجفو نِ بعيدِ عهدٍ بالوسن[1]
لا تبخلي فالبخلُ يُذْ هبُ بهجة الوجه الحسن
ولربَّ ليلٍ بتّ فيــه صريعَ باطية ودَنّ
أختالُ من مرحٍ وأســحبُ فضل ذيلي والرُدُن
معَ مُخْطَفٍ لدنِ القوا مِ إذا انثنى رخصِ البدن
لكنني كفـرتُ لـيـلة زرته عني وعن
بمدائحي للمستضي ء أبي محمدٍ الحسن
المستقرّ من الخـلا فة في الشواهق والقُنَنْ

ومنها :

يا جارياً في العدل من سُنَن النبي على سَنَنْ
يا جامعاً خُلُقَ النبو ةِ والخلافة في قَرَن

---

[1] المختار : بالوطن .

دانت لهيبتك المما ... لكُ والمعاقلُ والمدن
بالمشرفيّات الصوا ... رم والمثقفة اللدن
وأتتك أسلابُ الملو ... ك من الصعيد إلى عدن
سلَبُ الدعيّ بأرض مصـ ... ـرٍ والمضلل في اليمن
مما اقتناه ذو رُعَيـ ... ـين في القديم وذو يزَنْ
وشفيت منهم بالظبا ... تلك الضغائن والاحن
لم تغنِ عنهم حين رُعْتَهُمُ الحصونُ ولا الجُنَنْ
أمست سباياهم تقا ... دُ أذلةً قودَ البُدُن
غادرت عرْضَ بلادهم ... غرَضَ النوائب والمحن
في كلّ يوم من جيو ... شك غارةٌ فيها تُشَنّ
وأعدتَ سرّ الأوليا ... ء المؤمنين بها علن
ورحضتَ ما أبقته آ ... ثار الخوارجُ[1] من دَرَنْ
فكأن دعوتهم على ... تلك المنابر لم تكن

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية . ومدحه أيضاً بقصيدة أخرى أشار فيها إلى هذا المعنى ، وليس على خاطري من هذه القصيدة سوى غزلها فأحببت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة ، وهو[2] :

أهلاً بطلعة زائرٍ ... فضَح الدجى بضيائها
سمح الزمانُ بوصلها ... فدنتْ على عدوائها[3]
باتت تعاطيني المدا ... م وكنت من أكفائها
فسكرتُ من ألحاظها ... وغنيتُ عن صهبائها
بيضاء قتلي دأبها ... في نأيها وثوائها

---

١ ر : وملكتها ورحضت ما أبقى الخوارج . . .
٢ انظر ديوان التعاويذي : ٤٧١ .
٣ بهامش المسودة بخط المؤلف : العدواء : البعد ، والعدواء أيضاً الاشغال المانعة .

فاذا دَنَتْ بجفونها وإذا نأتْ بجفائها

لا تلتقي أبداً سوا عدُها بيوم وفائها

الشمسُ من ضرّاتها والبدرُ من رقبائها

والصبحُ فوق لثامها والليلُ تحت ردائها

مُضَرِيّة تُنْمى إذا انتسبتْ إلى حمرائها

باتت وأطرافُ الرما ح تجولُ حول خبائها

فالموتُ دون فراقها والموتُ دون لقائها

ولقد مررتُ بربعها بعد النوى وفنائها

والعينُ في الأطلال سا كنة على أطلائها

فوقفت أنشُدُ في مطا لعها بدورَ سمائها

وبكيتُ حتى كدتأعطفُ بانتَيْ جرعائها

يا موحشَ العين التي آنستْ بطول بكائها

غادرتَ بين جوانحي نفساً تموتُ بدائها

تشتاقُ عيني أن ترا كَ وأنت في سودائها

فاذا بخلتَ بنظرةٍ سمحت بجمة مائها

فكأنها كفُّ الخليفة أسبلتْ بعطائها

وبعد هذا شرع في المديح وأبدع فيها جميعها . وسأذكر بعد هذا عند أواخر هذه الترجمة شيئاً من مدائحه في صلاح الدين إن شاء الله تعالى ، فقد كان يسيّر قصائده إليه من بغداد فتصل أولاً إلى القاضي الفاضل ، ومعها مديح للفاضل ، وهو الذي يعرض قصائده على صلاح الدين ، رحمه الله تعالى .

ثم ذكر شيخنا ابن الأثير بعد هذا فصلاً يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين باطناً فقال[1] : « وفي سنة سبع وستين أيضاً حدث

---

١ ابن الأثير ١١ : ٣٧١ – ٣٧٣ والباهر : ١٥٨ والنقل من الثاني ، والنص في أقرب إلى « الكامل » .

ما أوجب نَفْرة نور الدين عن صلاح الدين ، وكان الحادثُ أن نور الدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها إلى بلد الفرنج والنزول على الكرك ومحاصرته ليجمع هو أيضاً عساكره ويسير إليه ، ويجتمعا هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم ؛ فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم ، وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر . وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز ، وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو ، فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك ، فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه ، فأرسل كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال البلاد [المصرية لأمور بلغته عن بعض شيعة العلويين ، وأنهم عازمون على الوثوب بها][1] وأنه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد إليها ، فلم يقبل نور الدين عذره . وكان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين . فحيث لم يمتثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده ، وعزم على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها ، فبلغ الخبر إلى صلاح الدين ، فجمع أهله ، وفيهم والده نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي ، ومعهم سائر الأمراء ، وأعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه ، واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء ، فقام تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين – قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة[2] – قال : وقال : إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ، ووافقه غيره من أهله ، فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه ، وكان ذا رأي ومكر وعقل ، وقال لتقي الدين : اقعد ، وسبه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ، أتظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا ؟ فقال : لا ، فقال : والله لو رأيت أنا وهذا خالك شهابُ الدين نورَ الدين لم يمكنّا إلا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا أن نضرب عنقك

---

١ لم يرد في المسودة .

٢ ج ٣ : ٤٥٦

بالسيف لفعلنا ، فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا ؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ، ولا وسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه ، وهذه البلاد له وقد أقامك فيها ، وإن أراد عزلك فأي حاجة له إلى المجيء ؟ يأمرك بكتاب مع نجّاب حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد ، وقال للجماعة كلهم : قوموا عنا ، ونحن مماليك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد ، فتفرقوا على هذا . وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر » .

« ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له : أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما في نفسك ، فاذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد جعلك أهم الأمور إليه ، وأولاها بالقصد، ولو قصدك لم تر معك أحداً من هذا العسكر وكانوا أسلموك إليه ، وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه ويعرفونه قولي ، وتكتب أنت إليه وترسل في المعنى ، وتقول : أي حاجة إلى قصدي ؟ يجي نجّاب يأخذني بحبل يضعه في عنقي ، فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده ، والأيام تندرج ، والله في كل وقت في شان [والله لو أراد نور الدين قصبة من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل] [1] ففعل صلاح الدين ما أشار به والده . فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عن قصده ، وكان الأمر كما قال نجم الدين أيوب . وتوفي نور الدين ولم يقصده، وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها » ؛ انتهى ما ذكره ابن الأثير .

وقال شيخنا ابن شداد في « السيرة » [2] : « لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الإحسان ، وإفاضة الإنعام على الناس إلى سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشّوبك ، وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبّرها ، فأراد

١ لم يرد في المسودة والمختار والتاريخ الباهر .
٢ السيرة : ٤٥ .

توسيع الطريق وتسهيلها ، فحاصرها في هذه السنة ، وجرى بينه وبين الفرنج وقعات ، وعاد ولم يظفر منها بشيء ، ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصوله إليه » — قلت : وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته — قال[1] : « ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده ، وكان بلغه أن باليمن إنساناً استولى عليها وملك حصونها ، يسمى عبد النبي بن مهدي ، فسير أخاه توران شاه، فقتله وأخذ البلاد منه » — وقد بسطت القول في ذلك في ترجمته — ثم توفي نور الدين في سنة تسع وستين حسبما شرحته في ترجمته فلا حاجة إلى الإعادة .

وبلغ صلاح الدين أن إنساناً يقال له « الكنز » جمع بأسوان خلقاً عظيماً من السودان ، وزعم أنه يعيد الدولة المصرية ، وكان أهل مصر يؤثرون عودهم ، فانضافوا إلى الكنز المذكور ، فجهز صلاح الدين إليه جيشاً كثيفاً وجعل مقدمه أخاه الملك العادل ، وساروا فالتقوا وكسروهم ، وذلك في السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة ، واستقرت له قواعد الملك .

وكان[2] نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل — المذكور في ترجمة أبيه — وكان بدمشق عند وفاة أبيه ، وكان بقلعة حلب شمس الدين علي بن الداية وشاذبخت ، وكان ابن الداية قد حدث نفسه بأمور ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب ، فوصل إلى ظاهرها في المحرم من سنة سبعين ، ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن ابن الداية فقبض على سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة السجن ، وفي ذلك اليوم قتل أبو الفضل ابن الخشاب لفتنة جرت بحلب ، وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم ، لأنهم تولوا تدبير ذلك .

ثم[3] إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي

---

١ السيرة : ٤٦ .
٢ السيرة : ٤٩
٣ السيرة : ٥٠

لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك ، واختلفت الأحوال بالشام ، وكاتب شمس الدين ابن المقدم صلاح الدين ، فتجهز[1] من مصر في جيش كثيف ، وترك بها من يحفظها ، وقصد دمشق مظهراً أنه يتولى مصالح الملك الصالح ، فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها ، وكان أول دخوله دار أبيه — قلت : وهي الدار المعروفة بالشريف العقيقي ، وهي اليوم في قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك بالعقيقي— قال : واجتمع الناس إليه وفرحوا به ، وأنفق في ذلك اليوم مالاً جليلاً[2] وأظهر السرور بالدمشقيين ، وصعد القلعة ، وسار إلى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها في جمادى الأولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها ، وتوجه إلى حلب ونازلها في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى من السنة ، وهي الوقعة الأولى .

ثم إن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم أن الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه ، وخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه ، فأنفذ عسكراً وافراً وجيشاً عظيماً وقدّم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ، وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد ، فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائداً إلى حماة ، ورجع إلى حمص فأخذ قلعتها ، ووصل عز الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكر ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ ، وخرجوا في جمع عظيم ، فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة ، وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصالحوه فما صالحوه ، ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم ، والقضاء يجر إلى أمور وهم بها لا يشعرون ، فتلاقوا فقضى الله تعالى أن انكسروا بين يديه ، وأسر جماعة منهم فمنّ عليهم ، وذلك في تاسع شهر رمضان من

---

١ المختار : فخرج .

٢ المختار : جزيلا .

السنة عند قرون حماة . ثم سار عقيب كسرتهم ونزل على حلب ، وهي الدفعة الثانية ، فصالحوه على أخذ المعرة وكفرطاب وبارين ، ولما جرت هذه الوقعة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ، وعزم على أخذها منه ، لأنه كان قد انتمى إلى صلاح الدين ، وكان قد قارب أخذها ، فلما بلغه الخبر وأن عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه ، فراسله وصالحه . ثم سار من وقته إلى نصيبين واهتم بجمع العساكر والإنفاق فيها ، وسار إلى البيرة وعبر الفرات ، وخيّم على الجانب الشامي ، وراسل ابن عمه الصالح بن نور الدين صاحب حلب حتى تستقر له قاعدة يصل عليها ، ثم إنه وصل إلى حلب وخرج الملك الصالح إلى لقائه ، وأقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ، ثم نزل وسار إلى تل السلطان – قلت : وهي منزلة بين حماة وحلب – قال : ومعه جمع كبير ، وأرسل صلاح الدين إلى مصر طلب عسكرها ، فوصل إليه ، وسار به حتى نزل على قرون حماة[1] ، ثم تصافوا بكرة نهار الخميس العاشر من شوال سنة إحدى وسبعين ، وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين – قلت : هو صاحب إربل المقدم ذكره[2] – قال : فإنه كان على ميمنة سيف الدين ، فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم ، وأسر منهم جمعاً من كبار الأمراء فمن عليهم وأطلقهم ، وعاد سيف الدين إلى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد إلى بلاده . ومنع صلاح الدين من تتبع القوم ، ونزل في بقية ذلك اليوم في خيامهم ، فإنهم تركوا أثقالهم وانهزموا ، ففرق صلاح الدين الاصطبلات ، ووهب الخزائن وأعطى خيمة سيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاه – قلت : هو ابن شاهان شاه ابن أيوب ، وهو أخو تقي الدين عمر صاحب حماة وفرخشاه صاحب بعلبك وهو والد الملك الأمجد بهرام شاه ، صاحب بعلبك – .

قال : وسار إلى منبج فتسلمها ، ثم سار إلى قلعة عزاز يحاصرها ، وذلك

---

١ في متن المسودة : على تل السلطان ، وفي الحاشية : على قرون حماة .

٢ أنظر ج ٤ : ١١٣

في رابع ذي القعدة من سنة إحدى وسبعين ، وعليها وثب جماعة من الإسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله سبحانه منهم وظفّره بهم ، وأقام عليها حتّى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ، ثم سار فنزل على حلب في سادس عشر الشهر المذكور ، وأقام عليها مدة ثم رحل عنها ، وكانوا قد أخرجوا له ابنة صغيرة لنور الدين سألته عزاز فوهبها لها ، ثم عاد صلاح الدين إلى مصر ليتفقد أحوالها ، وكان مسيره إليها في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين، وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدمشق . ثم تأهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتّى وافى الفرنج على الرملة ، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم – قلت : وذلك لأمر يطول شرحه – قال : فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه ، فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق ، وتبددوا وأسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهناً عظيماً جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة .

وأما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط أمره ، وقبض على كمشتكين صاحب دولته ، وطلب منه تسليم حارم إليه فلم يفعل ، فقتله ، فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعاً فيها ، وذلك في جمادى الآخرة من السنة ، فلما رأى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها إلى الملك الصالح في العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة ، فرحل الفرنج عنها .

وأقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثه وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة ، ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود إليه ، واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج أرسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الأرمن ، فعزم على قصد بلاد ابن لاون – قلت : وهي بلاد سيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل – قال : لينصر قليج أرسلان عليه . فتوجه إليه واستدعى عسكر حلب لأنه كان في الصلح أنه متى استدعاه حضر إليه ، ودخل بلد ابن لاون ، وأخذ في طريقه حصنا وأخربه ، ورغبوا إليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم . ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجاب إلى

ذلك ، وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ودخل في الصلح قليج أرسلان والمَواصِلة وعاد بعد تمام الصلح إلى دمشق ثم منها إلى مصر .

ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمة والده ، وكان قد استحلف أمراء حلب وأجنادها لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل – قلت : وقد تقدم ذكره ، وهو ابن قطب الدين مودود[1] – فلما مات سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته قام مقامه أخوه عز الدين مسعود المذكور – قال : فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وأنه أوصى له بحلب بادر إلى التوجه إليها خوفاً أن يسبقه صلاح الدين فيأخذها ، فكان أول قادم إليها مظفر الدين بن زين الدين – قلت : هو صاحب إربل ، وكان إذ ذاك صاحب حران ، وهو مضاف إلى المواصلة لأن تلك البلاد كانت لهم – قال : فوصلها مظفر الدين في ثالث شعبان سنة سبع وسبعين ، وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد إلى القلعة فاستولى على ما فيها من الحواصل ، وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة .

قلت : ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أموراً ذكرتها في ترجمة عز الدين مسعود بن مودود وترجمة أخيه عماد الدين زنكي وترجمة تاج الملوك بوري أخي صلاح الدين ، فلا حاجة إلى إعادتها ها هنا ، فمن أراد الوقوف عليها يكشفها في هذه التراجم[2] .

قلت : وحاصل الأمر أن عز الدين مسعوداً قايض أخاه عماد الدين زنكي

---

١ انظر ج ٥ : ٢٠٣

٢ انظر ٥ : ٢٠٣ ، ٢ : ٣٣٠ ، ١ : ٢٩٠ .

صاحب سنجار عن حلب بسنجار ، وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكي فجاءه صلاح الدين وحاصره، فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب ، وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وقال ابن شداد : نزل عليها في سادس عشر المحرم، والله أعلم. فتحدث عماد الدين زنكي مع الأمير حسام الدين طُمان بن غازي بن يلمي بن تنجول من جبل سلور بحلب في السر بما يفعله ، فأشار عليه بأن يطلب منه بلاداً وينزل له عن حلب ، بشرط أن يكون له جميع ما في القلعة من الأموال ، فقال له عماد الدين : وهذا كان في نفسي . ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين في السر على تقرير القاعدة في ذلك ، فأجابه صلاح الدين إلى ما طلب ، ودفع له سنجار والخابور ونصيبين وسروج ، ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما ، وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر صفر من السنة . وكان صلاح الدين قد نزل على سنجار وأخذها في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقي الدين عمر ، فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاها عماد الدين ، وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد إليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وجعل فيها ولده الملك الظاهر — المقدم ذكره في ترجمة مستقلة[1] — وكان صبياً ، وولى القلعة سيف الدين يازكوج الأسدي وجعله يرتب مصالح ولده .

ثم سار صلاح الدين إلى دمشق في التاريخ المذكور ؛ قال ابن شداد : وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة ، وسيّر إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك ، فسار إليه بجمع كثير وجيش عظيم ، واجتمع به على الكرك في رابع شعبان من السنة ، فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا خلقاً كثيراً ، وجاءوا إلى الكرك ليكونوا في

[1] انظر ج ٤ : ٦ وهو غازي الملقب أيضاً غياث الدين .

قبالة عسكر المسلمين ، فخاف صلاح الدين على الديار المصرية ، فسيّر إليها ابن أخيه تقي الدين عمر . ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة ، واستصحب أخاه الملك العادل معه ، ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة ، وأعطاه حلب ، ودخلها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وخرج الملك الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق في يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنة . وكان الملك الظاهر أحب أولاده إليه لما فيه من الخلال الحميدة ، ولم يأخذ منه حلب إلا لمصلحة رآها في ذلك الوقت ، وقيل إن العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد ، والله أعلم .

ثم إن صلاح الدين رأى أن عود الملك العادل إلى مصر وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح ؛ قيل كان سبب ذلك أن الأمير علم الدين سليمان بن جَنْدر قال لصلاح الدين — وكان بينهما مُؤانسة قبل أن يتملك البلاد ، وقد سايره يوماً ، وكان من أمراء حلب، والملك العادل لا ينصفه ويقدم عليه غيره ، وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل وحمل إلى حران وأشفى على الهلاك ، فلما عوفي رجع إلى الشام ، واجتمعا في المسير ، قال له وكان صلاح الدين ، قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد — : بأي رأي كنت تظن أن وصيتك تُمْضى ، كأنك كنت خارجاً إلى الصيد وتعود فلا يخالفونك ؟ أما تستحي أن يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة ؟ قال : وكيف ذاك ؟ وهو يضحك ، قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عشاً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه ، وأنت سلمت الحصون إلى أهلك ، وجعلت أولادك على الأرض : هذه حلب، وهي أم البلاد ، بيد أخيك ، وحماة بيد ابن أخيك تقي الدين ، وحمص بيد ابن[1] أسد الدين ، وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرجه متى شاء ، وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد، فقال له : صدقت ، واكتم هذا الأمر ، ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاها ابنه الملك الظاهر ، وأعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها

[1] المختار : بيد ابن ابن عمك .

وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفر الشام على أولاده ، فكان ما كان .

قلت : وقد تقدم في ترجمة عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرار ، ولم يقدر عليها . قال شيخنا ابن الأثير في تاريخه[1] : إنه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء ، وعزم على المقام وإقطاع جميع بلاد الموصل ، وكان نزوله في شعبان من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، فأقام شعبان وشهر رمضان ، وترددت الرسل بينه وبين صاحبها ، فبينما هو كذلك مرض صلاح الدين فعاد إلى حران ، ولحقته الرسل بالإجابة إلى ما طلب ، وتم الصلح على أن يسلم إليه صاحب الموصل شهرزور وأعمالها وولاية القرابلي[2] وما وراء الزاب من الأعمال ، وأن يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة ، فلما حلف أرسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها . وطال المرض على صلاح الدين بحران ، واشتد به ، حتى أيسوا منه ، فحلف الناس لأولاده ، وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمان ، وأخوه العادل جاءه من حلب وهو ملكها يومئذ ، وجعل لكل واحد شيئاً من البلاد ، وجعل الملك العادل وصياً على الجميع . ثم إنه عوفي وعاد إلى دمشق في المحرم من سنة اثنتين وثمانين ؛ ولما كان مريضاً بحران ، كان عنده ناصر الدين محمد ابن عمه [شيركوه] [3] وله من الإقطاع حمص والرحبة ، فسار من عنده إلى حمص واجتاز بحلب ، وأحضر جماعة من الأحداث ووعدهم وأعطاهم مالاً ، ولما وصل إلى حمص راسل جماعة من أهل دمشق ووعدهم على تسليم دمشق إليه إذا مات صلاح الدين ، فعوفي ، ولم يمض قليل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد النحر من السنة ، فإنه شرب

١ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٥١٧ .

٢ هي بالباء الموحدة بخط المؤلف ، وكذلك في تاريخ ابن الأثير ، وقرأها دي سلان قرايلي بالياء المثناة ، وقال انها مرجبلي في ولاية كركور على الشاطىء الشرقي من دجلة واعتمد في قراءتها على نسخة أبي الفدا من تاريخه .

٣ زيادة من المختار .

الخمر فأكثر منه فأصبح ميتاً ، وقيل إن صلاح الدين وضع[1] عليه إنساناً فحضر عنده ، ونادمه وسقاه سماً ، فلما أصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص ، وكان يقال له الناصح بن العميد ، فسألوا عنه ، فقالوا إنه سار من ليلته ، وكان هذا مما قوى الظن ، والله أعلم . فلما توفي أعطى إقطاعه لولده شيركوه وعمره اثنتا عشرة سنة ، وخلف من الأموال والدواب والأثاث شيئاً كثيراً ، فحضر صلاح الدين إلى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ، ولم يترك إلا ما لا خير فيه . ثم قال شيخنا بعد هذا كله : وبلغني أن شيركوه حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له : إلى أين بلغت في القرآن ؟ فقال له : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ (النساء : ١٠) فعجب الجماعة وصلاح الدين من ذكائه ، والله أعلم بصحة ذلك .

قال ابن شداد[2]: ولما وصل صلاح الدين إلى دمشق عقيب مرضه وإبلاله سير طلب أخاه الملك العادل ، فخرج من حلب جريدة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين ، ومضى إلى دمشق فأقام في خدمة السلطان صلاح الدين ، وجرت بينهما أحاديث ومراجعات وقواعد تتقرر إلى جمادى الآخرة من السنة ، فاستقر الأمر على عود الملك العادل إلى مصر ، وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر إليها فدخل قلعتها يوم السبت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ؛ وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر أنه دخل حلب مالكاً لها في مثل يوم وفاته ، وعينتُ هناك التاريخ واسم اليوم ، هكذا وجدته ، وما أدري من أين نقلته .

وسلم السلطان ولده الملك العزيز إلى العادل وجعله أتابكه ، قال ابن شداد[3] قال لي الملك العادل : لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة

---

١ المختار : دس .
٢ السيرة : ٧٢ .
٣ السيرة : ٧٢ — ٧٣ .

الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما ، وقلت للملك العزيز : اعلم يا مولاي أن السلطان أمرني أن أسير في خدمتك إلى مصر ، وأنا أعلم أن المقدمين كثير ، وما يخلو أن يقال عني ما لا يجوز ، ويخوفوك[1] مني ، فإن كان لك عزم أن تسمع منهم فقل لي حتّى لا أجيء ، فقال : كيف يتهيأ لي أن أسمع منهم أو أرجع إلى رأيهم ؟ ثم التفتّ إلى الملك الظاهر وقلت له : أنا أعرف أن أخاك ربما سمع فيّ أقوال المقدمين ، وأنا فما لي إلا أنت ، وقد قنعت منك بمنبج متى ضاق صدري من جانبه ، فقال : مبارك ، وذكر لي كل خير .

وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون[2] ابنة أخيه الملك العادل ، ودخل بها يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة .

ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين ، قال[3] : وكانت في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة ، وكان كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر ، فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية ، وكانت تجوز العدّ والحصر ، على تعبية حسنة وهيئة جميلة ، وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا عندما بلغهم اجتماعُ العساكر الإسلامية ، فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له ، إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور ، فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلتهم ، وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فلما رآهم لا يتحركون نزل جريدةً على طبرية ، وترك الأطلاب على حالها قبالة العدو ، ونازل طبرية وهجمها وأخذها في ساعة واحدة ، وانتهب الناس ما بها وأخذوا في القتل والسبي والحريق ، وبقيت القلعة محتمية بمن فيها .

---

١ المختار : ويخوفونك .
٢ انظر ذيل المرآة ١ : ٧٥
٣ السيرة : ٧٥ .

ولما[1] بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها ؛ فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها ولحق بالعسكر، فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها ، وذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر، وحال الليلُ بين العسكرين قياماً[2] على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه ، فركب العسكران وتصادما ، والتحم القتال واشتد الأمر ، وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا ، وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، وقد أيقنوا بالويل والثبور ، وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ، ولم تزل الحرب تضطرم ، والفارس مع قرنه يصطدم ، ولم يبق إلا الظفر ، ووقع الوبال على من كفر ، فحال بينهم الليل بظلامه ، وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت ، فطلب كل من الفريقين مقامه ، وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو ، وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد ، فحملت أطلاب المسلمين من جميع الجوانب ، وحمل القلبُ ، وصاحوا صيحة رجل واحد ، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين، ولما أحس القومص[3] بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصد جهة صور ، وتبعه جماعة من المسلمين ، فنجا منهم وكفى الله شره ، وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام ، وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها أحد ، واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين ، وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر ، حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفاً من القتل ، لما مر بهم ، فأسر

---

١ السيرة : ٧٦ .

٢ السيرة : فتبايتا .

٣ القومص Comes هو ريموند صاحب طرابلس (Raimond)

مقدموهم وقتل الباقون، وكان ممن سلم[1] من مقدميهم الملك جفري، وأخوه[2]، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وابن الهنفري[3] وابن صاحبة طبرية، ومقدم الديوية ، وصاحب جُبيل ، ومقدم الاسبتار ، قال ابن شداد [4] : ولقد حكى لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطهم بطُنُب خيمة لما وقع عليهم من الخذلان .

ثم إن القومص الذي هرب في أول الأمر وصل إلى طرابلس ، فأصابه ذات الجنب فهلك منها ، وأما مقدما الاسبتار والديوية فان السلطان قتلهما وقتل من بقي من صنفهما حياً ، وأما البرنس أرناط فان السلطان كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله ، وذلك لأنه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم ، فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين ، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغ السلطان فحملته حميته ودينه على أن يهدر دمه .

ولما فتح الله تعالى عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بعد ، وعرضت عليه الأسارى ، وسار الناس يتقربون إليه بمن في أيديهم منهم، وهو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمسلمين، ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكراً لله تعالى على ما أنعم به عليه . واستحضر الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط ، وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها،وكان على أشد حال من العطش، ثم ناولها البرنس؛ وقال السلطان للترجمان: قل للملك أنت الذي سقيته ، وإلا أنا فما سقيته . وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن ، فقصد السلطان بقوله ذلك ، ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عينه لهم ، فمضوا بهم إليه فأكلو ا شيئاً ، ثم عادوا بهم ، ولم يبق عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم ،

١ يعني سلم وأسر ، كما جاء في سيرة ابن شداد .

٢ كان حقه أن يقول : الملك (جاي) وجفري أخوه (جفري= Geoffri de Lusignan) وقد نبه دي سلان إلى ذلك ، ولكن المؤلف هنا يتابع ابن شداد .

٣ البرنس أرناط هو Prince Renaud de Chatillon وابن الهنفري Humphrey of Thoron

٤ السيرة : ٧٧ .

وأقعد الملك في دهليز الخيمة ، واستحضر البرنس أرناط وأوقفه بين يديه .
وقال له : ها أنا أنتصر لمحمد منك ، ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل ، فسلّ
النيمجاه فضربه بها فحل كتفه وتمم قتله من حضر ، وأخرجت جثته ورميت
على باب الخيمة . فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك في أنه يلحقه
به ، فاستحضره وطيب قلبه وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك ،
وأما هذا فانه تجاوز الحد وتجرأ على الأنبياء صلوات الله عليهم . وبات الناس
في تلك الليلة على أتم سرور ، ترتفع أصواتهم بحمد الله وشكره وتهليله
وتكبيره ، حتى طلع الفجر . ثم نزل السلطان على طبرية يوم الأحد الخامس
والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها
إلى يوم الثلاثاء .

ثم رحل طالباً عكا فكان نزوله عليها يوم الاربعاء سلخ شهر ربيع الآخر ،
وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين فأخذها ،
واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس ،
واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنّة التجار ،
وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة ،
فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة ، وكان ذلك لخلوها من
الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم . ولما استقرت قواعد عكا وقسم
أموالها وأساراها ، سار يطلب تبنين ، فنزل عليها يوم الأحد حادي عشر
جمادى الأولى ، وهي قلعة منيعة ، فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق
من فيها ، وكان فيها أبطال معدودون وفي دينهم متشددون ، فقاتلوا قتالاً
شديداً ، ونصره الله سبحانه عليهم ، فتسلمها منهم يوم الأحد ثامن عشره
عنوة ، وأسر من بقي فيها بعد القتل . ثم رحل عنها إلى صيدا فنزل عليها ،
وتسلمها في غد يوم نزوله عليها ، وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى
الأولى ، وأقام عليها ريثما قرر قواعدها . وسار حتى أتى بيروت فنازلها ليلة
الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق ، وداوم
الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور

وتسلم أصحابه جبيل ، وهو على بيروت .

ولما فرغ باله من هذا الجانب رأى قصد عسقلان ، ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها . ثم رأى أن العسكر قد تفرق في الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه ، وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب والنزال ، وكان قد اجتمع في صور من بقي في الساحل من الفرنج ، فرأى أن قصده عسقلان أولى لأنها أيسر من صور ، فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة ، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم ، وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً ، وتسلمها في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال . وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة ، فانهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في «السيرة» ، وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه «المشترك وضعا المختلف صقعا» أنهم أخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الآخرة من السنة .

قال ابن شداد[1] : لما تسلم عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصد القدس المبارك ، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل ، فسار نحوه معتمداً على الله تعالى مفوضاً أمره إليه ، منتهزاً الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم «من فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه»؛وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكان نزوله بالجانب الغربي ، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الخيالة والرجالة ، وحزر أهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفاً خارجاً عن النساء والصبيان ، ثم انتقل

---

١ السيرة : ٨١ .

لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق ، وضايق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم . ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا مدفع له عنهم ، وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم ، وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه ، فاستكانوا وأخلدوا إلى طلب الأمان ، واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين ، وكان تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم . فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب ، كيف يسر الله تعالى عوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى . وكان فتحه عظيماً شهده من أهل العلم خلق ، ومن أرباب الخرق والزهد عالم ، وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس، قصده العلماء من مصر والشام ، بحيث لم يتخلف أحد منهم ، وارتفعت الأصوات بالضجيج بالدعاء والتهليل والتكبير ، وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب – قلت : وقد تقدم في ترجمة القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة التي خطب بها ذلك اليوم ، فيكشف منه . ورأيت في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسية أن الخطبة أقيمت يوم الجمعة رابع شعبان ، والله أعلم.

[وإذ قد ذكرنا فتوح القدس ، وقد تقدم ذكر الخطبة التي خطب يوم الجمعة بها ، يليق أن نذكر الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل إلى الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الإمام المستضيء بأمر الله ، تتضمن الفتوح فإنها بديعة بليغة في بابها ، ولم أذكرها بكمالها بل اخترت منها أحسنها، وتركت الباقي لأنها طويلة ، وهي :

---

١ أنظر ج ٤ : ٢٣٠ — ٢٣٦ .

أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوي ، ولا زال مظفر الجد بكل جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر والنصلُ في جفنه راقد ، وارد الجود والسحابُ على الأرض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد ، ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي إلا بنبل غوي وريش[1] راشد ، لا زالت غيوث فضله إلى الأولياء أنواء إلى المراتع وأنواراً إلى المساجد ، وبعوث رعبه إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيالاً إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة ، تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح هذه العزمة ، والعنوان لكتاب وصف النعمة ، فانها بحر للأقلام فيه سبح طويل ، ولطفٌ لحملِ الشكر فيه عبء ثقيل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويسرى للأسرار في إظهارها مسارب ، ولله تعالى في إعادة شكره رضا، وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه : هذا مضى . ولقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها ، وقد استتبت عقائد أهله على أبين بصائرها، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط ، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط ، وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضاً فقد بذلت الأنفس في ثمنه ، وأمرَ أمرُ الحق وكان مستضعفاً ، وأهلَ ربعه وكان قد عيف حين عفا ، وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة ، وأدلجت السيوف إلى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين، واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حنّان الحنين ، واسترد المسلمون تراثاً كان عنهم آبقاً ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفاً على النأي طارقاً، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء غُلَلهم ، ولما قدم الدين عليها عرف منها سويداء قلبه ، وهنأ كفؤها الحجر الأسود بيت عصمتها من الكافر بحربه .

---

[1] المختار : ورشد ؛ ع : في ريش .

وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ، ولا يناجز من يستمطله في حربه[1] ، ولا يعاتب بأطراف القنا من يتعادى في عتبه ، إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا ، وكانت الألسن ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاحتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خطيراً خاطر ، ومن رام صفقة رابحة جاسر[2] ، ومن سما لأن يجلّي غمرةً غامر ، وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم فيعضها ، ويضعف في أيديها مهز القوائم فيفضها ، هذا إلى كون القعود لا يقضى به فرض الله في الجهاد[3] ، ولا يرعى به حقه في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد الذي يطوّقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وخلفاء كانوا في مثل هذا اليوم يسألون ، لا جرم أنهم أورثوا سرهم وسريرهم خلفهم الأطهر ، ونجلهم الأكبر ، وبقيتهم الشريفة ، وطليعتهم المنيفة ، وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غضوا لما نظر ، بل وصلهم الأجر لما كان[4] به موصولا ، وشاطروه العمل لما كان عنه منقولا ، ومنه مقبولاً ، وخلص إليهم إلى المضاجع فاطمأنت به[5] جنوبها ، وإلى الصحائف ما عبقت به جيوبها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميراً ، والنهار به بصيراً ، والشرق يهتدي بأنواره ، بل إن بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأن واره ، فإنه نور لا تكنه أغساق[6] السدف ، وذكر لا توازيه أوراق الصحف .

وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظّت قناته شققا ، وطارت

---

١ س : ولا يحارب من يستظلمه إلا لتكون الكلمة ...الخ .

٢ س : خاسر .

٣ ق والمختار : لا يقضى به فرض الجهاد .

٤ س : بل وصلهم بما كان ...

٥ المختار : بها .

٦ المختار : أنوار .

فرَقَهُ فَرَقاً ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الأكثر عدداً وحصى ، وكلّت حملاته وكان قدراً يضرب فيه العنان بالعنان[1] ، وعقوبة من الله ليس لصاحب يديها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة ، وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نُطفَ الكرى من الجفون ، وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أو راعفة بالمنون ، وأصبحت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث ، والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث ، وبيوت الكفر مهدومة ، ونيُوبُ الشرك مهتومة ، وطوائفه المحامية ، مجمعة على تسليم القلاع الحامية ، وشجعانه المتوافية ، مذعنة لبذل القطائع الوافية ، لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة ، ولا في نار الأنفة[2] لهم نصرة ، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركته ، وأنجده بملائكته ، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من قتلت به المناصل ، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار ، وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم[3] بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار ، فنيلوا بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين ، وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم إلى أجل فاختلسه ، وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة وافترسه ، فكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان الضلال صارخاً وكان الإسلام

١ س : وكانت قدراً يصرف فيه العنان .
٢ ق والمختار : الأكفة ؛ س : الأنف .
٣ وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم : هذه هي قراءة ر ، وقد جاءت مضطربة في سائر النسخ ؛ وربما قرئت « وعن أنصاف » .

مولوداً ، وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقوداً . وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه ، وآكد وصله بالدين وعلائقه ، وهو صليب الصلبوت ، وقائد أهل الجبروت ، ما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهمائهم يبسط لهم باعه ، وكان مد اليدين في هذه الدفعة[1] وداعه ، لا جرم أنهم يتهافت على ناره فراشهم ، ويجتمع في ظل ضلاله خشاشُهم ، ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقه ، ويرونه ميثاقاً يبنون عليه أشد عهد وأوثقه ، ويعدونه سوراً تحفر حوافر الخيل خندقه ، وفي هذا اليوم أسرت سراتهم ، وَدُهِيَتْ دهاتهم ، ولم يفلت سنهم معروف إلا القومص ، وكان لعنه الله مليّاً يوم الظفر بالقتال ، ومليّاً يوم الخذلان بالاحتيال ، فنجا ولكن كيف ، وطار خوفاً من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ، ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده ، وأهلكه لموعده ، فكان لعدّتهم فذلك[2]، وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغاً، البيضاء صنعاً ، الخافقة هي وقلوب أعدائها ، الغالبة هي وعزائم أوليائها ، المستضاء بأنوارها إذا فتح عينها النشر ، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر ، فافتتح بلاد كذا وكذا ، وهذه كلها أمصار ومدن ، وقد تسمى البلاد بلاداً وهي مزارع وفدن ، كل هذه ذوات معاقل ومعاقر ، وبحار وجزائر ، وجوامع ومنابر ، وجموع وعساكر ، يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ، ويحصد منها كفراً ويزرع إيماناً ، ويحط من جوامعها صلباً ويرفع أذاناً ، ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد ، ويبوىء أهل القرآن بعد أهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد ، ويقر عينه وعيون أهل الإسلام أن يعلق النصر منه ومن عسكره بجارّ ومجرور ، وأن يظفر بكل سور ، ما كان يخاف زلزاله ولا زياله إلى يوم النفخ في الصور .

ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليه كل طريد منهم وشريد ، واعتصم

---

١ س : الوقعة .

٢ س : فكان من عدّتهم لذلك .

بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا أنها من الله مانعتهم ، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم ، فلما نزلها الخادم رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم التناد ، وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرصته ، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته ، فزاول البلد من كل جانب ، فاذا أودية عميقة ، ولجج وعر غريقة ، وسور قد انعطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقر الدار ، فعدل إلى جهة أخرى كان للطالع عليها معرج ، وللخيل فيها متولّج[1] ، فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها ، وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ، ويزاحمه السور بأكنافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها [وبرز اليها ثم بارزها][2] ،وحاجزها ثم ناجزها ،وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع جمعها فاذا هم لايصبرون على عبودية الحد عن عتق الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجدة ، فعرفهم الخادم في لحن القول ،وأجابهم بلسان الطول ،وقدم المنجنيقات[3] التي تتولى عقوبات[4] الحصون عصيها وحبالها ، وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها ، فصافحت السور فإذا سهمها في ثنايا شرفاتها سواك ، وقدم النصر نسراً من المنجنيق يخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماك ، فشج مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ، ورفع منار عجاجها[5] ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة ، وأمكن النقّاب ، أن يسفر للحرب النقاب ، وأن يعيد الحجر إلى سيرته الأولى من التراب ، فتقدم إلى الصخر فمضغ سرده بأنياب معوله ، وحل عقده بضربه الأخرق الدال على لطافة أنمله ، وأسمع الصخرة الشريفة أنينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمقتله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض ، وأخذ الخراب عليها موثقاً فلن تبرح الأرض ، وفتح من السور باباً سد من نجاتهم أبواباً ،

١ متولج : هذه قراءة ر ع س ، وفي ق والمختار : متوج .
٢ زيادة من س ر .
٣ خ بها مش المختار : المجانيق .
٤ ر : عقوبة .
٥ س : ورفع المرادع ما بين العنق إلى المرفق منار عجاجها .

وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر : يا ليتني كنت ترابا ، فحينئذ يئس الكفار من أصحاب الدور ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور ، وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان[1] سائلاً أن يؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة ، وألقى بيده إلى التهلكة ، وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكة ، وطرح جنبه على التراب وكان جنباً لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليها أملُ[2] طامح ، وقال : ها هنا أسارى مسلمون يتجاوزون الألوف ، وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هُجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدىء بهم فعجلوا ، وثني بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك ، فلا يقتل خصم إلا بعد أن ينتصف ، ولا يفلّ سيف من يد إلا بعد أن تقطع أو ينقصف ، فأشار الأمراء بأخذ الميسور ، من البلد المأسور ، فانه لو أخذ حرباً فلابد أن يتقحم الرجال الأنجاد ، ويقال كفوا عنها[3] في آخر أمر قد نيل من أوله المراد ، وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، وأثقل الحركات ، فقبل منهم المبذول عن يد وهم صاغرون ، وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الإسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان ، فخدمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان ، لا جرم أن الله تعالى أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق وأسخطهم ، فأنهم ، خذلهم الله ، حموها بالأسل والصفاح ، وبنوها بالعمد والصفّاح ، وأودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاسبتارية فيها بكل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ، ولا ينطرد لألاؤه ، قد لطف الحديد في تجزيعه ، وتفنن في توشيعه ، إلى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه نعيم عتيد ، فما ترى إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق ، وعمداً كالأشجار لها من التنبيت أوراق .

وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود ، وأقام له من الأئمة من

---

١ يعني هنا : Baléan d'Ibelin

٢ س : طرف أمل .

٣ س : وتبذل نفوسها .

يوفيه ورده المورود ، وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات يتفطرن للسجود لا للوجوم ، والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ، ورفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة ، وطهرت قبور الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة ، وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها ، وجهرت الألسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها ، وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر ، فرحب به ترحيب من بر بمن بر ، وخفق علماه في حفافيه ، فلو طار سروراً لطار بجناحيه .

وكتاب الخادم وهو مجد في استفتاح بقية الثغور ، واستشراح ما ضاق بتمادي الحرب من الصدور ، فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها ، وأيام الشقاء قد مردت[1] مواردها ، والبلاد المأخوذة المشار إليها قد جاست العساكر خلالها ، ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها ، فهي بلاد ترفد ولا تسترفد ، وتجم ولا تستنفد ، ينفق عليها ولا ينفق منها ، وتجهز الأساطيل لبحرها ، وتقام المرابط بساحلها ، ويدأب في عمارة أسوارها ومرمات معاقلها ، وكل مشقة بالإضافة إلى نعمة الفتح محتملة ، وأطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجئة ولا معتزلة ، فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله أنها لا تسمع ، ولن يكفوا[2] أيديهم من أطراف البلاد حتى تقطع ، وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى المشافهة تتخلص ، فلذلك نفذ الخادم لساناً شارحاً ، ومبشراً صادحاً[3] ، يطالع بالخبر على سياقته ، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته ، وهو فلان ، والله الموفق .

هذا آخر الرسالة الفاضلية ، وكان في عزمي اختصارها والاقتصار على محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي : عسى أن يقف عليها من يؤثر الوقوف على جميعها فأكملتها ورجعت عن الرأي الأول ، وهي قليلة الوجود

---

١ س : استنفدت ؛ ع : وأيام الشتاء .

٢ س ق ع : يفكوا .

٣ س : صالحا .

في أيدي الناس ، وكانت النسخة التي نقلتها منها سقيمة ، ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صحت على هذه الصورة حسب الإمكان .

وقد عمل عماد الدين الأصبهاني الكاتب رسالة في فتح القدس أيضاً فلم أر التطويل بكتابتها فتركتها ، وجمع كتاباً سماه « الفتح القسي في الفتح القدسي » وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة . ورأيت منذ زمان رسالة مليحة أنشأها ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى – المقدم ذكره في حرف النون[1]– تتضمن فتح القدس أيضاً ، وكل واحد من أرباب صناعة الإنشاء كان يريد يمتحن خاطره بما يعمل في ذلك ، والقاضي الفاضل رئيس هذا الفن ، وإذا شرع في شيء من هذا الباب لا يستطيع أحد أن يجاريه ولا يباريه ، فلهذا أثبتّ رسالته ورفضت غيرها خوف الإطالة .

وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور ، هذا الفتح ، فأنشد السلطان صلاح الدين قصيدته التي أولها :

هذا الذي كـانت الآمال تنتظر فليوف لله أقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت ، يمدحه ويهنيه بالفتح .

وإذ قد نجز المطلوب من هذا الأمر فلنرجع إلى تتمة ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد في « السيرة الصلاحية » [1] قال][2] : ونكس الصليب[3] الذي كان على قبة الصخرة ، وكان شكلاً عظيماً ، ونصر الله الإسلام على يده نصراً عزيزاً .

---

١ انظر ج ٥ : ٣٨٩ .

٢ ما بين معقفين لم يرد في المسودة ، وهو ثابت في المختار والنسخ ق ع ر س ، وقد تأخر في ر عن هذا الموضع ، وورد بعد الأبيات التي مطلعها «الله أكبر جاء القوس باريها» .

٣ السيرة : وحط الصليب (ص : ٨٢) .

قلت : وقد تقدم في ترجمة أرتق طرف من أخبار القدس وأن الأفضل أمير الجيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان وإيل غازي ، ثم إن الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وقيل في ثاني شعبان ، وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ؛ ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه منهم صلاح الدين في التاريخ المذكور .

نعود إلى كلام ابن شداد[1] : وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على نفسهم عن كل رجل عشرين ديناراً ، وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية ، عن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً ، فمن أحضر قطيعته نجا بنفسه ، وإلا أخذ أسيراً ، وأفرج عمن كان بالقدس من أسارى المسلمين ، وكانوا خلقاً عظيماً ، وأقام به يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ، ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه ، وتقدم بايصال من قام بقطيعته إلى مأمنه ، وهي مدينة صور ، ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جُبيَ له شيء ، وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين ألفاً ، وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة .

ولما فتح القدس حسن عنده قصد صور ، وعلم أنه إن أخر أمرها ربما عسر عليه ، فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ، ثم رحل عنها متوجهاً إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة ، فنزل قريباً منها ، وسيّر لإحضار آلات القتال ، ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور ، وقاتلها وضايقها قتالاً عظيماً ، واستدعى أصطول[2] مصر ، فكان يقاتلها في البر والبحر . ثم سيّر من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السنة .

ثم خرج أصطول صور في الليل ، فكبس أصطول المسلمين ، وأخذوا

---

[1] السيرة : ٨٢ .

[2] أصطول : يكتبها المؤلف بالصاد .

المقدم والريّس وخمس قطع للمسلمين، وقتلوا خلقاً كثيراً من رجال المسلمين، وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور، وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره، وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار، وامتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار، فجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال، فرحل عنها. وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر، وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من السنة، وتفرقت العساكر، وأعطى كل طائفة منها دُستوراً، وسار كل قوم إلى بلادهم، وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة.

ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من السنة، ولم يبق معه من العسكر إلا القليل، وكان حصناً حصيناً وفيه الرجال والأقوات، فعلم أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد، فرجع إلى دمشق ودخلها في سادس عشر شهر ربيع الأول من السنة. قال ابن شداد[1]: ولما كان على كوكب وصلت إلى خدمته، ثم فارقته ومضيت لزيارة القدس والخليل عليه أفضل الصلاة والسلام، ودخلت دمشق يوم دخول السلطان إليها — قلت: وقد ذكرت هذا في ترجمته.

قال: وأقام بدمشق خمسة أيام، ثم بلغه أن الفرنج قصدوا جُبَيل واغتالوها، فخرج مسرعاً، وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل، فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا[2] عن ذلك.

وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل إلى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه، فسار نحو حصن الأكراد.

---

١ السيرة : ٨٥ .

٢ ورد في س ق والمسودة : « كف » .

قال ابن شداد في السيرة[1] : إنه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين ، وجميع ما ذكرته فهو بروايتي عمن أثق به ، ومن ها هنا ما أسطر إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق إليه خبراً يقارب العيان.

قال : لما كان يوم الجمعة رابع[2] جمادى الأولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبية حسنة ورتب الأطلاب ، وسارت الميمنة أولاً ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط ، والميسرة في الأخير ومقدمها مظفر الدين ابن زين الدين ، فوصل إلى انطرسوس ضاحي نهار الأحد سادس جمادى الأولى ، فوقف قبالتها ينظر إليها لأن قصده كان جبّلة ، فاستهان بأمرها وعزم على قتالها ، فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر ، والميسرة على الجانب الآخر ، ونزل هو موضعه ، والعساكر محدقة بها من البحر إلى البحر ، وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين ، فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها ، فما استتم نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها ، وأخذوها بالسيف ، وغنم المسلمون جميع من بها وما بها ، وأحرق البلد ، وأقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى ، وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين ، فما زال يحاربه حتى أخربه ، واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه ، فجاءه في عسكر عظيم .

ثم سار يريد جبلة ، وكان وصوله إليها في ثاني عشر جمادى الأولى ، وما استتم نزول العسكر عليها حتى أخذ البلد ، وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم ، وقوتلت القلعة قتالاً شديداً ، ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة ، وأقام عليها إلى الثالث والعشرين منه.

ثم سار عنها إلى اللاذقية ، وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى ، وهو بلد مليح خفيف على القلب ، غير مسوّر ، وله ميناء مشهور ، وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد . واشتد القتال إلى

---

١ السيرة : ٨٧ .

٢ السيرة : رابع عشر .

آخر النهار ، فأخذ البلد دون القلعتين ، وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار ، وجدّوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتّى بلغ طول النقب ستين ذراعاً وعرضه أربعة أذرع ، فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان ، وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر ، والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ، ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب ، فأجابهم إلى ذلك ، ورفع العلم الإسلامي عليها يوم السبت ، وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر .

فرحل عنها إلى صهيون، فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال ، فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة . ثم تقدموا إلى القلعة ، وصدقوا القتال ، فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان ، فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران ، الذكر والأنثى سواء . وأقام السلطان بهذه الجهة حتّى أخذ عدة قلاع منها بَلاطُنُس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون .

ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها ، وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة ، وقاتلوها قتالاً شديداً إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ، ثم يسر الله فتحها عنوة ، فقتل أكثر من بها وأسر الباقون ، وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ، ولها قليعة تسمى الشُغْر ، وهي في غاية المنعة يعبر إليها منها بجسر وليس عليها طريق ، فسلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ، ورأوا أنهم لا ناصر لهم فطلبوا الأمان ، وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر ، ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأمهلوا ، وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قُلّتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر .

ثم سار إلى بُرْزَيْه ، وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها

المثل في بلاد الفرنج تحيط بها أودية[1] من جميع جوانبها ، وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعاً ، وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ، ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه .

ثم سار إلى دَرْبَساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب ، وهي قلعة منيعة ، وقاتلها قتالاً شديداً ، ورقي العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب ، وأعطاها الأمير علم الدين سليمان بن جَنْدَر ، وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر .

ونزل على بَغْراس ، وهي قلعة حصينة بالقرب من أنطاكية ، وقاتلها مقاتلة شديدة ، وصعد العلمُ الإسلامي عليها في ثاني شعبان . وراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح ، فصالحهم لشدة ضجر العسكر من البيكار ، وكان الصلح معهم لا غير ، على أن يطلقوا كل أسير عندهم ، والصلح إلى سبعة أشهر ، فإن جاءهم من ينصرهم ، وإلا سلموا البلد .

ثم رحل السلطان ، فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به ، فأجابه إلى ذلك ، فوصل حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام ، وولده يقوم بالضيافة حق القيام .

وسار من حلب ، فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصعده إلى قلعة حماة وصنع له طعاماً ، وأحضر له سماعاً من جنس ما تعمل الصوفية ، وبات فيها ليلة واحدة ، وأعطاه جبلة واللاذقية .

وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة .

ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ، ولم يزل القتال حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال .

وفي شهر رمضان المذكور سُلمت الكرك ، سلمها نواب صاحبها ، وخلصوه بذلك ، لأنه كان في الأسر من نوبة حطين .

---

[1] المختار : الأودية .

قلت : هكذا ذكره ، وهذا لا ينتظم مع ما قبله ، فقد تقدم قبل هذا أن البرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك أسر في وقعة حطين ، ثم قتله السلطان بيده ، فيكشف عن ذلك في مكان آخر ليحقق .

[قال] : ثم سار إلى كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة ، والأمطار متواترة والوحول متضاعفة والرياح عاصفة ، والعدو متسلط بعلوّ مكانه ، فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمان فأجابهم إليه ، وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة[1].

ثم نزل إلى الغور ، وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا ، وسار مع أخيه الملك العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لأنه كان متوجهاً إلى مصر ، ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد .

وتوجه في حادي عشر ذي الحجة إلى عسقلان لينظر في أمورها ، وأخذها من أخيه العادل ، وعوضه عنها الكرك .

ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ، ثم دخل عكا فأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين يصلح أمورها ، ورتب بها الأمير بهاء الدين قراقوش[2] والياً وأمره بعمارة سورها .

وسار إلى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنة ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من السنة .

ثم خرج إلى شقيف أرنون ، وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف ، في سابع عشر شهر ربيع الأول ، وأقام أياماً يباشر قتاله كل يوم ، والعساكر تتواصل إليه ، فلما تحقق صاحب الشقيف أنه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على باب خيمته ، فأذن له

---

١ علق صاحب المختار هنا بقوله : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكتب القاضي الفاضل بطاقة إلى بعض الجهات يبشر فيها بفتح كوكب هذه ، فمن جملتها ...» وقد وردت القطعة في ترجمة القاضي الفاضل ٣ : ١٥٩ .

٢ زاد في المختار : الخصي .

في دخوله إليه وأكرمه واحترمه ، وكان من أكبر الفرنج وعقلائهم ، وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والأحاديث ، وكان حسن التأتّي لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ، ثم خلا به وذكر أنه مملوكه وتحت طاعته ، وأنه يسلم إليه المكان من غير تعب ، واشترط أن يعطى موضعاً يسكنه بدمشق فإنه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج ، وإقطاعاً يقوم به وبأهله ، وشروطاً غير ذلك ، فأجابه إلى ذلك .

وفي أثناء شهر ربيع الأول وصله الخبر بتسليم الشوبك ، وكان السلطان قد أقام عليه جمعاً يحاصرونه مدة سنة كاملة إلى أن نفد زاد من كان فيه ، فسلموه بالأمان .

ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أن جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة ، فرسم عليه .

ثم بلغه أن الفرنج قصدوا عكا ، ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين . وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة .

وأتى عكا ، ودخلها بغتة لتقوى قلوب من بها ، وسيّر استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته . وكان العدو بمقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، ثم تكاثر الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ، ومنعوا من يدخل إليها ويخرج ، وذلك يوم الخميس سلخ رجب ، فضاق صدر السلطان لذلك ، ثم اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة ، وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ، ففعلوا ذلك ، وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ، ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ، ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام ، وتأخر الناس إلى تل العياضية ، وهو مشرف على عكا . وفي هذه المنزلة توفي الأمير حسام الدين طمان — المقدم ذكره في هذه الترجمة — وذلك ليلة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وكان من الشجعان .

ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في ذكرها ، وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها ، إذ ليس الغرض سوى المقاصد لاغير ، وإنما ذكرت فتوحات هذه الحصون لأن الحاجة قد تدعو إلى الوقوف على تواريخها ، مع أني لم أذكر إلا ما يكثر التطلع إلى الوقوف عليه وأضربت عن الباقي .

قال ابن شداد[1] : سمعت السلطان ينشد وقد قيل له : إن الوخم قد عظم بمرج عكا وإن الموت قد فشا في الطائفتين :

اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي

يريد بذلك أنه قد رضي أن يتلف إذا أتلف الله أعداءه .

قلت : وهذا البيت له سبب يحتاج إلى شرح ، وذلك أن مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي ، كان من الشجعان والأبطال المشهورين ، وهو من خواص أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تماسك في يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وكان أيضاً من الأبطال ، وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين ، وكانوا يحاربون علياً رضي الله عنه ، فلما تماسكا صار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب صدره ، وفعلا ذلك مراراً ، وابن الزبير ينشد :

اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي

يريد الأشتر النخعي ، هذه خلاصة القول في ذلك وإن كانت القصة طويلة ، وهي في التواريخ مبسوطة .

وقال عبد الله بن الزبير : لاقيت الأشتر النخعي يوم الجمل ، فما ضربته ضربة حتى ضربني ستا أو سبعاً ، ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال :

---

[1] السيرة : ١٥٠ .

والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبداً .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم .

وقيل أيضاً إن الأشتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل ، فقالت له : يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن أختي يوم الوقعة ، فأنشدها :

أعائش ، لولا أنني كنت طاويا ثلاثا لألفيتِ ابنَ أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه بآخر صوتٍ اقتلوني ومالكا
فنجّاه مني أكله وشبابه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زجر بن قيس : دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام ، فاذا في رأسه ضربة لو صب فيها قارورة دهن لاستقر ، فقال لي : أتدري من ضربني هذه الضربة ؟ قلت : لا ، قال : ابن عمك الأشتر النخعي .

رجعنا إلى ما كنا عليه :

قال ابن شداد[1] : ثم إن الفرنج جاءهم الأمداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الإسلامية بعكا ، وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري ، والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي ، وضايقوهم أشد مضايقة إلى أن غُلبوا عن حفظ البلد . فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام ، ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه ، وأنهم قد تيقنوا الهلاك ، ومتى أخذوا البلد عَنْوةً ضُربت رقابهم ، وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعُدّة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار ، وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم

[1] السيرة : ١٧٠ .

وصليبَ الصلبوت ، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم ، وضمنوا للمركيس – لأنه كان الواسطة في هذا الأمر – أربعة آلاف دينار . ولما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيماً وعظم عليه هذا الأمر ، وجمع أهل الرأي من أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع ، واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله ، وعزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوّام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه ، وهو يتردد في هذا ، فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سور البلد ، وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة ، وصاح الفرنج صيحة عظيمة واحدة ، وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ، ووقع فيهم الصياح والعويل والبكاء والنحيب .

ثم ذكر ابن شداد[1] بعد هذا أن الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها ، وساروا على الساحل ، والسلطان وعساكره في قبالتهم ، إلى أن وصلوا إلى أُرْسُوف ، فكان بينهما قتال عظيم ، ونال المسلمين منه وهن شديد، ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من مسيرهم من عكا ، فأتى السلطان الرملة ، وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات ، فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم بقاؤها ؟ فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ، ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفاً من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ، ويأخذ بها القدس وتنقطع بها طريق مصر . وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا ، ورأوا أن حفظ القدس أولى ، فتعين خرابها من عدة جهات ، وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فسار إليها سحرة الأربعاء ثامن عشر الشهر . قال ابن شداد[2] : وتحدث معي في معنى خرابها بعد أن تحدث

---

١ السيرة : ١٧٥ .

٢ السيرة : ١٨٦ .

مع ولده الملك الأفضل في أمرها أيضاً ثم قال : لأن أفقد ولدي جميعهم أحبّ إلي من أن أهدم منها حجراً ، ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك ؟ قال : ولما اتفق الرأي على إخرابها أوقع الله تعالى في نفسه ذلك ، وأن المصلحة فيه ، لعجز المسلمين عن حفظها . وشرع في إخرابها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة ، وقسم السور على الناس ، وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بَدَنَةً معلومة وبرجاً معيناً يخربونه ، ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء ، وكان بلداً خفيفاً على القلب محكم الأسوار عظيم البناء ، مرغوباً في سكنه ، فلحق الناسَ على خرابه حزن عظيم ، وعظم عويل أهل البلد عليه لفراق أوطانهم ، وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله ، فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد ، وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد ، واختبط البلد ، وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم وتشتتوا ، فذهب قوم منهم إلى مصر وقوم إلى الشام ، وجرت عليهم أمور عظيمة . واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه ولا يمكن من إخرابه ، وبات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها . وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من أخبر أن الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية ، فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفس الناس من الضجر من القتال وكثْرة ما عليهم من الديون ، وكتب إليه يأذن له في ذلك ، وفوض الأمر إلى رأيه ، وأصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصرٌّ على الخراب ، واستعمل الناس عليه ، وحثهم على العجلة فيه ، وأباحهم ما في الهُري الذي كان مدخراً للميرة[1] خوفاً من هجوم الفرنج والعجز عن نقله . وأمر باحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته ، وكان سورها عظيماً ، ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى سلخ شعبان من السنة ، وأصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه ، ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لأجل الاحراق .

---

[1] المختار : للميرة مدخراً .

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج إلى لُدّ، وأشرف عليها وأمر باخرابها وإخراب قلعة الرملة، ففعل ذلك، وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان تأخر السلطان بالعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه[1]، ودار السلطان حول النطرون، وهي قلعة منيعة، فأمر باخرابها، وشرع الناس في ذلك.

ثم ذكر ابن شداد[2] بعد هذا أن الانكتار، وهو من أكابر ملوك الفرنج، سير رسوله إلى الملك العادل يطلب الاجتماع به، فأجابه إلى ذلك واجتمعا يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتحادثا معظم ذلك النهار، وانفصلا عن مودة أكيدة. والتمس الانكتار من العادل أن يسأل السلطان أن يجتمع به، فذكر العادل ذلك للسلطان، فاستشار أكابر دولته في ذلك، ووقع الاتفاق على أنه إذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك، ثم وصل رسول الانكتار، وقال: إن الملك يقول: إني أحب صداقتك ومودتك، وأنت تذكر أنك أعطيت هذه البلاد الساحلية لأخيك، فأريد أن تكون حكماً بيني وبينه وتقسم البلاد بيني وبينه ولا بد أن يكون لنا عُلقة بالقدس، وأطال الحديث في ذلك، فأجابه السلطان بوعد جميل، وأذن له في العود في الحال وتأثر لذلك تأثراً عظيماً.

قال ابن شداد: وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان: متى صالحناهم لم تؤمن غائلتهم، ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر، وتقوى الفرنج، والمصلحة أن لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت، هذا كان رأيه وإنما غُلب على الصلح.

قال ابن شداد: ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح، وأطال القول في ذلك فتركته إذ لا حاجة إليه. وجرت بعد ذلك وقعات أضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها، وحاصل الأمر أنه تم الصلح بينهم، وكانت الأيمان يوم

---

١ السيرة: ليتمكن الناس من انفاذ دوابهم إلى العلوفة.

٢ السيرة: ١٩٣.

الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادي بانتظام الصلح ، وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة ، فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور ، وكان يوماً مشهوداً نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاته وإيثاره ، ولكنه رأى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة ، وكان مصلحة في علم الله تعالى ، فانه اتفقت وفاته بعد الصلح ، فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر .

ثم أعطى للعساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دُستوراً فساروا عنه ، وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة . وتردد المسلمون إلى بلادهم ، وجاءوا هم إلى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد ، وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس .

وتوجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحوالها ، وأخوه الملك العادل إلى الكرك ، وابنه الملك الظاهر إلى حلب ، وابنه الأفضل إلى دمشق . وأقام السلطان بالقدس يُقطع الناس ويعطيهم دستوراً ، ويتأهب للمسير إلى الديار المصرية ، وانقطع شوقه عن الحج ، ولم يزل كذلك إلى أن صح عنده مسير مركب الانكتار متوجهاً إلى بلاده في مستهل شوال ، فعند ذلك قوي عزمه أن يدخل الساحل جريدة يتفقد القلاع البحرية إلى بانياس ، ويدخل دمشق ويقيم بها أياماً قلائل ، ويعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية .

قال شيخنا ابن شداد[1] : وأمرني بالمقام في القدس إلى حين عوده لعمارة مارستان أنشأه به ، وتكميل المدرسة التي أنشأها فيه . وسار منه ضاحي نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . ولما فرغ من افتقاد[2] أحوال القلاع وإزاحة خللها دخل دمشق بكرة

---

١ السيرة : ٢٣٩ .
٢ المختار : تفقد .

الأربعاء سادس عشر شوال ، وفيها أولاده : الملك الأفضل ، والملك الظاهر ، والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر ، وأولاده الصغار . وكان يحب البلد ويؤثر الإقامة فيه على سائر البلاد . وجلس للناس في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه ، وحضروا عندهم وبلوا شوقهم منه ، وأنشده الشعراء ، ولم يتخلف أحد عنه من الخاص والعام ، وأقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب إنعامه وفضله ، ويكشف مظالم الرعايا . فلما كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الأفضل دعوة للملك الظاهر ، لأنه لما وصل إلى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليتملى بالنظر إليه ثانياً ، وكأن نفسه كانت قد أحست بدنو أجله ، فودعه في تلك الدفعة مراراً متعددة . ولما عمل الملك الأفضل الدعوة أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهمته ، وكأنه أراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل إلى بلده ، وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة ، وسأل السلطانَ الحضورَ فحضر جبراً لقلبه ، وكان يوماً مشهوداً على ما بلغني .

ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك وأصلح ما قصد إصلاحه فيه ، سار قاصداً إلى البلاد الفراتية ، فوصل إلى دمشق في يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان إلى لقائه ، وأقام يتصيد حوالي غباغب إلى الكسوة حتى لقيه ، وسارا جميعاً يتصيدان . وكان دخولهما إلى دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة[1] سنة ثمان وثمانين ، وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه وأولاده ، ويتفرجون في أراضي دمشق ومواطن الصبا ، وكأنه وجد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل ، وكان ذلك كالوداع لأولاده ومراتع نزهه ، ونسي عزمه إلى مصر ، وعرضت له أمور أخر وعزمات غير ما تقدم .

قال ابن شداد[2] : ووصلني كتابه إلى القدس يستدعيني لخدمته ، وكان شتاء شديداً ووحلا عظيماً ، فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين

١ كتب فوقها في المسودة : القعدة ؛ وهو لايتفق مع ما تقدم .
٢ السيرة : ٢٤١ .

من المحرم سنة تسع وثمانين ، وكان الوصول إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة . وركب السلطان لملتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر ، وكان ذلك آخر ركوبه .

ولما [1] كان ليلة السبت وجد كسلاً عظيماً ، وما تنصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية ، وكانت في باطنه أكثر منها في ظاهره ، وأصبح يوم السبت متكسلا عليه أثر الحمى ، ولم يظهر ذلك للناس ، لكن حضرتُ عنده أنا والقاضي الفاضل ، ودخل ولده الملك الأفضل وطال جلوسنا عنده ، وأخذ يشكو قلقه في الليل ، وطاب له الحديث إلى قريب الظهر ، ثم انصرفنا وقلوبنا عنده ، فتقدم إلينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الملك الأفضل ، ولم تكن للقاضي الفاضل في ذلك عادة فانصرف ، ودخلت إلى الإيوان القبلي وقد مد السماط ، وابنه الملك الأفضل قد جلس في موضعه ، فانصرفت ، وما كانت لي قوة في الجلوس استيحاشاً له ، وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلاً بجلوس ولده في موضعه . ثم أخذ المرض يتزيد من حينئذ ونحن نلازم التردد طرفي النهار ،وندخل إليه أنا والقاضي الفاضل في النهار مراراً ، وكان مرضه في رأسه ، وكان من أمارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان قد عرف مزاجه سفراً وحضرا ، ورأى الأطباء فصده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه ، وكان يغلب عليه اليبس ، ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى إلى غاية الضعف . واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ، ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه . ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلد ، وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الأسواق ، وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا تمكن حكايته . ولما كان العاشر من مرضه حُقن دفعتين ، وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ، ثم اشتد مرضه وأيس منه الأطباء ، ثم شرع الملك الأفضل في تحليف الناس .

ثم إنه توفي بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر

---

[1] السيرة : ٢٤٣ .

سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وكان يوم موته يوماً لم يُصَب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فُقد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وغشي القلعةَ والملك والدنيا وحشةٌ لا يعلمها إلا الله تعالى . وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم ، وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص ، إلى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لفدي بالأنفس .

ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء ، وغسله الدولعي .

(391) قلت : الدولعي المذكور[1] ، هو ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد ابن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل التغلبيّ الأرقمي الدولعي الشافعي ، خطيب جامع دمشق . توفي في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسئل عن مولده فقال : في سنة سبع وخمسمائة ، ثم ذكر غير هذا ، والله أعلم ؛ ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير .

قال : وأخرج بعد صلاة الظهر ، رحمه الله ، في تابوت مسجى بثوب فُوَط ، فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج وأخذ الناس في البكاء والعويل ، وصلوا عليه أرسالا ، ثم أعيد إلى الدار التي في البستان ، وهي التي كان متمرضا بها ، ودفن في الصُفّة الغربية منها ، وكان نزوله في حفرته قريباً من صلاة العصر .

ثم أطال ابن شداد القول في ذلك فحذفته خوفاً من الملالة ، وأنشد في آخر « السيرة »[2] بيت أبي تمام الطائي ، وهو :

ثم انقضت تلك السنونَ وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامُ

---

[1] ترجمة الدولعي في معجم البلدان (دولع) والذيل على الروضتين : ٣١ وعبر الذهبي ٤ : ٣٠٣ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ٨١ والاسنوي ١ : ٥١٣ وشذرات الذهب ٤ : ٣٣٦ وابن قاضي شهبة : ١٥١ .

[2] السيرة : ٢٤٧ .

رحمه الله تعالى وقدس روحه ، فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها .

وذكر سبط ابن الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ما مثاله [1] : وفي خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر ، فنزل البركة قاصداً الشام ، وخرج أعيان الدولة لوداعه ، وأنشده الشعراء أبياتاً في الوداع ، فسمع قائلاً يقول في ظاهر الخيمة :

تمتع مــن شميم عــرار نجد فمــا بعد العشية مــن عــرار

فطلب القائل فلم يوجد ، فوجم السلطان وتطير الحاضرون ، فكان كما قال ، فإنه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج ، ولم يعد بعدها إلى مصر .

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات في « الحماسة » في باب النسيب [2] .

وذكر شيخنا عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير هذه القضية على صورة أخرى ، فقال [3]: ومن عجيب ما يحكى من التطير أنه لما برز عن القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر ، وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب الآداب ، فمن بين مودع له وسائر معه ، وكل واحد منهم يقول شيئاً في الوداع والفراق ، وفي الحاضرين معلم لبعض أولاده ، فأخرج رأسه من بين الحاضرين ، وأنشد هذا البيت ، فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه وتنكد المجلس على الحاضرين ، فلم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدة .

وذكر ابن شداد أيضاً في أوائل « السيرة » أنه مات ولم يخلف في خزانته من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية ، وجرماً واحداً ذهباً صوريا ، ولم يخلف ملكا : لا داراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة .

وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقة مضمونها ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب :

---

١ مرآة الزمان : ٣٦٨ – ٣٦٩ .

٢ الحماسية رقم : ٤٦٦ (شرح المرزوقي) .

٣ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٤٧٨ .

٢١)﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ (الحج : ١) كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه ، وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة ، وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً ، وقد حفرت الدموع المحاجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، وقد ودعت أباك ومخدومي وداعاً لا تلاقي بعده ، وقد قبّلت وجهه عني وعنك ، وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة ، راضياً عن الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبالباب من الجنود المجندة والأسلحة المعدّة ما لم يدفع البلاء ، ولا مُلكٌ يرد القضاء ، وتدمع العين ويخشع القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا عليك لمحزونون يا يوسف . وأما الوصايا فما تحتاج إليها ، والآراء فقد شغلني المصاب عنها ، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم ، وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته وهو الهول العظيم ، والسلام » .

قلت : لله دره ، فلقد أبدع في هذه الرسالة الوجيزة ، مع ما تضمنته من المقاصد السديدة ، في مثل تلك الحالة التي يذهل فيها الإنسان عن نفسه .

قلت : وقد ذكرت كل واحد من أولاده المذكورين ، وهم الأفضل والظاهر والعزيز في ترجمة مستقلة ، وعينت تاريخ مولده وموته ، سوى الملك الظافر المشهور بالمشمر ، فاني لم أذكر له ترجمة مستقلة ، وقد ذكرته ها هنا فيحتاج إلى ذكر شيء من أحواله ، فأقول :

(392) لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام، وأبو العباس الخضر، وإنما قيل له المشمر لأن أباه، رحمه الله تعالى ، لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال : وأنا مشمر ، فغلب عليه هذا اللقب . وكان مولده بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسمائة ، في خامس شعبان ، وهو شقيق الملك الأفضل ، وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وستمائة بحران ، عند ابن عمه الملك الأشرف ابن الملك العادل ، ولم يكن الأشرف يومئذ ملكا وإنما كان مجتازاً بها عند دخوله بلاد الروم لأجل الخوارزمية .

قال غير ابن شداد : ثم إن السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، بقي مدفوناً بقلعة دمشق إلى أن بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ، ولها بابان أحدهما إلى الكلاسة والآخر في زقاق غير نافذ ، وهو مجاور المدرسة العزيزية — قلت : ولقد دخلت إلى هذه القبة من الباب الذي في الكلاسة ، وقرأت عنده وترحمت عليه ، وأحضر لي القيم ومتولي القبة بقجة فيها ملبوس بدنه وكان في جملته قباء أصفر قصير ورأس كميه بأسود فتبركت به — قال : ثم نقل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القبة في يوم عاشوراء ، وكان الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ورتب عنده القراء ومن يخدم المكان . ثم إن ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان — المقدم ذكره[1] — لما أخذ دمشق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية[2] ، ووقف عليها وقفاً جيداً . وللقبة المذكورة شباك إلى هذه المدرسة ، وهي من أعيان مدارس دمشق .

وزرت قبره في أول جمعة من شهر رمضان سنة ثمانين وستمائة فقرأت على صندوق قبره بعد تاريخ وفاته ما مثاله : اللهم فارض عن تلك الروح ، وافتح له أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح ؛ وذكر قيم المكان أن هذا من كلام القاضي الفاضل .

قلت : ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس ، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء ، فعمر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه — وقد تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الخبوشاني — وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وجعل عليها وقفاً كبيراً ، وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ، ووقف عليها وقفاً طائلاً ، وجعل دار عباس المذكور في ترجمة الظافر العبيدي والعادل ابن السلار مدرسة للحنفية ، وعليها وقف جيد أيضاً ،

---

١ انظر ج ٣ : ٢٥١ .

٢ أنظر عن هذه المدرسة كتاب الدارس ١ : ٣٨٢ .

والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفاً على الشافعية ووقفها جيد أيضاً ، وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا ، وله وقف جيد ، وله بالقدس مدرسة أيضاً ، وقفها كثير ، وخانقاه بها أيضاً ، وله بمصر مدرسة للمالكية .

ولقد فكرت في نفسي في أمور هذا الرجل وقلت : إنه سعيد في الدنيا والآخرة ، فإنه فعل في الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكبيرة وغيرها ، ورتب هذه الأوقاف العظيمة ، وليس فيها شيء منسوباً إليه في الظاهر ، فإن المدرسة التي في القرافة ما يسميها الناس إلا بالشافعي ، والمجاورة للمشهد لا يقولون إلا المشهد ، والخانقاه لا يقولون إلا خانقاه سعيد السعداء ، والمدرسة الحنفية لا يقولون أيضاً إلا مدرسة السيوفية ، والتي بمصر لا يقولون إلا مدرسة زين التجار ، والتي بمصر مدرسة المالكية ، وهذه صدقة السر على الحقيقة . والعجب أن له بدمشق في جوار البيمارستان النوري مدرسة يقال لها الصلاحية فهي منسوبة إليه وليس لها وقف ، وله بها مدرسة للمالكية أيضاً ولا تعرف به ، وهذه النعم من ألطاف الله تعالى به .

وكان ، مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة ، كثير التواضع واللطف قريباً من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة ، وكان يحب العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم ، وكان يميل إلى الفضائل ، ويستحسن الأشعار الجيدة ، ويرددها في مجالسه ، حتى قيل إنه كان كثيراً ما ينشد قول أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري ، وقيل إنها لأبي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري ، كان أميراً بالمرية من بلاد الأندلس ، وكان جده خيران من سبي المنصور بن أبي عامر فنسب إليه ، والله أعلم ، وهي هذه :

وزارني طيفُ مَنْ أهوى على حَذَرٍ ... من الوشاةِ وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظُ مَنْ حولي به فرحاً ... وكاد يهتكُ سترَ الحب بي شغفا
ثم انتبهتُ وآمالي تخيّل لي ... نيلَ المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وقيل إنه كان أيضاً يعجبه قول نشو الملك أبي الحسن علي بن مفرج

المعروف بابن المنجم المعري الأصل المصري الدار والوفاة ، وهو في خضاب الشيب ، ولقد أحسن فيه :

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لقبحه وأقبحُ منه حين يظهرُ ناصلُهْ
ولكنه مات الشبابُ فسودت[1] على الرسم من حزن عليه منازلـه

قالوا : فكان إذا قال ولكنه مات الشباب يمسك كريمته وينظر إليها ويقول : أي والله مات الشباب .

وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » أن السلطان صلاح الدين في أول ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق هذين البيتين :

أيها الغائبون عنا وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا
إنني مذ فقدتكم لأراكم بعيونِ الضمير عندي عيانا

وأما القصيدتان اللتان ذكرت أن سبط ابن التعاويذي أنفذهما إليه من بغداد ، فإن إحداهما وازن بها قصيدة صَرَّدُرَّ — المقدم ذكره — وقد ذكرت منها أبياتاً في ترجمة الوزير الكُنْدُري ، وأولها :

أكذا يجازى ود كل قرين

وقصيدة سبط ابن التعاويذي أولها[2] :

إنْ كانْ دينك في الصبابة ديني فقفِ المطيّ برملتَيْ يبرينِ
والثم ثَرَى لو شارفتْ بي هَضْبَهُ أيدي المطيّ لثمته بجفوني
وانشُدْ فؤادي في الظباء معرّضاً فبغير غزلانِ الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام ، وإنما غالطتُ عنها بالظباء العينِ
لولا العدا لم أكْنِ عن ألحاظها وقدودِها بجوازىءٍ وغصون

---

[1] بهامش المسودة ، خ : فسخمت .
[2] ديوانه : ٤٢٠ .

لله ما اشتملتْ عليه قبابهم … يومَ النوى منْ لؤلؤٍ مكنون
من كلّ تائهةٍ على أترابها … في الحسن غانيةٍ عن التحسين
خَوْدٍ ترى قمرَ السماء إذا بدت … ما بين سالفة لها وجبين
غادِينَ ما لمعتْ بروقُ ثغورهم … إلا استهلتْ بالدموع شؤوني
إن تنكروا نَفَسَ الصبا فلأنها … مَرّتْ بزفرةِ قلبيَ المحزون
وإذا الركائبُ في الجبالِ تلفتت … فحنينها لتلفتي وحنيني
يا سلمَ إن ضاعتْ عهودي عندكم … فأنا الذي استودعتُ غيرَ أمين
أو عدتُ مغبوناً فما أنا في الهوى … لكمُ بأولِ عاشقٍ مغبون
رفقاً فقد عَسَفَ الفراقُ بمطلَقِ الـ … ـعَبَرَاتِ في أسْرِ الغرام رهين
ما لي ووصل الغانيات أرومُهُ … ولقد بخلْنَ عليّ بالماعون
وعلام أشكو والدماءُ مطاحةٌ … بلحاظهنّ إذا لوين ديوني
هيهات ما للبيض في ودّ امرئٍ … أرَبٌ وقد أربى على الخمسين
ومن البلية أن تكون مطالبي … جدوى بخيلٍ أو وفاءَ خؤون
ليت الضنينَ على المحبّ بوصله … لقنَ السماحَةَ من صلاح الدين

وأما القصيدة الثانية فهي [1] :

حتّامَ أرضى في هواك وتغضبُ … وإلى متى تجني علي وتعتبُ [2]
ما كان لي لولا ملالُكَ زلةٌ … لما مللتَ زعمتَ أنيَ مذنب
خذْ في أفانين الصدودِ فإنّ لي … قلباً على العلاّتِ لا يتقلّب
أتظنني أضمرتُ بعدك سلوةً … هيهات عطفك من سلوي أقرب
لي فيك نارُ جوانح ما تنطفي … حُرَقاً وماءُ مدامع ما تنضب
أنسيتَ أياماً لنا ولياليا … للهو فيها والبطالةِ ملعب
أيامَ لا الواشي يَعُدّ ضلالةً … ولهي عليك ولا العذولُ يؤنب

---

١ ديوانه : ٢٢ . ٢ بضم التاء الثانية وكسرها ، وفوقها «معاً» في المسودة .

قد كنتَ تنصفني المـودةَ راكباً — في الحبّ من أخطاره ما أركب
واليومَ أقنعُ أن يمــرَّ بمضجعي — في النوم طيفُ خيالك المتأوّب
ما خلتُ أن جـديـدَ أيـام الصبا — يبلى ولا ثوبَ الشبيبة يسلب
حتّى انجلى ليلُ الغوايــة واهتدى — ساري الدجى وانجاب ذاك الغيهب
وتنافر البيضُ الحسانُ فأعرضت — عنيّ سعادُ وأنكرتني زينب
قالت وريعتْ مـن بياضٍ مفـارقي — ونحول جسمي : بان منك الأطيب
إن تنقمي سقمي فخصرك ناحلٌ — أو تنكري شيبي فثغرك أشــنب

قلت : لله دره ، فلقد أجاد في هذا المعنى كل الإجادة ، غير أنه قد ظن أن الشنب بياض الثغر ، وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده ، فانها لما عيرته بالسقم قابلها بنحول الخصر ، فقال لها : إن كنت نحيلا فخصرك أيضاً نحيل ، فلما أنكرت شيبه قابلها بأن ثغرها أشنب ، فكأنه قال لها : بياض شيبي في مقابلة ثغرك الأشنب ، وليس الأمر كما ظن ، فان الشنب في اللغة ليس البياض ، وإنما هو حدة الأسنان ، ويقال : بردها وعذوبتها ، والصحيح أنه حدتّها ، وهو دليل على الحداثة ، لأن الأسنان في أول طلوعها تكون حادة ، فاذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حدتّها . وهذا المعنى ينظر إلى قول النابغة الذبياني في جملة قصيدته المشهورة وهو[1] :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم — بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك[2].
ومثله أيضاً ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب — المقدم ذكره — لنفسه من جملة أبيات ، وهو قوله[3] :

ما فيه من عيب سوى — فتورِ عينيـه فقطْ

---

١ ديوان النابغة : ٦٠ .
٢ انظر ج٣ : ٢٥٧ .
٣ ديوان البها زهير : ١٩٠ وترجمته ٢ : ٣٣٢ .

رجع :

يا طالباً بعد المشيب غضارة ... من عيشه ذَهَبَ الزمانُ المذهبُ
أترومُ بعد الأربعين تعدّها ... وصل الدّمى[1]؟ هيهات عز المطلب
ومن السفاه وقد شآك طِلابُهُ ... يَفَعاً تطلّبُهُ وفَوْدك أشيب
لولا الهوى العذري يا دار الهوى ... ما هاج لي طرباً وميضٌ خُلَّب
كلا ولا استجديتُ أخلافَ الحيا ... وندى صلاح الدين هامٍ صيّب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد ؛ فمنهم العلم الشاتاني ، واسمه الحسن — وقد تقدم ذكره[2]— مدحه بقصيدته الرائية التي أولها :

أرى النصرَ مقروناً برايتك الصفرا ... فسرْ واملكِ الدنيا فأنت بها أحرى

ومدحه المهذب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن الشحنة الموصلي الشاعر المشهور[3] بقصيدته التي أولها :

سلامُ مشوقٍ قد بسراه التشوقُ ... على جيرةِ الحيّ الذين تفرقوا

وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً ، وفيها البيتان السائران ، أحدهما :

وإني امرؤٌ أحببتكم لمكارمٍ ... سمعتُ بها،والأذن كالعين تعشق

وقد أخذه من قول بشار بن برد — المقدم ذكره — وهو :

يا قوم أذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ ... والأذن تعشقُ قبلَ العين أحيانا

والبيت الثاني من قصيدة ابن الشحنة قوله :

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً ... بأبناءِ أيوبٍ فأنت الموفّقُ

[ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق :

---

١ بهامش المسودة : الدمى جمع دمية وهي الصورة من العاج ونحوه .
٢ ج ٢ : ١١٣ ، وانظر الروضتين ١/٢:٦٩٦ .
٣ البدر السافر : ٤٧ وتوفي سنة ٦٠٦ .

الله أكبر ، جـاء القوس باريهـا	ورام أسهم دين الله راميها
فكم لمصر على الأمصار من شرف	باليوسفين فهل أرض تدانيها
فبابن يعقوب هزت جيدها طربا	وبابن أيوب هزت عطفها تيهـا
قل للملوك تخلى عن ممالكهـا	فقد أتي آخـذ الدنيـا ومعطيها

فلما أنشدها إياه أعطاه ألف دينار][1] .

ومدحه ابن قلاقس وابن الذروي وابن المنجم وابن سناء الملك وابن الساعاتي والبحراني الإربلي ، وابن دُهن الحصى الموصلي[2]، ومحمد بن إسماعيل ابن حمدان الحَيْنزاني وغير هؤلاء ، وقد ذكرت أكثر هذه الجماعة في هذا التاريخ . وعذري في تطويل هذه الترجمة قول المتنبي :

وقـد أطال ثنائي طـولُ لابسـه	إن الثناء على التِنبال تِنبالُ

التنبال : الرجل القصير ، وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون ساكنة وباء موحدة وبعد الألف لام .

قلت : قد تقدم في هذه الترجمة عند ذكر إرسال العاضد إلى صلاح الدين وطلبه إياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور ، وهو « أردت عمراً وأراد الله خارجة » وقد يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ، ولا المراد منه ، فأحببت أن أشرحه كيلا يحتاج مَنْ يقف عليه إلى كشفه من مكان آخر ، فأقول :

(393) عمرو المذكور[3] هو عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي ،

---

١ لم يرد في المسودة والمختار .

٢ ابن دهن الحصى : الحسن بن هبة الله بن دهن الحصى الموصلي ، كان بالموصل يمدح صاحبها ، فلما حاصرها صلاح الدين مدحه بقصيدة ، فتغير عليه صاحب الموصل ، فهرب ولحق بصلاح الدين وكانت وفاته سنة ٦٠٣ (انظر الغصون اليانعة : ٨١ – ٨٢) .

٣ له ترجمة في كتب الصحابة ، وأخباره في كتب التاريخ العامة .

كنيته أبو عبد الله ، وقيل أبو محمد ، أحد الصحابة رضي الله عنهم ، أسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ، ومكة فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من هذه السنة ، وقيل بل أسلم بين الحديبية وخيبر ، والأول أصح ، وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومي وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسلمين ، فلما دخلوا عليه ونظر إليهم قال لهم : قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وقال الواقدي : قدم عمرو بن العاصي مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشي ملك الحبشة ، وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد ، فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة ، وقيل إنه لم يأت من أرض الحبشة إلا معتقداً الإسلام ، وذلك أن النجاشي قال له : يا عمرو ، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك ؟ فوالله إنه لرسول الله حقاً ، قال : أتحقق ذلك ؟ قال : اي والله ، فأطعني ، فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية إلى الشام يدعو أخوال أبيه إلى الإسلام ، فبلغ السلاسل من بلاد قضاعة ، وهو ماء بأرض جذام ، وبذلك سميت تلك الغزوة « ذات السلاسل » وكان معه ثلثمائة رجل ، فخاف عمرو ، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فأمده بجيش مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف ، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، فلما قدموا على عمرو بن العاصي قال : أنا أميركم وإنما أنتم مددي ، فقال أبو عبيدة : بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معي ، فأبى عمرو ، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ إذا قدمتَ على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا ، فان خالفتني أطعتك ، قال عمرو : فاني أخالفك ، فسلم إليه أبو عبيدة ، وصلى خلفه في الجيش كله ، وكانوا خمسمائة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي على عُمان ، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة اثنّي عشرة بعث أبو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي ويزيد

ابن أبي سفيان الأموي ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، إلى الشام ، وسار إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق ، وأول شيء فتحوا من الشام بصرى صلحاً . وتوفي أبو بكر رضي الله عنه ، واستخلف عمر رضي الله عنه فولى أبا عبيدة على الجيش، وفتح الله تعالى عليه الشام ، فولى يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وهي كورة قصبتها الرملة . ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ، ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان، ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان ، وكتب إليه عمر رضي الله عنه بعهده على ما كان عليه أخوه يزيد ، وكان موت هؤلاء كلهم في طاعون عَمْواس ، في سنة ثماني عشرة للهجرة .

وعَمْوَاس : بفتح العين المهملة والميم وفي آخرها سين مهملة، وهي قرية بالشام بين نابلس والرملة ، وكان الطاعون بها في العام المذكور . وقيل بل مات يزيد بن أبي سفيان في ذي الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق ، والله أعلم ، وذلك بعد فتح قيسارية .

وكان عمر رضي الله عنه قد ولى عمرو بن العاصي بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن ، وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء ، وولى سعيد بن عامر بن حذيم حمص ، ثم جمع الشام كلها لمعاوية ، وكتب إلى عمرو فسار إلى مصر فافتتحها في سنة عشرين للهجرة ، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر رضي الله عنه ، فأقره عثمان رضي الله عنه عليها أربع سنين أو نحوها ، ثم عزله وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان أخا عثمان رضي الله عنه من الرضاعة ، فاعتزل عمرو بن العاصي في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً .

فلما قتل عثمان رضي الله عنه سار إلى معاوية باستجلاب معاوية إياه، وشهد صفين مع معاوية وكان منه في صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن ، وكان قد طلب من معاوية أنه إذا تم له الأمر يوليه مصر ، وكتب إليه في بعض أيام طلبه :

معاويَ لا أعطيك ديني ولم أنَـلْ   به منك دنيا فانظُرَنْ كيف تصنعُ
فان تعطني مصراً فأرْبِحْ بصفقـةٍ   أخذتَ بها شيخاً يضرّ وينفع

ثم ولاه معاوية مصر ،فلم يزل بها أميراً إلى أن مات يوم عيد الفطر من سنة ثلاث وأربعين للهجرة ، وقيل سنة اثنتين وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ، وقيل سنة إحدى وخمسين ، والأول أصح ، وعمره تسعون سنة . ودفن بسفح المقطم ، وصلى عليه ابنه عبد الله . ولما رجع صلى بالناس العيد . ثم عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاصي ، وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان ، فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد .

وكان عمرو بن العاصي من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية ، وكان من الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي . وكان عمر رضي الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه قال : أشهد أن خالقك وخالقَ عمرو واحد ، يريد خالق الأضداد .

وذكر أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل » [1] أن عمرو بن العاصي لما حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال له : يا أبا عبدالله ، كنت أسمعك كثيراً ما تقول : وددت لو رأيت رجلا عاقلاً حضرته الوفاة حتى أسأله عما يجد ، فكيف تجد ؟ فقال : أجد كأن السماء مطبقة على الأرض وكأني بينهما ، وكأنما أتنفس من خُرْتِ إبرة ، ثم قال : اللهم خذ مني حتى ترضى . فدخل عليه ولده عبد الله فقال له : يا ولدي ، خذ ذلك الصندوق قال : لا حاجة لي به ، فقال : إنه مملوء مالا ، فقال : لا حاجة لي به ، فقال : ليته مملوء بعراً ، ثم رفع يديه وقال : اللهم إنك أمرت فعصينا ، ونهيت فارتكبنا ، فلا بريءٌ فأعتذر ، ولا قويّ فأنتصر ، ولكن لا إله إلا أنت ، ثم فاظ .

قلت : يقال فاظ وفاض ، بالظاء والضاد ، أي مات ، قال الشاعر :

[1] الكامل ١ : ٢٦٧ .

(394) وأما خارجة المذكور في هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عَبيد بن عَويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، شهد فتح مصر واختط بمصر، وكان أمير رُبع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمروَ بن العاصي في فتح مصر، وكان على شرط مصر في إمرة عمرو ابن العاصي لمعاوية بن أبي سفيان الأموي. قتله خارجي بمصر سنة أربعين للهجرة، وهو يحسب أنه عمرو بن العاصي، هكذا قاله ابن يونس في «تاريخ مصر».

وذكره في كتاب «الاستيعاب»[1] لابن عبد البر، وساق نسبه على هذه الصورة. ثم قال: يقال إنه كان يعد بألف فارس؛ ذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاصي كتب إلى عمر رضي الله عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس، فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الكندي، وشهد خارجة فتح مصر. وقيل إنه كان قاضياً لعمرو بن العاصي بها، وقيل إنه كان على شرطة عمرو، ولم يزل بها إلى أن قتل، قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا لقتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي، فأراد الخارجي قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمراً، وذلك أنه كان استخلفه عمرو بن العاصي على صلاة الصبح ذلك اليوم، فلما قتله أخذ وأدخل على عمرو فقال: من هذا الذي أدخلتموني عليه، فقالوا: عمرو بن العاصي، فقال: ومن قتلت؟ فقالوا: خارجة، فقال: أردت عمرا وأراد الله خارجة. وقد قيل إن الخارجي الذي قتله لما أدخل على عمرو، قال له عمرو: أردت عمراً وأراد الله خارجة، والله أعلم من قال ذلك منهما. والذي قتل خارجة هذا رجل من بني العنبر بن عمرو بن تميم، يقال له داذويه، وقيل إنه مولى لبني العنبر. وقد قيل إن خارجة الذي قتله الخارجي بمصر،

[1] الاستيعاب: ٤١٨.

على أنه عمرو بن العاصي ، رجل يسمى خارجة من بني سهم رهط عمرو بن العاصي ، وليس بشيء ؛ انتهى ما قاله صاحب « الاستيعاب » .

وقال غيره : إن عمرو بن العاصي أصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله تلك الليلة . وكان خارجة يعشي الناس ، فضربه الخارجي ، وكان عمرو يقول : ما نفعني بطني قط إلا تلك الليلة .

قلت : فهذا أصل المثل في قولهم « أردت عمراً وأراد الله خارجة » . وإلى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي في قصيدته التي رثى بها بني الأفطس ملوك بطليوس وأولها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر

بقوله :

وليتها إذ فدت عَمْراً بخارجةٍ فَدَتْ علياً بمن شاءتْ من البشرِ

وهي من غرر القصائد جمعت تاريخاً كثيراً ، وشرحها الأديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بُدْرون الحضرمي الشلبي ، شرحاً مستوفىً .

وهذا البيت يحتاج إلى شرح أيضاً وهو من تتمة الكلام على المثل المذكور لكنّي أذكره مختصراً فانه طويل :

ذكر أهل علم التاريخ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج عليه مَنْ قاتله في وقعة الجمل — وقد ذكرت طرفاً من هذه الوقعة في ترجمة يموت بن المزرّع ،ساقها الكلام هناك فذكرت المقصود منه — ثم كانت وقعة صفين عند خروج معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاصي ، على علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه فتوجه إليهم من العراق ، وجاءوه من الشام ، والتقوا على صفين ، وهو موضع على شاطىء الفرات بالقرب من الرحبة ، وهي واقعة مشهورة ، وكانت في سنة سبع وثلاثين من الهجرة . ولما غلب

أهل الشام طلبوا من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه التحكيم ، فأجابهم إليه بعد معاودات كثيرة ، فخرج على عليّ جماعة من أصحابه ، وقالوا : حكّمت في دين الله ، ولا حكم إلا لله ، ورحلوا إلى النهروان ، فمضى إليهم وقاتلهم واستأصلهم إلا اليسير منهم، وهي أيضاً واقعة مشهورة بقتال الخوارج. ولما طال الأمر في ذلك اجتمعوا وقالوا : إن علياً ومعاوية وعمرو بن العاصي قد أفسدوا أمر هذه الأمة ، فلو قتلناهم لعاد الأمر إلى حقه ، فقال عبد الرحمن ابن مُلْجَم المرادي : أنا أقتل علياً ، قالوا : فكيف لك بذلك ؟ قال : أغتاله ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي : أنا أقتل معاوية ، ويعرف هذا الصريمي بالبُرَك ، وقال داذويه ، وقيل زاذويه — وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على خارجة بن حذافة — : أنا أقتل عمراً ، وأجمعوا آراءهم على أن يكون ذلك في ليلة واحدة ، فدخل ابن ملجم الكوفة ، وعليّ رضي الله عنه بها ، فاشترى سيفاً بألف درهم وسقاه السم حتّى لفظه ، فلما خرج عليّ لصلاة الصبح ، كان ابن ملجم قد كمن له فضربه على رأسه وقال : الحكم لله يا علي ، لا لك ، وقيل إنه ضربه وهو في صلاة الصبح ، وذلك في صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة ، وقيل غير هذا التاريخ .

وقدم البرك الصريمي على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته ، وهو في الصلاة ، ويقال إنه قطع عرق النسل ، فما أحبل بعدها .

وأما عمرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة ، وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار ، والله أعلم .

٨٤٧

الموفق بن الخلال الكاتب

أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال ، الملقب بالموفق ، صاحب ديوان الإنشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العُبَيْدِي – المقدم ذكره[١] – ومَنْ بعده ؛ قال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب «الخريدة» في حقه[٢]: «هو ناظر مصر وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسل يكتب كما يشاء ، عاش كثيراً وعطل في آخر عمره وأضر ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفي بعد مُلك الملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين » وذكر له عدة مقاطيع من الشعر نورد شيئاً منها بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وذكره ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري ثم الموصلي – المقدم ذكره[٣] – في الفصل الأول من كتابه الذي سماه « الوشي المرقوم في حل المنظوم » فقال : حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، رحمه الله تعالى ، بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال : كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضاً طرياً ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأسٍ يرأسُ

---

٨٤٧ – ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٣٥ ونكت الهميان : ٣١٤ ومرآة الجنان ٣ : ٣٧٩ والشذرات ٤ : ٢١٩ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٤ .

١ انظر ج ٣ : ٢٣٥

٢ الخريدة ١ : ٢٣٥ .

٣ انظر ج ٥ : ٣٨٩

مكانا وبيانا ، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا ، وكان[1] من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئاً من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع[2] قال : فأرسلني والدي ، وكان إذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان ، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ ، وهو أحد خلفائها ، وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً يقال له « ابن الخلال » ؛ فلما حضرت الديوان ومثلتُ بين يديه وعرفته من أنا وما طَلِبَتِي ، رَحَّبَ بي وسهل ، ثم قال لي : ما الذي أعددتَ لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « الحماسة » فقال[3] : في هذا بَلاغ ، ثم أمرني بملازمته ، فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه ؛ أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة ، فحللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته ؛ انتهى ما ذكره ابن الأثير .

قلت : وبعد أن نقلت ما قاله ضياء الدين ابن الأثير على هذه الصورة ، اجتمع بي مَنْ له عناية بالأدب خصوصاً هذا الفن ، وهو من أعرف الناس بأحوال القاضي الفاضل ، وقال لي : هذا الذي ذكره ابن الأثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل ، فان القاضي الفاضل لم يدخل إلى الديار المصرية إلا في أيام الظافر ابن الحافظ ، وكان وصوله إليها مع أبيه في أمر يختص بهم . ثم إني وجدت في بعض تعاليقي بخطي ، وما أدري من أين نقلته ، أن القاضي الأشرف والد القاضي الفاضل كان من أهل عسقلان ، وكان ينوب في الحكم والنظر[4] بمدينة بيسان ، فدخل إلى مصر في زمان الظافر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي الناحية من أجل كُنْدٍ[5] كبير كان عندهم

---

١ س : فكان

٢ زاد في المطبوعة المصرية هنا : أشياء من علم الأدب ؛ ولا وجود لهذه العبارة في المسودة وسائر المخطوطات .

٣ س : فقال لي إن ...

٤ س : النظر والحكم .

٥ كذا هو في المسودة والنسخة ق ؛ وفي س ع : كيد ، وسقط التعليق كله من ر . ووردت=

له قيمة كثيرة ، فداجى الوالي في حقه وأطلقه ، فاستدعي الوالي إلى مصر لذلك وطولب بمال طائل ، فاحتمى ببعض أمراء الدولة ، وجعلوا الأقاويل في حق القاضي الأشرف ، فاستدعي وصودر إلى أن لم يبق له شيء ، ولم يكن معه من الأولاد سوى القاضي الفاضل ، فحمل على قلبه وتوفي بالقاهرة ليلة الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول من سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ودفن بسفح المقطم . ثم توجه القاضي الفاضل إلى ثغر الإسكندرية ، وحضر عند ابن حديد قاضي البلد وناظره ، فعرفه بوالده ، فعرفه بالسمعة واستكتبه ، وأخذ الفرنج عسقلان فحضر إخوته إليه . وكانت مكاتبات ابن حديد ترد إلى مصر بخطه ، وهي في غاية البلاغة ، فحسده كتاب الإنشاء بها[1] على فضله وخافوا من تقدمه عليهم ، فسعوا إلى الظافر به فقالوا : إنه قصر في المكاتبة ، وكان صاحب ديوان الإنشاء القاضي الأثير ابن بُنان ، فيحكى انه دخل على الظافر فقال له : تكتب إلى ابن حديد بقطع يد كاتبه ، فتعصب له ابن بنان وقال : يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير ، وإنما حسده هؤلاء الكتاب فسعوا به ليؤذيه مولانا، قال له الظافر : فتكتب إلى ابن حديد ليرسله إلينا ويكتب لنا .

قال ابن بنان : وكنت بعد ذلك في مجلس الظافر ، فرأيت القاضي الفاضل وقد حضر وهو قائم بين يديه ، ثم استخدمه ، والله أعلم .

وقال العماد في « الخريدة » : أنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ قال ، أنشدني الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة :

عذبتْ ليـــال بالعُذَيب حوالي وخلَتْ مواقف بالوصال خــوالي[2]

= اللفظة غير معجمة في : من ؛ ولم أعرف معنى الكلمة بالضبط ، ولكن دي سلان وضع في ترجمتها كلمة estate ؛ والمعروف أن كلمة « كند » تعريب للفظة « كونت » وهي لقب لبعض أمراء الفرنجة ؛ وقوله « أطلقه » ربما عنى أن ذلك الكند كان أسيراً عندهم .

١ س : كتاب انشائها .

٢ الخريدة ١ : ٢٣٥ ؛ وهذا البيت جاء ثانياً في س .

ومضت لذاذاتٌ تقضّى ذكـرها — تصبي الخليّ وتستهيمُ السـالي
وجلتْ موردةُ الخـدود فأوثقـت — في الصبوة الخالي بحسن الخـال
قالوا سراةُ بني هـلال أصلها — صدقوا كذاك البدرُ فرعُ هـلال

قال العماد في « الخريدة » أيضاً[1] : ونقلت من كتاب « جنان الجنان ورياض الأذهان » — قلت : وهو تأليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره[2] — من شعر ابن الخلال قوله :

وأغـنّ سيفُ لحاظه — يَفْرِي الحسام بحـده
فضح الصوارم والـدا — نّ بقـده وبقـده
عجب الـورى لما حييـتُ وقد مُنيت[3] ببعده
وبقاء جسمي نـاحلاً — يَصْلَى بوَقْدة صده
كبقاء عنـبر خـاله — في نارِ صفحةِ خـدّه

وقوله[4] :

أما اللسانُ فقد أخفى وقـد كتما — لو أمكن الجفنُ كفّ الدمع حين همى
أصبتمُ بسهام اللحـظِ مهجتَـهُ — فهل يُلامُ إذا أجرى الدموع دما؟
قد صار بالسقم من تعذيبكم علمـاً — ولم يبحْ بالذي من جوركم علما
فما على صامت أبدى لصدكمُ — في كلّ جارحةٍ منه السقام فما

وأورد له في الشمعة[5] :

وصحيحةٍ بيضاءَ تطلُع في الدجى — صبحاً وتشفي الناظرين بدائهـا

---

١ المصدر نفسه .
٢ انظر ج ١ : ١٦٠ .
٣ المختار : بليت .
٤ الخريدة ١ : ٢٣٦ .
٥ المصدر نفسه .

شابتْ ذوائبها أوانَ شبابها ... واسودّ مفرقها أوانَ فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها ... وسوادها وبياضها وضيائها

وذكر العماد في «الخريدة» أيضاً في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الجبّاب[1] أبياتاً كتبها ابن الجبّاب المذكور إلى الرشيد ابن الزبير في نكبة جرت للموفق[1] بن الخلال المذكور، وقال العماد: كان خاله – ولم يذكر أيهما خال الآخر – وكان ابن الجبّاب قد حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع، والأبيات المشار إليها[2]:

تَسَمّعْ مقَاليَ يا ابنَ الزبير ... فأنت خليقٌ بأن تسمعَهْ
بلينا بذي نسبٍ شابك ... قليل الجَدّى في زمان الدّعَهْ
إذا ناله الخير لم نَرْجُهُ ... وإن صفعوه صفعنا معه

وهذا من قول حصين بن حَصَفَة السعدي الخارجي يخاطب قَطَري بن الفُجاءة رئيس الخوارج – المقدم ذكره[3] –:

وأنت الذي لا نستطيعُ فراقه ... حياتُكَ لا نفعٌ وموتك ضائرُ[4]

ثم إني كشفت عن قول العماد: كان خاله، ولم يبينه، فوجدت ابن الخلال المذكور خال ابن الجبّاب المذكور. وذكر العماد أيضاً في كتاب «السيل والذيل» الذي جعله ذيلاً على كتاب «الخريدة» ابن الخلال أيضاً، وأورد له:

وغزال نارُ وجنته ... أذكتِ النيران في كبدي
وله طَرْفٌ لواحظه ... نَصَرَتْ شوقي على جلدي
قذفتْ عيني سوالفه ... فتوارت منه بالزرد

---

1 ورد هذا الاسم في الخريدة (١ : ١٨٩) ابن الحباب – بالحاء المهملة – وكذلك هو في بعض نسخ الوفيات. والشكل الذي أثبته هنا بخط المؤلف، أي بالجيم والباء المشددة.
2 الخريدة ١ : ١٩١.
3 انظر ج ٤ : ٩٣.
4 وهذا من قول ... ضائر: لم يرد في س؛ وانظر شعر الخوارج: ٤٠.

والبيت الأخير مأخوذ من قول أبي محمد الحسن بن جكينا[1] البغدادي الشاعر المشهور :

طرفك يرمي قلبي بأسهمه فما لخدّيْكَ تلبس الزَّرَدا

وقد روي لغيره أيضاً ، والله أعلم .

ثم وجدت في كتاب « خريدة القصر » تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهاني لعبد السلام بن الحكَر[2] المعروف بابن الصواف الواسطي :

لو كان أمري إليّ أو بيدي أعددتُ لي قبل بينك العُدَدَا

طرفُكَ يرمي قلبي بأسهمه فما لخديك تلبسُ الزردا

ريقته الشهد والدليلُ على ذلك نَمْلٌ بخدّه صعدا

وذكر أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي المصري في كتاب « بدائع البدائه »[3] أن أبا القاسم ابن هانىء[4] الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور ، وبلغه هجوه فأضمر له حقداً ، واتفق بعض المواسم التي جرت عادة ملوك مصر بالحضور فيه لاستماع المدائح ، فجلس الحافظ أبو الميمون عبد المجيد ملك مصر إذ ذاك ، فأنشده الشعراء ، وانتهت النوبة إلى ابن هانىء المذكور ، فأنشد وأجاد فيما قاله ، فقال الحافظ للموفق المذكور : كيف تسمع ؟ فأثنى عليه واستجاد شعره وبالغ في وصفه ، ثم قال له : ولو لم يكن له ما يمت به إلا انتسابه إلى أبي القاسم ابن هانىء شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها ، لولا بيت أظهره منه الضجر عند دخوله هذه البلاد ، فقال له الحافظ : ما هو؟ فتحرّجَ من إنشاده ، فأبى الحافظ إلا أن ينشده ، وفي أثناء ذلك صنع بيتاً ، وهو :

---

١ ثابت بالجيم بخط المؤلف ، وقد ضبطه الزبيدي في التاج ٩ : ١٨٣ بالحاء المهملة .

٢ س : الحكر .

٣ بدائع البدائه : ٣٨٩ — ٤٩٠ .

٤ ترجم العماد في الخريدة ١ : ٢٤٨ (قسم مصر) لمحمد بن هانىء ولكنه جعل كنيته « أبا عبد الله » وهو أندلسي الأصل ، سكن مصر وتوفي في آخر أيام الصالح بن رزيك قبل سنة ستين (وخمسمائة) .

تبّاً لمصرٍ فقــد صارت خلافتها عظماً تَنَقَّلَ من كلبٍ إلى كلبِ

فعظم ذلك على الحافظ ، وقطع صلته وكاد يفرط في عقوبته ، والله أعلم .

ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة ، فانقطع في بيته . ويقال إن القاضي الفاضل كان يرعى له حق الصحبة والتعليم ، فكان يجري عليه ما يحتاج إليه إلى أن مات في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٨٤٨

الرمادي الشاعر

أبو عمر يوسف بن هارون الكندي، المعروف بالرمادي ، الشاعر المشهور؛ ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » فقال[1] : أظن أحد آبائه كان من أهل رمادة ، موضع بالمغرب ؛ شاعر قرطبي كثير الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من المنظوم مسالك تنفق عند الكل ، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هرون، وكانا متعاصرين ، واستدللت على ذلك بمدحه أبا علي

---

٨٤٨ ــ ترجمته في بغية الملتمس رقم : ١٤٥١ والصلة : ٦٣٧ والمطرب : ٤ والمطمح : ٦٩ والمغرب ١ : ٣٩٢ ومسالك الأبصار ١١ : ١٧٥ واليتيمة ٢ : ١٢ ، ١٠٠ والمقتبس: ٧٤ ، ٧٥ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٢ وله أشعار في البديع في وصف الربيع للحميري وفي التشبيهات من أشعار أهل الأندلس والنفح وشرح الشريشي على المقامات،وفي كتابي «تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة »: ١٥٥ – ١٦٩ (الطبعة الأولى) دراسة عنه .

١ الجذوة : ٣٤٦ .

إسماعيل بن القاسم القالي عند دخوله الأندلس بالقصيدة التي أولها :

من حاكمٌ بيني وبين عذولي الشجوُ شجوي والعويلُ عويلي

وكان وصول أبي علي القالي إلى الأندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة ــ قلت : وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته[1] ــ ثم ذكر له الحميدي وقائع وعدة مقاطيع من الشعر ، وأنه ألف كتاباً في الطير ، وسجن مدة .

قلت : وقد ذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر »[2] الأبيات التي مدح بها يوسف بن هرون أبا علي القالي ، وأورد له بعد البيت المذكور قوله :

في أي جارحةٍ أصونُ معذِّبي سلمتْ من التعذيبِ والتنكيلِ
إن قلت في بصري فثَمَّ مدامعي أو قلتُ في كبدي فثم غليلي
وثلاث شيباتٍ نزلنَ بمفرقي فعلمتُ أن نزولهن رحيلي
طلعتْ ثلاثاً في نزول ثلاثةٍ واشٍ ووجهُ مراقبٍ وثقيل
فعزلنني عن صبوتي فلئن ذللت لقد سمعتَ بذلة المعزول

قلت : ثم خرج بعد هذا إلى المدح ، وكان قد وصف الصيد والروض فقال :

روضٌ تعاهده السحابُ كأنه متعاهَدٌ من عهد إسماعيلِ
قسهُ إلى الأعرابِ تعلمْ أنه أولى من الأعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغاتٍ فرقت فيهم ، وحاز لغاتِ كلِّ قبيل
فالشرقُ خالٍ بعده فكأنما نزل الخرابُ بربعه المأهول
وكأنه شمسٌ بدت في غربنا وتغيبتْ عن شرقهم[3] بأفول

١ انظر ج ١ : ٢٢٧ .
٢ اليتيمة ٢ : ١٠٠ – ١٠١ .
٣ س : شرقها .

يا سيدي هذا ثنائي لم أقل زوراً ولا عرّضْتُ بالتنويل
من كان يأملُ نائلاً فأنا امرؤٌ لم أرجُ غيرَ القربِ في[1] تأميلي

وله في غلام ألثغ من جملة أبيات :

لا الراءتطمع فيالوصالولا أنا الهجرُ يجمعنا فنحن سواءُ
فاذا خلوتُ كتبتها في راحتي وبكيتُ منتحباً أنا والراء

وله فيه أيضاً :

أعدْ لثغةً في الراء لو أن واصلاً تسمعها ما أسقطَ الراءَ واصلُ

قلت : وهذا واصل هو واصل بن عطاء – المقدم ذكره في حرف الواو وقد ذكرت هناك هذا الشاعر وشيئاً من شعره[2] .

قلت : وذكره ابن بشكوال في كتاب « الصلة » ، فقال : «يوسف بن هرون الرمادي الشاعر من أهل قرطبة ، يكنى أبا عمر ، كان شاعر أهل الأندلس المشهور المقدم على الشعراء ، روى عن أبي علي البغدادي – يعني القالي – كتاب « النوادر » من تأليفه ، وقد أخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض تواليفه . قال ابن حيان : وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصرة ، فقيراً معدماً، ودفن بمقبرة كَلَع » . انتهى كلامه .

قلت : يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الأندلس ، وهو موسم للنصارى ، كالميلاد وغيره ، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران ، فيه ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام – والعنصرة : بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الصاد المهملة والراء وفي آخرها هاء – وفي هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون عليه السلام حين بعثه موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان

---

١ س : من .
٢ انظر ج ٦ : ٧ ، ٩ .

يوشع ابن أخته ، إلى أريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية ، فخشي أن يحول الليل بينه وبينهم ، فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ ، فحبسها بدعائه، وقد ذكر الشعراء ذلك في أشعارهم كثيراً ، فقال أبو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة[1] :

فردّتْ علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ | بشمسٍ لهم من جانبِ الخدرِ تطلعُ
نَضَا ضوءُها صبغَ الدّجنة وانطوى | لبهجتهَا ثوْبُ السماء المجزعُ
فوالله ما أدري أأحلامُ نـائمٍ | ألمتْ بنا أم كان في الركب يوشع

وقال أبو العلاء المعري من جملة قصيدة طويلة أيضاً[2] :

ويوشع ردّ بوحـا بعض يـوم | وأنتَ متى سفرتَ رددت بوحـا

وبوح : بالباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة ، اسم من أسماء الشمس ، وكذلك « يوح » بالياء المثناة من تحتها .

وأريحا : بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة ، بلدة بين القدس والشريعة من أرض الشام ، وهي قريبة من مدائن لوط عليه السلام .

والرمادي : بفتح الراء والميم وبعد الألف دال مهملة وبعدها ياء النسب ، هذه النسبة إلى الرمادة ، قال ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعا المختلف صقعا »[3] في باب الرمادة : الرمادة عشرة مواضع ، وعدها

---

١ ديوان ابي تمام ٢ : ٣٢٠ .

٢ شروح السقط : ٢٧٨ ؛ وقال التبريزي : وهذه الكلمة صحف فيها ابن الأنباري فقال « بوح » بالباء ، فرد عليه أبو عمر الزاهد وقال : هي يوح ، بالياء ، فأبى أن يقبل منه ، وبقيت الرواية عنه بوح ، والصحيح بنقطتين .

٣ المشترك : ٢٠٩ ؛ قلت : وربما لم يكن هذا سوى وهم : فالرمادة التي في المغرب إلى الشرق من عقبة السلطان ببرقة . وانما الرمادي ترجمة لكنيته أبو جنيش ؛ وجنيش بالأسبانية تعني الرماد .

فقال : الثالث رمادة المغرب ، ينسب إليها يوسف بن هارون الكندي الرمادي الشاعر القرطبي .

وكَلَع : بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة ، وهي مقبرة قرطبة والله أعلم .

وذكر ابن سعيد[1] في كتاب « المغرب فيأشعار أهل المغرب » أن الرمادي المذكور اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل الكفيف[1] علَم أدباء الأندلس ، وهو القائل :

لا تلمني على الوقوف بدارٍ   أهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً   ثم سدوا علي باب الرجوع

ثم قال : وتوفي يحيى بن هذيل المذكور في سنة ست أو خمس وثمانين وثلثمائة وهو ابن ست وثمانين ، رحمه الله تعالى .

---

[1] أضاف المؤلف هذا النص في هامش المسودة ، وخطه يدل على أنه متأخر في التاريخ ، ولم يعودنا المؤلف النقل عن ابن سعيد المغربي ، مع أنه معاصره ؛ ومن الغريب أن س أوردت هذا النص أيضاً .

[1] ولد يحيى بن هذيل سنة ٣٠٥ وتتلمذ على علماء قرطبة ثم غلب عليه الشعر ، وطال عمره وكف بصره وتوفي سنة ٣٨٩ حسب قول ابن الفرضي ، وهو أدق في هذا من ابن سعيد الذي نقل عنه المؤلف (انظر الجذوة : ٣٥٨ وبغية الملتمس رقم : ١٩٤٥ وابن الفرضي ٢ : ١٩٢ ونكت الهميان : ٣٠٧ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٣٩) ولابن هذيل شعر في اليتيمة ومسالك الأبصار وعنوان المرقصات والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس .

٨٤٩
ابن الدَّرّى

يوسف بن درة ، الشاعر المعروف بابن الدَّرّى ، الموصلي الأصل ؛ كان شاباً ذكياً ، ذكره أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان في تاريخه وقال : إنه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زِعْب ، وقد ذكره عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب « خريدة القصر » وذكره أبو المعالي سعد بن علي الحظيري – المقدم ذكره[١]– في كتاب « زينة الدهر » ومن مشهور شعره قوله في رجل أرْجَلَ وقد أحسن فيه[٢] :

مُدَوَّرُ الكعبِ فاتخذْهُ ... لتلِّ غَرْسٍ وثَلِّ عرشِ
لو نَظَرَتْ[٣] عينه الثريا ... أخرجها في بنات نعش[٤]

وله غير هذا أشياء حسنة .

قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في مختصر كتاب الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني الذي عمله

٨٤٩– ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٣٢٦ – ٣٢٩ وفيه ابن الدر .

١ انظر ج ٢ : ٣٦٦

٢ الخريدة ٢ : ٣٢٧ .

٣ الخريدة : رمقت .

٤ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد ، لطف الله به : ومثل هذا المعنى قول بعض الأدباء المصريين في الصلاح ابن بهاء الدين زهير الكاتب المقدم ذكره ، وكان أرجل ، من جملة أبيات :

قد صح أنك كعب ... لأنك ابن زهير »

في الأنساب ، ما مثاله[1]: قلت : الزعبي : بكسر الزاي وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة ، نسبة إلى زِعْب بن مالك بن خفاف بن امرىء القيس بن بهثة بن سليم ، بطن مشهور من سليم ، وهذه زعب هي التي أخذت الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، فهلك منهم خلق كثير قتلا وجوعاً وعطشاً ، ثم إن الله تعالى رمى زِعْباً بالقلة والذلة بعده إلى الآن .

وَدُرة : بضم الدال المهملة ، والدّرى : بفتحها وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة .

٨٥٠
أبو المحاسن الشوّاء

أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالشواء ، الملقب شهاب الدين ، الكوفي الأصل الحلبي المولد[2] والمنشأ والوفاة ؛ كان أديباً فاضلا متقناً لعلم العروض والقوافي شاعراً ، يقع له في النظم معان بديعة في البيتين والثلاثة ، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات ، وكان زيه على زي الحلبيين الأوائل في اللباس والعمامة المشقوقة. وكان كثير الملازمة لحلقة الشيخ تاج الدين أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد الله بن سعيد بن سعدبن مقلّد المعروف بابن الجبراني الحلبي النحوي

---

١ اللباب [illegible] : ٥٠٢

٨٥٠ – ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ٢٣٧ قال : قصد الملك الناصر صلاح الدين مادحاً وبعده ولده الملك الظاهر غازي ثم الملك العزيز ولده ، ولم يكن ممن يرتزق بشعره على عادة الشعراء إلا يقوله تولعاً ، وكانت نفسه ترفعه عن الاستجداء به والاستماحة ، وديوان شعره يحتوي على عشرين ألف بيت ؛ وانظر ابن العديم ٩ : ١٨٨ ، وإنباء الأمراء : ١٣٣ ومرآة الجنان ٤ : ٨٩ .

٢ س : الحلبي الدار .

اللغوي الفاضل ، وأكثر ما أخذ الأدب عنه وبصحبته انتفع ، وعاشر التاج أبا الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش الحلبي[1] الشاعر المشهور زماناً ، وتخرج عليه في عمل الشعر .

وكان بيني وبين الشهاب الشواء مودة أكيدة ومؤانسة كثيرة ، ولنا اجتماعات في مجالس نتذاكر فيها الأدب ، وأنشدني كثيراً من شعره ، وما زال صاحبي منذ أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة إلى حين وفاته ، وقبل ذلك كنت أراه قاعداً عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصدّره بجامع حلب ، وكان يكثر التمشي في الجامع أيضاً على جاري عادتهم في ذلك كما يعملون[2] في جامع دمشق ، ولم يكن بيننا إذ ذاك معرفة . وكان حسن المحاورة مليح الإيراد مع السكون والتأني وجميل التأتي ، وأول شيء أنشدني من شعره قوله :

هاتيك يا صاحِ رُبا لعلع ناشدتكَ الله فعرّجْ معي

وانزلْ بنا بين بيوت النقا فقد غدَتْ آهلةَ المربع

حتى نطيلَ اليومَ وقفاً على الساكنِ أو عطْفاً على الموضع

---

١ النقاش الحلبي : هو مسعود بن أبي الفضل بن أبي الحصين بن كامل بن أبي الفتح بن أبي غانم بن أبي المجد بن أبي النار علي ، يعرف بابن فطيس ، لقيه سبط ابن الجوزي سنة ٦٠٣ وأنشده مقطعات من شعره وكتبها له وأخبره أن مولده سنة ٥٤٠ ، وكان من مداح الملك الأمجد صاحب بعلبك ، قال سبط ابن الجوزي : وعهدي بالنقاش في سنة ٦٠٨ في الحياة ،وقدم دمشق في سنة ٦٠٩ وأنشد الجماعة قطعاً من قصائده وأفادهم من فرائد فوائده ، إلا أنه كان باطنه كالزناد الوقاد ، وظاهره كالجليد والجماد ، ومن رآه نسبه إلى البلاهة وعدم الذكاء والفقاهة ، فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مثل الجمان (مرآة الزمان: ٥٣٠ — ٥٣١) وقد ترجم له الزركشي أيضاً في عقد الجمان (الورقة ٣٢٩ ب) وأثنى على شعره وقال إنه وقف على ديوانه وهو في مجلدين ، قال : وكان من أكابر الشيعة ، ثم صار حنبلياً ، وكان ينقش سكك الدراهم وغيرها ، أخذ الأدب عن التاج الكندي ومدح الملك المعظم وطلب منه العماد الكاتب شيئاً من شعره ليضمنه تصنيفه المسمى بذيل الخريدة وسيل الجريدة فاختار له ألف بيت من شعره ؛ توفي بحلب في شوال سنة ٦١٢ (باختصار) .

٢ س : يفعلون .

وأنشدني لنفسه أيضاً :

ومهفهف عَنِيَ الزمـان بخده فكساه ثوبيْ ليلـه ونهـاره
لا مهدتْ عذري محاسنُ وجهـه إن غضّ عندي منه غضّ عذارِه

وأنشدته يوماً في أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبي المحاسن محمد المعروف بابن عنين الدمشقي ــ المقدم ذكره[1] ــ في صدر جهان المعروف بابن مازه البخاري وقيل السرخسي[2] :

مالُ ابن مازة دونـه لعُفَـاته خرْطُ القتادةِ أو منال الفرقدِ
مالٌ لزومُ الجمعِ يمنعُ صرفَهُ في راحةٍ مثلِ المنادى المفرد

فقال : هذا ليس بجيد ، فقلت له : ولم ذاك ؟ فقال : ليس من شرط المنادى المفرد أن يكون مضموماً ، ولا بد ، فقد يكون المنادى مفرداً ولا يكون مضموماً بأن يكون نكرة غير معين كما تقول : يا رجلا ، ولكن أنا أعمل في هذا شيئاً . ثم إننا اجتمعنا بعد ذلك في الجامع فقال : قد عملت في ذلك المعنى شيئاً فاسمعه ، ثم أنشد :

لنـا خليل لـه خـلال تُعْرِبُ عـن أصله الأخَسّ
أضحتْ له مثلَ حيثُ كفٌ وددت لـو أنهـا كأمـسِ

فقلت له: وهذا أيضاً فيه كلام ، فقال : وما هو ؟ فقلت : حيث فيها لغات ، فمن العرب من يبنيها على الضم ، ومنهم من يبنيها على الفتح ، ومنهم من يبنيها على الكسر ، وفيها لغات أخر غير هذه ، وأما أمسِ فمنهم من يبنيها على الكسر ، ومنهم من يقول : إنها اسم معرب لكنه لا ينصرف ، وأنشدوا على هذه اللغة :

لقد رأيت عجباً مـذ أمسا عجائزاً مثل السعالي خمسا

---

[1] انظر ج ٥ : ١٤ .

[2] ديوانه : ٢٢١ ، وابن مازة هو محمد بن احمد بن عبد العزيز البخاري (ابن الاثير ، حوادث ٦٠٣) .

هذا إذا كانت[1] معرفة ، فأما إذا كانت نكرة فانها معربة قولا واحداً ، فسكت .

وكان كثيراً ما يستعمل العربية في شعره ، فمن ذلك قوله ، ولا أدري هل أنشدنيه أم لا ، فانه أنشدني شيئاً كثيراً من شعره وما ضبطت كل ما أنشدني ، وكذلك كل شيء أذكره بعد هذا لا أتحقق الحال في سماعي منه ، فأورده مهملا فمنه :

وكنا خمسَ عشرةَ في التئامٍ ... على رغم الحسودِ بغير آفهْ
فقد أصبحتُ تنويناً وأضحى ... حبيبي لا تفارقه الإضافه

وله أيضاً في غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر :

أرسل صدغاً ولوى قاتلي ... صدغاً فأعيا بهما واصفَه
فخلتُ ذا في خدّه حيةً ... تسعى وهذا عقرباً واقفه
ذا ألفٌ ليست لوصلٍ ، وذا ... واوٌ ولكن ليستِ العاطفه

ومن هذا النمط ما أنشدنيه بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب – المقدم ذكره[2] – رحمه الله تعالى ، لنفسه من جملة أبيات وهو :

عسى عطفةٌ بالوصل يا واو صُدْغه ... عليّ فإني أعرف الواو تعطفُ

ولأبي المحاسن الشواء أيضاً قوله :

ناديتُ وهو الشمسُ في شهرة ... والجسمُ للخفية كالفَيْء
يا زاهياً أعرفَ من مضمرٍ ... صل واهياً أنكر من شيء

وله في المديح[3] :

---

١ س : كانت أمس .
٢ انظر ج ٢ : ٣٣٢ .
٣ ابن الشعار ١٠ : ٢٧٥ .

فتىً فاق الورى كرماً وبأساً عزيزُ الجارِ مخضرّ الجنابِ
ترى في السلم منه غيثَ جود وفي يوم الكريهة ليثَ غاب
إذا ما سَلّ صارمه لحربٍ أراك البرقَ في كفّ السحاب

وله أيضاً في شخص لا يكتم السر[1]:

لي صديقٌ غدا وإن كان لا ينـطقُ إلا بغيبةٍ أو محالِ
أشبهُ الناس بالصدى إن تحدّثـه حديثاً أعاده في الحال

وله أيضاً[2] :

قالوا حبيبك قد تضوّع نشره حتّى غدا منه الفضاءُ معطرا
فأجبتهم والخالُ يعلو خدّهُ أو ما ترون النارَ تحرقُ عنبرا

قلت : وقد تقدم في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي[3] عدة مقاطيع من شعر العماد المحلي وغيره وفيها إلمام بهذا المعنى . ولأبي المحاسن أيضاً :

هواك يا من لـه اختيالُ ما لي على مثله احتيالُ
قسمةُ أفعالـه لحيني ثلاثـةٌ مالها انتقال
وعدك مستقبل، وصبري ماضٍ ، وشوقي إليك حال

وله أيضاً :

فديتُ بنفسي رأسَ عينٍ ومن فيها وبيضَ السواقي حول زرق سواقيها
إذا راقني منها جواري عيونها أراق دمي منها عيونُ جواريها

وله أيضاً :

إن كان قد حجبوه عني غيرةً منهمْ عليه فقد قنعتُ بذكرهِ

---

١ ابن الشعار ١٠ : ٢٦٢ .
٢ ابن الشعار ١٠ : ٢٥٠ .
٣ انظر ج ٦ : ٢٤٩ .

كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه عنا فأغنى نشره عن نشره

وله في غلام قد ختّن :

هنأت من أهواه عند ختانه فرحاً وقلبي قد عراه وجومُ
يفديك من ألم ألمّ بك امروْ يخشى عليكَ إذا ثناك نسيم
أمعذبي كيف استطعتَ على الأذى جلداً ، وأجزعُ ما يكون الريم ؟
لو لم تكنْ هذي الطهارةُ سنةً قد سنّها من قبل[1] إبراهيم
لفتكتُ جهدي بالمزين إذ غدا في كفّه موسى وأنت كليم

ومعظم شعره على هذا الأسلوب ، وقد أوردت منه أنموذجاً فيه كفاية .

وكان من المغالين في التشيع .

وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه إلا بمحاسن الشواء ، والصواب فيه هو الذي ذكرته ها هنا ، وأن اسمه يوسف ، وكنيته أبو المحاسن . وبعد هذا رأيت في كتاب « عقود الجمان » الذي وضعه صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي ، وقد بنى ترجمة المذكور على يوسف ، وكنيته أبو المحاسن ، وكان صاحبه وأخذ عنه كثيراً من شعره ، وهو من أخبر الناس بحاله وأعلم ذلك في وقته[2] .

وكان مولده تقديراً في سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، فإنه كان لا يحقق مولده . وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة ، بحلب ، ودفن ظاهرها بمقبرة باب أنطاكية غربي البلد ، ولم أحضر الصلاة عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت ، رحمه الله تعالى ، فلقد كان نعم الصاحب.

---

١ بهامش س : خ للناس .
٢ وبعد هذا ... في وقته : لم يرد في س .

(395) وأما شيخه ابن الجبراني المذكور[1] : فهو طائي بحتري، وكان من قرية من أعمال عزاز ، يقال لها جبرين قُورسَطايا ، نسب إليها ، هكذا أخبر عن نفسه ، وكان متضلعاً من علم الأدب ، خصوصاً اللغة فانها كانت غالبة عليه ، وكان متبحراً فيها ، وكان له تصدر في جامع حلب في المقصورة الشرقية على صحن الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قضاة حلب يوم الجمعة . ولقد كنت يوماً قاعداً في هذه المقصورة ، عند الدرابزين الذي إلى جهة الصحن ، وإذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه ، وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشواء المذكور ، وجلس إلى المحراب الصغير الذي في هذه المقصورة ، وهو موضع تصدره ، فجعلت بالي من كلامه ، وأنا في ذلك الوقت مشتغل بالأدب ، فسمعته يتكلم في قاعدة الأفعال الثلاثية التي أولها واو ، وهي على فَعِلَ ، بكسر العين ، مثل وجل وغيره ، وأن مضارعه فيه أربع لغات : يَوْجَل ، ويَيْجَل ، ويَاجَلُ ، ويِيجلُ ، إلا ما شذ من الأفعال الثمانية التي هي : ورم ، وورث ، وورع ، وورِي ، وومق ، ووثق ، ووفق ، وولي ، فإن مضارعها أيضاً بالكسر كماضيها ، وشذ من ذلك قولهم : وَسِع يَسَع ، ووطِىء يطأ ، وإنما انفتح هذان الفعلان في المضارع لأجل حرفي الحلق ، وأطال الكلام في ذلك بما لم أقدر على حفظه في ذلك الوقت ، ولم أسمع منه غير هذا الفصل .

وكان مولده يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وتوفي يوم الاثنين سابع[2] رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب ، ودفن في سفح جبل جَوْشَن ، رحمه الله تعالى .

---

١ ترجمة ابن الجبراني في بغية الوعاة : ١٧٢ وابن الشعار ١ : ٢٨١ وقال ابن الشعار : كان رجلا فاضلا مقرئاً مجوداً عارفاً بعلوم القرآن العزيز واللغة والنحو معرفة جيدة ، وذكره القفطي في كتاب النحاة من تصنيفه (قلت : لم يرد له ذكر في الإنباه المطبوع) وكان شديد الكلب للدنيا يدخل في دنيات الأمور ويعامل المعاملات المخالفة للشريعة ، ويحتمل من ضيق العيش والمأكل والمشرب والملبس ما لا يوجد من مثله ، إلى أن حصل له جملة من الدنيا ما انتفع بها ، وخلفها لولده ، وكان بخيلا بما عنده فما استفاد منه أحد ، ولا صار له تلميذ معروف ، وكان إذا لوحح في السؤال تضجر وتشيط لضيق عطنه .

٢ ابن الشعار : سابع عشر .

٨٥١
البياسي صاحب الحماسة

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي ، أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين ؛ كان أديباً بارعاً فاضلا ، مطلعاً على أقسام كلام العرب من النظم والنثر ، وراوياً لوقائعها وحروبها وأيامها ، بلغني أنه كان يحفظ كتاب « الحماسة » تأليف أبي تمام الطائي ، والأشعار الستة ، وديوان أبي تمام المذكور ، وديوان أبي الطيب المتنبي ، و « سقط الزند » ديوان أبي العلاء المعري ، إلى غير ذلك من الأشعار من شعراء الجاهلية والإسلام.

وتنقل في بلاد الأندلس وطاف بأكثرها . ولما قدم من جزيرة الأندلس إلى مدينة تونس ، جمع للأمير أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر ، صاحب إفريقية ، رحمهم الله أجمعين ، كتاباً سماه « الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام »[1] ابتدأ فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية — وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضاً قبل هذا ، واستوفيت القصة في الترجمتين[2]— ورأيت هذا الكتاب وطالعته ، وهو في مجلدين ، أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن .

---

٨٥١ — ترجمته في اختصار القدح : ٩٤ والنفح ٣ : ٣١٦ ، ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٧٣ وبغية الوعاة : ٣٢٤ ومرآة الجنان ٤ : ١٢٩ .

١ بقيت من هذا الكتاب قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية .

٢ انظر ج ٦ : ٣١ ، ٣٢٧ .

ورأيت له أيضاً كتاب « الحماسة » في مجلدين ، وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه ، كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة ، وقال في آخر الكتاب : وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس ، حرسها الله تعالى ، في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ؛ ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله : أما بعد فاني قد كنت في أوان حداثتي وزمان شبيبتي ، ذا ولوع بالأدب ومحبة في كلام العرب ، ولم أزل متتبعاً لمعانيه ، ومفتشاً عن قواعده ومبانيه ، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالبَ المجتهد جهلُها ، ولا يصلح بالناظر في هذا العلم إلا أن يكون عنده مثلها ، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اختّرته واستحسنته من أشعار العرب : جاهليها ومخضرميها وإسلاميها ومولدها ، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ، ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة . ثم إني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها ، وديوان يؤلفها ، مؤذن بذهابها ومؤذن إلى فسادها ، فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها ، تحت أبواب تقيد نافرها وتضم نادرها ، ونظرت في ذلك ، فلم أجد أقرب تبويب ، ولا أحسن ترتيب ، مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب « الحماسة » وحسن الاقتداء به والتوخي لمذهبه ، لتقدمه في هذه الصناعة ، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة ، فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه ، وقرنت الشعر بما يجانسه ، ووصلته بما يناسبه [1] ونقحت ذلك ، واختّرته على قدر استطاعتي ، وبلوغ جهدي وطاقتي .

قلت : وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا إلى ذكره . ونقلت منه شيئاً ، فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي : قال أبو علي القالي البغدادي ، أنشدنا أبو بكر ابن دريد قال : أنشدنا أبو حاتم السجستاني [2] :

ألا في سبيلِ اللهِ ماذا تضمنتْ　　بطونُ الثرى واستُودعَ البلدُ القفرُ

---

١ إلى هنا ينتهي ما هو مقيد بخط المؤلف ، رحمه الله ، وكل ما يجيء من بعد حتى نهاية الكتاب فانه ليس بخطه ، وقيمته في ذلك قيمة سائر النسخ التي اعتمدناها في التحقيق .

٢ الأمالي ٢ : ١١٥ .

بدور إذا الدنيا دجت أشرقتْ بهم ... وإن أجدبتْ يوماً فأيديهمُ القطرُ
فيا شامتاً بالموت لا تشمتنْ بهم ... حياتهمُ فخرٌ وموتهمُ ذكر
حياتهمُ كانتْ لأعدائهم عمى ... وموتهمُ للفاخرين بهم فخر
أقاموا بظهر الأرض فاخضرّ عودها
وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهر[1]

ونقلت من باب النسيب قول العباس بن الأحنف[2] — المقدم ذكره[3] — :

تحمّلْ عظيمَ الذنبِ ممن تحبه ... وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالمُ
فانك إن لم تغفرِ الذنبَ في الهوى ... يفارقْكَ من تهوى وأنفك راغم

وقول الوأواء الدمشقي ، هكذا قال ، وغالب ظني أنها لأبي فراس ابن حمدان ، والله أعلم[4] :

بالله ربكما عوجا على سكني ... وعاتباه لعل العتبَ يعطفُهُ
وعرّضا بي وقولا في حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا في ملاطفة ... ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيدي غضبٌ ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون[5] :

تعلقتُ ليلى وهي بكرٌ[6] صغيرة ... ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْمَ يا ليت أننا ... إلى اليوم لم نكبرْ ولم تكبرِ البهمُ

البهم : الصغار من أولاد الضأن ، الواحدة بَهْمَة ، بفتح الباء الموحدة

---

١ سقط البيت من س .
٢ ديوانه : ٢٤٣ .
٣ انظر ج ٣ : ٢٠ .
٤ انظر ديوان الوأواء : ١٤٦ .
٥ ديوان المجنون : ٢٣٨ .
٦ س : غر .

وسكون الهاء . وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال[1] من الفاعل والمفعول به معاً بلفظ واحد ، فان « صغيرين » انتصب على الحال من التاء في قوله « تعلقت » وهي فاعلة ، ومن ليلى ، وهي مفعولة ، ومثله قول عنترة العبسي[2] :

متى ما تلقني فردين تَرْجُفْ روانفُ أليتيك وتستطارا

نصب « فردين » على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في « تلقني » ، ذكره ابن الأنباري في كتاب « أسرار العربية » في باب الحال[3].

وقال الوأواء الدمشقي أيضاً، ذكره في حماسته البياسي المذكور أيضا[4]:

وزائرٍ راع كلّ الناس منظَرُهُ أحلى من الأمن عند الخائفِ الوجلِ
ألقى على الليل ليلاً من ذوائبه فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
أراد بالقتل هجري فاستجرتُ به فاستلّ بالوصل روحي من يديْ أجلي
فصرتُ فيه أميرَ العاشقين فقد صارت ولايةُ أهل العشقِ من قبلي

وقال علي بن عطية البلنسي ابن الزقاق[5] :

ومرتجة الأعطاف أما قوامها فلدنٌ وأما ردفها فَرَدَاحُ
ألمتْ فباتَ الليل من قصرٍ بها يطيرُ وما غير السرور جناح
وبتّ وقد زارتْ بأنعمِ ليلةٍ تعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائلٌ وفي خصرها من ساعديّ وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن البني اليعمري — قلت :

---

١ س : الفعل ؛ وهو خطأ .
٢ ديوان عنترة : ٧٥ .
٣ انظر أسرار العربية : ١٩٠ — ١٩١ .
٤ ديوان الوأواء : ١٨٠ .
٥ ديوان ابن الزقاق : ١٢٩ .

هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب [1] — وكان قد أخرجه صاحب ميورقة ، وسيره في البحر ، فساروا يومهم ، فهبت عليهم الريح فردّتهم فقال :

أحبّتنا الأولى عتبوا علينا ... فأقصونا وقد أزِفَ الوداعُ
لقد كنتمْ لنا جذلاً وأنساً ... فهل في العيش بعدكمُ انتفاع ؟
أقولُ وقد صدرنا بعدَ يومٍ ... أشوقٌ بالسفينةِ أم نزاع
إذا طارتْ بنا حامتْ عليكم ... كأنّ قلوبنا فيها شراع

وقال الواثق بالله وله فيه غناء :

ما كنت أعرف ما في البين من حزَنِ ... حتّى تنادوا بأنْ قد جيء بالسفنِ
قامتْ تودعني والدمعُ يغلبها ... فجمجمت بعضَ ما قالت ولم تبن
مالتْ عليّ تفدّيني وترشفني ... كما يميلُ نسيمُ الريح بالغصن
فأعرضت ثم قالت وهي باكية : ... يا ليتَ معرفتي إياك لم تكن

وأورد في باب القرى والأضياف والفخر والمديح قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي [2] :

عجباً لمن طلب المحا ... مدَ وهو يمنعُ ما لديهِ
ولباسطٍ آماله ... للمجدِ لم يبسط يديه
لم لا أحبّ الضيف أو ... أرتاحُ من طرب إليه
والضيفُ يأكل رزقه ... عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال حين كف بصره [3] :

---

١ انظر ما تقدم ص : ١٣٢ .
٢ المختار : ابن الحجاج الميورقي ؛ وانظر الأبيات في النفح ٣ : ٥٩٦ والمغرب ٣ : ٢٨٠ والقلائد : ١٤٢ .
٣ نكت الهميان : ٧١ .

إن يأخذِ الله من عينيّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نورُ
قلبي ذكي وذهني غير ذي دَخَلٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيف مطرور

وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لأبي العالية أحمد بن مالك الشامي [1]:

أذم بغدادَ والمقام بها ... من بعد ما خبرةٍ وتجريبِ
ما عند أملاكها لمرتقب ... رفد ولا فرجةٌ لمكروب
خلوا سبيل العلى لغيرهمُ ... ونازعوا في الفسوق والحوب
يحتاجُ راجي النجاح عندهمُ ... إلى ثلاثٍ من بعد تقريب
كنوزُ قارونَ أن تكون له ... وعمرُ نوح وصبرُ أيوبِ

وأنشد أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأبي العطاف الكوفي صالح بن عبد الرحمن بن نشيط :

يا ابن الوليدِ أبنْ لنا ... إن البيانَ له حدودُ
مالي أراكَ مسيباً ... أين السلاسلُ والقيودُ
أغلاَ الحديد بأرضكم ... أم ليس يَضْبِطُكَ الحديد

قلت : إلى هنا نقلت من كتاب « الحماسة » المذكور ، وفيه كفاية ، إذ كان الغرض إيراد شيء من أخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته في الشعر .

وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، بمدينة تونس ، رحمه الله تعالى .

والبياسي : بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها ، هذه النسبة

---

١ وردت الأبيات في معجم البلدان ١ : ٦٩١ دون نسبة وجاء بعدها ص ٦٩٢ أبيات أخرى لأبي العالية في ذم بغداد .

إلى بياسة[1] ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيّان ، هكذا قاله ياقوت الحموي في كتابه « المشترك وضعا »[2] .

٨٥٢

يونس بن حبيب

أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي ؛ قال أبو عبيد الله المرزباني في كتابه « المقتبس في أخبار النحويين »[3] : هو مولى ضبة ، وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة ، وهو من أهل جبّل ، ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان يقول : أذكر موت الحجاج ، وقيل مولده سنة ثمانين وانه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وستين ، وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة .

وقال غير المرزباني : أخذ يونس الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحماد ابن سلمة ، وكان النحو أغلب عليه ، وسمع من العرب ، وروى سيبويه عنه كثيراً ، وسمع منه الكسائي والفراء ، وله قياس في النحو ومذاهب ينفرد بها ، وكان من الطبقة الخامسة في الأدب ، وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : اختلفت إلى يونس أربعين سنة

١ بياسة Baeza : تقع على مسافة عشرين ميلا من جيان وتطل على النهر الكبير .
٢ المشترك : ٧٣ .

٨٥٢ ــ ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ٦٤ والفهرست : ٤٢ وصفحات متفرقة من المزهر وطبقات الزبيدي : ٤٨ ومراتب النحويين : ٢١ والبيان والتبيين ١ : ٧٧ ومرآة الجنان ١ : ٣٨٨ وبغية الوعاة : ٤٢٦ ونزهة الألباء : ٣١ والمعارف : ٥٤١ وتهذيب التهذيب ٥ : ٣٤٦ .

٣ انظر نور القبس : ٤٨ — ٥٥ .

أملأ كل يوم ألواحي من حفظه . وقال أبو زيد الأنصاري النحوي : جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة . وقال يونس ، قال لي رؤبة بن العجاج : حتام تسألني عن هذه البواطل ، وأزخرفها لك ؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟

وليونس من الكتب التي صنفها كتاب « معاني القرآن الكريم » وكتاب « اللغات » وكتاب « الأمثال » وكتاب « النوادر » الصغير . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : عاش يونس مائة سنة وستين ، وقيل عاش ثمانياً وتسعين سنة ، وقيل ثمانياً وثمانين سنة ، لم يتزوج ولم يتسر ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال .

وقال يونس : لو تمنيت أن أقول الشعر لما تمنيت أن أقول إلا مثل قول عدي بن زيد العبادي[1] :

أيها الشامت المعير بالدهـــــر أأنتَ المبرأ الموفورُ

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات سائرة بين الأدباء فيها مواعظ وعبر ، وبعد هذا البيت :

أم لديك العهدُ القديمُ من الأيـــــام بل أنت جاهلٌ مغرور
من رأيت المنون أخلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنو شر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرامِ ملوكُ الـــروم لم يبقَ منهمُ مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـــلةُ تجبى إليـه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلسـاً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه صرفُ الزمان فباد الــملك عنه فبابه مهجور
وتفكّرْ ربّ الخورنق إذ أشــرفَ يوماً وللهدى تفكير

[1] ديوان عدي : ٨٤ .

سرّهُ[1] ملكــه وكثرةُ ما يمــــلكُ والبحرُ معرضاً والسدير
فارعوى قلبــه فقال : وما غبـــــطةُ حيٍّ إلى المماتِ يصير
ثم بعــد الفلاحِ والملكِ والأمــة وارتهمُ هناك القبـور
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفّ فألوتْ بــه الصبا والدّبور

قلت : وهذه الأبيات تحتاج إلى تفسير طويل[2] ، ولو شرعت فيه لطال الكلام وخرجنا عن المقصود ، فان أكثرها يتعلق بالتاريخ ، وفيها شيء يتعلق بالأدب ، فاقتصرت على الإتيان بالغرض[3] وتركت الباقي خوفاً من الإطالة ، فلعل الشرح يدخل في أربع خمس كراريس ، وليس هذا موضعه .

وروى محمد بن سلام الجمحي عن يونس أنه قال : ما بكت العرب على شيء في أشعارها كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه ، فاتبع هذا الكلام منصور النمري[4] فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هارون الرشيد بيتاً وهو[5] :

ما كنت أوفي شبابي كُنْهَ غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ

وقال يونس : تقول العرب : فرقة الأحباب سقم الألباب ، وأنشد :

شيئان لو بكتِ الدماءَ عليهما عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشارَ مــن حقيهما شرخُ الشباب وفرقةُ الأحباب

وقال يونس : لم يقل لبيد في الإسلام سوى بيت واحد وهو :

---

١ س : غره .
٢ طويل : سقطت من س .
٣ س : الأبيات بالعرض .
٤ هو أبو الفضل منصور بن سلمة بن الزبرقان من رأس العين ، وهو من فحولة المحدثين (انظر طبقات ابن المعتز : ٢٤٢ وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ والأغاني ١٣ : ١٤٠) وقد مر ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد ٦ : ٣٤٠ .
٥ ورد البيت في طبقات ابن المعتز : ٢٤٥ ، وهو من قصيدة مطلعها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

الحمد لله إذ لم يأتـني أجلي حتى لبستُ من الإسلام سربالا[1]

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قدم جعفر بن سليمان العباسي من عند المهدي الخليفة ، فبعث إلى يونس بن حبيب فقال له : أنا وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت[2] :

والشيبُ ينهضُ في السواد كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل الليل الذي تعرف ، والنهار النهار الذي تعرف ، فقال : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى ، فقال أبو عبيدة : القول في البيت ما قاله يونس ، والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وقال يونس : كان جبلة بن عبد الرحمن[3] يخرج إلى طباخه الرقاع يستدعي بها الطعام ، وفيها الألفاظ الغريبة الحوشية ، فلا يدري الطباخ ما فيها ، حتى يمضي بها إلى ابن أبي إسحاق ويحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الألفاظ ، فاذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه ، فقال له يوماً : ويحك ، إني أصوم معك ، فقال له الطباخ : سهل كلامك حتى يسهل طعامك ، فيقول : يا ابن اللخناء أفأدع عربيتي لعيك ؟

وكان يونس من أهل جبّل ، وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط ، وكان لا يؤثر أن ينسب إليها ، فلقيه رجل من بني أبي عمير فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، ما تقول في جبّل أتنصرف أم لا ؟ فشتمه يونس . فالتفت العميري فلم ير أحداً يشهده عليه ، حتى إذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميري فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما تقول في جبّل ، أتنصرف أم لا ؟ فقال له يونس : الجواب ما قلته لك أمس .

---

١ راجع مقدمة ديوان لبيد ، ففيها مناقشة تدحض هذا القول .
٢ البيت للفرزدق ، ديوانه ١ : ٣٧٢
٣ ورد عند الطبري (٢ : ١٤٥٨) اسم جبلة بن عبد الرحمن مولى باهلة وأنه ولي كرمان (حوادث سنة ١٠٤) .

وجبل : بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ، كذا قاله الحافظ ابن السمعاني في كتاب « الأنساب »[1] .

وهذه جبل منها أبو الخطاب الجبلي الشاعر المشهور[2] ، ومن شعره قوله :

كم جبتُ نحوك مَهْمَهاً لو لم يعنْ شوقي عليه لما قدرت أجوبُهُ
وركبتُ أخطاراً إليك مخوفةً ولحبذا خطرٌ إليك ركوبه

قال السمعاني : وتوفي أبو الخطاب المذكور في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة ، وكتب إليه أبو العلاء قصيدته التي أولها :

غير مجد في ملتي واعتقادي

قلت : وهذا غلط منه ، بل كتبها أبو العلاء المعري إلى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي منبج ، كان ، وقد ذكر ذلك الفقيه القاضي كمال الدين عرف بابن العديم الحلبي[3] .

وحبيب : اسم أمه ولهذا لا يصرفونه ، فانه لا يعرف له أب ، ويقال إنه ولد ملاعنة ، ويقال إنه اسم أبيه فينصرف ، والله أعلم ، وكذلك محمد ابن حبيب النسابة أيضاً .

ودخل يونس المسجد يوماً وهو يتهادى بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه في مودته : بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن ، فقال :

---

1 الأنساب ٣ : ١٩٥ .

2 هو محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي (ياقوت : جبل) ؛ وقد أورد ياقوت ما ذكره ابن السمعاني حول إرسال قصيدة أبي العلاء له ، وهو مما استدركه المؤلف والصحيح أن الجبلي مدح أبا العلاء فأجابه أبو العلاء بقصيدة مطلعها : (شروح السقط : ١٥٣)

أشفقت من عبء البقاء وعابه ومللت من أري الزمان وصابه

وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ٣ : ١٠١ وابن الأثير ٩ : ٥٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٤٤ .

3 وهذه جبل ... الحلبي : لم يرد في س ؛ قلت : وانظر بغية الطلب ٤ : ٢٦٣ وقد توفي الفقيه قبل الأربعمائة .

هو الذي ترى ، لا بلغته ، فأخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه .

وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى : مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس لا يدخله شيء إلا بعسر ، فاذا دخله لم يخرج منه ، يعني أنه لا ينسى شيئاً .

وقد ذكرت تاريخ مولده وموته في أول الترجمة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وثمانين ، وقيل خمس وثمانين ، وقال عبد الباقي بن قانع : سنة أربع وثمانين ومائة ، والله أعلم . وقيل إنه عاش ثمانياً وتسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

٨٥٣
يونس بن عبد الأعلى الصدفي

أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان ، الصدفي المصري الفقيه الشافعي ؛ أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه ، والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له ، وكان كثير الورع متين الدين ، وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم ، لم يشاركه في زمانه في هذا أحد ــ وقد سبق في هذا الكتاب ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد ابن يونس[1] ، وهو المنجم المشهور ، صاحب الزيج ، وكل واحد منهما إمام في فنه ــ .

---

٨٥٣ ــ ترجمته في تهذيب التهذيب ١١ : ٤٤٠ وغاية النهاية ٢ : ٤٠٦ وطبقات السبكي ١ : ٢٧٩ والانتقاء : ١١١ ومرآة الجنان ٢ : ١٧٦ وطبقات الشيرازي : ٩٩ وطبقات العبادي : ١٨ وابن قاضي شهبة : ٤٦ والاسنوي ١ : ٣٣ والعبر ٢ : ٢٩ والحسيني : ٧ والشذرات ٢ : ١٤٩ واللباب (الصدفي) .

١ انظر ج ٣ : ١٣٧ .

وأخذ يونس القراءة عرضا عن ورش وسقلاب بن شيبة[1] ومعلى بن دحية[2]، عن نافع وعن علي بن أبي كيسة[3] عن سليم[4] عن حمزة بن حبيب الزيات. وسمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري . وروى القراءة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع وأسامة بن أحمد ومحمد بن إسحاق بن خزيمة[5] ومحمد ابن جرير الطبري وغيرهم . وكان محدثاً جليلا .

وذكره أبو عبد الله القُضاعي في كتاب « خطط مصر » ، فقال : كان من أفضل أهل زمانه وكان من العقلاء ، يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : ما رأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى . وصحب الشافعي وأخذ عنه الحديث والفقه ، وحدث بهما عنه جماعة ، وله حُبُس في ديوان الحكم وعقب ، وله دار مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه ، وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين ، وكان أحد الشهود بمصر ، أقام شاهداً ستين سنة . وذكر غير القضاعي أن يونس بن عبد الأعلى روى عنه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله ابن ماجه وغيرهم .

وقال أبو الحسن ابن زولاق في كتاب « أخبار قضاة مصر » : إن القاضي بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه إليها من بغداد لقي في طريقه محمد ابن الليث ، قاضي مصر كان قبله ، بالجفار خارجاً من مصر إلى العراق مصروفاً ، فقال له بكار : أنا رجل غريب ، وأنت قد عرفت البلد فدلني على من أشاوره وأسكن إليه ، فقال له : عليك برجلين : أحدهما عاقل وهو

---

١ في س : ابن أبي شنينة ، ق ع : ابن شنينة ؛ ر :سنينة ؛ وفي غاية النهاية (١ : ٣٠٨) سقلاب بن شيبة أبو سعيد المصري ، مات سنة ١٩١ .

٢ معلى بن دحية بن قيس أبو دحية المصري (غاية النهاية ٢ : ٣٠٤) .

٣ علي بن يزيد بن كيسة أبو الحسن الكوفي نزيل مصر ، توفي سنة ٢٠٢ (غاية النهاية ١ : ٥٨٤) .

٤ هو سليم بن عيسى بن سليم الكوفي (غاية النهاية ١ : ٣١٨) .

٥ مواس بن سهل أبو القاسم المعافري المصري (غاية النهاية ٢ : ٣١٦) ومحمد بن الربيع الجيزي (٢ : ١٤٠) وأسامة بن أحمد بن عبد الرحمن التجيبي (١ : ١٥٥) ومحمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٢ : ٩٧) .

يونس بن عبد الأعلى ، فاني سعيت في دمه فقدر عليّ فحقن دمي ، والآخر أبو هارون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فانه رجل زاهد . فقال له بكار : صف لي الرجلين فقال له : أما يونس فرجل طوال أبيض ، ووصفه ووصف موسى . فلما دخل بكار مصر ودخل الناس إليه دخل شيخ فيه صفة يونس ، فرفعه بكار وأقبل يحدثه ، ويقول : يا أبا موسى في كل حديثه ، فبينا بكار كذلك إذ قيل له : قد جاء يونس ، فأقبل على الرجل وقال له : يا هذا من أنت ؟ وما سكوتك كذا لو أفشيت إليك سراً لي ! ثم دخل يونس فأكرمه ورفعه ، وأتاه موسى بن عبد الرحمن فاختص بهما وأخذ رأيهما .

وقيل إن موسى المذكور اختص به القاضي بكار ، وكان يتبرك به لزهده ، فقال له يوماً : يا أبا هارون من أين المعيشة ؟ قال : من وقف وقفه أبي ، فقال له بكار : أيكفيك ؟ قال : قد تكفيت به ، وقد سألني القاضي فأريد أن أسأله ، قال : سل ، قال : هل ركب القاضي دينٌ بالبصرة حتّى تولى بسببه القضاء ؟ قال : لا ، قال : فهل رزق ولداً أحوجه إلى ذلك ، قال : لا ، ما نكحت قط ، قال : فهل لك عيال كثيرة ؟ قال : لا ، قال : فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك ؟ قال : لا ، قال : فضربت آباط الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة ، لله عليّ لادخلتُ عليك أبداً . فقال : يا أبا هارون أقلني ، قال : أنت بدأت بالمسألة ، ولو سكتَّ لسكت . ثم انصرف عنه ولم يعد إليه بعدها .

وقال يونس : رأيت في المنام قائلا يقول لي : إن اسم الله الأكبر « لا إله إلا الله » .

ونقلت من كتاب « المنتظم في أخبار من سكن المقطم » قال في ترجمة يونس المذكور : ومن حكاياته التي حكاها عن غيره ، أن رجلاً جاء إلى نحاس ، فقال له : أسلفني ألف دينار إلى أجل ، فقال له النحاس : من يضمن المبلغ ؟ قال : الله تعالى ، فأعطاه ألف دينار ، فسافر بها الرجل

يتجر[1] ، فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه ، فحبسه عدم الريح ، فعمل تابوتاً وجعل فيه ألف دينار ، وأغلقه وسمره وألقاه في البحر ، فقال : اللهم هذا الذي ضمنته لي ، فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال ، فرأى سواداً في البحر فقال : ايتوني بهذا ، فأتي بالتابوت ففتحه ، فاذا فيه ألف[2] دينار .

ثم إن الرجل جمع ألفاً بعد ذلك ، وطابت الريح ، فجاء إلى النحاس وسلم عليه ، فقال له النحاس : من أنت ؟ فقال : أنا صاحب الألف ، هذه ألفك ، فقال النحاس : لا أقبلها منك حتى تخبرني ما صنعت بها ، فأخبره بالذي صنع ، وأن الريح لم تطب ، فقال له النحاس : قد أدى الله عز وجل عنك الألف ووصلَتْ .

وله أخبار كثيرة ، وروايات مأثورة . وكان يونس يروي للشافعي رضي الله عنه :

ما حكّ جلدَك مثلُ ظفرك   فتولّ أنتَ جميعَ أمـرِكْ
وإذا قصدتَ لحاجـةٍ   فاقصدْ لمعترفٍ بقـدرك

وقال يونس : قال لي الشافعي رضي الله عنه : يا يونس ، دخلت بغداد ؟ قلت : لا ، قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

وقال يونس : سمعت من الشافعي كلمة لا تسمع إلا من مثله ، وهي « رضى الناس غاية لا تدرك ، فانظر ما فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فالزمه » .

وقال علي بن قديد : كان يونس بن عبد الأعلى يحفظ الحديث ويقوم به .
وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوي فقال : هو ثقة ؛ وقال غيره : ولد يونس في ذي الحجة سنة سبعين ومائة ، وتوفي يوم الثلاثاء ليومين

١ س : ليتجر .
٢ س : فاذا هو بألف .

بقيا من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين ، وهي السنة التي مات فيها المزني رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بمصر ، ودفن بمقابر الصدف ، وقبره مشهور بالقرافة .

(396)وأما أبوه عبد الأعلى فانه يكنى أبا سلمة ،وكان رجلا صالحاً ،ومن كلامه : من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه ، وقال ولده يونس : والأمر عندي كما قال . وتوفي عبد الأعلى المذكور في المحرم سنة إحدى ومائتين ، ومولده سنة إحدى وعشرين ومائة .

(397)وأما ابنه أبو الحسن أحمد بن يونس ،والد أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد صاحب « تاريخ مصر » ، فان ابنه أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر في تاريخه أنه ولد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلثمائة ، وقال : هو عديد للصدف ، وليس من أنفس الصدف ، ولا من مواليهم .

والصدفي : بفتح الصاد والدال المهملتين وبعدهما فاء ، هذه النسبة إلى الصَّدِف ، بكسر الدال ، وذكر السهيلي أنه بكسر الدال وفتحها ، وإنما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في غير النسب كي لا يوالوا بين كسرتين قبل ياءين كما قالوا في النسبة إلى النمر نمري وغير ذلك . واختلفوا في اسم الصدف فقيل : هو مالك بن سهيل بن عمرو بن قيس ، هكذا قاله القضاعي في كتاب « الخطط » وزاد السمعاني في كتاب « الأنساب »[1] على هذا النسب ، فقال : الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع ابن حمير بن سبأ ، وقال الدارقطني : واسم الصدف شهال[2] بن دعمي بن زياد بن حضرموت ، وقال الحازمي في كتاب « العجالة في النسب »[3] : هو

---

١ اللباب ٢ : ٥١ .

٢ س ر : سهال .

٣ العجالة : ٨٠ .

عمرو بن مالك والله أعلم . وقال القضاعي : دعوتهم مع كندة ، وإنما سمي الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاهم سيل العرم ، فأجمعوا على ردمه ، فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف . وقيل إنما سمي الصدف لأنه كان رجلا شجاعاً لا يذعن لأحد من العرب ، فبعث إليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه ، فعدا على الرسول فقتله وخرج هارباً ، فبعث الملك إليه رجلا في خيل عظيمة ، فكان كلما جاء حياً من أحياء العرب سأل عن الصدف ، فيقولون : صدف عنا ، وما رأينا له وجهاً ، فسمي الصدف من يومئذ ، ثم لحق بكندة فنزل فيهم ، قال أرباب علم النسب : أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب ، والله أعلم .

قلت : قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة .

٨٥٤
رضي الدين الإربلي

أبو الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس ، الملقب رضي الدين الإربلي ، والد الشيخين عماد الدين أبي حامد محمد، وكمال الدين أبي الفتح موسى – وقد تقدم ذكرهما[1] – قلت : هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ، ولم أعلم من أين له هذه الزيادة ، والذي أعرفه من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولديه ، والله أعلم .

كان الشيخ يونس المذكور من أهل إربل ومولده بها ، وقدم الموصل

---

٨٥٤ – ترجم له الاسنوي ٢ : ٥٦٩ وابن قاضي شهبة : ١٤٨ ، ولم ترد هذه الترجمة في المختار .
١ انظر ج ٤ : ٢٥٣ ؛ ٥ : ٣١١ .

فتفقه بها على تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي الجهني – المقدم ذكره[1] – وسمع عليه كثيراً من كتبه ومسموعاته ، ثم انحدر إلى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ، ثم أصعد إلى الموصل وتديّرها وصادف بها قبولا تاماً عند المتولي بها الأمير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل – المقدم ذكره في حرف الكاف[2] – وفوّض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره إليه ، فكان يدرس ويفتي ويناظر ، وتقصده الطلبة للاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ، ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة إلى أن توفي بالموصل يوم الاثنين سادس المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة . وسمعت بعض خواصهم يقول : توفي سنة خمس وسبعين . وأما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول : بل توفي سنة ست وسبعين ، وهو أعلم بذلك . ودفن بتربته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور ، رحمه الله تعالى ، وكان عمره ثمانياً وستين سنة .

وقد تقدم ذكر حفيده أيضاً شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس المذكور[3] ، رحمهم الله تعالى . وعلى الجملة فإنه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء ، وانتفع بهم أهل تلك البلاد وغيرهم ، وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها ، رحمهم الله تعالى أجمعين[4] .

وله شعر ، فمن ذلك قوله :

لها زَوْرَةٌ في كلّ عامٍ وتارةً ... تمرّ شهورُ الحول لا نتجمعُ
وصالٌ وصدٌّ لا لشيءٍ سوى انها ... على خلقِ الدنيا تَجودُ وتمنع

وله غير ذلك ، والله أعلم .

---

١ ج ٢ : ١٣٩ .
٢ ج ٤ : ١١٣ .
٣ ج ١ : ١٠٨ .
٤ هنا تنتهي الترجمة في س .

٨٥٥
يونس المخارقي

يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي ، شيخ الفقراء اليونسية ، وهم منسوبون إليه ومعروفون به ؛ كان رجلاً صالحاً وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا : لم يكن له شيخ ، بل كان مجذوباً ، وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب ، يريدون بذلك أنه جُذب إلى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات .

أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد، كان قد رآه وهو صغير ، وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه ، فقال : كنا مسافرين والشيخ يونس معنا ، فنزلنا في الطريق على عين بوار ، وهي التي يجلب منها الملح البواري ، وهي بين سنجار وعانة ، قال : وكانت الطريق مخوفة ، فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس ، فلما انتبه قلت له : كيف قدرت تنام ؟ فقال لي : والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وتدرك القَفْل . فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس .

قال : وعزمت مرة على دخول نصيبين ، وكنت عند الشيخ يونس في قريته ، فقال : إذا دخلت البلد فاشتر لأم مساعد كفناً ، قال : وكانت في عافية ، وهي أم ولده ، فقلت له : وما بها حتى نشتري لها كفناً ؟ فقال : ما يضر ، فذكر أنه لما عاد وجدها قد ماتت . وذكر له غير هذا من الأحوال والكرامات .

---

٨٥٥ - انظر ترجمته في مرآة الجنان ٤ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٨٧ والدارس ٢ : ٢١٣ ، ولم ترد هذه الترجمة في النسخة س ؛ وذكر في ر أن هذه الترجمة توجد في بعض النسخ في آخر الكتاب وربما عنى أنها قد وضعت هنالك بعد الخاتمة ، وقد وردت في المختار وهذا يدل على أنها من عمل المؤلف . وذكر المقريزي في الخطط ٢ : ٤٣٥ أن الشيخ يونس توفي سنة ٧١٩ ، ولعله سبق قلم ، إذ لا يمكن أن يكون ممن يترجم لهم ابن خلكان ، وقد علق الشيخ نصر الهوريني بحاشية الطبعة البولاقية بأن ما جاء في المقريزي خطأ محض .

وأنشد له مواليا ، وهو :

أنا حميت الحمى وانا سكنتو فيه   وأنا رميت الخلايق في بحار التيه
من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه   أنا فتى ما أداني من به تشبيه

وذكر لي الشيخ محمد المذكور أن الشيخ يونس توفي سنة تسع عشرة وستمائة في قريته، وهي القُنَيَّة من أعمال دارا، وهي بضم القاف وفتح النون وتشديد الياء المثناة من تحتها ، تصغير قناة ، وقبره مشهور بها يزار ، وكان قد ناهز تسعين سنة من عمره ، رحمه الله تعالى .

قال المصنف ما مثاله : تَجزَ الكتاب الذي سميته « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » بحمد الله ومنّه ، وذلك في يوم الاثنين العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة .

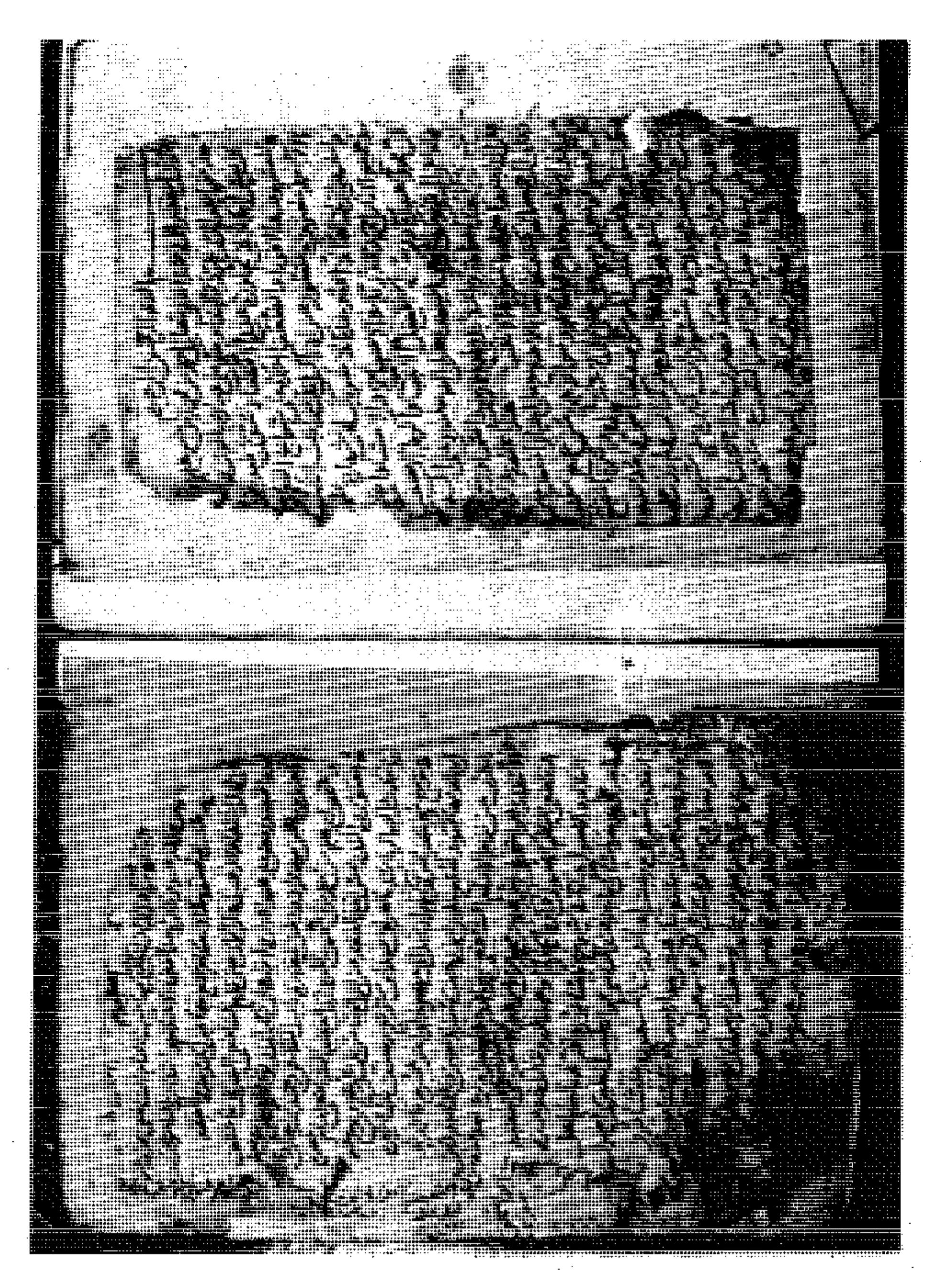
يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان مؤلف هذا الكتاب : إنني كنت قد شرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور في أوله على الصورة التي شرحتها هناك ، مع استغراق الأوقات في فصل القضايا الشرعية والأحكام الدينية بالقاهرة المحروسة ، فلما انتهيت فيه إلى آخر ترجمة يحيى بن خالد ابن برمك حصلت لي حركة إلى الشام المحروس في خدمة الركاب العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي المفاخري المؤيدي المنصوري الغياثي المنعمي المحسني الملكي الظاهري ، ركن الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أبي الفتح بيبرس قسيم أمير المؤمنين ، خلد الله سلطانه ، وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه ، وكان الخروج من القاهرة المحروسة يوم الأحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ، ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكورة ، وقلدني الأحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة ، فتراكمت الأشغال ، وكثرت الموانع الصارفة عن إتمام هذا الكتاب ، فاقتصرت على ما كنت قد أثبته من ذلك ، وختمت الكتاب ، واعتذرت في آخره بهذه الشواغل عن إكماله وقلت : إن قدر الله تعالى مهلة في الأجل وتسهيلا في العمل ، أستأنف كتاباً يكون جامعاً لجميع ما تدعو الحاجةُ إليه في هذا الباب .

ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكان مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً ، فاني دخلتها في التاريخ المذكور ، وخرجت منها بكرة نهار الخميس ثامن ذي القعدة من سنة تسع وستين وستمائة . فلما وصلت إلى القاهرة صادفت بها كتباً كنت أوثر الوقوف عليها ، وما كنت أتفرغ لها ، فلما صرت أفرغَ من حجّام ساباط بعد أن كنت أشغلَ من ذات النّحيين[1]، كما يقال في هذين المثلين ، طالعت تلك الكتب ، وأخذت منها حاجتي ثم تصديت لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة ، وأنا على عزم الشروع في الكتاب الذي وعدت به إن قدر الله تعالى ذلك ، والله يعين عليه ويسهل الطرق المؤدية إليه ، فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ، ورأى فيه شيئاً من الخلل ، فلا يعجل بالمؤاخذة فيه ، فاني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي ، مع أنه كما يقال : أبى الله أن يصح إلا كتابه، لكن هذا جهد المقل، وبذل الاستطاعة، وما يكلف الإنسان إلا ما تصل قدرته إليه ، وفوق كل ذي علم عليم ؛ وقد تقدم في أول هذا الكتاب الاعتذار عن الدخول في هذا الأمر والحامل عليه، فأغنى عن إعادته ها هنا ، والله يستر عيوبنا بستر كرمه الضافي ، ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع اغضائه النمير الصافي ، إن شاء الله تعالى .

---

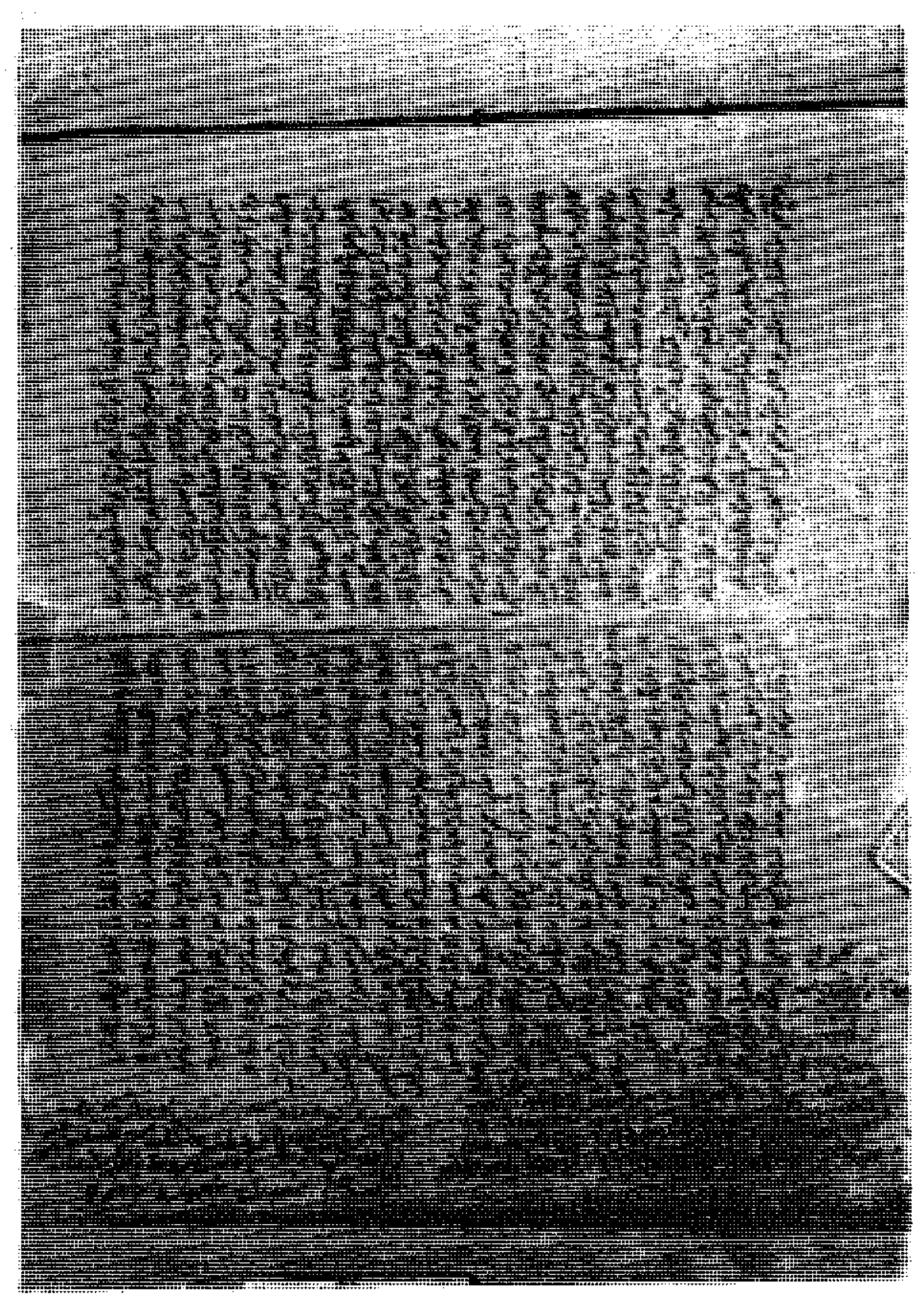
1 مجمع الأمثال : ٢ : ٢٢ ، ١ : ٢٥٥ ، ومن قصة الحجام أنه كان ملازماً لساباط المدائن ، وكان يحجم الجند الذاهبين الى الغزو نسيئة الى حين رجوعهم ، ويظل فارغاً دون عمل أثناء غيابهم ، أما ذات النحيين فلها قصة أخرى تراجع في الأمثال .



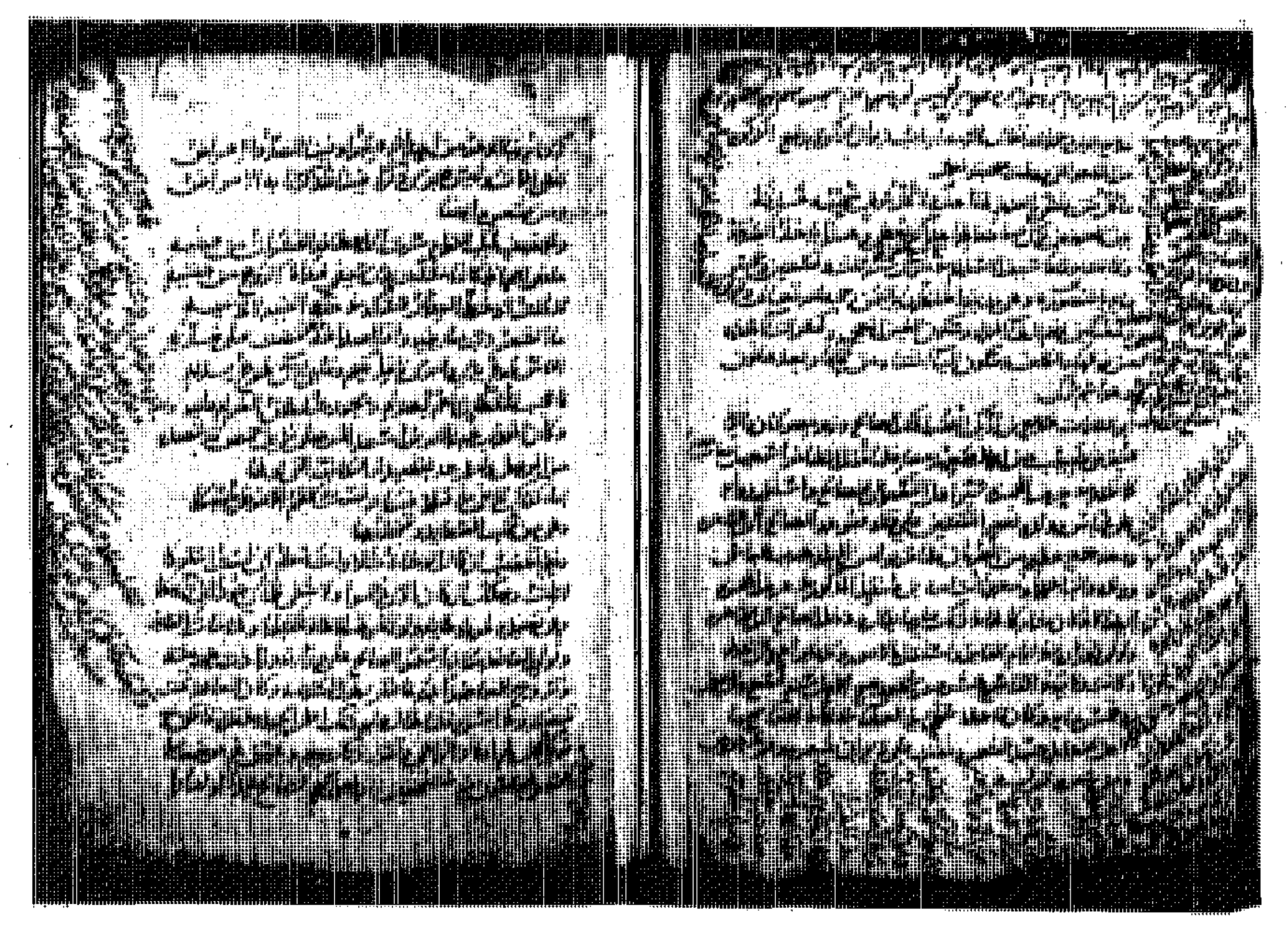


الورقة ٧ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني

(Add. 25735 : رقم)

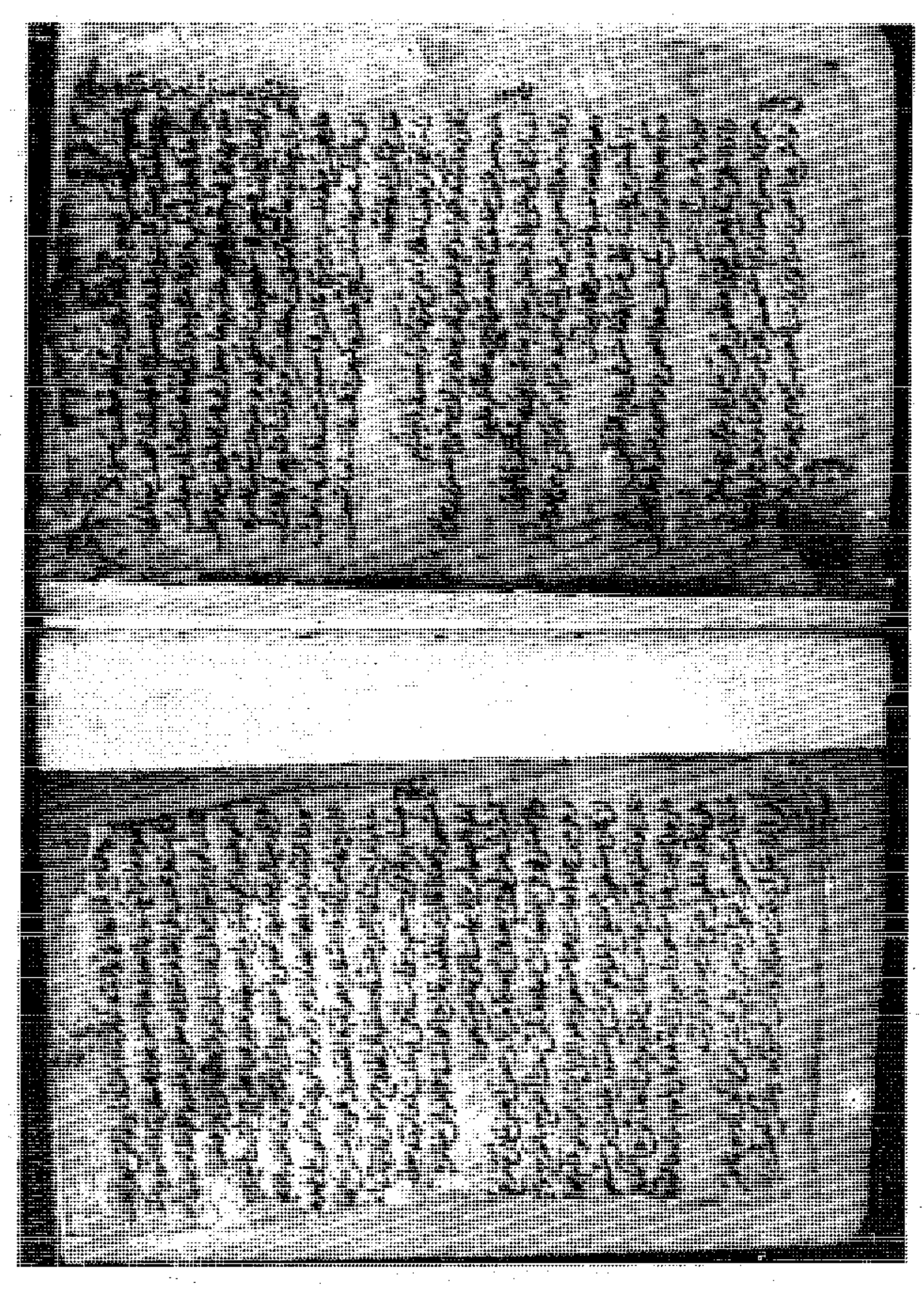


الورقة ١٣١ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : 2070)

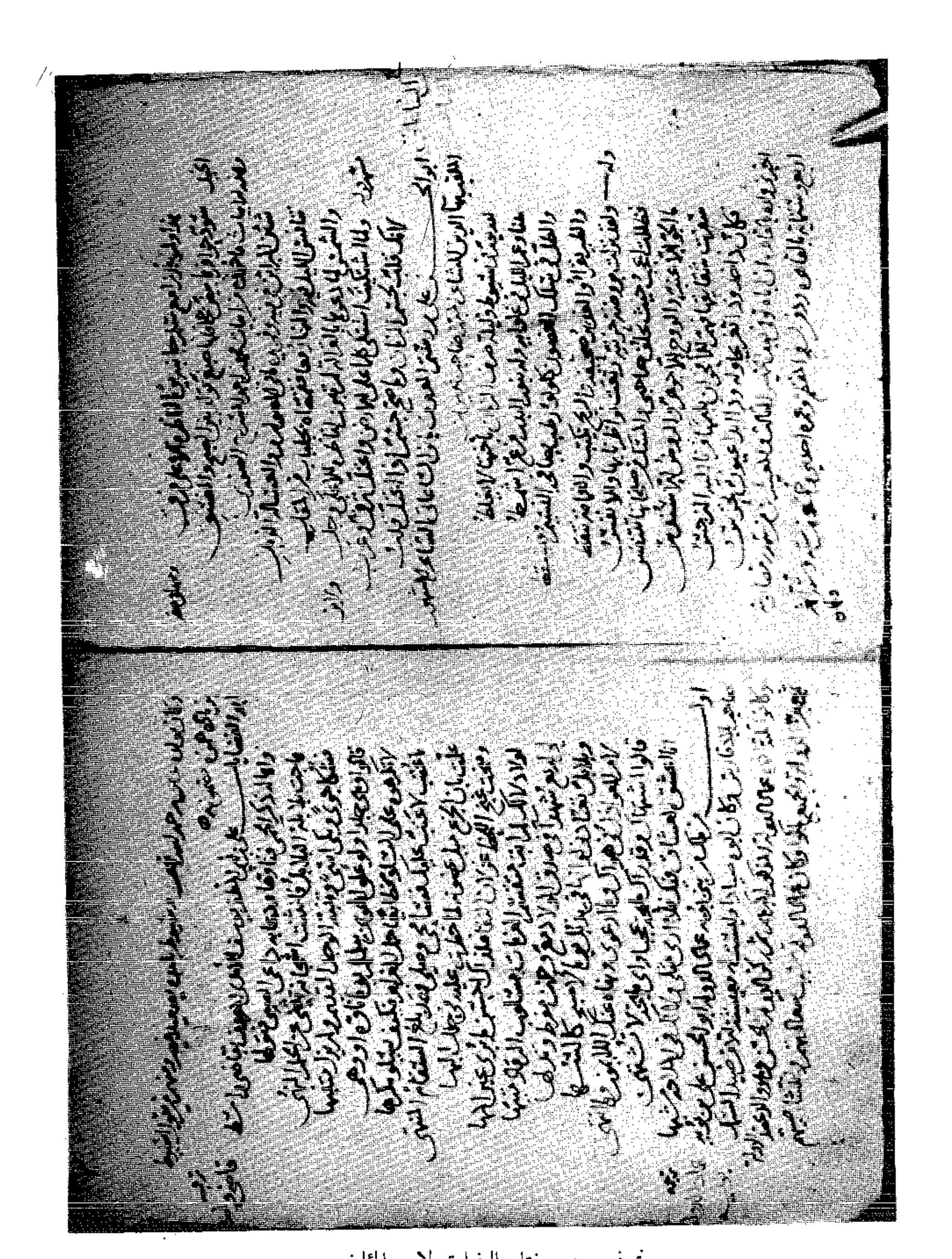


الورقة ١٦٦ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني

(رقم : Add. 25735)

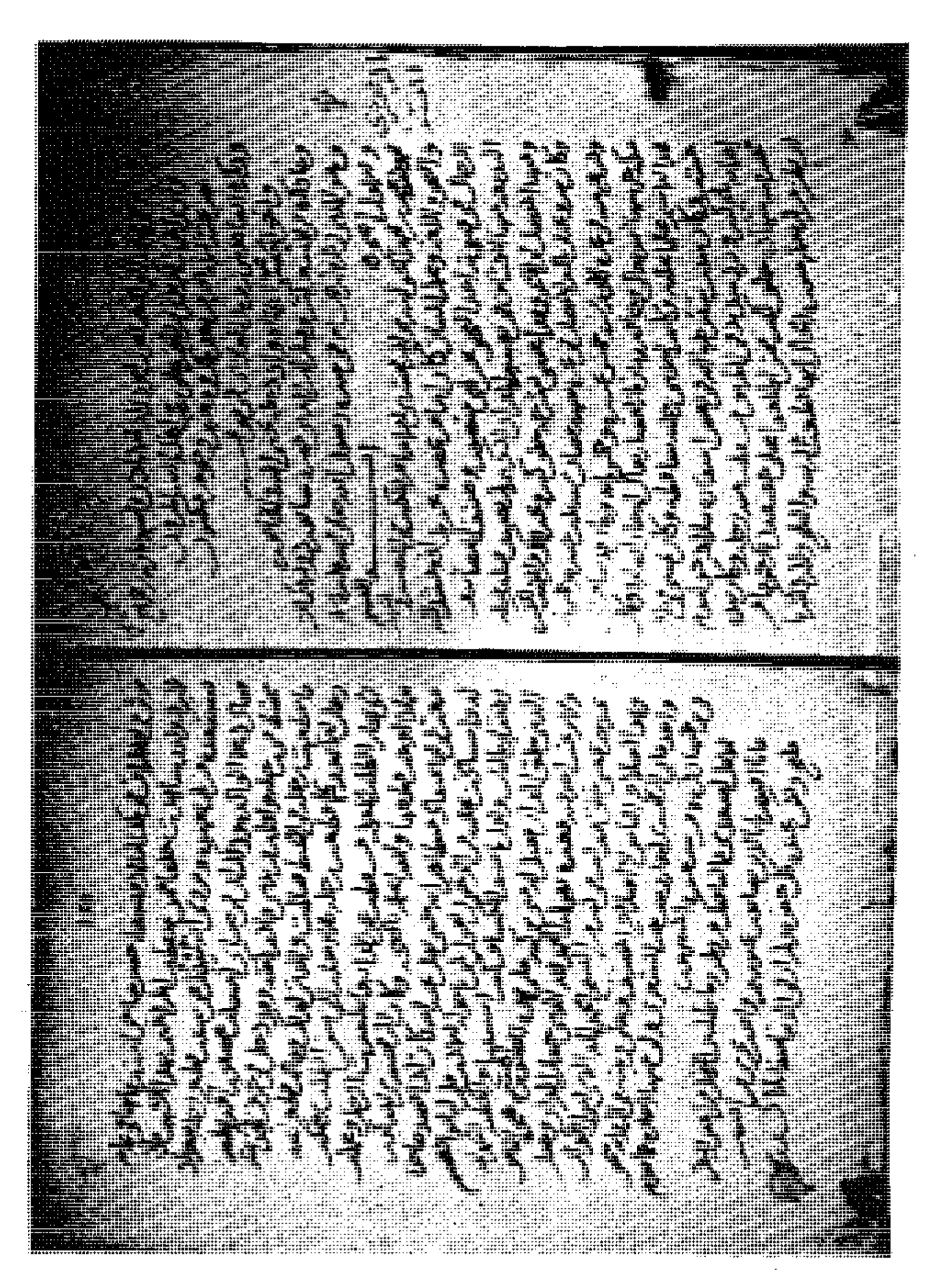


الورقة ٢٩٩ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : Add. 25735)



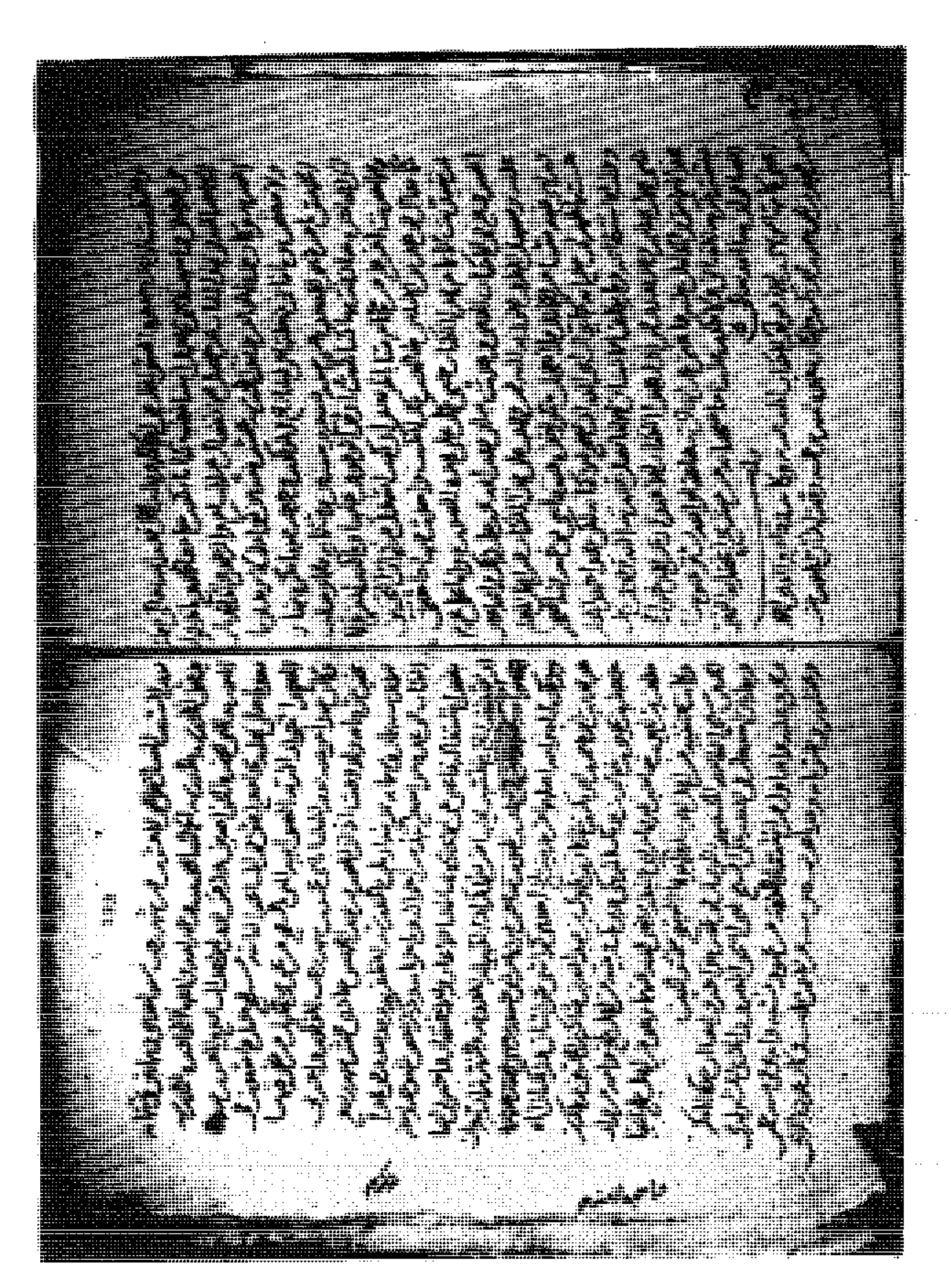
نموذج من مختار الوفيات لابن المؤلف

(نسخة مكتبة وزارة شؤون الهند رقم : *Loth.* ٧٠٥)

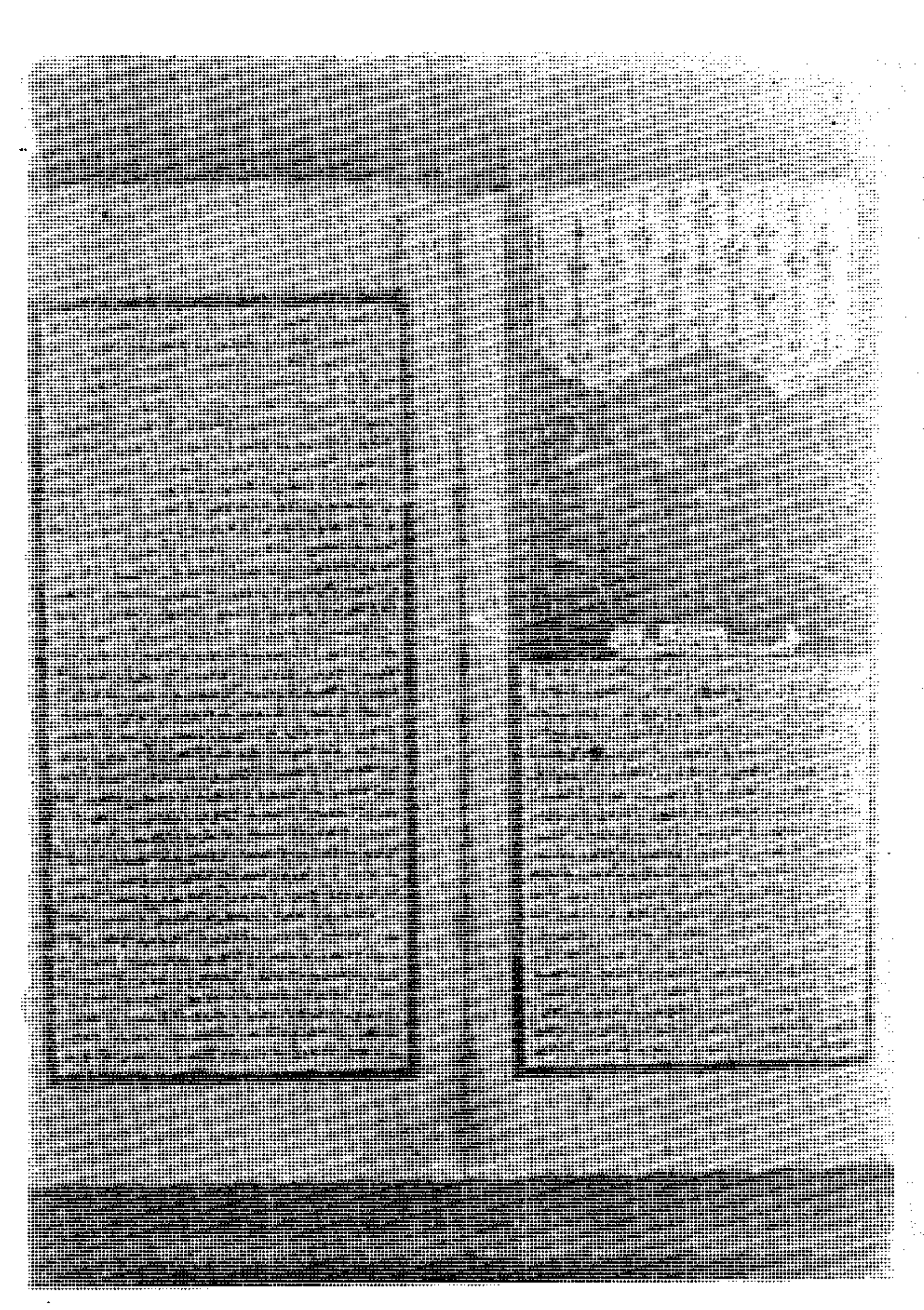


نموذج ثانٍ من مختار الوفيات لابن المؤلف

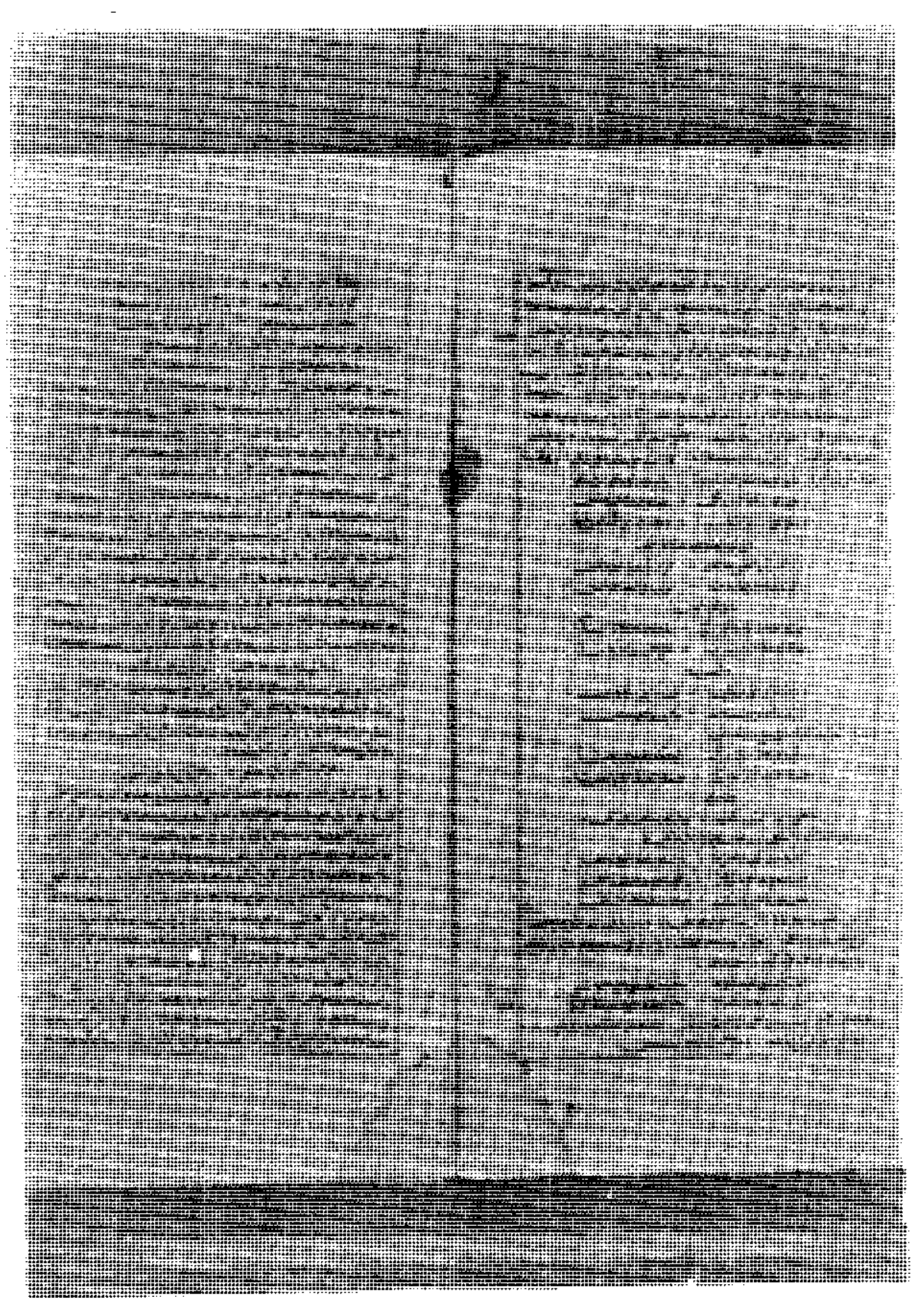
(نسخة مكتبة وزارة شؤون الهند رقم: Loth. ٧٠٥)



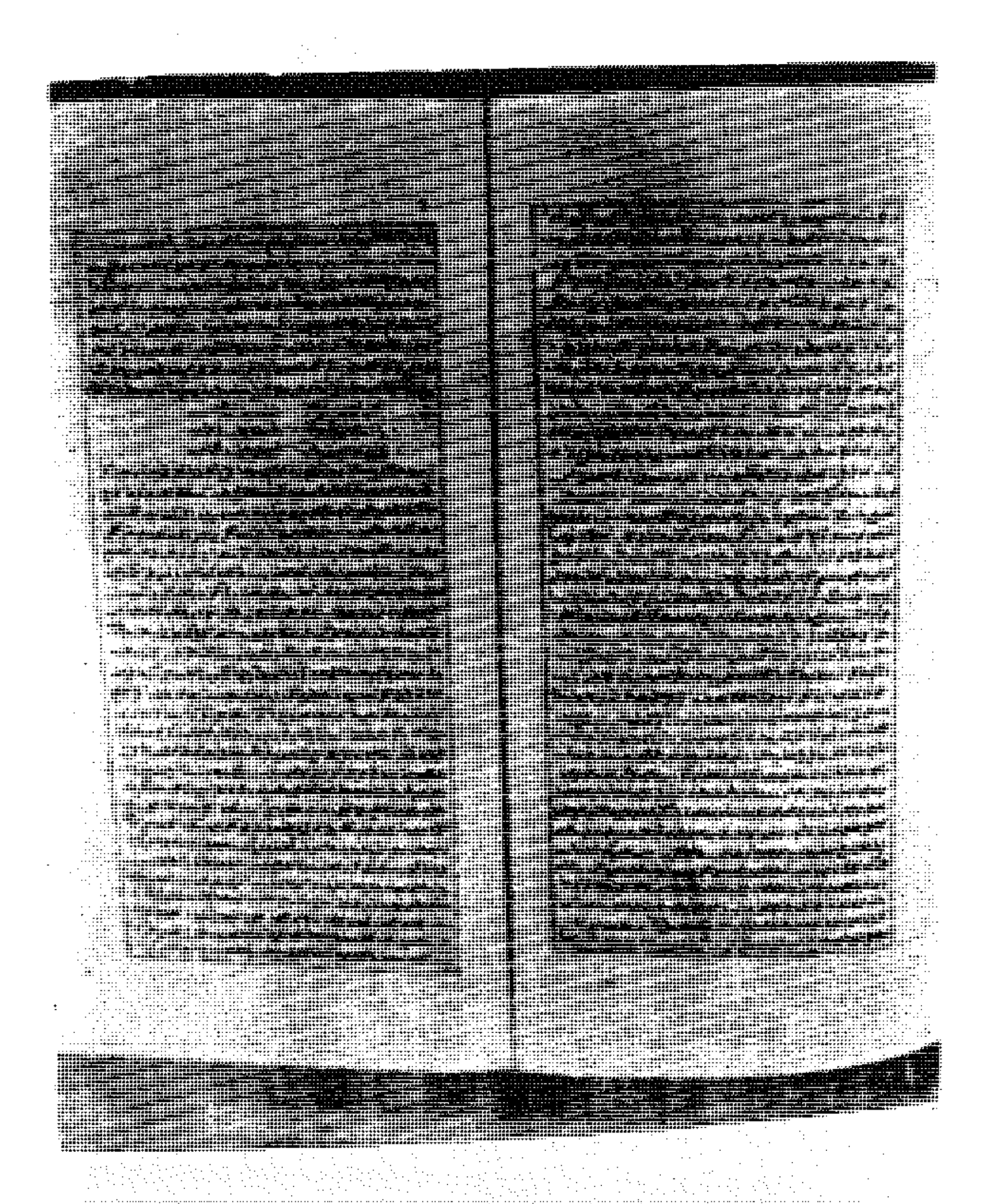
نموذج ثالث من مختار الوفيات لابن المؤلف
(نسخة مكتبة وزارة شؤون الهند رقم : ٧٠٥ Loth.)



الورقة الأولى من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



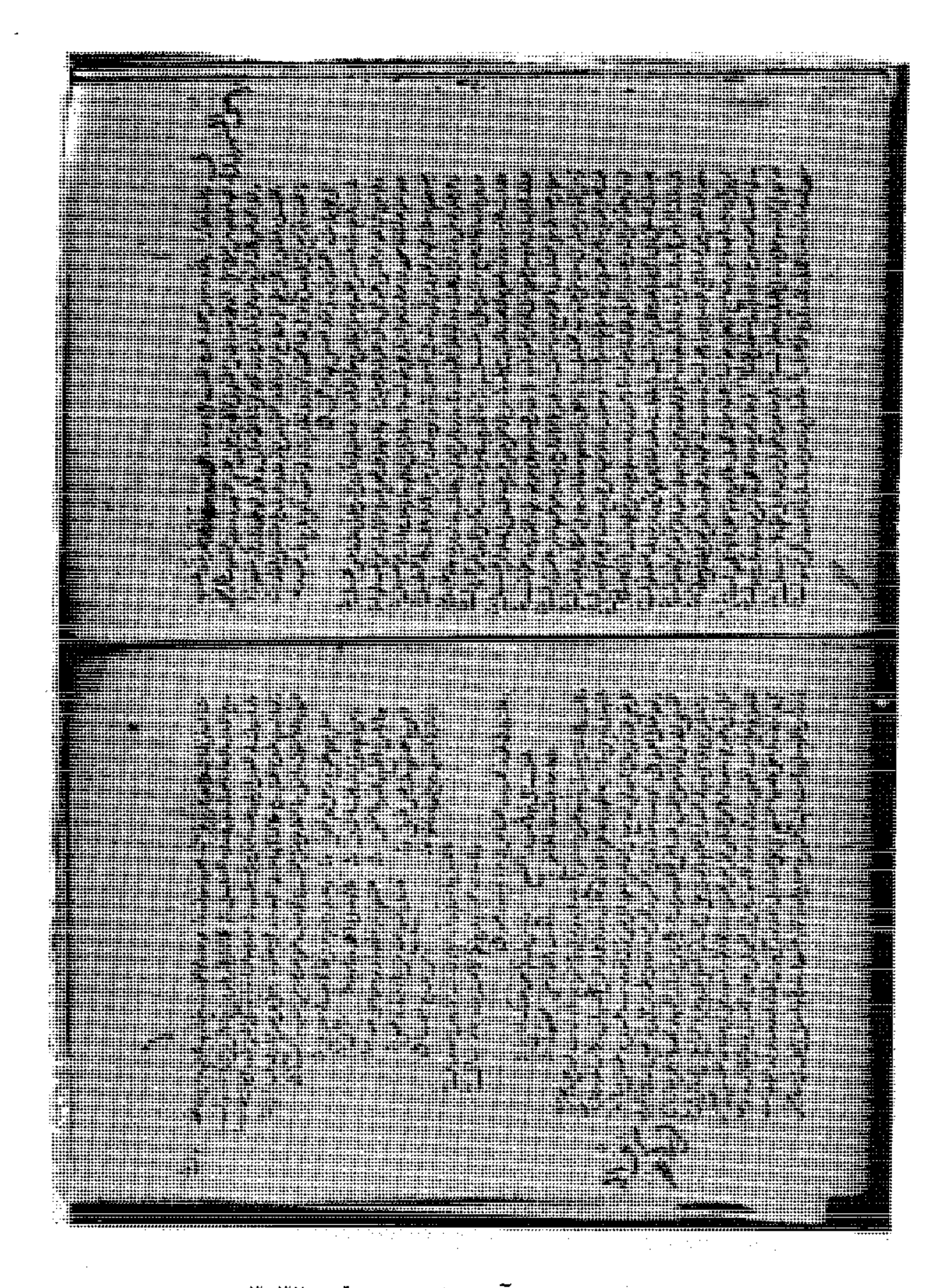
الورقة ٨ من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



الورقة ٣٨٨ من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨

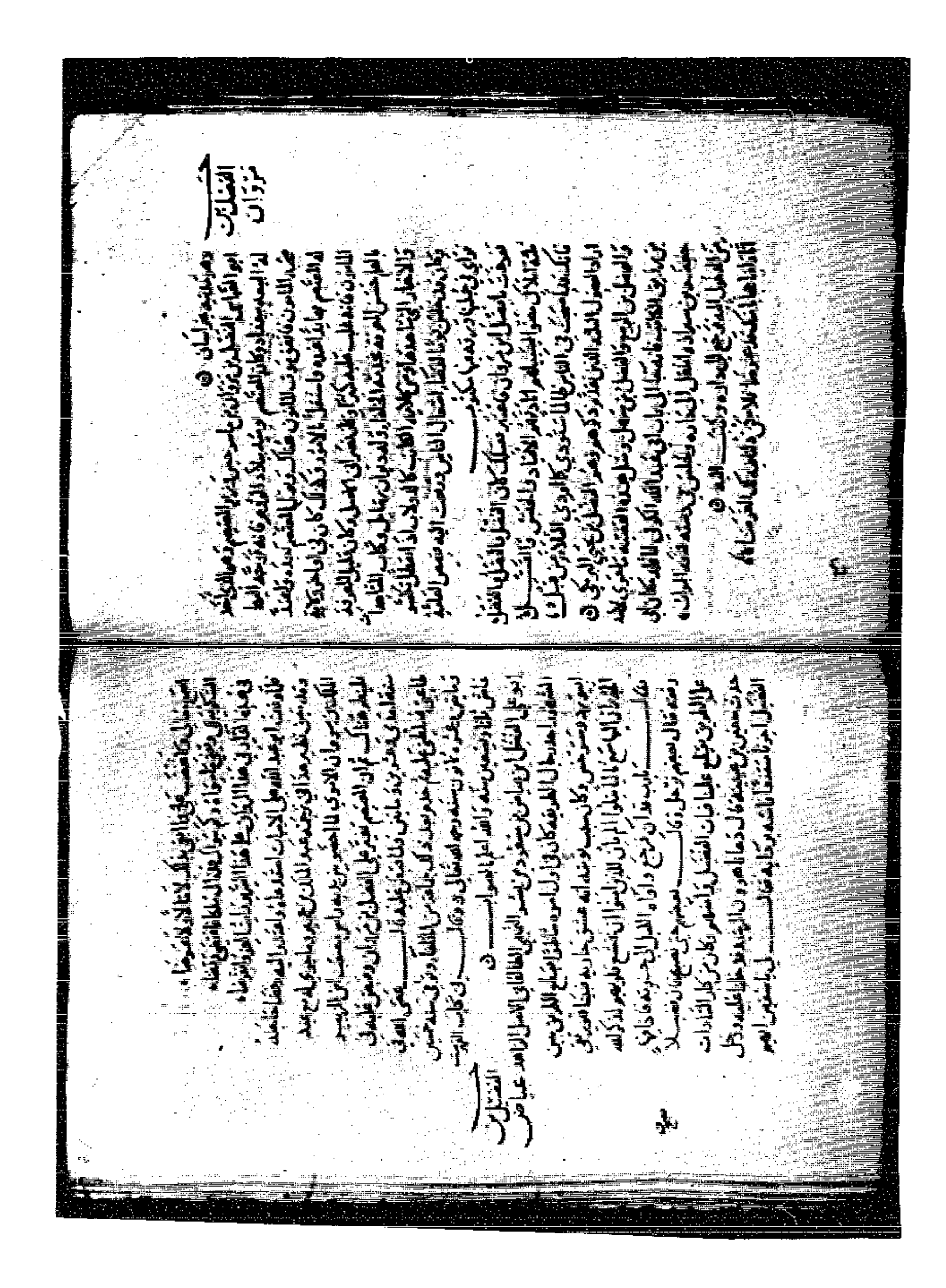


الورقة ٦ من نسخة آياصوفيا (ص) ، رقم : ٣٥٣٢

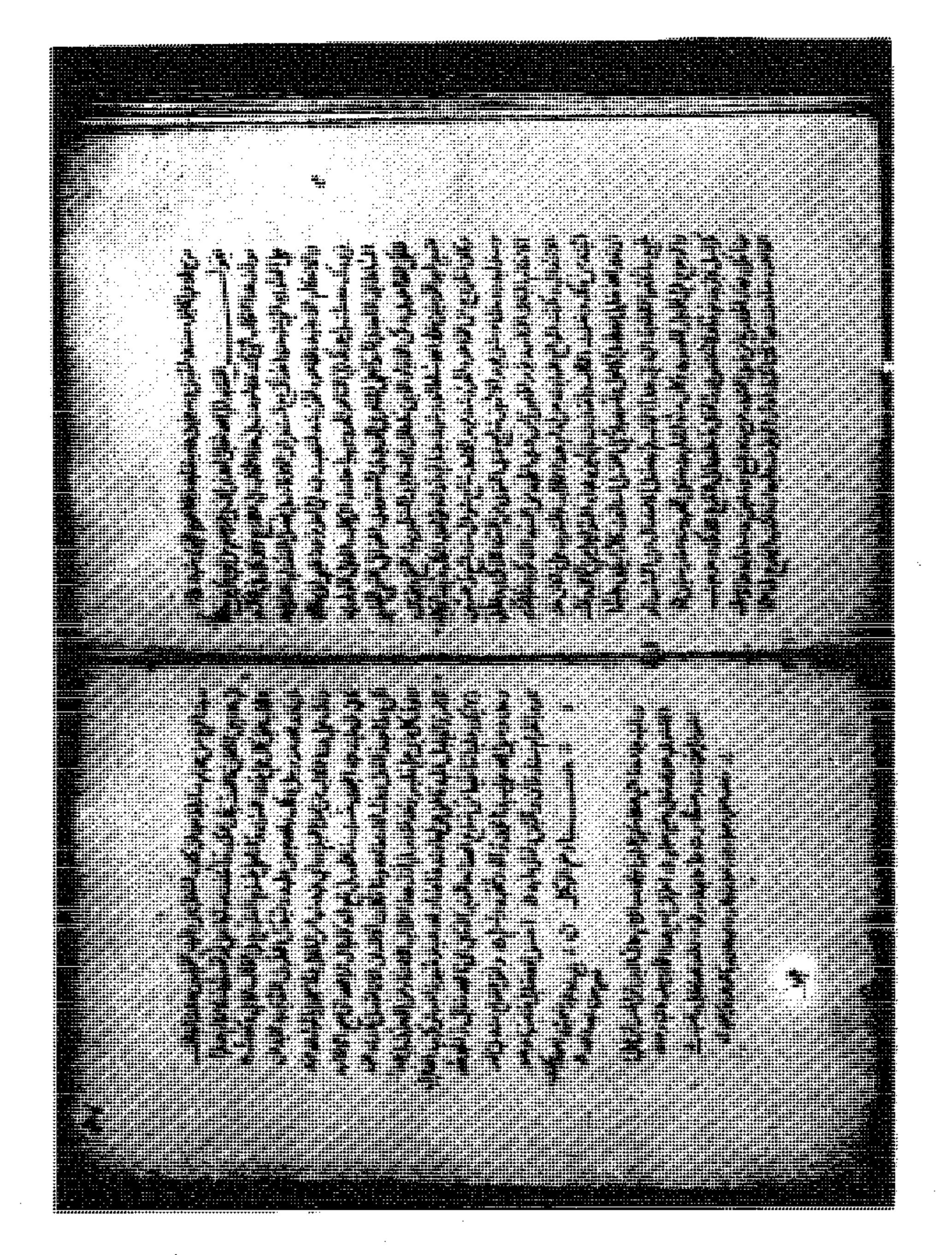


الورقة ٢٢٠ من نسخة آياصوفيا (ص) ، رقم : ٣٥٣٢

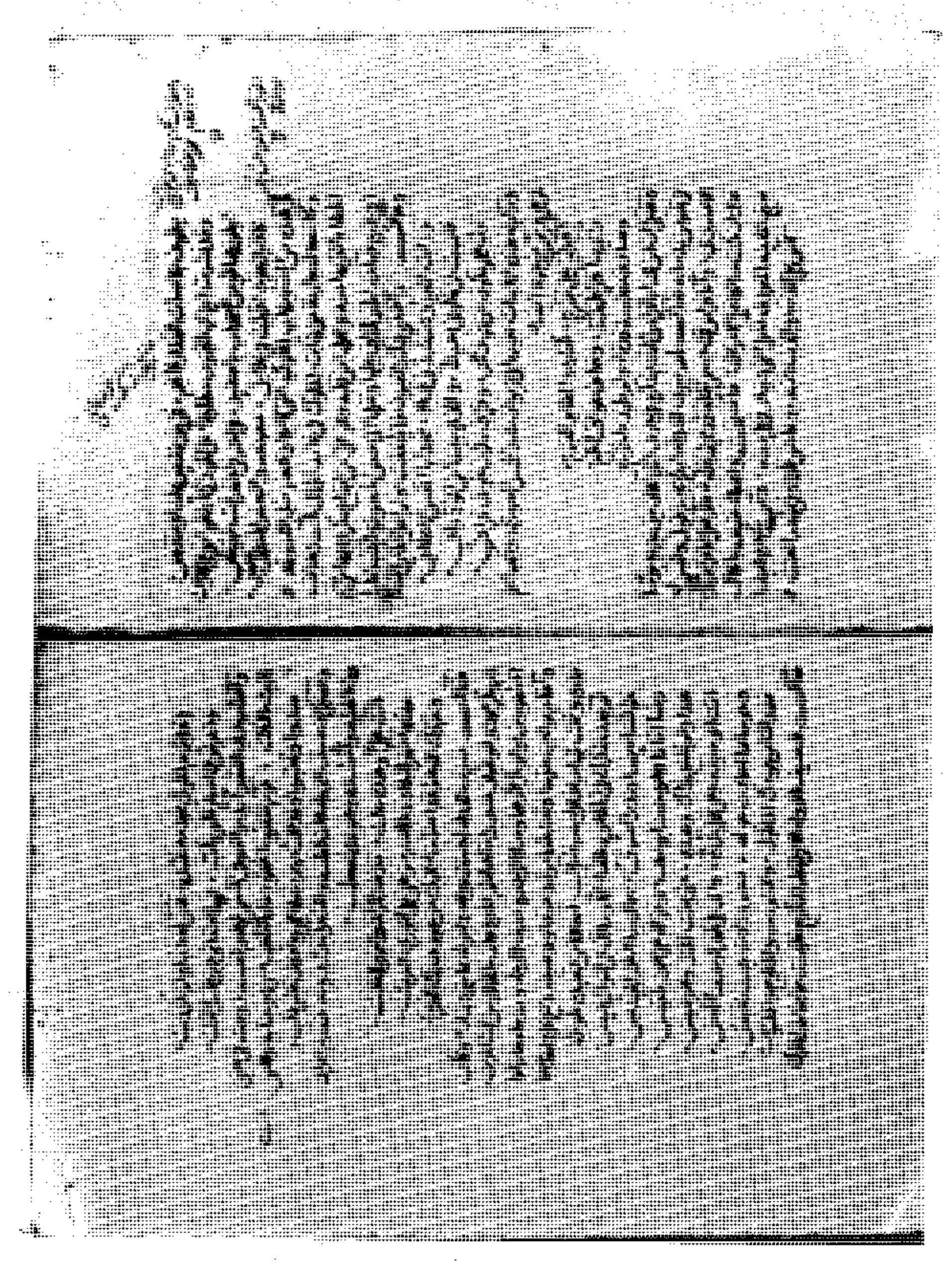
نموذج من نسخة آياصوفيا (ص) ، رقم : ٣٥٣٣



الورقة ٨٧ من الجزء ٢ / نسخة طوبقبو سراي (س) ، رقم : ٢٩١٩



الورقة الأخيرة من نسخة طوبقبو سراي (س) ، رقم : ٢٩١٩



الورقة ٢ من نسخة ولي الدين (ن)، رقم : ٢٤٦٠

الورقة ٢٠٠ من نسخة ولي الدين (ن) ، رقم : ٢٤٦٠

الورقة ٣٨٥ من نسخة ولي الدين (ن) ، رقم ٢٤٦٠



الورقة الثالثة من نسخة لا له لي (لي) ، رقم : ٢١١٢

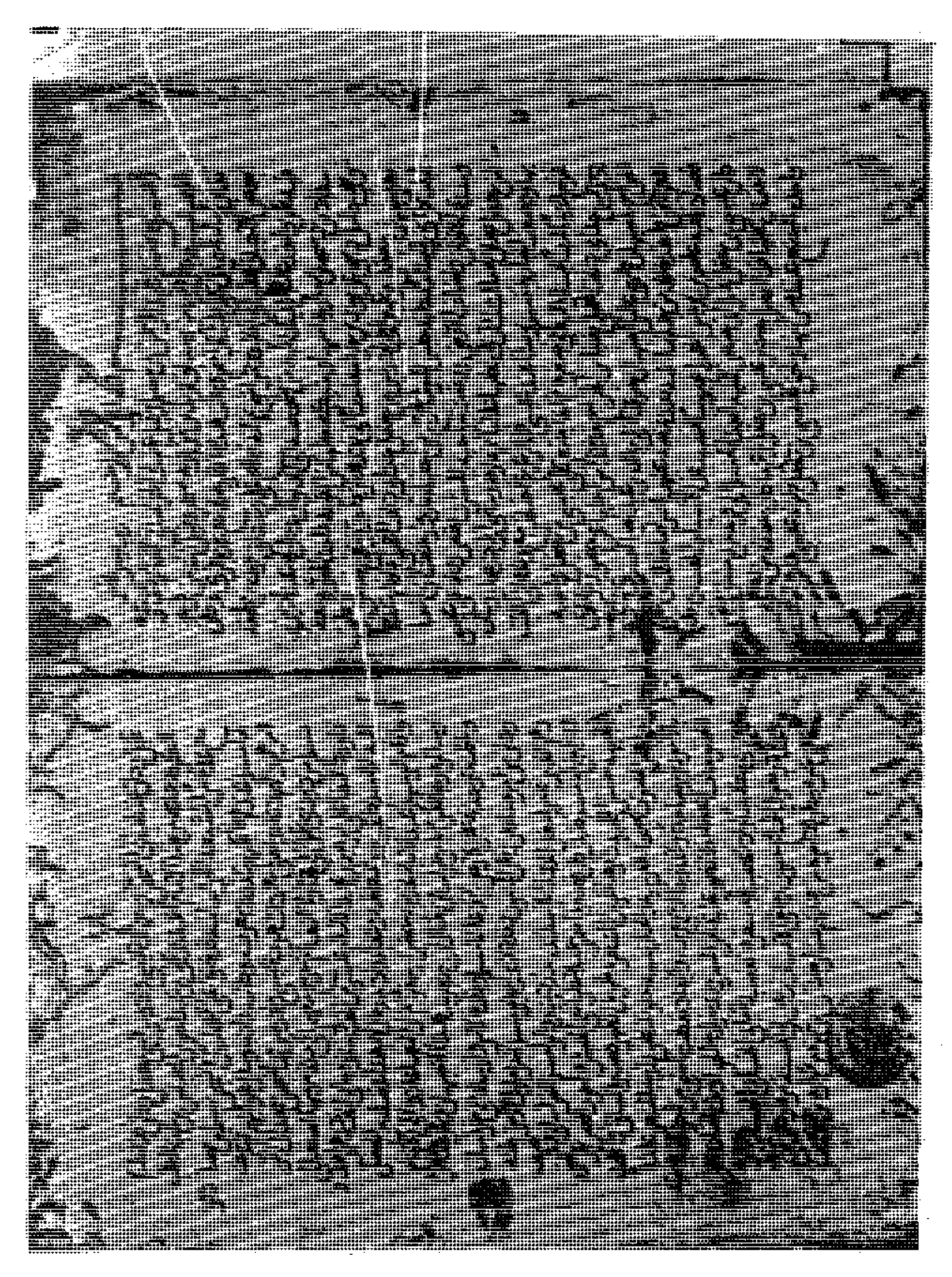
الورقة ١٣٥ من نسخة لا له لي (لي) ، رقم : ٢١١٢

الورقة ٢٢٦ من نسخة لا له لي (لي) ، رقم : ٢٢١٢

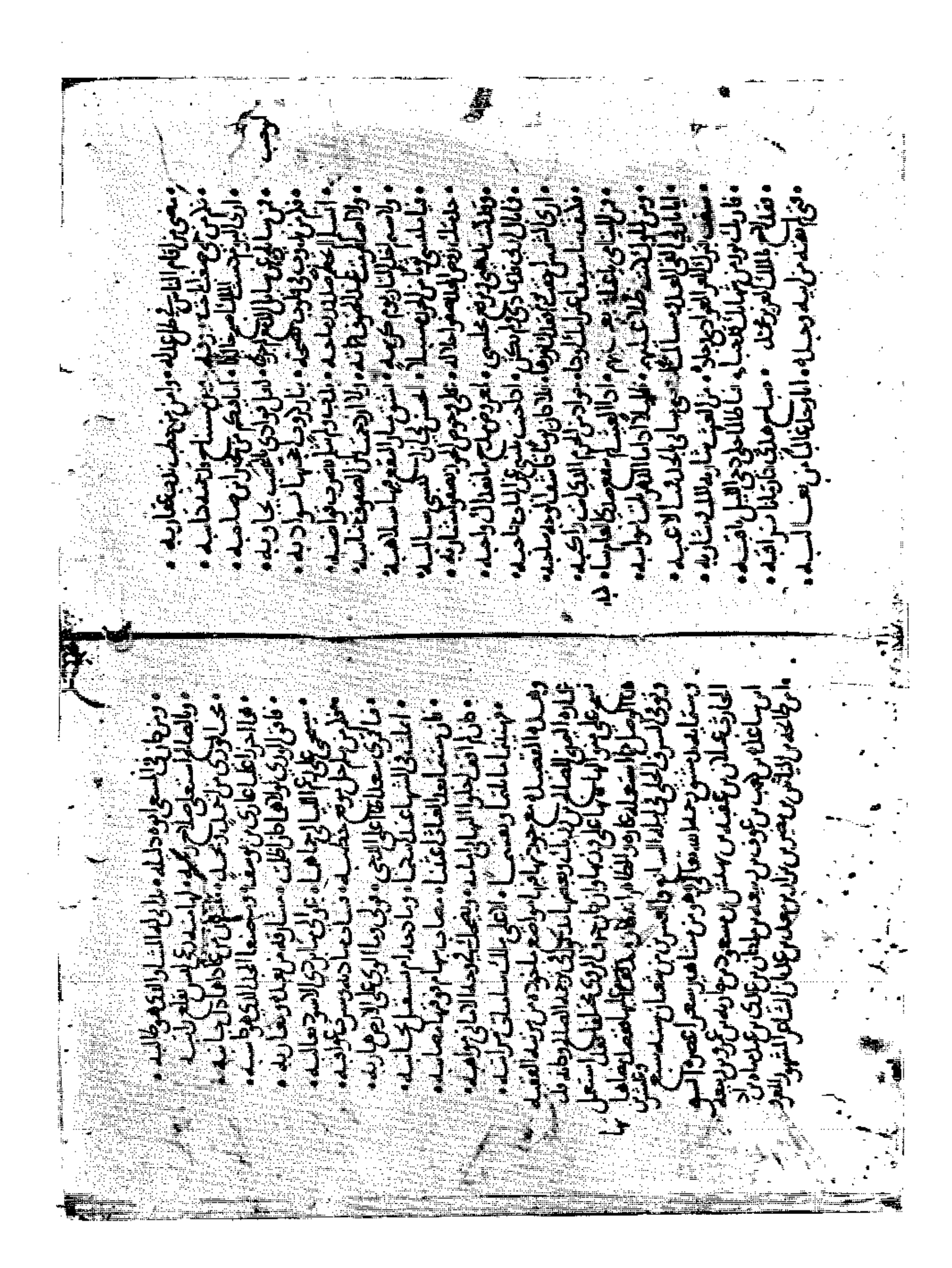
الورقة الاولى من مخطوطة لا له لي (لي) ، رقم ٢١١٣

الورقة ٩٩ من نسخة لا له لي (لي) ، رقم : ٢١١٣

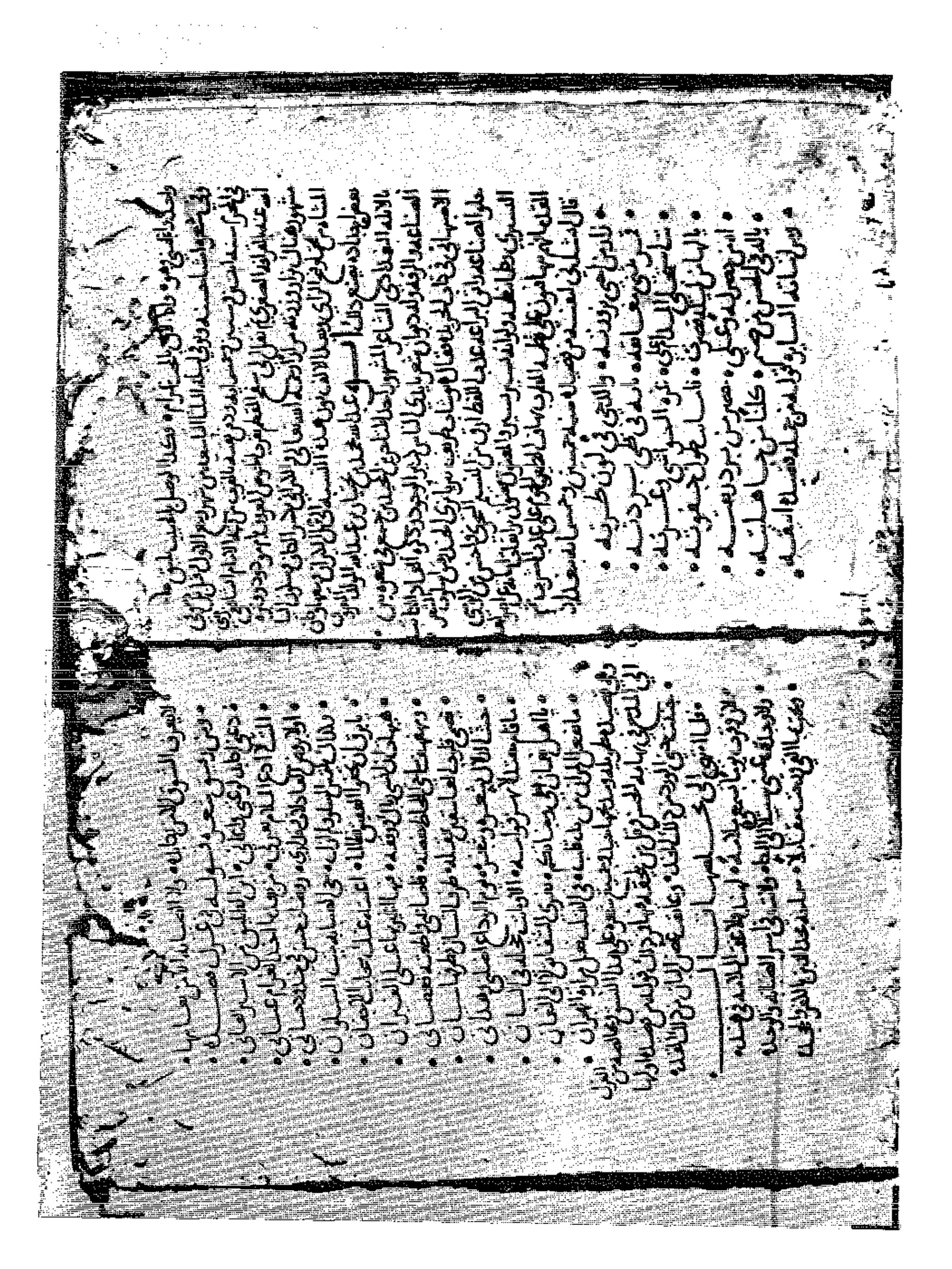
الورقة ١٩٤ من نسخة لاله لي (لي) ، رقم : ٢١١٣



الورقة الأولى من نسخة كوبريللي (ل) رقم : ١١٩٢



الورقة ١٠٤ من نسخة كوبريللي (ل) ، رقم : ١١٩٢

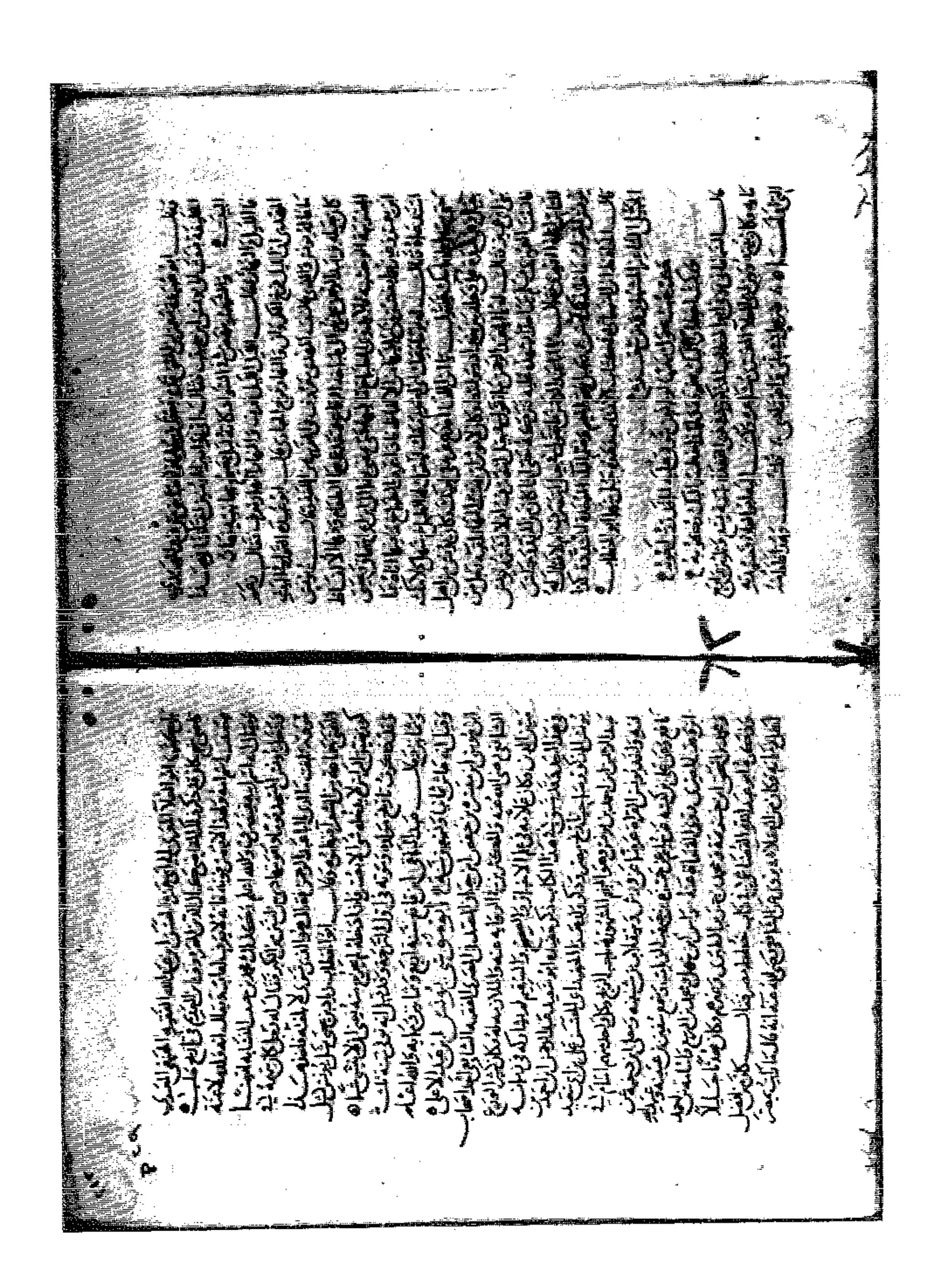


الورقة ٢٢٩ من نسخة كوبر يللي (ل) ، رقم : ١١٩٢



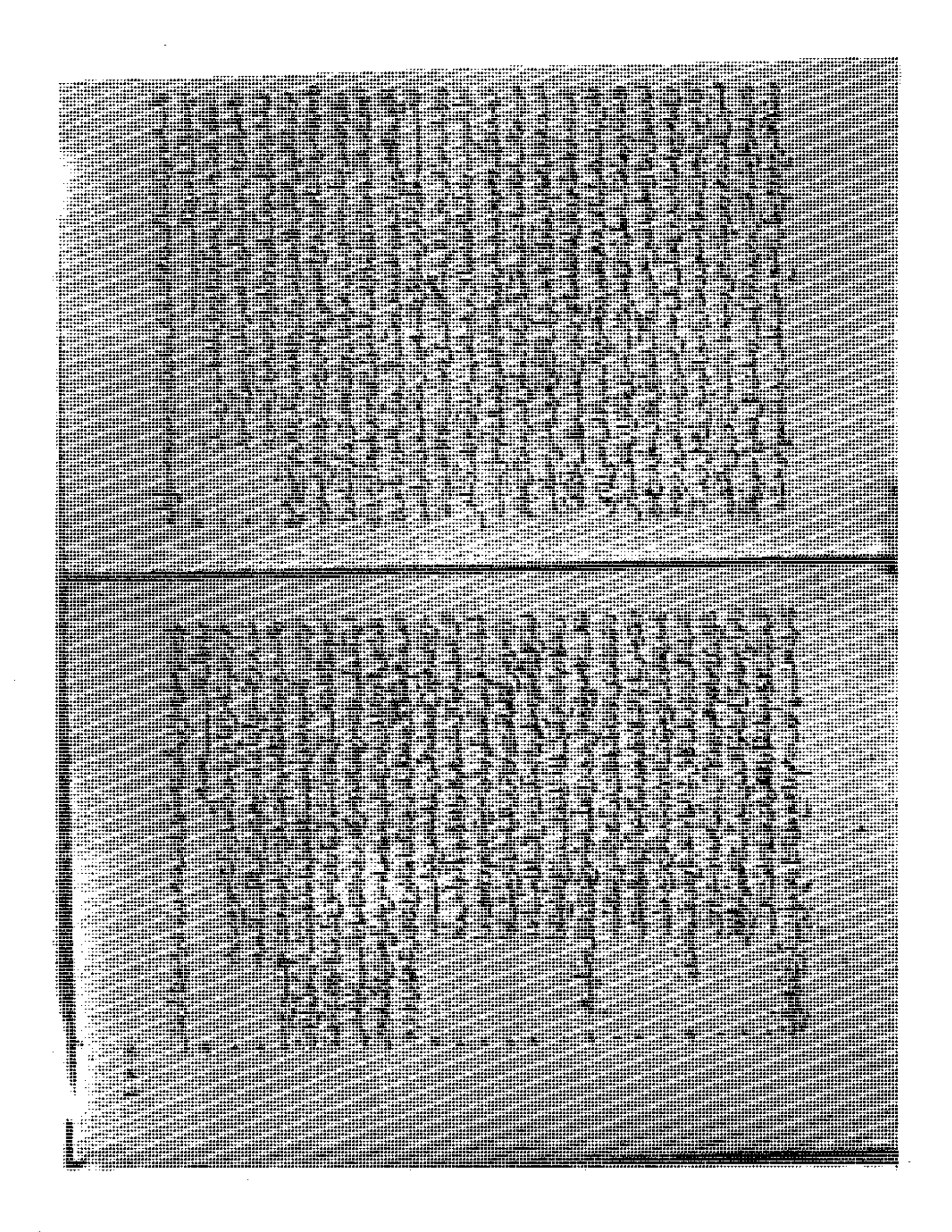
الورقة ٤ من نسخة قاضي زاده (ق) ، رقم : ٣٧١

الورقة ٢٣٦ من نسخة قاضي زاده (ق) ، رقم : ٣٧١

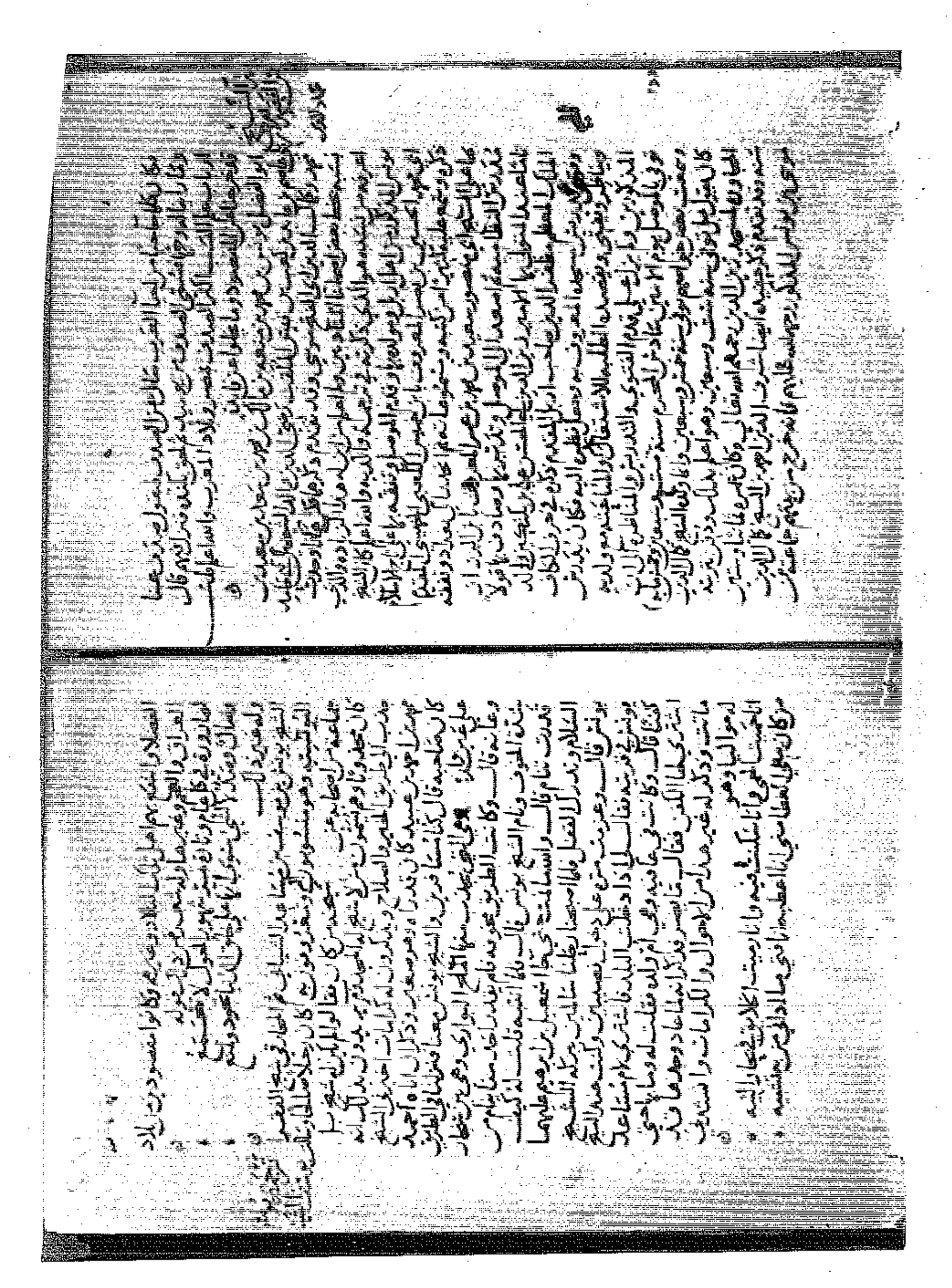


الورقة ٥٢٩ من نسخة قاضي زاده (ق) ، رقم : ٣٧١

الورقة الثالثة من نسخة نور عثمانية (ع) ، رقم : ٣٠٧٦



الورقة ١٣٨ من نسخة نور عثمانية (ع) ، رقم : ٣٠٧٦



الورقة ٣٠٧ من نسخة نور عثمانية (ع) ، رقم : ٣٠٧٦

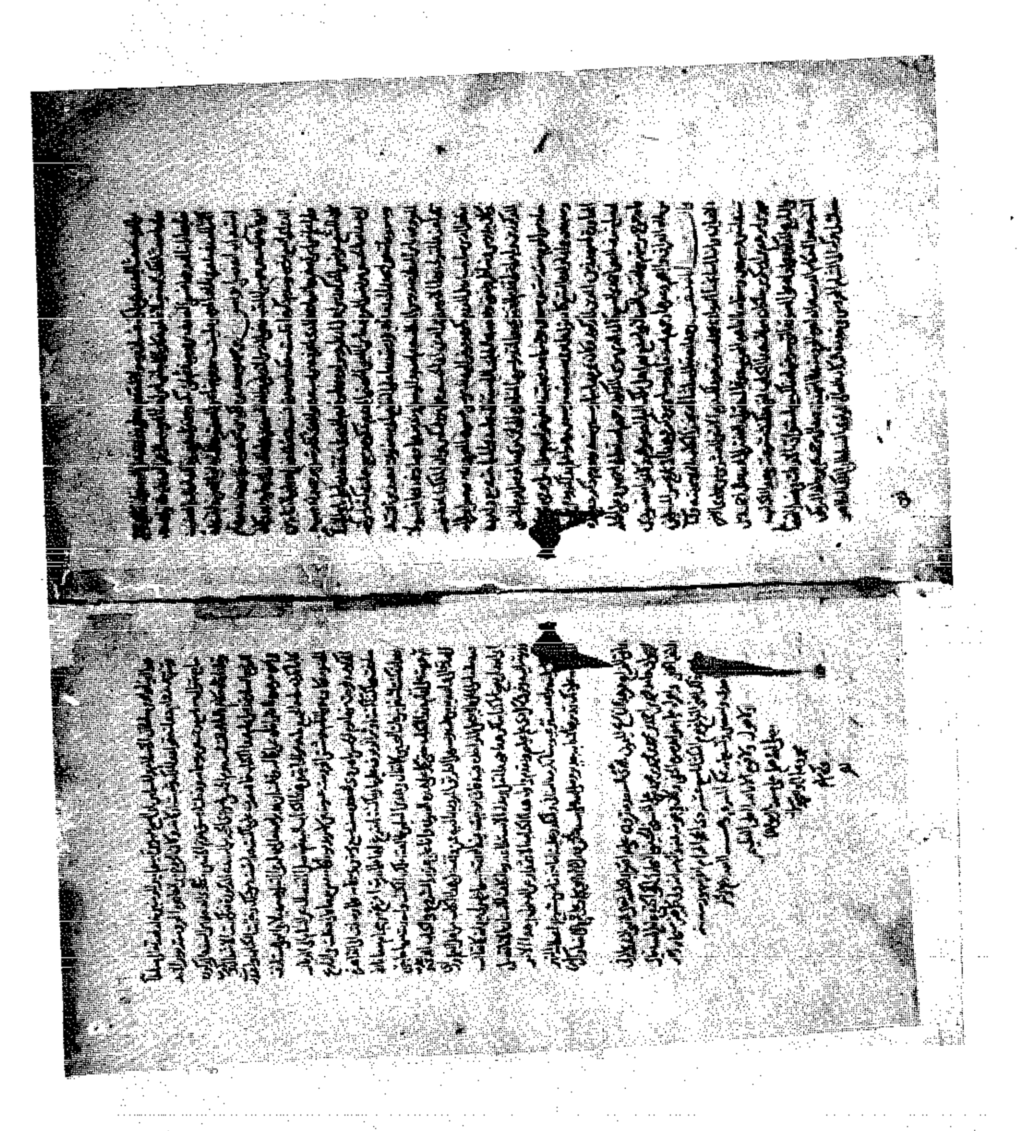
نموذج من نسخة مكتبة جامعة ادنبره (بر)، رقم : ٢٢

نموذج ثانٍ من نسخة مكتبة جامعة ادنبره (بر) ، رقم : ٢٢

نموذج ثالث من نسخة مكتبة جامعة ادنبره (بر) ، رقم : ٢٢

الورقة ٢٤٠ من نسخة مكتبة جون رايلندز بمنشستر (من) ، رقم : ٢٩٧ [٦٢٣]

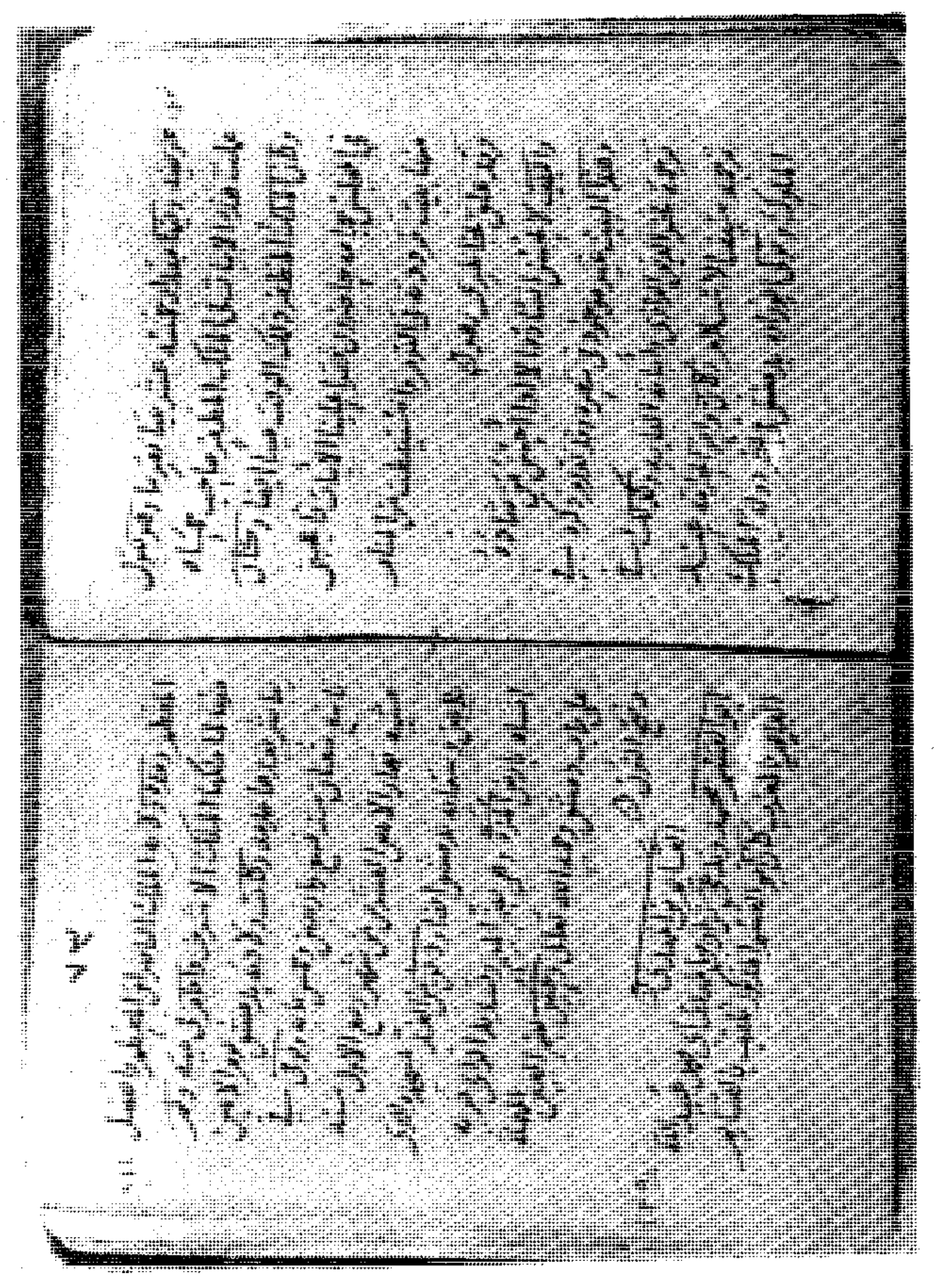
الورقة ٣٧٣ من نسخة مكتبة جون رايلندز بمنشستر (من) ، رقم : ٢٩٧ [٦٢٣]



الورقة ٥١٦ من نسخة مكتبة جون رايلندز بمنشستر (من) ، رقم : ٢٩٧ [٦٢٣]



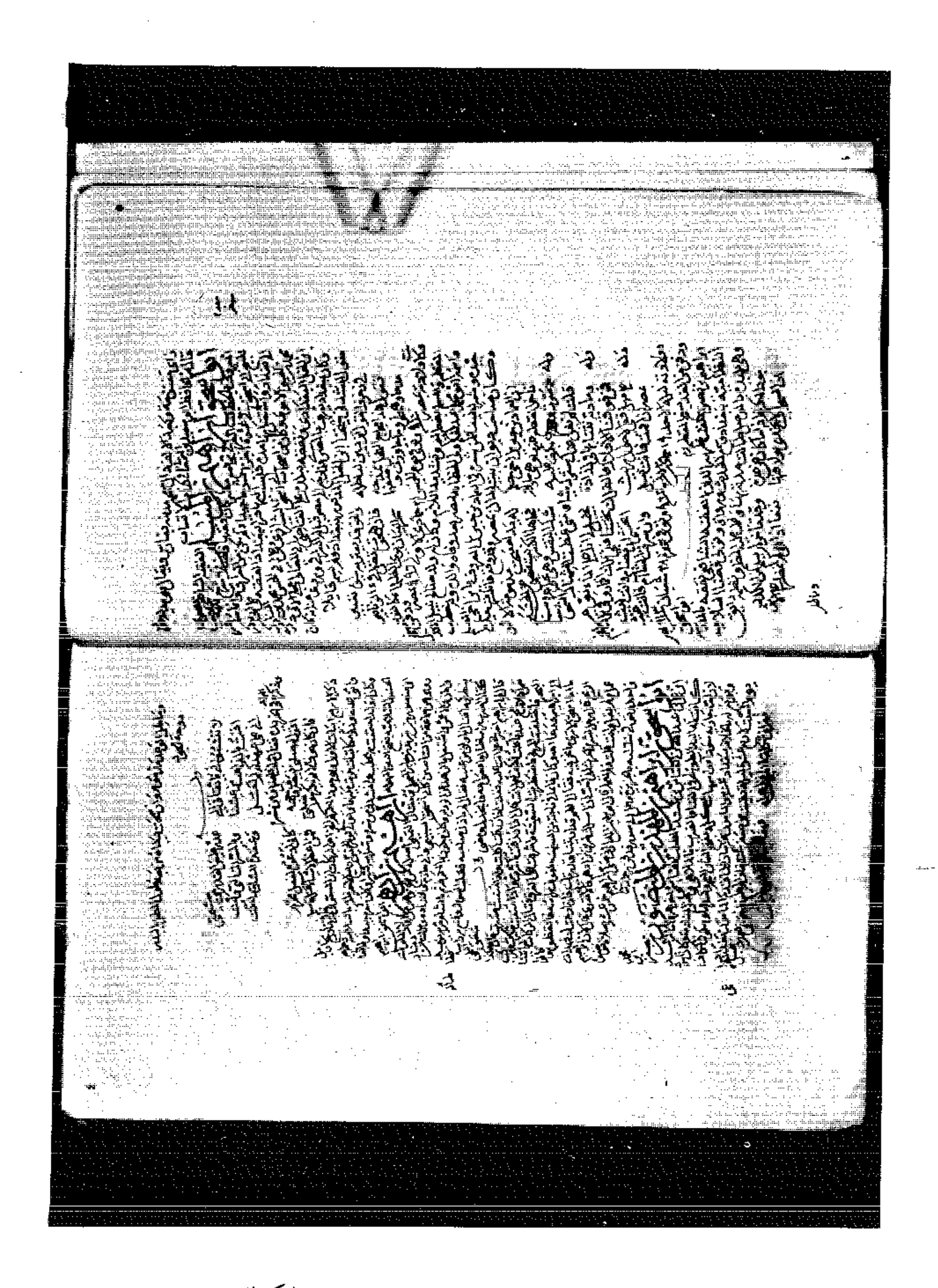
الورقة ٤ من نسخة المجمع العلمي العراقي (مج)



الورقة ٧٣ من نسخة المجمع العلمي العراقي (مج)

الورقة ١٤٨ من نسخة المجمع العلمي العراقي (مج)

نموذج من النسخة (ت)



نموذج من نسخة المتحف البريطاني (م) ، رقم : ١٥٠٥ التكملة ٦٠٧

مُلحَقات



١ – مزيد بيان في تخريج التراجم الأصيلة

٢ – أبو ثور صاحب الشافعي : الفهرست : ٢٩٧ ، الانتقاء : ١٠٧ طبقات الشيرازي : ٧٥ ، تهذيب التهذيب ١ : ١١٨ ، طبقات العبادي : ٢٢ ، العبر ١ : ٤٣١ ، الشذرات ٢ : ٩٣ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٠١ ، الاسنوي ١ : ٢٥ ، ابن قاضي شهبة : ٤١ .

٣ – أبو اسحاق المروزي : الفهرست : ٢١٢ ، طبقات الشيرازي : ١١٢ ، طبقات العبادي : ٦٨ ، الاسنوي ٢ : ٣٧٥ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٣١ ، ابن قاضي شهبة : ٥٦ .

٤ – أبو اسحاق الاسفرايني : تبيين كذب المفتري : ٢٤٣ ، طبقات الشيرازي : ١٠٦ طبقات العبادي : ١٠٤ ، الاسنوي ١ : ٥٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٤ ، الشذرات ٣ : ٢٠٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٣١ ، ابن قاضي شهبة : ٧٨ .

٥ – أبو اسحاق الشيرازي : مختصر ذيل السمعاني ، الورقة : ١٢٥ ، اللباب (الفيروزابادي) تبيين كذب المفتري : ٢٧٦ ، ٣١٣ ، ٣٣٢ ، المنتظم (ج ٨ ، ٩)، الكامل لابن الأثير (ج : ١٠) ، عبر الذهبي ٣ : ٢٨٣ ، الشذرات ٣ : ٣٤٩ ، الاسنوي ٢ : ٨٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١١٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٥ ، وانظر مقدمتي على طبقات الفقهاء (ط . بيروت ١٩٧٠) .

٦ – ابراهيم بن أدهم : الفوات ١ : ٤ (ووفاته سنة ١٦١) .

٧ – أبو اسحاق العراقي الخطيب : تكملة اكمال الاكمال : ٢٩٦ ، عبر الذهبي ٤ : ٢٩١ ، تكملة المنذري ٢ : ٢١٧ ، الاسنوي ٢ : ٢٢١ ، السلوك ١ : ١٥٣ ، حسن المحاضرة ١ : ٤٠٧ (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) .

٨ – أبو اسحاق ابن عسكر الموصلي : الاسنوي ٢ : ٦١ ، وابن الشعار ١ : ٢٢ وقد ذكر أن السلامية قرية من قرى الموصل شرقيها ، وتبعد عنها بخمسة فراسخ وأورد له الأبيات التائية (٢٤) والأبيات «الا قل لمكي قول النصوح» والبيتين

«أقول له صلني» (٢٥) .

١٧ — ابن خفاجة الأندلسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦٢٥ .

١٨ — ابراهيم الغزي : مختصر ذيل السمعاني ، الورقة : ١٣٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٣٠ .

٢٠ — أحمد بن حنبل : ابن قاضي شهبة : ٤١ .

٢١ — أبو العباس ابن سريج : طبقات الشيرازي : ١٠٨ ، طبقات العبادي : ٧٢ ، الاسنوي ٢ : ٢٠ ، النجوم الزاهرة ١ : ١٩٤ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٦ ، ابن قاضي شهبة : ٥١ .

٢٢ — أبو العباس ابن القاص : طبقات الشيرازي : ١١١ ، طبقات العبادي : ٧٣ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٧ ، الشذرات ٢ : ٣٣٥ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٩٤ ، ابن قاضي شهبة : ٥٧ ، ابن العديم ٢ : ١٨ ورجح أن تكون وفاته سنة ٣٣٦ لأنه وجد بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قاضي المعرة في مواضع متعددة من مصنفاته قوله : حدثنا أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري املاءً بطرسوس في المسجد الجامع سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

٢٣ — أبو حامد المروروذي : الفهرست : ٢١٤ ، الوافي ٧ : ١٠ ، طبقات الشيرازي : ١١٤ ، الاسنوي ٢ : ٣٧٧ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧٥ ، ابن قاضي شهبة : ٦٧ ، الحسيني : ٢٧ .

٢٤ — أبو الحسين ابن القطان: طبقات الشيرازي : ١١٣، الاسنوي ٢: ٢٩٨، البداية والنهاية ١١ : ٢٦٩ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧١ .

٢٦ — أبو حامد الاسفرايني : طبقات الشيرازي : ١٠٣ ، طبقات العبادي : ١٠٧ المنتظم ٧ : ٢٧٧، الاسنوي ١ : ٥٧، البداية والنهاية ١٢ : ٢ ، مرآة الجنان ٣ : ١٥ ، ابن قاضي شهبة : ٧٩ ، الحسيني : ٤٢ .

٢٧ — أبو الحسن المحاملي : ابن قاضي شهبة : ٨٠ .

٢٨ — أبو بكر البيهقي : الأنساب واللباب (البيهقي) ، تبيين كذب المفتري : ٢٦٥ المنتظم ٨ : ٢٤٢، عبر الذهبي ٣ : ٢٤٢ ، البداية والنهاية ١٢: ١٩٤، ابن قاضي شهبة : ٩٨ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٧٧ ، الشذرات ٣: ٢٠٤، الاسنوي١ : ١٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٨١ ، الحسيني : ٥٥ ، الرسالة المستطرفة : ٣٣ .

٢٩ — النسائي أبو عبد الرحمن : طبقات العبادي : ٥١ ، الاسنوي ٢ : ٤٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ٥٠ ، غاية النهاية ١: ٦١ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣٦، النجوم الزاهرة ٣ : ١٨٨ ، حسن المحاضرة ١ : ١٩٧ ، ابن العديم ١ : ١٠٣ وسمّاه :

أحمد بن شعيب بن عليّ .

٣١ ــ أبو اسحاق الثعلبي المفسر : الاسنوي ١ : ٣٢٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٠ ابن قاضي شهبة : ٩١ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٦ .

٣٣ ــ أبو نعيم الأصفهاني : المنتظم ٨: ١٠٠، تبيين كذب المفتري: ٢٤٦، الاسنوي ٢ : ٤٧٤ ، البداية والنهاية ١٢: ٤٥، ابن قاضي شهبة : ٩١ ، النجوم الزاهرة ٥: ٣٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٢ .

٣٤ ــ الخطيب البغدادي : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة ٦٣ ــ ٦٥ ، تبيين كذب المفتري : ٢٦٨ ، الاسنوي ١: ٢٠١، ابن قاضي شهبة : ١٠٦؛ وللأستاذ يوسف العش كتاب عنه بعنوان « الخطيب البغدادي، مؤرخ بغداد ومحدثها » (دمشق ١٩٤٥) .

٣٦ ــ أبو عبيد الهروي : معجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٨ ، الاسنوي ٢ : ٥١٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٣ .

٣٧ ــ الخوافي ، أحمد بن محمد : تبيين كذب المفتري : ٢٨٨ ، الاسنوي ١ : ٤٨٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٦٨ ، ابن قاضي شهبة : ١١٤ .

٣٨ ــ أبو الفتوح أحمد الغزالي : الاسنوي ٢ : ٢٤٥، لسان الميزان ١: ٢٩٣، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٤ ، وله ترجمة مفصلة في تاريخ اربل ، وتقع في أول القطعة المتبقية من هذا التاريخ .

٣٩ ــ ابن برهان الشافعي : البداية والنهاية ١٢ : ١٩٦ ، الاسنوي ١ : ٢٠٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٥ ، الحسيني : ٧٤ ، وقد ذكر السبكي في ترجمته أن وفاته كانت سنة ٥١٨ ، وأن مولده في شوال سنة ٤٧٩ .

٤٤ ــ الحافظ السلفي : الاسنوي ٢ : ٥٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٤١، مختصر ذيل ابن السمعاني ، الورقة : ٩٩ ، وانظر مقدمتي على كتاب «أخبار وتراجم أندلسية» (بيروت ١٩٦٣) .

٤٥ ــ شرف الدين أحمد بن منعة : ابن قاضي شهبة : ١٦٩ ، مرآة الجنان ٤ : ٥٠ .

٤٧ ــ أبو العلاء المعري : ابن العديم ١ : ١٩٥ ، وقد أورد رواية السلفي التي ذكرت على الصفحة نفسها (١ : ١٩٨) .

٤٨ ــ أبو عامر ابن شهيد : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦٣٥ .

٥٠ ــ أبو الطيب المتنبي : ابن العديم ١ : ٢٦ وهي من أجود التّرجمات التي قرأتها للمتنبي ، ومما جاء فيها (الورقة ٢٦) : وكان نزوله بحلب في محلتنا المعروفة

بآدر بني كسرى ، قال لي والدي : وكانت داره داراً هي الآن خانكاه سعد الدين كمشتكين ، ملاصقة لداري . وورد أيضاً فيها (الورقة : ٢٧) قال الربعي ، قال لي المتنبي : كنت أحب البطالة وصحبة البادية ، وكان يذم أهل الكوفة لأنهم يضيقون على أنفسهم في كل شيء ، حتى في الأسماء ، فيتداعون بالألقاب ، ولما لقبت بالمتنبي ثقل ذلك عليّ زماناً ثم ألفته . وفي الورقة : ٧٣ وذكر ابن الصابي في كتاب الوزراء أن ابن العميد كان يجلس المتنبي في دسته ويقعد بين يديه فيقرأ عليه الجمهرة لابن دريد ، لأن المتنبي كان يحفظها عن ظهر قلب . قلت : وهي ترجمة نفيسة جداً ، وعلى ضوئها يمكن أن يعاد النظر في ما كتب عن المتنبي .

٥١ — أبو العباس النامي : ابن العديم ٢ : ٣٤ ، ومما جاء هنالك : كان بكيء الخاطر شديد القول ، إذا أراد أن يعمل شعراً خلا خلوة طويلة أياماً وليالي ، فان نطقت في داره جارية أو غلام كاد أن يقتله وانقطع خاطره ، وإذا أراد أن يعمل قصيدة جمع جميع ما للعرب والمحدثين من الشعر على وزن تلك القصيدة ، وجعله حواليه ، ونظر فيه ، حتى يقدح به خاطره ويتحلب (ويجتلب) معانيه ؛ اهـ . ثم أورد نوادر تتصل بهذه الحالة لديه .

٥٤ — أبو الرقعمق : ابن العديم ٢ : ٥١ .

٥٦ — ابن دراج القسطلي : مرآة الجنان ٣ : ٣٨ .

٥٩ — أبو نصر المنازي : ابن العديم ٢ : ١٥٤ ، وقد أورد ابن العديم رواية اجتماعه بالمعري ١ : ٢٠٩ وناقشها وناقش ما كان على مثالها ، واستبعد أن تصدر عن المعري .

٦٠ — ابن الخياط الدمشقي : ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٠ .

٦١ — أبو الفضل الميداني : مرآة الجنان ٣ : ٢٢٣ .

٦٢ — ابن الخازن الكاتب : مرآة الجنان ٣ : ٢٢٢ .

٦٣ — ناصح الدين الارجاني : ذيل مرآة الزمان ١ : ٢٤٠ ، الاسنوي ١ : ١١٠ ، المنتظم ١٠ : ١٣٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٢٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨١ .

٦٤ — ابن منير الطرابلسي : ابن العديم ٢ : ٧٥ .

٦٥ — القاضي الرشيد ابن الزبير : الاسنوي ١ : ١١٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٦٧ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٣ ، بغية الوعاة : ١٤٦ .

٦٦ — أبو العباس أحمد القطرسي : ابن العديم ١ : ٢٣٤ ، ابن الشعار ١ : ١٥٠ ، وأورد نصّ العماد في الخريدة : « النفيس بن القطرسي شاب مصري فقيه في المدرسة

المالكية بمصر . له خاطر حسن ، ودراية ولسن ، ويدٌ في علوم الأوائل قوية ، وروية من منابع الأدب ومشارعه روية» . وقد أورد ابن الشعار وابن العديم بيتيه «يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه » وبيتيه «يسر بالعيد أقوام لهم سعة » .

٦٧ — أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد : التاج (سبت) نقلاً عن خط ابن خلكان ، وذكر أن وفاته كانت سنة ٢٨٣ .

٦٩ — ابن الحطيئة اللخمي : إنباه الرواة ١ : ٣٩، وحسن المحاضرة ١ : ١٩٢ .

٧٠ — الشيخ أحمد الرفاعي : الاسنوي ١ : ٥٨٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣١٢، النجوم الزاهرة ٦ : ٩٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٤١ .

٧١ — أحمد بن طولون : ابن العديم ١ : ١٧١ .

٧٣ — أبو نصر ابن مروان الكردي : مرآة الجنان ٣ : ٧٤ .

٧٥ — عماد الدين ابن المشطوب : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٢٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٣ .

٧٦ — صلاح الدين الاربلي : ابن الشعار ١ : ١٧٣ ، خدم جندياً للملك المعظم ، وحاجباً بين يديه ثم أبعده مخدومه وصار إلى الأمير شهاب الدين قراطايا ، ورحل في صحبته عن اربل إلى الديار الشامية سنة ٦٠٤ ؛ وابن العديم ١ : ١٦٦ كان صائغاً باربل ، واتصل بخدمة الملك المغيث بن الملك العادل حين كان باربل ، وكان يغني له ، وخدمه وصار حاجباً له ، ووصل معه إلى مصر ، فلما توفي اتصل بالملك الكامل فنفق عليه وتقدم عنده .

٨١ — أرسلان البساسيري : ابن العديم ٢ : ١٩٦ .

٨٢ — نور الدين صاحب الموصل : ابن العديم ٢ : ١٩٦ ، مرآة الجنان ٤ : ١٣ .

٨٤ — أسامة بن منقذ : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ١٥٢ . تكملة المنذري ١ : ١٥٨ ، ابن العديم ٢ : ٢٠٥ ، مرآة الجنان ٤ : ١٤ ، الدارس ١ : ٣٨٤ .

٨٥ — اسحاق بن راهويه : ابن العديم ٢ : ٢٢٠ .

٨٧ — اسحاق النديم الموصلي : ابن العديم ٢ : ٢٣٨ .

٨٩ — أسعد الميهني : معجم البلدان (ميهنة)، عبر الذهبي ٤ : ٧١ ، الاسنوي ٢ : ٤٢٤ ابن قاضي شهبة : ١٣٠ .

٩١ — الأسعد ابن مماتي : ابن العديم ٣ : ٢٨ ، مرآة الجنان ٤ : ١٣ ، ابن الشعار ١ : ٤٩ وقال فيه : أصله من نصارى أسيوط ، بليد بصعيد مصر . وهو من أهل بيت عريق في الكتابة يتوارثونه ، وكان جده أبو المليح مماتي كاتباً لبدر الجمالي ، وهو كالمستولي على الديار المصرية ، ليس على يده يد . وترجم له الصفدي في الوافي

ج ٩ (رقم ٣٦٨٤) وذكر من تصانيفه : تلقين اليقين في الفقه ، وكتاب سرّ الشعر ، وكتاب علم النثر ، وكتاب الشيء بالشيء يذكر ، وعرضه على القاضي فسماه «سلاسل الذهب» وذكر له مؤلفات أخرى .

٩٢ — البهاء السنجاري : السبكي ٥ : ٥٠ ، الاسنوي ٢ : ٦٦، الوافي (ج ٩) نقلاً عن ابن خلكان . وابن الشعار ١ : ٥٠٧ قال : وكنيته أبو المعالي ، تفقه ببغداد على أبي القاسم ابن فضلان والمجير أبي القاسم البغداديين ، وبالموصل على القاضي تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الجهني ثم على الشيخ القاضي أبي سعد ابن أبي عصرون ، والقاضي أبي الرضى سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصلي ، وولي القضاء بدنيسر سنين ، وبغيرها من البلاد ، اشتهر شعره وغنى به المغنون ، كان شيخاً ظريفاً مفاكهاً متنادراً ، استوزره صاحب حماة وميزه على نظرائه، وكان ينفذه إلى البلاد رسولاً . ذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل ، إذ قدم اربل عدة مرات آخرها سنة ٦٠٤ . قلت : وأبياته التي أولها «وهواك ما خطر السلو بباله» وردت في ابن الشعار : ٥٠٩ وكذلك قوله (ص : ٢١٦) «بنفسي حبيب جار» ، وأكثر مقطعاته وردت في الصفدي أيضاً . ذكر ابن الشعار أن وفاته كانت سنة أربع وعشرين وستمائة (وهذا يخالف ما ذكره المؤلف ص : ٢١٧) .

٩٣ — أبو ابراهيم المزني : طبقات الشيرازي : ٧٩، طبقات العبادي : ٩، الفهرست : ٢٩٨ ، اللباب (المزني)، الاسنوي ١ : ٣٤ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٣٩ ، الشذرات ٢ : ١٤٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٨٥، ابن قاضي شهبة : ٤٢ ، الحسيبي : ٥ .

٩٤ — أبو العتاهية : ابن العديم ٣ : ١٤٥ .

٩٦ — الصاحب ابن عباد : انباء الأمراء : ٣٢ .

٩٩ — الظافر العبيدي : مرآة الجنان ٣ : ٢٩٥ .

١٠٢ — قسيم الدولة آق سنقر : ابن العديم ٣ : ٢٦٨ .

١٠٣ — آق سنقر البرسقي : ابن العديم ٣ : ٢٧٥ .

١٠٤ — أبو الصلت الأندلسي : مرآة الجنان ٣ : ٢٥٣ .

١٠٧ — نجم الدين أيوب : الدارس ٢ : ١٧٤ .

١٢٦ — تميم بن المعز : مرآة الجنان ٣ : ١٦٩ .

١٢٨ — ثابت بن قرة : المنتخب من صوان الحكمة : ١٤٠ .

١٣٢ — جعفر البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ ، وبعض حكايات عنه : ٤٦ .

١٣٥ ــ أبو محمد ابن السراج : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ١٦٦ ، المنتظم ٩ : ١٥١ ، عبر الذهبي ٣ : ٣٥٥ ، الاسنوي ٢ : ٤٥ ، مرآة الجنان ٣ : ١٦٢ النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٤ .

١٤٤ ــ الجنيد الصوفي : الرسالة القشيرية ١ : ١٠٥ ، المنتظم ٦ : ١٠٥ ، الاسنوي ١ : ٣٣٤ ، البداية والنهاية ١١ : ١١٣ ، عبر الذهبي ٢ : ١١٠ النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٧ ، ابن قاضي شهبة : ٤٧ ، الحسيبي : ١٠ .

١٤٩ ــ الحجاج بن يوسف : ابن العديم ٤ : ٣ ــ ٤٣ .

١٥٢ ــ الحارث المحاسبي : الرسالة القشيرية ١ : ٧٢ ، اللباب (القشيري) ، طبقات العبادي : ٢٧ ، عبر الذهبي ١ : ٤٤٠ ، الاسنوي ١ : ٢٦ ، البداية والنهاية ١٠ : ٧٣ ، الشذرات ٢ : ١٠٢ ؛ وللأستاذ يوسف فان إس دراسة عنه بالألمانية (بون : ١٩٦١) .

١٥٤ ــ حرملة بن يحيى التجيبي : طبقات العبادي : ١٧ ، الانتقاء : ١٠٩ ، الاسنوي ١ : ٢٨ مرآة الجنان ٢ : ١٤٣ ، تذكرة الحفاظ : ٤٨٦ ، ابن قاضي شهبة : ٤٣ ، الحسيبي : ٥ .

١٥٧ ــ أبو علي الزعفراني : طبقات الحنابلة ١ : ١٣٨ ، طبقات العبادي : ٢٣ ، اللباب (الزعفراني) ، مرآة الجنان ٢ : ١٧١ ، الشذرات ٢ : ١٤٠ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٣ ، ابن قاضي شهبة : ٤٣ ، الحسيبي : ٧ .

١٥٨ ــ أبو سعيد الاصطخري : تاريخ بغداد ٧ : ٢٦٨ ، طبقات العبادي : ٦٦ ، اللباب (الاصطخري) ، البداية والنهاية ١١ : ١٩٣ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٩٠ ، ابن قاضي شهبة : ٥٧ .

١٥٩ ــ أبو علي ابن أبي هريرة : طبقات العبادي : ٧٧ ، الاسنوي ٢ : ٥١٨ ، عبر الذهبي ٢ : ٢٦٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٠٤ ، طبقات الشيرازي : ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦٧ ، ابن قاضي شهبة : ٦٤ ، الحسيبي : ٢١ .

١٦٠ ــ أبو علي الطبري : طبقات العبادي : ٨٤ ، المنتظم ٧ : ٥ ، عبر الذهبي ٢ : ٢٨٦ . الاسنوي ٢ : ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٣٢٨ .

١٦١ ــ أبو علي الفارقي : الاسنوي ٢ : ٢٥٦ .

١٦٢ ــ السيرافي : ابن العديم ٤ : ٢٦٦ .

١٦٣ ــ أبو علي الفارسي : ابن العديم ٤ : ١٤٥ .

١٦٥ ــ ابن رشيق القيرواني : مرآة الجنان ٣ : ٧٨ .

١٦٨ ــ الحسن بن صافي ملك النحاة : ابن العديم ٤ : ٢٢٩ ، الاسنوي ٢ : ٤٩٦ ،

ابن قاضي شهبة : ١٤٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٨٦ ، عبر الذهبي ٤ : ٢٠٤ ، الشذرات ٤ : ٢٢٧ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨ .

١٧١ — ابن وكيع التنيسي : ابن العديم ٤ : ٢٨٣ قال : بعضهم سماه الحسن بن محمد بن وكيع ، وبعضهم سماه علي بن الحسن بن وكيع وكناه أبا الحسن ، ووقع إليّ نسخة من شعره صحيحة ابتدأ في أول الديوان : قال قال أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن وكيع ، وختمه بقوله : آخر شعر أبي محمد الحسن بن علي بن وكيع ، قدم حلب ومدح بها سيف الدولة ... الخ . وفي تاريخ وفاته قال : قرأت في تاريخ مختار الملك المسبحي في حوادث ٣٩٣ ، وفيه — يعني شهر ربيع الأول — توفي أبو محمد ابن وكيع يوم الثلاثاء لسبع بقين منه ؛ قلت : وهو مخالف لما أورده ابن خلكان .

١٧٣ — أبو الجوائز الواسطي : الفوات ١ : ٢٥٣ وقد وردت فيه الترجمة وكأنها ملخصة عن وفيات الأعيان .

١٧٤ — العلم الشاتاني : ابن العديم ٤ : ٢٠٠ ، الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٦١ ، تلخيص مجمع الآداب ١ : ٥٧٥ ، الاسنوي ٢ : ١١١ .

١٧٦ — ركن الدولة ابن بويه : مرآة الجنان ٣ : ٩٣ .

١٧٧ — الحسن بن سهل : ابن العديم ٤ : ٢٢٢ ، انباء الأمراء : ٣٠ .

١٧٨ — الوزير المهلبي : انباء الأمراء : ٣٢ .

١٧٩ — نظام الملك : ابن العديم ٤ : ٢٨٦ ، ابن ماكولا : (بزرك) ، مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ١٨٨ ، مرآة الجنان ٣ : ١٣٥ ؛ وقد أورد ابن العديم البيتين « بعد الثمانين ليس قوة » نقلاً عن زينة الدهر للحظيري ، وأورد أيضاً البيتين في رثائه (٤ : ٣٠١) .

١٨١ — الكرابيسي صاحب الشافعي : الانتقاء : ١٠٦ ، طبقات العبادي : ٢٣ ، الاسنوي ١ : ٢٩ ، عبر الذهبي ١ : ٤٥٠ ، الشذرات ٢ : ٣٥٠ ، ابن قاضي شهبة : ٤٣ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٩ ، الحسيبي : ٦ .

١٨٢ — ابن خيران : طبقات العبادي : ٦٧ ، الاسنوي ١ : ٤٦٣ ، عبر الذهبي ٢ : ١٨٤ النجوم الزاهرة ٣ : ٣٣٥ ، ابن قاضي شهبة : ٥٢ الحسيبي : ١٥ .

١٨٣ — القاضي حسين المروروذي : طبقات العبادي : ١١٢ ، الاسنوي ١ : ٤٠٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٧ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٤٩ ، الشذرات ٣ : ٣١٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٨٥ ، الحسيبي : ٥٧ .

١٨٤ — أبو علي السنجي: معجم البلدان (سنج) اللباب (السنجي)، الاسنوي ٢: ٢٠.

١٨٥ — الفرّاء البغوي : تذكرة الحفاظ : ١٢٥٧ ، الاسنوي ١ : ٢٠٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٢١٣ ، الشذرات ٤ : ٤٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٣ ، طبقات المفسرين : ١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٢٣ ، الحسيبي : ٧٤ .

١٨٦ — أبو عبد الله الحليمي : طبقات العبادي : ١٠٥ ، المنتظم ٧ : ٢٦٤ ، الاسنوي ١ : ٤٠٤، تذكرة الحفاظ :١٠٣٠، عبر الذهبي ٣: ٨٤ ، الشذرات ٣: ١٦٧، البداية والنهاية ١١ : ٣٤٩ ، ابن قاضي شهبة : ٨١ ، الحسيبي : ٤٠ .

١٨٧ — الونّي الحاسب : المنتظم ٨ : ١٩٧ ، معجم البلدان (ونّ)، الاسنوي ٢ : ٥٤٣ عبر الذهبي ٣ : ٢٢٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٠ .

١٩٠ — ابن سينا : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٥٢ ، انباء الأمراء : ٤٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٧ .

١٩٣ — الوزير المغربي : مرآة الجنان ٣ : ٣٢ ، ابن العديم ٥ : ١٤ — ٣٠ ، وقد ذكر ابن العديم رسالة له تبين أن الاوارجي خال أبيه ، وأورد كذلك نصّ ما قاله أبوه فيه (ولد سلمه الله ... الخ) .

١٩٤ — ابن خالويه : غاية النهاية ١ : ٢٣٧ ، الاسنوي ١ : ٤٧٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٩ .

١٩٥ — أبو علي الجياني : مرآة الجنان ٣ : ٤٦ .

١٩٦ — البارع الدباس : ابن العديم ٥ : ١٦١ وقد ورد فيه المنقول عن زينة الدهر (في ص ١٨٣) وتاريخ القصيدة ٤٧٣ ، وهي طويلة بأكثر مما ورد في الوفيات .

١٩٧ — الطغرائي : ابن العديم ٥ : ١١١ ، إنباء الأمراء : ٣٤ .

٢٠٣ — الحكم بن عبدل : معجم الأدباء ١٠ : ٢٢٨ .

٢٠٧ — أبو سليمان الخطابي : طبقات العبادي : ٩٤ ، الاسنوي ١ : ٤٦٧، ابن قاضي شهبة : ٧٤ (تحت اسم : أحمد) ، البداية والنهاية ١١ : ٢٣٦ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٩ .

٢٠٩ — حنين بن اسحاق : ابن العديم ٥ : ٣١٨ .

٢١٢ — خالد بن يزيد بن معاوية : ابن العديم ٦ : ١١١ .

٢١٣ — خالد بن عبد الله القسري : ابن العديم ٦ : ٣٤ ، وقد أورد الحكاية المثبتة عن الأصمعي (ص : ٢٢٧) ، ووردت فيه الأبيات اللامية (ص ٢٣٠) .

٢١٤ — خالد المهلبي : الفوات ١ : ٢٩٦ .

٢١٥ — خالد التميمي : ابن العديم ٦ : ١٢١ .

٢١٦ — الخضر بن عقيل الاربلي : الاسنوي ١ : ١١٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٣ ، الشذرات ٥ : ٨٦ .

٢٢١ — خمارويه بن طولون : ابن العديم ٧ : ١١ (والترجمة ناقصة من أولها) .

٢٢٣ — داود الظاهري : ابن قاضي شهبة : ٤٧ .

٢٢٤ — الملك الزاهر : ابن العديم ٦ : ٣٠١ .

٢٢٦ — دبيس بن صدقة : ابن العديم ٦ : ٣٠٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٥٦ ، وقد أورد ابن العديم النص المنقول عن ابن المستوفي (ص ٢٦٤) نقلاً عن وشاح الدمية (انظر ٦ : ٣١٤) .

٢٢٧ — دعبل الخزاعي : ابن العديم ٦ : ٣١٨ .

٢٣٠ — ذو القرنين ابن حمدان : مرآة الجنان ٣ : ٥١ .

٢٣٣ — الربيع بن سليمان المرادي : طبقات العبادي : ١٢ ، الاسنوي ١ : ٣٩ ، ابن قاضي شهبة : ٤٤، عبر الذهبي ٢ : ٤٥ ، الشذرات ٢ : ١٥٩ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٨ ، الحسيني : ٦ .

٢٣٤ — الربيع بن سليمان الجيزي : طبقات العبادي : ١٦ ، اللباب (الجيزي) ، الاسنوي ١ : ٣٠، ابن قاضي شهبة :٤٢ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٥ ، الشذرات ٢ : ١٠٩، الحسيني : ٦ .

٢٣٥ — الربيع بن يونس : ابن العديم ٧ : ٤٨ وقال : كان يونس بن محمد شارياً شاطراً بالمدينة ، فعلق أمة لقوم بالمدينة غلبها على نفسها فجاءت بالربيع ؛ وأورد القصة التي أولها « قال له يوماً يا ربيع : سل حاجتك » (ص ٢٩٤) والقصة التي أولها « وكان أبو جعفر إذا أراد بانسان خيراً ... » الخ (ص ٢٩٥) .

٢٣٧ — رجاء بن حيوة : ابن العديم ٧ : ٦٠ .

٢٣٩ — روح بن حاتم : ابن العديم ٧ : ١٢٧ .

٢٤٠ — الزبير بن بكار : ابن العديم ٧ : ١٤٣ .

٢٤١ — أبو عبد الله الزبيري : طبقات الشيرازي : ١٠٨ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤٧١ ، الاسنوي ١ : ٦٠٦ ، غاية النهاية ١ : ٢٩٢ .

٢٤٥ — عماد الدين زنكي : ابن العديم ٧ : ٢٠٦ ، الدارس ١ : ٦١٦ .

٢٤٦ — عماد الدين صاحب سنجار : ابن العديم ٧ : ٢١٦ .

٢٤٧ — بهاء الدين زهير : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٨٧ — ١٩٧، مرآة الجنان ٤ : ١٣٨،

ابن العديم ٨: ١٢ وفي نسبه «المكي»، غير أن «العتكي» ثابتة بخط المؤلف ابن خلكان، وسياق النصّ يدل على أنه عاش فترة في مكة ؛ وأورد ابن العديم قصة المراسلة بينه وبين ابن مطروح (ص : ٣٣٦) .

٢٤٩ — التاج الكندي : ابن العديم ٨ : ٩٢ ، الدارس ١ : ٤٨٣ .

٢٥١ — زينب بنت الشعري : مرآة الجنان ٤ : ٣١ .

٢٥٢ — سالم بن عبد الله بن عمر : ابن العديم ٨ : ١٦٧ .

٢٥٦ — سري السقطي : ابن العديم ٨ : ٢٣٢ .

٢٥٧ — السري الرفاء : الفهرست : ١٦٩ ، ابن العديم ٨ : ٢٢٧ وأورد ابن العديم بيتيه «وكانت الابرة فيما مضى ... » .

٢٥٨ — حيص بيص : الاسنوي ١ : ٤٤٣ ، عبر الذهبي ٤ : ٢١٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٨٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٠١ ، ابن العديم ٨ : ٢٧١ وأورد أبياته : لا تضع من عظيم قدر ... ، وأبياته : ملكنا فكان العفو ...

٢٥٩ — أبو المعالي الحظيري : ابن العديم ٨ : ٢٦٤ ، وقال : قرأ الأدب على ابن الشجري والجواليقي وأبي محمد ابن الخشاب، وصحب العبادي الواعظ وكتب عنه شيئاً من محاسن كلامه في الوعظ، واختار منها ما استحسنه وسمّاه «النور البادي من كلام العبادي» وصحب الشيخ محمد الفارقي الزاهد وجمع محاسن كلامه وسماه «الكلم الفارقية في الكلم الالاهية» ؛ تفقه على مذهب أبي حنيفة ثم انه خرج من بغداد على قدم الزهد والانقطاع والسياحة ، فقدم حلب والعواصم واجتمع بأبي نصر ابن القيسراني وسمع منه ببالس شيئاً من شعره ، وله ديوان شعر لطيف النظم صغير الحجم ، وله كتاب «حاطب ليل» ضمنه فوائد ونوادر . ثم قصّ ابن العديم كيف زار أبا المعالي الحظيري مجاهد الدين قايماز لما حج وأودع عنده ذهباً ثمن كتب فسرقه ابن امرأته ، ثم استرده منه وقد نقص ١٥ ديناراً ؛ وحكى كيف وقف قايماز على باب دكانه ببغداد يسأل عنه ، فلما دلّ عليه قال : «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وكان الشيخ الحظيري قصيراً طويل اللحية على آذانه شعر ، ونزل إليه قايماز وتحدث معه فعظم في عينه ، ولما عاد من الحج سأله أن يذكر له شيئاً من الألغاز فصنف له كتاب الألغاز ؛ وكان دكانه مجمعاً لأهل العلم .

٢٦٥ — ابن الدهان النحوي : الاسنوي ١ : ٥٣٧ .

٢٦٩ — سليم الرازي : تبيين كذب المفتري : ٢٦٢ ، عبر الذهبي ٣ : ٢١٣ ، الاسنوي

١ : ٥٦٢ ابن قاضي شهبة : ١٠٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٦٤ .

٢٧٥ — أبو الوليد الباجي : الفوات ١ : ٣٥٦ ، مرآة الجنان ٣: ١٠٨ .

٢٨٣ — أبو الفتح الأرغياني : الاسنوي ١ : ٦٧ ، ابن قاضي شهبة : ١١٥ .

٢٨٤ — أبو الطيب الصعلوكي : تبيين كذب المفتري : ٢١١ ، الاسنوي ٢ : ١٢٦ ، طبقات العبادي : ١٠٣، ابن قاضي شهبة : ٨٣، عبر الذهبي ٣: ٨٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٤٧ .

٢٨٦ — الأفضل ابن أمير الجيوش : مرآة الجنان ٣ : ٢١١ .

٢٩٥ — شقيق البلخي : الفوات ١ : ٣٨٥ وذكر أن وفاته سنة ١٩٤ .

٣٠٥ — الأحنف بن قيس : ابن العديم ٢ : ١٦٧ .

٣٠٧ — أبو الطيب الطبري : طبقات العبادي : ١١٤ ، المنتظم ٨ : ١٩٨ ، تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٨ ، الاسنوي ٢ : ١٥٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٠ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٦٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٧٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٧٠ .

٣٠٨ — ابن بابشاذ النحوي : مرآة الجنان ٣ : ٩٨ .

٣١٠ — سيف الإسلام طغتكين : تكملة المنذري ٢ : ٩٧ .

٣١٣ — أبو الأسود الدؤلي : ابن العديم ٩ : ٨ .

٣٣١ — القفال المروزي : طبقات العبادي : ١٠٥ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٨٣ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٥ .

٣٣٢ — أبو محمد الجويني : طبقات العبادي : ١١٢ ، تبيين كذب المفتري : ١٤٣ ، دمية القصر : ١٩٦ ، المنتظم ٨ : ١٣٠ ، الاسنوي ١ : ٣٣٨ ، ابن قاضي شهبة : ٩٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٥٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٨ ، الحسيبي : ٤٨ .

٣٣٥ — ابن أبي عصرون : تكملة المنذري ١ : ٢٠٠ ، الاسنوي ٢ : ١٩٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٣ ، الدارس ١ : ٣٩٩ .

٣٣٦ — ابن أسعد الموصلي : الاسنوي ٢ : ٤٤٠ ، مرآة الجنان ٤ : ٣٥ .

٣٣٧ — ابن شأس : مرآة الجنان ٤ : ٣٥ .

٣٤٦ — ابن صارة الشنتريني : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٥٦ .

٣٤٧ — ابن السيد البطليوسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٥٠٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ .

٣٤٩ — الشيخ أبو البقاء العكبري : مرآة الجنان ٤ : ٣٢ .

٣٥٣ — ابن بري : السبكي ٤ : ٢٣٣ ، تكملة المنذري ١ : ٧٣ ، الاسنوي ١ : ٢٦٧ ، الدارس ١ : ١٨٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٩ (وانظر حاشية انباه الرواة) .

٣٦٤ — أبو القاسم الفوراني : الاسنوي ٢ : ٢٥٥ ، اللباب (الفوراني) ، ابن قاضي شهبة : ١٠٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٨٤ .

٣٦٥ — أبو سعد المتولي : الاسنوي ١ : ٣٠٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٩ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢٢ ، الحسيبي : ٦٢ .

٣٦٦ — فخر الدين ابن عساكر : ابن قاضي شهبة : ١٦١ .

٣٧٠ — أبو الفرج ابن الجوزي : تكملة المنذري ٢ : ٢٩١ .

٣٧٤ — القاضي الفاضل : تكملة المنذري ٢ : ٢٠٩ ، ذيل الروضتين : ١٧ ، الجامع المختصر : ٢٨ ، الاسنوي ٢ : ٢٨٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٠ ، الدارس ١ : ٨٩ .

٣٧٨ — إمام الحرمين الجويني : دمية القصر : ١٩٦ ، العقد الثمين ٥ : ٥٠٧ ، الاسنوي ١ : ٤٠٩ ، الأنساب واللباب (الجويني) ، ابن قاضي شهبة : ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٢١ البداية والنهاية ١٢ : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢٣ ، الحسيبي : ٦١ .

٣٨١ — أبو منصور الثعالبي : مرآة الجنان ٣ : ٥٣ .

٣٨٥ — أبو القاسم الداركي : الاسنوي ١ : ٥٠٨ ، ابن قاضي شهبة : ٦٩ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٠٤ .

٣٩٠ — أبو المحاسن الروياني : الاسنوي ١ : ٥٦٥ ، المنتظم ٩ : ١٦٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٤ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٧٠ ، مرآة الجنان ٣ : ١٧١ .

٣٩٢ — أبو منصور البغدادي : الاسنوي ١ : ١٩٤ ، ابن قاضي شهبة : ٩٤ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٢ ، الحسيبي : ٤٧ .

٣٩٣ — أبو النجيب السهروردي : ابن قاضي شهبة : ١٤٣ .

٣٩٤ — أبو القاسم القشيري : الاسنوي ٢ : ٣١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١١١ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٠٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٩١ .

٣٩٥ — ابن السمعاني : المنتظم ١٠ : ٢٢٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٣ ، الاسنوي ٢ : ٥٥ .

٣٩٩ — ابن الصباغ : الاسنوي ٢ : ١٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١١٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٢٦ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١١٩ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢١ .

٤٥٦ — أبو الحسن علي بن محمد السخاوي : الاسنوي ٢ : ٦٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٨٨ ، مرآة الجنان ٤ : ١١٠ وابن الشعار ٥ : ١٩ وقال في ترجمته : قرأ في بلده على أبي اسحاق ابراهيم بن جبارة السخاوي ، وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وسمع على أبي اليمن كتاب سيبويه والايضاح واللمع وديوان المتنبي وشرحه وقرأ عليه أكثر مسموعاته ، وحج سنة ٥٩٨ ، ومن مصنفاته فتح الوحيد في شرح القصيد ، وهي قصيدة الشاطبي ، والوسيلة إلى كشف العقيلة شرح قصيدة الشاطبي في رسم المصحف ، وكتاب المفضل في شرح المفصل ، وكتاب جمال القراء وكمال الاقراء ، وكتاب تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي ، وكتاب تحفة الناسك في معرفة المناسك ، وكتاب سفر السعادة وسفر الافادة ، وكتاب ذات الحلل ومهاة الكلل فيما اتفق لفظه واختلف معناه .

٤٥٧ — ابن البواب الكاتب : مرآة الجنان ٣ : ٤٢ .

٤٥٩ — علي الهروي السائح : مرآة الجنان ٤ : ٢٢ ، وتاريخ اربل : ١٢٨ وأورد كل ما كتب على مقبرته التي أنشأها لنفسه : وابن الشعار ٥ : ٣٦ وقال في ترجمته : كان والده من أهل هراة خرّاطاً ، ويعرف بابن الخراط ، ومن مصنفاته : العجائب والآثار ، قال : ورأيت له خطباً من إنشائه وكلاماً منثوراً وشعراً ، وكانت ولادته سنة ٥٤٢ ، وقبره ظاهر المدينة قبليّها على الجادة الآخذة إلى دمشق ببئر نسبت إلى ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان صوفياً له معرفة بالسيميا والتخيلات ، وكانت له بحلب وجاهة ومنزلة عند صاحبها الملك الظاهر غياث الدين ؛ ثم أورد له مقطعات شعرية .

٤٦٠ — عز الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٣ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٠ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٣٩ ، تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة : ١٥٩ .

٤٧٠ — أبو الفتح البستي : الاسنوي ١ : ٢٢١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٧٨ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٠٦ .

٤٧١ — أبو الحسن التهامي : مرآة الجنان ٣ : ٢٩ .

٤٧٥ — أبو الحسن الباخرزي : معجم الأدباء ١٣ : ٣٣ ، الاسنوي ١ : ٢٣٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٩٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٩٩ .

٤٧٨ — ابن الساعاتي : الغصون اليانعة : ١١٨ وقال ان له ترجمة في تاريخ حلب وفي تاج المعاجم ، وقال : لم ينشأ بدمشق في زمانه أبرع منه صورة ، وبرع في صباه

خطاً وشعراً ولعباً بالشطرنج والنرد وفي الفروسية ، ومن المشهور أنه قرأ في أول أمره على البديع الاصطرلابي بآمد؛ وترجم له ابن‌الشعار (٤:٢٩٢) وسماه علي بن محمد بن رستم ، وذكر أنه ولد سنة ٥٤٤ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤ .

٤٧٩ — أبو الفضائل الآمدي : الاسنوي ٢ : ٥٤٩ .

٤٨٤ — علي بن محمد الصليحي : مرآة الجنان ٣ : ١٠٣ .

٤٨٥ — العادل ابن السلار : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٨ .

٤٨٦ — الملك الأفضل ابن صلاح الدين : مرآة الجنان ٤ : ٥٢ ، وابن الشعار ٤ : ٤٧٦ وأورد له شعراً كثيراً ، وذكر أن وفاته كانت في الخامس والعشرين من صفر سنة ٦٢٢ .

٤٨٩ — عمارة اليمني : الاسنوي ٢ : ٥٦٥ .

٤٩٥ — ابن البزري : الاسنوي ١ : ٢٥٧ .

٤٩٦ — شهاب الدين السهروردي : تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة : ١١٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٤ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٩ ، تاريخ اربل : ١٧٤ وقال في كنيته : أبو نصر وقيل أبو عبدالله وقيل أبو حفص ، وله كتاب حلية الناسك؛ وترجم له ابن الشعار ٥ : ٣١٢ وقال : قدم بغداد شاباً بعد وفاة أبي الوقت السجزي فسمع بها من جماعة منهم أبو المظفر ابن الشبلي وأبو الفتح ابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي ، تولى ببغداد عدة ربط للصوفية ، وأنفذ للديوان العزيز رسولاً إلى عدة جهات ، ومن مؤلفاته بغية البيان في تفسير القرآن ، وكتاب رشف النصائح الايمانية وكشف الفضائح اليونانية (منه نسخة بمكتبة برلين : 2078 Spr. 769) صنفه رداً على أصحاب البدع والحكماء والمنجمين؛ قلت : وأورد ابن الشعار وابن المستوفي أبياته التي أولها «تصرمت وحشة الليالي ... ».

٤٩٧ — أبو الخطاب ابن دحية : تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة : ١٠٩ ، ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٢١ ، مرآة الجنان ٤ : ٨٤ ، ابن الشعار ٥ : ٣١٥ وفي نسبه ملال بن أحمد ابن بدر ؛ وتحدث عن كتابة التنوير فقال : وهذا كتاب التنوير كنت أحد من سمعه على الملك المعظم مظفر الدين نوّر الله ضريحه في جمادى الآخرة سنة ٦٢٥ برباط الصوفية المعروف برباط المناظرة قريباً من القلعة المنصورة ؛ وأورد قصيدته « لولا الوشاة وهم ... » التي وجدها ابن خلكان في ديوان ابن مماتي ، وذكر ابن الشعار أن ابن‌دحية ولد باغمات ونشأ بسبتة وولي القضاء ببر الأندلس بمدينة دانية ؛ قال (٥ : ٣٢١) وأخبرني أبو الروح الحميري الأندلسي قال :

هذا ابن دحية ليس بصحيح النسب وأصله يهودي وكان يلقب باللوّة، وأبوه حسن كان يلقب بالزعبطور ، وهو المشوة الخلق العظيم الحلقة بلغة الأندلس المقطع السرموزا وتكون ثيابه مقطعة وسخة ، ابن عليّ ويلقب بالقنوط لفراغه وقلة عقله يريد القصبة الفارغة ، ابن يوسف و لقبه الجميل تصغير الجمل بلغة العامة .

٤٩٨ — أبو علي الشلوبيني : مرآة الجنان ٤ : ١١٣ .

٤٩٩ — ابن طبرزذ : تاريخ اربل : ١٣٧ ، تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة : ١١٦ .

٥٠٠ — ابن الفارض : مرآة الجنان ٤ : ٧٥ .

٥٠١ — تقي الدين صاحب حماة : تكملة المنذري ١ : ٢٩٢ ، الدارس ١ : ٢١٦ .

٥١١ — القاضي عياض : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٥٥٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨٢ .

٥١٣ — أبو موسى الجزولي : مرآة الجنان ٤ : ١٩ ، ابن الشعار ٥ : ٤٦٠ وقال : قرأ على أبي المنصور ظافر بن الحسين الملكي المصري كتاباً في أصول الدين فنال عندهم حظوة وقبلوه وحسن موقعه عندهم . وقاسى مدة اقامته بمصر ضراً من الفقر والفاقة ، ولم يدخل مدرسة ، وكان يخرج إلى الضياع فيحصل ما يقوم بنفقته وهو غاية من القلة وضيق المعيشة ، ولما عاد إلى المغرب وصل إلى المرية ونال حظوة عند بني عبد المؤمن ، وتمشت أحواله واكتسب رزقاً ، وندبه الأمير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد المؤمن لكشف أحوال القضاة والولاة على البلاد ثقة بعدالته وأمانته ، فتوفي في تلك السفرة في دولة الأمير محمد بن يعقوب قبل السنة العاشرة والستمائة . ثم قال ابن الشعار : وكانت وفاته في حدود سنة خمس وستمائة بهسكورة من بلد مراكش .

٥١٥ — الملك المعظم شرف الدين عيسى : الدارس ١ : ٥٧٩ ، مرآة الجنان ٤ : ٥٧ ، ابن الشعار ٥ : ٤٧٢ وقال في ترجمته : حدثته نفسه بتملك البلاد فعاث في بعضها وسلط عليها العرب فقطعوا الطرق وأخافوا السبيل ، وذهب بسببه الأموال والأنفس فتقلدها في عنقه ولقي الله تعالى بها ، وامتدت يده في الظلم والمصادرات وظلم جماعة ووصل جوره وظلمه إلى خلق كثير ؛ وقال في شعره : ونظم شعراً كثيراً ودوّن شعره ومعظمه في الافتخار ووصف نفسه بالفروسية والاقدام والحروب والوغى .

٥١٦ — عيسى بن محمد الهكاري : تكملة المنذري ١ : ٢١٣ .

٥٢٠ — غازي بن زنكي : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٣ .

٥٢٢ – غازي ابن صلاح الدين : مرآة الجنان ٤ : ٢٧ ، الدارس ١ : ٤٣٢ ، ابن الشعار ٥ : ٤٩٨ قال : وكان موته بأمراض اجتمعت عليه ، ذوسنطاريا وحمى باطنة وحمى نوبة وعسر بول ، ثم نقل إلى المدرسة التي أنشأها مولاه ملول أبو سعيد الطاهري تحت القلعة المنصورة ، وقال أيضاً إن والده أعطاه مملكة حلب سنة ٥٨١ في جمادى الآخرة (وهو مختلف عما قاله ابن خلكان) .

٥٢٥ – الفتح بن خاقان : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦١٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٦٤ .

٥٢٦ – فتيان الشاغوري : ابن الشعار ٥ : ٥٣٣ قال : أخذ العلم بالعربية والنحو عن أبي نزار الحسن بن صافي البغدادي الملقب بملك النحاة ، وبعده على أبي اليمن الكندي ، وكان عارفاً بعلم اللغة والاعراب لبيباً عاقلاً أديباً كاملاً ذا سمت حسن وديانة ، وكان معلم الصبيان بدمشق فترك التعليم وقعد لاقراء النحو والآداب والعربية ، واستفاد منه خلق كثير ، واشتهر شعره وشاع في الأقطار واستملحا أولو العلم واستجادوه ؛ وأورد أبياته « قد أجمد الخمر كانون بكل قدح » ومعهه بيت رابع . ونقل عن ابن النجار قوله : سألت فتيان بن علي الأسدي عن ولادته فقال : ولدت في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة (راجع الوفيات ص ٢٦ س ٤) .

٥٢٧ – الفضل بن يحيى البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ .

٥٣٤ – أبو عبيد القاسم بن سلام : ابن قاضي شهبة : ٤٤ .

٥٣٥ – القاسم بن علي الحريري : الاسنوي ١ : ٤٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩١ مرآة الجنان ٣ : ٢١٣ خزانة الأدب ٣ : ٣٨ ، روضات الجنات : ٥٢٧ .

٥٣٦ – القاسم بن الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ٩٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٥٠ ، وأورد العماد في الخريدة (٢ : ٣٢٢) قسم الشام البيتين « همتي دونها السها والزباني » ونسبهما إلى ولده محمد بن القاسم .

٥٣٧ – ابن فيره الشاطبي : ذيل الروضتين : ٧ ، تكملة المنذري ١ : ٣٨٣ ، الاسنوي ٢ : ١١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٧ .

٥٣٩ – قابوس بن وشمكير : مرآة الجنان ٣ : ١٠ .

٥٤٠ – قايماز بن عبد الله الزيني : تكملة المنذري ٢ : ١٥٨ .

٥٤٣ – بهاء الدين قراقوش : تكملة المنذري ٢ : ٢٨٠ .

٥٥٢ – مجد الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٣ ، إنباء

الأمراء : ٤٥ ، مرآة الجنان ٤ : ١١ ، ابن الشعار ٦ : ٢٧ وقال في ترجمته : تولى الخزانة لسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين الاصفهاني ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز . ولما عمل لنور الدين أرسلان شاه صار واحد دولته حقيقة بحيث أن السلطان نور الدين كان يقصد منزله في مهام نفسه ، ولا يرد ولا يصدر إلا عن رأيه ويشاوره في الأمور ؛ ومن مؤلفاته الفروق في الأبنية ، وكتاب المرصع في الأذواء والذوات والآباء والأمهات (مطبوع) وكتاب المختار في مناقب الأخيار ، وكتاب منال الطالب في شرح الراغب (لديّ مصورة منه) ؛ وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبي الحسن وسماه الجواهر اللآل من إنشاء المولى الجلال ، وله رسائل عني بجمعها اسماعيل بن علي الكاتب الحظيري وترجمها بالدر المنثور . وذكر ابن الشعار أن ولادته كانت في احدى الجماديين (مخالفاً لقول ابن خلكان) وأورد بيتيه « ان زلت البغلة من تحته » .

٥٥٣ ــ المبارك بن منقذ : تكملة المنذري ١ : ٣٥٠ وأبياته الميمية (ص ١٤٦) وردت في تاريخ اربل : ٢٠٧ .

٥٥٤ ــ ابن المستوفي : مرآة الجنان ٤ : ٩٥ ، ابن الشعار ٧ : ٣٤ وقد أطنب في الثناء عليه وقال : لما ملك العسكر المستنصري مدينة اربل عنوة واستقرّ بها وذلك بعد وفاة مالكها مظفر الدين كوكبوري وتولى إمارتها الأمير أبو المكارم باتكين بن عبد الله المستنصري ندب الصاحب أبا البركات إلى خدمته وعرض عليه الوزارة وأن يكون نائبه في الأشغال الديوانية وحكمه في الأمر والنهي وألقى إليه مقاليد الأمور واعتمد عليه وقرر له جارياً سنياً يصل إليه في رأس كل شهر ، فاستعفى من ذلك وامتنع امتناعاً شديداً واحتج بأنه شيخ كبير ... ولما سلم من التتر وخرج من اربل سمع به لؤلؤ بن عبد الله البدري فانتدب إليه جمالاً وأبغالاً تحمل متاعه الذي كان تخلف معه ، فدخل الموصل ، فاستقبله الأمير المذكور بالاكرام الوافر والتبجيل والحرمة التامة ، وأنزله في دار هُيئت له برسمه ؛ ومن مؤلفاته كتاب في صناعة البديع . كتاب الممتع المزمن . كتاب الحيل . كتاب جامع الأوراق . كتاب قناعة الناظر وكفاية المحاضر فيه ملح الاشعار ومختارها . كتاب مشارق الأنوار ومطالع العذار ؛ أما كتابه في تاريخ اربل فقد سماه « نباهة البلد الخامل ومن ورد عليه من الأماثل » .

٥٥٥ ــ الوجيه ابن الدهان : الاسنوي ١ : ٥٣٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٢٤.

٥٥٦ — مجلي بن جميع : الاسنوي ١ : ٥١١ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٣٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٧ ، وكتابه « الذخائر » أورده الاسنوي بالدال المهملة ، وكتب ترجمته تحت ذلك الحرف .

٥٥٨ — محمد بن ادريس الشافعي : الاسنوي ١ : ١١ والقصيدة المنسوبة لابن دريد في مدحه (ص ١٦٨) منها في الاسنوي (١ : ٥١٧) أبيات ، وانظر ديوان ابن دريد : ٧٧ .

٥٦٩ — محمد بن اسماعيل البخاري : ابن قاضي شهبة : ٤٩ .

٥٧٠ — ابن جرير الطبري : ابن قاضي شهبة : ٥٥ .

٥٧١ — محمد بن عبد الحكم : تذكرة الحفاظ : ٥٤٦ ، غاية النهاية ٢ : ١٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٣١ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٢٦٠ ، الاسنوي ١ : ٣٦ .

٥٧٢ — أبو جعفر الترمذي : الاسنوي ١ : ٢٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٤٩ .

٥٧٣ — ابن الحداد المصري : تذكرة الحفاظ : ٨٩٩ ، الاسنوي ١ : ٣٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٦٥ .

٥٧٥ — القفال الشاشي : تبيين كذب المفتري : ١٨٢ ، ابن قاضي شهبة : ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١١١ ، الاسنوي ٢ : ٧٩ ؛ وانظر الاسنوي ١ : ٣٠٤ في الحديث عن كتاب التقريب وأهميته .

٥٧٦ — أبو الحسن الماسرجسي : الاسنوي ٢ : ٣٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ٧٧ .

٥٧٧ — أبو عبد الله الختن : الاسنوي ١ : ٤٦٥ ، ابن قاضي شهبة : ٧٦ .

٥٧٨ — أبو سهل الصعلوكي : الأنساب (الصعلوكي) ، الاسنوي ٢ : ١٢٤ ، ابن قاضي شهبة : ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٦ .

٥٧٩ — أبو الطيب ابن سلمة : ابن قاضي شهبة : ٥٥ .

٥٨٠ — أبو بكر النيسابوري : الاسنوي ٢ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٦١ .

٥٨١ — أبو زيد المروزي : تبيين كذب المفتري : ١٨٩ ، العقد الثمين ١ : ٢٩٧ ، الاسنوي ٢ : ٢٣٤ .

٥٨٢ — أبو بكر الأودني : تبيين كذب المفتري : ١٢٩ ، الاسنوي ١ : ٥٤ ، وقد جاء في نسبه بصير (بدل نصر) ونصّ على أنه بالباء الموحدة . وضبط الأودني بفتح الهمزة ، كما نقله ابن الصلاح عن الاكمال لابن ماكولا ، وعن خط ابن السمعاني في الأنساب .

٥٨٤ ـ أبو عبد الله القضاعي : عبر الذهبي ٣ : ٢٣٣ ، الاسنوي ١ : ٣١ ، ٢ : ٣١٢
مرآة الجنان ٣ : ٧٥ .

٥٨٥ ـ أبو عبد الله المسعودي : الوافي ٣ : ٣٢١ ، الاسنوي ٢ : ٣٨٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٠ .

٥٨٦ ـ أبو عاصم العبادي : الاسنوي ٢ : ١٩٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٣ ، اللباب (العبادي) ، مرآة الجنان ٣ : ٨٢ ، السبكي ٣ : ٤٢ .

٥٨٧ ـ أبو عبد الله الخضري : الاسنوي ١ : ٤٦٩ .

٥٨٨ ـ أبو حامد الغزالي : مرآة الجنان ٣ : ١٧٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٧ .

٥٨٩ ـ أبو بكر المستظهري : الاسنوي ٢ : ٨٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٩٤ .

٥٩٠ ـ أبو نصر الارغياني : الاسنوي ١ : ٦٧ ، الشذرات ٤ : ٨٩ ، وقد وهم الاسنوي فنسب البيتين (على ص ٢٢٢) له ، وهما من قديم الشعر وينسبان للمجنون .

٥٩١ ـ محمد بن يحيى النيسابوري : الاسنوي ٢ : ٥٥٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٠ ، الحسيني : ٧٧ .

٥٩٢ ـ أبو منصور البروي : مختصر ابن الدبيثي ، ١ : ١١٦ ، مرآة الزمان : ٢٩٢ البداية والنهاية ١٢ : ٢٦٩ ، الاسنوي ١ : ٢٦٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٨٢ وقال سبط ابن الجوزي : نصر مذهب الاشعري وبالغ في ذم الحنابلة ، وقال : لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية ، وكان شاباً مليح الصورة حسن العبارة فصيحاً ، فيقال إن الحنابلة دسوا عليه من سمه .

٥٩٣ ـ أبو الحسن ابن الخلّ : الاسنوي ١ : ٤٨٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٠٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٣٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٤٩ .

٥٩٤ ـ محيي الدين بن زكي الدين : تكملة المنذري ٢ : ٣٥٥ ، الاسنوي ٢ : ٩ ، الدارس ١ : ٢١٩ .

٥٩٥ ـ السديد السلماسي : الاسنوي ٢ : ٥٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٦ .

٥٩٦ ـ عمدة الدين حفدة : الاسنوي ١ : ٤٤١ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٩ .

٥٩٧ ـ نجم الدين الخبوشاني : تكملة المنذري ١ : ٢٩٦ ، الاسنوي ١ : ٤٩٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٣٣ .

٥٩٨ ـ كمال الدين الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ٩٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٥ .

٥٩٩ ـ محيي الدين الشهرزوري : تكملة المنذري ١ : ٢٤١ ، الاسنوي ٢ : ١٠١ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٦ .

٦٠٠ ـ فخر الدين الرازي : ابن قاضي شهبة : ١٦٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٧ ، ابن الشعار ٦ : ١٠٧ قال : كان جده الحسين خطيب الريّ ، وجده الحسن ولد بمكة ، وكان تاجراً ثرياً سكن الكعبة الحرام أربعين سنة ؛ كنيته أبو الفضل قرأ العلوم الأولية على مجد الدين الجيلي في أذربيجان ؛ أقام في باميان سنين كثيرة عند صاحبها بهاء الدين سام بن محمد بن الحسين بن سام وكسب من جهته أموالاً كثيرة ؛ وأورد ابن الشعار ثبتاً بمؤلفاته . وترجم له في البدر السافر ، الورقة : ١٤٠ وقال : صنف ما يزيد على مائتي مصنف ، وكان زيادة على خمسين مملوكاً يقفون على رأسه بمناطق الذهب والفضة وعليهم ثياب الوشي ، واختص بعلاء الدين خوارزمشاه صاحب خوارزم وخراسان ، وكان يجلس إلى جانبه ، ثم انفصل عنه واجتمع بشهاب الدين سام صاحب غزنة وأقام عنده ، وجرت عليه محنة عندما هجم الحشيشية على السلطان فخلصه الله تعالى ، فانصرف إلى مدينة هراة فلزم بها التدريس والعبادة . وقد أورد في البدر السافر الأبيات (نهاية إقدام العقول عقال) ، وحكايته مع ابن عنين .

٦٠١ ـ عماد الدين ابن يونس : الاسنوي ٢ : ٥٦٩، ابن قاضي شهبة : ١٦٧، مرآة الجنان ٤ : ١٦ ، البداية والنهاية ١٣ : ٦٢ .

٦٠٢ ـ معين الدين الجاجرمي : الوافي ٢ : ٨ ، الاسنوي ١ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٤ : ٢٧ .

٦٠٥ ـ أبو بكر الطرطوشي ، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢١١ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٥ .

٦٠٨ ـ أبو بكر الباقلاني : مرآة الجنان ٣ : ٦ .

٦١٠ ـ أبو بكر ابن فورك : انباه الرواة ٢ : ١١٠ ، الاسنوي ٢ : ٢٦٦ ، ابن قاضي شهبة : ٨٦ ، مرآة الجنان ٤ : ١٧ .

٦١١ ـ أبو الفتح الشهرستاني : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ١٤١ ، الاسنوي ٢ : ١٠٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨٩ ، لسان الميزان ٥ : ٢٦٣ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٠٣ ، وقد ورد البيتان « يا راحلين بمهجة » (ص: ٢٧٥) في الاسنوي ونسبهما للشهرستاني نفسه .

٦١٥ ـ الحاكم النيسابوري : الاسنوي ١ : ٤٠٥ ، ابن قاضي شهبة : ٨٧ ، مرآة الجنان ٣ : ١٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٨ ، الحسيبي : ٤١ .

٦١٦ ــ أبو عبد الله الحميدي : البدر السافر ، الورقة : ١٤٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٤٩ ، مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ٢٩ .

٦١٧ ــ أبو عبد الله المازري : مرآة الجنان ٣ : ٢٦٧ .

٦١٨ ــ أبو موسى الاصبهاني : البدر السافر ، الورقة : ١٤٤ قال : قرأ القراءات وتفقه على مذهب الشافعي على أبي عبد الله الحسن بن العباس الرستمي ، وقرأ النحو واللغة حتى تمهر فيها ، وله التصانيف المفيدة منها أسماء الصحابة ، والأمالي الكبير ، وكتاب اللطائف ، وعوالي التابعين ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، وكان متواضعاً يقرىء كلّ من أراد ؛ والمديني نسبة إلى المدينة العتيقة بشهرستان المتصلة باصبهان ، وهي مدينة جي .

٦١٩ ــ محمد بن طاهر المقدسي : مرآة الجنان ٣ : ١٩٥ ، البدر السافر ، الورقة : ١٠٨ قال : كان متقناً حادّ القريحة ، روى عنه الكبار والأئمة الحفاظ ، وله نظم جيد منه برواية السلفي :

أشارت إليّ بعنّابة   مخضبة من دم الأفئده
وقالت على العهد يا سيدي   فقلت إلى الحشر يا سيده

ووثقه غير واحد ، وقال ابن منده : ابن طاهر أحد الحفاظ ، حسن الاعتقاد جميل الطريقة صدوق عالم بالصحيح والسقيم ، وقال السلفي : سمعته يقول ، كتبت صحيح البخاري ومسلم وأبي داود سبع مرات بالوراقة ، وسنن ابن ماجه عشر مرات . وكان يمشي على الدوام في اليوم والليلة عشرين فرسخاً . وقال عنه بعضهم : كان صوفياً ملامتياً . وقال ابن ناصر : صنف ابن طاهر كتاباً في جواز النظر إلى المرد . وقال ابن عساكر : جمع الحافظ ابن طاهر أطراف الكتب وأخطأ في مواضع خطأ فاحشاً .

٦٢٢ ــ أبو عبد الله الفراوي : تبيين كذب المفتري : ٣٢٢ ، الاسنوي ٢ : ٢٧٦ ، السبكي ٤ : ٩٢ ، مرآة الزمان : ١٦٠ .

٦٢٣ ــ أبو بكر الآجري : طبقات أبي يعلى : ٣٣٢ ، الاسنوي ١ : ٧٩ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧٣ .

٦٢٤ ــ محمد بن ناصر السلامي : البدر السافر ، الورقة : ١٦٩ قال : كان والده من أولاد الأتراك ، فتوفي وابنه هذا صغير فتكفله جده وشغله بالقرآن ، وأسمعه الحديث والفقه على مذهب الشافعي ، ثم صحب الخطيب التبريزي وقرأ عليه الأدب وشرحه لديوان المتنبي ، وكان كثير الحفظ متقناً نحوياً لغوياً

أصوله في غاية الصحة والاتقان ، بصيراً بهذا الشأن، ثقة نبيلاً حسن الطريقة متديناً متعفّفاً ، وقال المنذري : توفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة .

٦٢٥ — أبو بكر الحازمي : تاريخ اربل : ٩٦، الروضتين ٢: ١٣٧ ، تكملة المنذري ١ : ١٤٥، الاسنوي ١ : ٤١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٧ ، مرآة الجنان ٣: ٤٢٩، البداية والنهاية ١٢ : ٣٣٢ ، الحسيبي : ٨٠ .

٦٢٦ — أبو بكر ابن العربي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٢٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٩ .

٦٢٧ — أبو بكر النقاش : المنتظم ٧ : ١٤ ، الاسنوي ٢ : ٤٨٣ ، لسان الميزان ٥ : ١٣٢ طبقات المفسرين : ٢٩ .

٦٣٧ — ابن دريد : الاسنوي ١ : ٥١٦ ، ابن قاضي شهبة : ٦٠ .

٦٣٩ — أبو منصور الأزهري : اللباب (الأزهري) ، عبر الذهبي ٢ : ٣٥٦ ، الاسنوي ١ : ٤٩ ، الحسيبي : ٣٠ .

٦٥١ — أبو بكر الزبيدي : المحمدون : ٢٠٧ .

٦٥٣ — الأمير المختار المسبحي : مرآة الجنان ٣ : ٣٦ .

٦٥٩ — المسعودي البندهي : معجم الأدباء ١٨ : ٢١٠ ، معجم البلدان (بنج ديه) ، تكملة المنذري ١ : ١٣٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٢٨ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٦٢٨ ، بغية الوعاة : ٦٦ ، الاسنوي ١ : ٤٣١ ، ٢ : ٤٥٨ ، البدر السافر ، الورقة : ١١١ وقال في ترجمته : وذكره المنذري في تاريخ مصر وقال : قدم مصر قديماً ، ثم قدمها ثانياً رسولاً وحدث بها وكتب عنه الحافظ السلفي أناشيد ، وكان واسع الرواية كثير الدراية ؛ وقال المنذري : نقلت من خط المسعودي ولدت ... الخ (وهو ما أورده ابن خلكان ص ٣٩٠ — ٣٩١) ، وقال ابن النجار : توفي ليلة السبت سابع عشرين الشهر ... وكان من الفضلاء في كل فن من الفقه والحديث والأدب ؛ وأورد له صاحب البدر السافر أبياته التي أولها « قالت عهدتك تبكي... ».

٦٦٠ — ابن نقطة : مرآة الجنان ٤ : ٦٨ .

٦٦١ — ابن الدبيثي : تاريخ اربل : ١٧٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٠٥ ، الاسنوي ١ : ٥٤١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٩٥ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٧ وقال ابن المستوفي في ترجمته : سمع عليه الحديث باربل وسمع من مشايخها ولم يكن قديم الرواية ، وفي ذكر بلده قال : وكانت تدعى ذو بيتا فعربت ، وكتبها في البدر السافر د بيتا — بالتاء المثناة — وكذلك وردت نسبته

« الدبيتي » . وأورد له صاحب البدر السافر أبياته التي أولها « خبرت بني الأيام طراً ... » (ص ٣٩٤) .

٦٦٧ — الشريف الرضي : مرآة الجنان ٤ : ١٨ .

٦٦٩ — ابن عمار الأندلسي : مرآة الجنان ٣ : ١٢٠ .

٦٧٠ — ابن ماجه : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٨٣ .

٦٧٢ — أبو بكر ابن زهر : مرآة الجنان ٣ : ٢٤٥ .

٦٧٣ — ابن حيوس : المحمدون : ٣٦٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١٠١ .

٦٧٤ — أبو المظفر الابيوردي : مرآة الجنان ٣ : ١٩٦ .

٦٧٥ — ابن أبي الصقر الواسطي : الاسنوي ٢ : ١٤٠ .

٦٧٦ — ابن الهبارية : مرآة الجنان ٣ : ١٩٨ ، البدر السافر ، الورقة : ١٥٦ وقال في ترجمته : والهبارية أم أحد آبائه من ولد هبار بن الأسود بن المطلب . كان فاضلا أديباً بارعاً شاعراً بليغاً عارفاً بالأنساب ونقد الشعر ، سمع الحديث من مالك ابن أحمد البانياسي وغيره ، ونشأ ببغداد وقرأ بها الأدب ، واعتذر عن مجونه في ديباجة ديوانه فقال : ان الهمم قد قصرت ، وصار الناس لا يجيزون إلا على رديء الشعر وسخيفه فسلكت ذلك فصار لي طبعاً . بالغ حتى هجا أباه وأمه وأكابر الدولة ، فأطيح دمه فاختفى ورحل إلى اصبهان فاشتهر بها ومشى حاله ، ثم عاد له طبعه فهجا الوزير نظام الملك فأهدر دمه ، فاختفى ، وشفع فيه أبو بكر ابن ثابت الجحندري ، ورحل إلى كرمان . وله من الكتب : كتاب المجدي صنفه لمجد الملك القمي ، وكتاب ردّ فيه على أبي محمد الغندجاني ، وكتاب سماه زجر النابح انتصر فيه لأبي العلاء المعري على من ردّ عليه مواضع في سقط الزند ، وكتاب ذكر الذكر وفضل الشعر ، وكتاب مجانين العقلاء ، وله أرجوزة ذمّ فيها الخوانق والمدارس . وأورد له صاحب البدر السافر بيتيه « خذ جملة البلوى... » (ص ٤٥٥) وأورد قول العماد في وفاته ، ثم ذكر تاريخاً آخر لوفاته هو سنة ٥٠٩

٦٧٧ — ابن القيسراني : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٧١ .

٦٧٨ — محمد بن ابراهيم الكيزاني : المحمدون : ١١١ ، البدر السافر ، الورقة : ٦٨ وفي نسبه « فرج » — بالجيم المنقوطة — وقال : قرأ القراءات على أبي الخير وسمع من أبي الحسن الفراء الموصلي وأبي الحسن علي بن ابراهيم البغدادي وأبي طاهر محمد بن محمد ، وروى عنه كثيرون ، وكان ينسب إلى بدعة ويقول بقدم الأعمال وبشيء من التنجيم .

٦٧٩ — الابله الشاعر : البدر السافر ، الورقة : ٨٣ وقال في ترجمته : من شعراء الديوان ببغداد ، وله حكايات في التغفل أوردها ابن النجار الحافظ ، منها أن أمه أعطته شيئاً وقالت له اجعله في الشمس واجلس عنده ، ولا تتركه تأكله العصافير ، فتركه ونزل ، وقال : تركته في موضع عال ورفعت السلم فما يصل إليه العصفور فلهذا قيل له الابله ؛ وقيل كان غاية في الذكاء فقيل أبله ، من أسماء الأضداد ؛ سئل عن مولده فقال : سنة عشرين وخمسمائة ، وأورد له البيت «لا يعرف الشوق « إلا مَن يكابده» (ص٤٦٤) والبيتين « دارك يا بدر الدجى جنة» (ص ٤٦٥) .

٦٨٠ — سبط ابن التعاويذي : تكملة المنذري ١ : ١٨٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٠٥ .

٦٨١ — ابن المعلم الشاعر : تكملة ابن المنذري ٢ : ٤٠؛ قلت: وديوانه مخطوط ، بمكتبة جامعة استانبول رقم : ٩٥٠ وهو في ٨٠ ورقة ، وبدار الكتب المصرية نسخة أخرى برقم ٩٦٠٣ أدب .

٦٨٣ — أبو شجاع الفرضي : البدر السافر ، الورقة : ١٣٢ ، انباه الرواة ٣ : ١٩١ الاسنوي ١ : ٥٣٨ ، تكملة المنذري ١ : ٣٩٧ — ٣٩٨ ، وذكر القفطي رحلته إلى مصر ثم قال : ودخل الناس إليه للأخذ ، وكنت فيمن دخل عليه فرأيته شيخاً دميم الخلقة مسنون الوجه مسترسل اللحية خفيفها ، أبيض تعلوه صفرة ... ولم ترتفع له بمصر درجة ، فانه حضر إليه جماعة من أهل العلوم التي يدعيها وحاضروه فيها فقصر فلم ينفق وهجره الناس ، فخرج من مصر بغير طائل ، وعاد إلى دمشق .

٦٨٤ — ابن عنين الشاعر : مرآة الجنان ٤ : ٧١ ، الحوادث الجامعة : ٥١ ، ابن الشعار ٦ : ٢٠٠ ونسبه فيه محمد بن نصر بن مكارم بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب ابن عنين الأنصاري ، وقد ذكر أن ابن عنين رتب ديوانه ، فابتدأ بمدائح الملوك ومن يليهم من الوزراء وغيرهم ، ثم أتى بالمراثي ثم بالأهاجي ثم ما نظمه من الوقائع التي اتفقت له ، ثم بما سنح له من الألغاز المعجزة والأجوبة عنها ، ثم ختم الديوان بما ورد في شعره من الأبيات النحوية؛ قلت: وهذا مخالف لقول ابن خلكان (ص : ١٧) ولم يكن له غرض في جمع شعره فلذلك لم يدونه .

٦٨٦ — المعتمد بن عباد : مرآة الجنان ٣ : ١٤٧ .

٦٨٨ — ابن تومرت : مرآة الجنان ٣ : ٢٣٢ .

٦٩٠ — ركن الدين طغرلبك السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ٧٦ .

٦٩٢ — محمد بن ملكشاه : مرآة الجنان ٣ : ٢٠٠ .

٦٩٣ — الملك العادل ابن أيوب : الدارس ١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٢٦٢ .
٦٩٤ — الملك الكامل الأيوبي : مرآة الجنان ٤ : ٩٠ ، الدارس ٢ : ٢٧٧ .
٦٩٧ — أبو الفضل ابن العميد : المنتخب من صوان الحكمة ، الورقة : ١٥٧ .
٦٩٨ — ابن مقلة : إنباء الأمراء : ٣١ .
٦٩٩ — ابن بقية : إنباء الأمراء : ٣١ .
٧٠٠ — فخر الملك الوزير : مرآة الجنان ٣ : ٢٠ .
٧٠٥ — العماد الأصفهاني : تكملة المنذري ٢ : ٢٨٦ ، الاسنوي ٢ : ٣٥٤ ، البدر السافر الورقة : ١٥٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٥ ، الدارس ١ : ٤٠٨ .
٧٠٦ — أبو نصر الفارابي : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٣٠ .
٧٠٧ — أبو بكر الرازي : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٢١ .
٧٠٩ — أبو عبد الله البتاني : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٢٩ .
٧١٠ — أبو الوفاء المهندس : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٨٤ .
٧١١ — أبو القاسم الزمخشري : مرآة الجنان ٣ : ٢٦٩ .
٧١٢ — أبو طالب محمود بن علي الأصبهاني : الاسنوي ٢ : ٧٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٨ مرآة الجنان ٣ : ٤٣١ .
٧١٥ — نور الدين ابن عماد الدين زنكي : الدارس ١ : ٣٣١ ، ٦٠٧ .
٧١٨ — مسعود بن محمد الطريثيثي : الاسنوي ٢ : ٤٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٤١٣ ، الدارس ١ : ٨٣ .
٧٢٠ — غياث الدين مسعود السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٥ .
٧٢٤ — مظفر بن ابراهيم العيلاني : مرآة الجنان ٤ : ٥٤ .
٧٢٨ — المستنصر العبيدي : مرآة الجنان ٣ : ١٤٥ .
٧٣٠ — المعز بن باديس : مرآة الجنان ٣ : ٧٥ .
٧٣٨ — أبو الحرم مكي الماكسيني : مرآة الجنان ٤ : ٤ ، الغصون اليانعة : ٨٣ وذكر أنه وقف على ترجمته في تاريخ اربل وتاريخ ابن الساعي ؛ وأبياته التي أولها « سئمت من الحياة » وردت في البدر السافر ، كما أن بيتيه « إذا احتاج النوال إلى شفيع » وردا في البدر السافر والغصون اليانعة وكذلك بيتاه « على الباب عبد يسأل الاذن طالباً » وتاريخ وفاته الذي أورده المؤلف هو ما ذكره المنذري ، وقال ابن سعيد : توفي سنة اثنتين وستمائة .
٧٤٠ — ملكشاه السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ١٣٩ .

٧٤٠ — منصور بن اسماعيل الفقيه : طبقات العبادي : ٦٤ ، طبقات الشيرازي : ٨٨ ، الاسنوي ١ : ٢٩٩ ، ابن قاضي شهبة : ٥٦ ، الحسيبي : ١٢ .

٧٤٧ — كمال الدين ابن يونس : ابن أبي أصيبعة ١ : ٣٠٦ ، الاسنوي ٢ : ٥٧٠ ، مرآة الجنان ٤ : ١٠١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٩ .

٧٤٩ — الملك الأشرف موسى : الدارس ٢ : ٢٩٢ .

٧٥٣ — المؤيد الألوسي : الفوات ٢ : ٧٦ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٧ ، الشذرات ٤ : ١٨٥ ، الخريدة (قسم العراق) ٢ : ١٧٢ .

٧٥٥ — مهيار الديلمي : مرآة الجنان ٤ : ٤٧ .

٧٦١ — أبو المرهف النميري : تكملة المنذري ١ : ٣٠٩ .

٧٦٣ — ضياء الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٣ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٦٥ ، بغية الوعاة : ٤٠٤ ، ابن الشعار ٩ : ٥١ وقال في ترجمته : أخذ معرفة الحساب على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصاري الجزري ، وجالس الشيخ أبا الحرم مكي بن زيان النحوي المقرىء الماكسي بالموصل ؛ أقام في الموصل مدة في خدمة قايماز الزيني وربما كان يكتب له الانشاء ، ثم اتصل بعد ذلك بصلاح الدين ؛ ولما اتصل ببدر الدين لؤلؤ كان مدة مقامه بالموصل مشتغلاً بالتصنيف وجماعة من الناس يختلفون إليه ويقتبسون من فوائده ، إلا أنه كان كثير الحماقة متناقض الأحوال متهوّراً فيأموره سفيه اللسان جباهاً لمن يخاطبه ، ولو كان ملكاً أو سلطاناً ، ممقوتاً إلى الناس شرس الأخلاق سريع الغضب متكبراً في نفسه ذا عجب عظيم وصلف زائد ، وكان بطيء القريحة جامد الخاطر ، بل انه كان جيد الروية صحيح الفكرة ، إذا رام كتابة كتاب أغلق باب داره ، وأدام الفكر ويكتب ويخرق ما يكتبه ويعاود النظر فيه زماناً طويلاً .

٧٧٤ — ابن الشجري : الفوات ٢ : ٦١٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٥ .

٧٧٧ — ابن سناء الملك : مرآة الجنان ٤ : ١٧ .

٧٧٨ — هبة الله البوصيري : تكملة المنذري ٢ : ٣٢٦ .

٧٧٩ — أمين الدولة ابن التلميذ : تاريخ الحكماء للبيهقي : ١٤٤ .

٧٨٩ — ياقوت الرومي أبو الدر : ترجم له ابن الشعار ٣ : ٣٧٠ تحت اسم « عبد الرحمن بن عبد الله ابن أبي المحاسن ، قال : وكان تالياً للقرآن مشغوفاً بمذهب الامامية والتعصب لهم ، كثير الميل إلى أهل البيت صلوات الله عليهم . وذكر أنه مولى

منصور (لا أبي منصور) الجيلي ، وأورد القصيدة التي منها البيت « خليلي لا والله ما جن غاسق ... » وبعده في ابن الشعار :

أحب سواد الليل حباً لشـــادن يواصلني ليلاً وصبحاً يفارق
إذا سمت قلبي الصبر زاد تشوقاً فقلبي مشوق واصطباري شائق
بروحي من روحي تساق إذا حدا مطاياه حادي البين أو ساق سائق

وهي في ثمانية أبيات . وأورد له قصيدته التي مطلعها « ان غاض دمعك والأحباب قد بانوا ... » وكذلك أبياته التي أولها « جسدي لبعدك يا مثير بلابلي » وهي هناك طويلة .

٧٩٠ — ياقوت الحموي : ابن الشعار ٩ : ٣٣٧ وقال : ضنين بما يجمع وربما سئل عما يعرفه فلا يجيب ، شاهدته بالموصل وهو كهل أشقر أحمر اللون أزرق العينين وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام ، وذكر من مؤلفاته : ضرورات الشعر . مختصر تاريخ بغداد . كتاب الابنية . وأبياته الواردة ص ١٣٨ وأولها « ومولد للترك تحسب وجهه » وردت عند ابن الشعار (٩ : ٣٤٢) .

٧٩٣ — يحيى بن أكثم : جمهرة الاسلام ، الورقة : ٤٠ .

٨٠٣ — ابن بقي القرطبي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٠ .

٨٠٤ — الخطيب الحصكفي : الاسنوي ١ : ٤٣٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٨ .

٨٠٦ — يحيى بن خالد البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ .

٨٠٧ — عون الدين ابن هبيرة : إنباء الأمراء : ٣٣ ، وورد في ابن الشعار ١ : ٢١٧ في نسب أحمد بن ظفر بن محمد بن هبيرة اسم « سعيد » بدلاً من سعد ، وعمر بدلاً من عمرو ، ومرة بن ذهل ، وسقط « همام » .

٨١١ — ابن مطروح : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٩٧ .

٨١٣ — أبو الفتوح السهروردي : الاسنوي ٢ : ٤٤٢ .

٨٢٦ — أبو عوانة الحافظ : الاسنوي ٢ : ٢٠٣ .

٨٣٢ — يعقوب المنجنيقي : انباء الأمراء : ١١٨ .

٧٣٣ — ابن يعيش : مرآة الجنان ٤ : ١٠٦ .

٨٤٤ — يوسف بن تاشفين : مرآة الجنان ٣ : ١٦٣ .

٢ – مزيد بيان في تخريج التراجم العارضة والتعريف ببعض الاعلام

3 — رضي الدين الجيلي الشافعي : البداية والنهاية ١٢ : ١٤١ ، الاسنوي ١ : ٣٧٦ ؛ وكتابه في الفقه اسمه الإكمال .

ج: ١ ص: ١٨٩ س: ١ : أبو محمد الحسن بن جكينا: مختصر ذيل تاريخ بغداد، الورقة: ٩٢ ، الفوات ١ : ٢٢٨ ، مختصر ابن الدبيثي : ٢٧٥ ، مرآة الزمان ٥٤٢ ، الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٢٣٠ ، الشذرات ٤ : ٨٨ ، واسمه في هذا الموضع من المسودة مطموس ، ولكنه ورد بالجيم بخط المؤلف (ج ٧ : ٢٢٤) وفي بعض المصادر بالحاء المهملة ، وضبطه صاحب التاج (٩: ١٨٣) بالحاء المهملة المكسورة والكاف المكسورة المشددة .

7 — جلدك التقوي : الفوات ١ : ٢٠٩ ، الشذرات ٥ : ١٢٧ وراجع الجزء الأول من السلوك للمقريزي .

ج: ١ ، ص : ١٩٧ ، س : ٢ : نشوّ الدولة أبو الحسن ابن المنجم : البدر السافر ، الورقة : ٢٠٥ ، وسمّاه نشوّ الدولة ابن علي ، ونقل ما أورده ابن خلكان في تسميته ، ثم أورد أبياته التي أولها «أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... » .

ج: ١ ص: ٢٠٣ س ١٦ : ابن باطيش : ذيل مرآة الزمان ١ : ٥٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٨٢ ، ابن العديم ٣ : ١٩٨ .

II — عبد الرحمن بن السنينيرة : الفوات ١ : ٥٥١ ، ابن الشعار ٣ : ٤٦٧ ، وقال : شاهدته بمدينة الموصل سنة ٦٢٢ وهو شيخ كبير ، وسألته عن ولادته فذكر أنه ولد بواسط سنة ٥٤٧ أو ٥٤٩ ؛ وبلغني أنه توفي بواسط سنة ٦٢٦ . وكان ينتجع الناس باشعاره ويطوف البلاد ، وكان من عوامّ الشعراء ، قليل الآلة في صناعة القريض ، ذا بضاعة في الأدب مزجاة ، إلا أن له طبعاً يعينه في إنشاء الشعر لا غير . سأله ابن الشعار : هل يروي شعراً لابن المعلم وللأبله ، فقال : أنا أسحب ذيلي عليهما فضلاً ؛ وذكر أنه لم يرَ أعسر منه أخلاقاً ، ولا أجفى في إنشاد الأشعار . أقام في إربل مدة وقصد صدرها ابن المستوفي .

ج: ٢، ص : ١٠٦ ، س : ٩ — ١٠ شهاب الدين ابن الخيمي : الفوات ٢ : ٤٨٣ ، البدر السافر ، الورقة : ١٢٩ .

ج: ٢ ، ص: ١٧٤، س : ١٥ حسّان بن المفرّج الطائي : ابن العديم ٤ : ١٢٩ .

29 — زيادة الله بن الأغلب : ابن العديم ٨ : ١٢٦ .

31 — عز الدين ابن عقيل الاربلي : مرآة الجنان ٤ : ٤٥ .

32 — شرف الدين محمد بن نصر الاربلي : ابن الشعار ٦ : ٢٨٦ ؛ قال: من بيت مشهور بفقه وعلم ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب ، قرأ الأصولين والخلاف وتميّز في ذلك ؛ درّس الفقه باربل في المدرسة العقيلية نيابةً عن والده ، ثم خرج عن إربل ونزل آمد ودرّس بها الفقه مستقلاً ، ثم سافر عنها إلى عدة بلاد وشخص إلى مصر ممتدحاً ، ثم عاد وهو على حاله ، يقصد الملوك بالشعر ، ويتردد إلى الموصل ؛ وشغل نفسه بقول الشعر من صباه ، واستقر بدمشق بخدمة الملك الأشرف ، وترك ما كان عليه من الاشتغال بالفقه وتزيّا بزيّ الجند .

44 — يحيى بن سعيد : ابن الشعار ٩ : ٤٣٨ ، وقال : ولد قبل وفاة أبيه بثمانية أيام بالموصل ، ونشأ ، وأحبّ الاشتغال بالعلم والأدب ، ولم يزل راغباً في تحصيله ، مائلاً إليه بكلّيته ، وصحب أبا الكرم مكي بن زيّان ، تلميذ والده ، ولازمه إلى أن توفي ، ودرس عليه أدباً كثيراً حتى تميّز وبرع ، ونسخ بخطه كتباً أدبية كثيرة ، وكان فقيراً مملقاً ، اتصل بالأتابك عز الدين أبي الفتح مسعود بن أرسلان شاه ، فولاّه التقدم في الرباط ، وصار شيخ الشيوخ به ، وحظي لديه ، واكتسب منه رزقاً صالحاً . وولاّه بدر الدين لؤلؤ خازناً بخزانة كتب المدرسة المدرسة انشأها على دجلة ، وألّف عدّة مجاميع باسم الملك القاهر عز الدين مسعود ابن أرسلان شاه تحتوي على أشعار رقيقة غزلية . ومن كتبه « نتائج القرائح » .

53 — عذرا بنت شاهنشاه بن أيوب : الدارس ١ : ٣٧٣ .

56 — أحمد بن الفرج ، والد شهدة : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ٧٨ .

73 — زين الدين ابن نجا الواعظ : تكملة المنذري ٢ : ٤١٧ ، الدارس ٢ : ٦٧ .

97 — القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل : ابن العديم ١ : ١٦٤ ، وأورد الأبيات القافية المذكورة في ترجمته .

101 — محمد بن المنصور السمعاني : الاسنوي ٢ : ٣١ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٣ ، الشذرات ٤ : ٢٩ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٠٠ .

102 — المنصور بن محمد السمعاني : اللباب (السمعاني) ، الاسنوي ٢ : ٢٩ ، عبر

الذهبي ٣ : ٣٣٦ ، ابن قاضي شهبة : ١١٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٥٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١٥١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٦٠ .

108 — الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ١٣٤ ، السبكي ٥ : ٦٥ .

110 — ست الشام بنت أيوب : الدارس ١ : ٢٧٧ .

115 — بهاء الدين ابن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر : عبر الذهبي ٤ : ٣١٤ ، البداية والنهاية ١٣ : ٣٨ ، الدارس ١ : ١٠١ ، السبكي ٥ : ١٤٨ .

116 — هبة الدين ابن عساكر : الاسنوي ٢ : ٢١٥ ، عبر الذهبي ٤ : ١٨٤ ، الدارس ١ : ٤١٦ ، السبكي ٤ : ٣٢٠ .

141 — الملك الناصر صلاح الدين داود : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٢٦ .

144 — باتكين الرومي : الحوادث الجامعة : ١٨٠ .

145 — غياث الدين مظفر بن غازي : الحوادث الجامعة : ٩٦، ذيل مرآة الزمان ١ : ٤٣٠ .

148 — راجح بن اسماعيل الحلي : ابن العديم ٧ : ٢ .

ج : ٤ ، ص : ٢٥ ، س : ٨ المجد الاسعردي : ابن العديم ٨ : ٢٥٩ ، وفيه الأبيات السينية وهي :

رأيت بحمّامكم سنّـةً ... يظلّ لها كل طلقٍ عبوسا
هواءٌ تجمّد منه الرؤوس ... وماءٌ يذيب الكلى والنفوسا
وسقفٌ يدرّ كفيض الغمام ... وأرضٌ تمانع عنها الجلوسا
وطين تغرغر منه الحلوق ... وعشواء تمنح روحاً خسيسا
وقد كان في العرف سمط الجداء ... فلمْ صرتمُ تسمطون التيوسا

152 — قاضي الخافقين : الاسنوي ٢ : ٩٨ .

157 — ربيعة خاتون بنت أيوب : الدارس ٢ : ٨٠ .

158 — عز الدين ابن رواحة الأنصاري : تاريخ اربل : ١٩٦ ، وقال : نزل باربل بدرب المنارة في زاوية الشيخ محمد بن محمد بن الحسين الكريدي ، وأكرمه الفقير أبو سعيد كوكبوري ؛ دخل ثغر الاسكندرية وهو صبي مع والده ، ثم أورد له مقطعات . ابن الشعار ٣ : ٣١٦ وقال : قدم اربل سنة ٦٢٥ مجتدياً نوال سلطانها مظفر الدين ؛ وكان عسر الأخلاق ، ضيّق العطن ، شرساً في الاملاء ، تافه النفس ، لم يحب أن يسمع عليه أحد إلا بعوض وفائدة تصل إليه ؛ وانظر الفوات ١ : ٢٧٥ .

جـ ٤ ، ص : ١٥٠ ، س : ٢ – ٣ الشرف البوازيجي : ابن الشعار ٣ : ٤٩٦ ، قال : رأيته باربل سنة ٦٣٠ ، شاباً طويلاً أشقر ، ذا هوج وطيش ، كثير الدعاوى في فن النظم والنثر ؛ ثم أورد له قصيدة في مدح ابن المستوفي .

160 – أبو العزّ الاربلي شيطان الشام : ابن الشعار ١٠ : ٥٢٥ ، قال : ولد باربل وكان بها منشأه ، وما برح خامل الذكر نازل القدر ، يعبث تارةً بالأبيات ، يسلك فيها مسلك ابن الحجاج في السخف والهزل ، وتارةً بالزكالش العامية ، وتارةً بغير هذين النوعين ، حتى صارت له ملكة قوية في بديه الشعر ومرتجله ... كان شيعياً مغالياً ، أسمر اللون ، يتزيّا بزيّ الأكراد ، رحل إلى البلاد وامتدح الملوك ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها ، وأورد له عدة مقطّعات ومختارات .

164 – علي بن المحسن التنوخي : الفوات ٢ : ١٣٨ .

172 – ابن برّجان : الفوات ١ : ٥٦٩ .

176 – تاج الدين أبو القاسم ابن منعة : عبر الذهبي ٥ : ٢٩ ، الاسنوي ٢ : ٥٧٤ ، الحوادث الجامعة : ٣٧٤ ، السبكي ٥ : ٧٢ ، الشذرات ٥ : ٣٣٢ ، مرآة الجنان ٤ : ١٧١ ، البداية والنهاية ٣ : ٢٦٥ .

177 – شمس الدين الخويّي : ابن العديم ١ : ٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٨ ، ابن الشعار ١ : ٢٩٧ ، الفوات ٢ : ٣٦٨ ، وترجم في البدر السافر ، الورقة : ٧٦ ، لابنه الشهاب محمد .

191 – عبد الغني ابن نقطة : تكملة المنذري ١ : ٩٧ .

192 – أبو علي ابن أبي الشبل : المنتظم ٨ : ٣٢٨ ، ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٧ ، الوافي ٣ : ١١ (محمد بن الحسين) ، الفوات ٢ : ٣٩٣ ، معجم الأدباء ١٠ : ٢٣ تكملة المنذري ١ : ٧١ ، المحمدون : ٢٦٨ ، البدر السافر ، الورقة : ٩١ باسم « ابن الشبل » ، وقال : ذكره ابن النجار ، ومولده سنة ٤٠١ ، وهو من أهل الحريم الطاهري ، وله ديوان شعر ورسائل ، وعلّق شيئاً من رسائله الحافظ ابو بكر ابن الخطيب .

205 – المعتضد بن عباد : الفوات ١ : ٤٢٤ .

جـ : ٥ ص : ٤١ س : ٧ : ابن الحداد القيسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٧٧ والمحمدون : ٩٩ .

جـ : ٥ ص : ٤٢ س : ١١ : الاسعد بن بليطة : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٦٦ ، ٦٧٦ .

218 – الملك المسعود بن الملك الكامل : مرآة الجنان ٤ : ٩٣ ، الحوادث الجامعة : ١٢ .

224 — أبو حيان التوحيدي : الاسنوي ١ : ٣٠١ ، ابن قاضي شهبة : ٨٤ .

227 — زيد بن علي : الفوات ١ : ٣٣٣ ، وترجم لابنه ؛ ابن العديم ٨ : ١٠٨ ، وقد أخذ رقماً ثانياً هو (312) من الجزء السادس : ١١٠ .

260 — معتمد الدولة قرواش : الفوات ٢ : ٢٦٤ .

262 — الطاهر الجزري : ابن العديم ٨ : ٢٢١ وهو « الظاهر » عنده — بالظاء — وكذلك هو بضبط ابن ماكولا (٥ : ٢٤٠) وبالطاء المهملة في تتمة اليتيمة (١ : ٤٦) ؛ واسمه سداد بن ابراهيم بن محمد أبو النجيب ، وقيل أبو السداد الجزري ، وقيل في اسمه شداد — بالشين المعجمة — (وكذلك ضبطه السلفي) ، من أهل جزيرة ابني عمر ، كان شاعراً مطبوعاً حلو الألفاظ سهلها لطيف المعاني ، ومدح سيف الدولة الحمداني وعضد الدولة البويهي ، وأبياته « انظر إلى حظ ابن شبل .. » (ص ٢٦٦) وردت في ابن العديم ٨ : ٢٢٣ وقال : قيل انها للوزير أبي نصر ابن النحاس الحلبي ، والصحيح أنها للظاهر .

263 — مدلويه الشاعر : ابن الشعار ٣ : ٣٧٧ وقال : كثير الشعر نبيه الذكر ، ذو نظم مستجاد أحسن في إنشائه وأجاد ، يجمع السهولة والمتانة والعذوبة والرصانة ، امتدح الملوك من بني أيوب ملوك الشام ، وأكرموه لفضل أدبه غاية الاكرام ، ثم غيرهم من الأمراء والقضاة والوزراء والولاة . تأدب على أبي اليمن الكندي وقرأ عليه كثيراً من مسموعاته ، واشتغل في صباه على فتيان الشاغوري ، ورحل إلى بغداد ، وقرأ المقامات الحريرية على أبي الفضل منوجهر البغدادي الكاتب ، واتصل بأخرة بالملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، ولم يزل منقطعاً إليه إلى أن توفي ، يوم الجمعة العشر الأول من ذي الحجة سنة ٦١٩ عن ست وستين سنة . وكان مشغوفاً بالخمر إلى حين مماته ، وكان نزقاً مرّ المذاق شرس الأخلاق جافي الطباع ، وديوان شعره يدخل في مجلدين .

270 — عبد المنعم بن غلبون : عبر الذهبي ٣ : ٤٤ ، الاسنوي ٢ : ٤٠٠ ، مرآة الجنان ٢ : ٤٤٢ ، حسن المحاضرة ١ : ٢٨٠ .

ج : ٥ ص : ٣٣٥ س : ١ ابن الزويتينة الرحبي : الفوات ١ : ٥٦٦ .

277 — ابن النبيه : ابن الشعار ٤ : ٣٠٦ وقال : علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن المصري الربعي ، كان يتولى بمصر ديوان الخراج والحساب ومدح الملوك من بني أيوب ووزراء تلك الدولة وأكابرها ، ثم اتصل آخراً بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أيوب فانتظم في سلك شعراء دولته ، وسكن نصيبين ومات بها سنة ٦١٩ ، فقال الملك الأشرف : مات رب القريض . وانظر النجوم

الزاهرة ٦ : ٢٤٣ والشذرات ٥ : ٨٥ والفوات ٢ : ١٤٣ وحسن المحاضرة ١ : ٥٦٦ ومقدمة ديوانه تحقيق عمر محمد الأسعد (دار الفكر ، بيروت ١٩٦٩).

278 — ابن الأردخل : الفوات ٢ : ٣٨٠ ، وتوجد من ديوانه نسخة بدار الكتب المصرية رقم ٥٢١ أدب ، وأخرى بأحمد الثالث رقم ٢٢٨٨ .

283 — عز الدين ابن أبي الحديد : الفوات ١ : ٥١٩، ذيل مرآة الزمان ١ : ٦٢ ، ابن الشعار ٤ : ٢١٣ وقال : عبد الحميد بن أبي الحديد كاتب فاضل أديب ذو فضل غزير وأدب وافر وذكاء باهر، خدم في عدة أعمال سواداً وحضرة ، آخرها كتابة ديوان الزمام . تأدب على الشيخ أبي البقاء العكبري ثم على أبي الخير مصدق ابن شبيب الواسطي ، واشتغل بفقه الإمام الشافعي وقرأ علم الأصول ، وكان أبوه يتقلد قضاء المدائن ، وله كتاب العبقري الحسان في علم الكلام والمنطق والطبيعي والأصول والتاريخ والشعر ؛ وراجع صفحات متفرقة من الحوادث الجامعة .

284 — موفق الدين ابن أبي الحديد : الفوات ١ : ١٠ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ١٠٤ .

ج: ٦ ص: ٨ س: ٢٠ أبو محمد الخازن: هو عبد الله بن أحمد الخازن، أصبهاني ، كان من خواص الصاحب بن عباد ، وكان على خزانة كتبه في ريعان شبابه ، هرب من حضرته مدة ثم عاد إليه (اليتيمة ٣ : ٣٢٥ — ٣٣٩) .

ج: ٦ ص: ٢٠ س : ١١ — ١٢ ابن المجاور الدمشقي: سمع الحديث بدمشق من الحافظ ابن عساكر والملك العادل محمود بن زنكي والوزير ابن المظفر ، وكان أديباً فاضلاً شاعراً نحوياً ، نشأ تلاء للقرآن مواظباً على اقرائه، ثم صار يقرىء النحو والأدب واشتهر بتعليم أولاد الكبراء إلى أن وصف لصلاح الدين فألزمه إقراء ابنه العزيز ، فلما صارت السلطنه للعزيز استوزره ، ولد سنة ٥٤٩ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٠ وقال ابن سعيد سنة ٦٠١ . ترجم له في البدر السافر ، الورقة : ٢٤٠ والغصون اليانعة : ١٩ وأشار إلى أن له ترجمة في تاريخ حلب لابن العديم وفي تاج المعاجم للشهاب القوصي ، وكذلك ذكره المنذري .

ج: ٦ ص: ٥٢ س: ٧ كوشيار بن لبان: تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي: ٩١ وفيه أنه ابن لبان أو ابن ليان أي الأسد — بلغة الجبل ، وزيجه اسمه الجامع .

302 — أوحد الزمان ابن ملكان : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ١٥٢ وكتابه « المعتبر » مطبوع بحيدر آباد الدكن .

307 — سحيم بن وثيل الرياحي : الفوات ١ : ٣٣٨، وطبقات ابن سلام: ٤٨٩ والاصابة

٣ : ١٦٤، والخزانة ١ : ١٢٣ .

308 — نصيب الشاعر : طبقات ابن سلام : ٥٤٤ ، الأغاني ١ : ٣٠٥ معجم الأدباء ١٩ : ٢٢٨ ، العيني ١ : ٥٣٧ ، السمط : ٢٩١ الموشح : ٢٩٨ ، الشعر والشعراء : ٣٢٢ .

314 — تاج الدولة بن ثقة الدولة : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٢٧ .

326 — خالد بن برمك : ابن العديم ٥ : ٣٣٦ .

ج: ٦ ص: ٢٤٧ س : ٦ الوجيه ابن سويد التكريتي : ذيل مرآة الزمان ٢: ٤٨٧ وقال: لم يبلغ أحد من أمثاله من الحرمة ونفاذ الكلمة ما بلغ بحيث كان التجابين (كذا) ترد عليه من بغداد إلى دمشق في مهمات تتعلق بالخلافة ، وكانت متاجره لا يتعرض لها متعرض وكتبه عند سائر ملوك الأطراف وملوك الفرنج بالساحل نافذة ، توفي سنة ٦٧٠ والقصة التي أوردها ابن خلكان وردت في ذيل المرآة ١ : ٣٣٧ .

ج: ٦ ص: ٢٥١ س: ٢٢ — ٢٣ عون الدين ابن العجمي: ذيل مرآة الزمان ١ : ٢٤٠ .

329 — العماد المحلي: ابن العديم ٤: ١٢٢ وقال أبو المناقب الشافعي المصري: رجل فاضل أديب كيس دمث الأخلاق كثير المروءة مطبوع النادرة خفيف الروح جيد الشعر حسن المحاضرة ، وكان له وجاهة بدمشق ، وسيره الملك العادل إلى الملك الظاهر غازي بحلب ، واجتمعت به في مجلس شيخنا قاضي القضاة أبي المحاسن يوسف ابن تميم بمدينة حلب .

ج: ٦ ص: ٢٥٤ س: ٥ : أبو نصر الحاسب : ذيل مرآة الزمان ١ : ٧٩ .

330 — بدر الدين السنجاري : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٣٢ .

ج: ٦ ص: ٢٧٤ س: ١٤: زين الدين ابن جهبل: هو عبد الملك بن نصر بن عبد الله بن جهبل فقيه فاضل درس بحلب بالمدرسة النورية وتوفي بحلب سنة ٥٩٠ (السبكي ٤ : ٢٦٢ والاسنوي ١ : ٣٧١)؛ وأخوه مجد الدين طاهر كان اماماً زاهداً فاضلاً في الفقه والحساب والفرائض ، درس أيضاً بالنورية وبالصلاحية في القدس وتوفي سنة ٥٩٦ (عبر الذهبي ٤ : ٢٩٢ والاسنوي ١ : ٣٧١ والدارس ١ : ٢٣٠) .

378 — محمد ابن عبد البر : بغية الملتمس : ٣٤١ ، الصلة : ٢٧٠ ، المغرب ٢ : ٤٠٢ ، القلائد : ١٨٠ ، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٤٧٨ .

ج: ٧ ص: ٧٥ س: ١٤ ابن هلال السعيدي : البدر السافر ، الورقة : ٨٥ .

٣ – زيادات من النسخ وتعليقات وتخريجات لبعض النصوص

جـ ١

ص ٢٥ ما بين معقفين على هذه الصفحة لم يرد في المسودة والنسخ س ر بر ، ومثل ذلك يقال فيما جاء على الصفحات التالية : ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ٢١٣ ، ١٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٧٥ – ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ – ٣٧٦ ، ٣٨٠.

٣٠ الترجمة رقم (٦) لم ترد في النسخ س ر بر والمسودة ، ووردت في ص .

٤٢ بعد قوله : وأخباره ومجالسه مشهورة (السطر : ١٨) وردت في النسخة ر زيادة أثبتناها نقلاً عن (ص) في هذا الجزء ، الصفحة : ٤٤٤.

٩٢ في هامش بر عند ترجمة الخطيب البغدادي تعليق منقول عن طبقات السبكي (٣ : ١٤ – ١٥) حول منام رآه أبو القاسم مكي المقدسي ورأى فيه جمعاً يستمعون تاريخ الخطيب وفيهم رجل لا يعرفه فلما سئل عنه أنبيء أنه النبي (ص) ؛ وفي الختام بيتان من الشعر للخطيب ؛ ومن الواضح أنها زيادة متأخرة ، قلت : وانظر تبيين كذب المفتري : ٢٦٨ – ٢٦٩ .

٩٧ بهامش بر عند ترجمة أحمد الغزالي تعليقة هذا نصّها : «سئل في مجلس وعظه عن قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً والخليل عليه السلام يقول : «أرني كيف تحيي الموتى» الآية ، فقال : اليقين يتصور عليه الجحود ، والطمأنينة لا يتصور عليها الجحود ، قال تعالى «واستيقنتها أنفسهم» . وكان يدخل البلاد والقرى والضياع ويعظ لأهل البوادي تقرباً لله تعالى ؛ وحكى يوماً في بعض وعظه أن بعض العشاق كان مشغولاً بحسن الصورة ، وكان ذلك موافقاً له ، فاتفق أنه جاءه في يوم بكرة وقال له : انظر إلى وجهي فأنا اليوم أحسن من كل يوم ، فقال : وكيف ذلك ، قال : نظرت في المرآة فرأيت وجهي فاستحسنته فأردت أن تنظر إليه ، فقال : بعد أن نظرتَ إلى

وجهك ، مثلي لا يصلح أن (ينظره) . وحكى يوماً على رأس منبره عن أخيه حجة الإسلام أمراً غريباً فقال: سمعت أخي يقول ان الميت من حين يوضع على النعش يوقف في أربعين موقفاً يسائله ربه عز وجل. ومن شعره:

إذا صحبت الملوك فالبس ... من التوقي أعز ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى ... وأخرج إذا ما خرجت أخرس

١١٢ بعد السطر ٩ زاد أبياتاً لابن عبد ربه في النسخة ر أولها : يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا ، وقد وردت في زيادات ص (الصفحة : ٤٤٩) كما أثبتت في هامش النسخة س .

١٢٥ س ٧ : وما جراياته : علّق بهامش س: «قوله وما جراياته لفظة عامية هكذا رأيته بخط أبي حيان» .

١٢٩ بعد البيتين (السطر ١٧) جاء بهامش س ، وله (أي ابن طباطبا) :

تأمل نحولي والهلال إذا بدا ... لليلته في أفقه أينا أضنى
على أنه يزداد في كل ليلة ... نمواً وجسمي بالضنا دائباً يفنى

١٤٠ بعد السطر ١٩ جاءت زيادة في ر هذا نصها : ومن شعره :

يا قمراً أطلعه المغرب ... قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جئته ... صدقت ، فاصفح ايها المذنب
وان أغرب ما مرّ بي ... أن عذابي فيك مستعذب

(وقد وردت هذه الأبيات في هامش س، وانظر ص ٤٥٧ من هذا الجزء) وبعد ذلك في النسخة ر : ومن جيد شعره : ما للمدام تديرها عيناك (الأبيات الثلاثة الواردة على الصفحة المذكورة) ثم جاء في ر بعد ذلك: وله في ولادة وأبي عامر ابن عبدوس وكان يلقب بالفار :

قالوا أبو عامر أضحى يلم بها ... قلت الفراشة قد تدنو من النار
عيرتمونا به إذ صار يخلفنا ... في من نحب وما في ذاك من عار
أكل شهي أصبنا من أطايبه ... بعضاً وبعضاً صفحنا عنه للفار

ومن شعره :

قل للأمير وقد قطعت بمدحه ... عمري وكان السجن منه ثوابي
لا تخش لائمتي بما أمضيته ... من ذاك فيّ ولا توقّ عتابي

لم تخط في أمري الصواب موفقاً   هذا جزاء الشاعر الكذاب

١٤٢ العبارة الموجودة بين معقفين [وله أبيات ثابتة ... الخ] ثابتة بهامش المسودة ، ولكنها لم ترد في النسخ ر س بر .

١٤٧ بعد السطر ١٠ وردت في ر الزيادة الآتية :
وله أيضاً من قصيدة :

فعذراً إن عجزت لطول همي   عن الاسهاب والنفس الطويل
فان وجى الجياد إذا تمادى   بها شغل الجيادَ عن الصهيل

١٥٣ زاد في ر بعد البيت « تأمل تحت ذاك الصدغ خالاً ... » :

ورب قطيعة جلبت وصالاً   وكم في الحب من نكت خفايا

١٥٥ السطر ٨ وما بعده : نسب مكرم أخو مطرف ... الخ : أكثر هذا النسب مطموس في المسودة وقد راجعته على جداول كاسكل فلم أجد أكثر الأسماء ، غير أن « حاوة » في النسب تقرأ « جاوة » أو جاَوة ، وبخط المؤلف بقي من النسب لفظة « الجاأوي » – بهذه الصورة – ونقطة الجيم واضحة . أما « عيلان » فانها في جداول كاسكل « غيلان » بالغين المعجمة ، وليس في أولاد غيلان من اسمه « الحرزق » عنده ، ولعله لقب ، ولم يورده صاحب التاج أو صاحب الاشتقاق . أما قول المؤلف : وليس في نسبه باهلة ، فان باهلة هو مالك بن أعصر .

١٥٨ س ٨ وردت قصة ابن منير وابن القيسراني في الغيث للصفدي ٢ : ١٣٢ منقولة عن ابن خلكان .

١٥٨ بعد السطر ١٥ زاد في ر على البيتين :

مقصر الصدغ ممدود ذوائبه   لي منه وَجدان ممدود ومقصور
فيه محاسن شتى قد فتنت بها   وكل مفتتن بالحسن معذور
مهفهف في هواه ما استجرت به   إلا وجدت غرامي وهو منصور

١٦٣ الأبيات التي أولها « ثروة المكرمات بعدك فقر » وقعت بعد الأبيات الفائية الواقعة على الصفحة السابقة ، وذلك في النسختين : س بر .

١٦٧ الأبيات « وذي هيئة يزهو ... » أوردها ابن العديم (٩ : ٢٣٧) ونسبها لابن الملثم ولد الوزير عز الدين الملثم وزير الملك الأفضل ، وأوردها ابن الشعار

(١ : ١٥٢) للقطرسي .

١٧٢ الأبيات « إذا جن ليلي هام قلبي ... » وردت في تاريخ إربل : ١٨٢ .

١٧٣ ضبط المؤلف بالشكل بعض الأسماء في نسب معز الدولة ابن بويه وهي كما يلي: شِيرْزِيلْ الأصغر بن شِيركَنْدَه بن شيرزيل الأكبر بن شِيرّان شاه بن شيرَفَنّه ابن شَسْتان بن سَسَن فرو بن شَرْوَزيل بن سَسْنَاذ ...

١٨٤ عند ابن الشعار في نسب صلاح الدين الاربلي : ابن محمد بن مروان بن جابر ، وبخط ابن العديم : ابن محمد بن بزوان .

١٨٧ الترجمة رقم ٧٧ « ابن عبد الحميد الجرجاني » : وردت هذه الترجمة في النسخ ر س ص ونسخة برلين (رقم Peterm 660) وقد أدرجناها اعتماداً على ورودها عند وستنفيلد ، ولم تكن لدينا حينئذ مسوّدة المؤلف ، فلما حصلنا عليها وجدنا أن المؤلف قد رمّج على الترجمة بكاملها ، وكتب في الحاشية : هذه الترجمة غلط وليس المذكور ولد الخصيب ممدوح أبي نواس ، وكنت رأيت في بعض المجاميع أنه ابن الخصيب المذكور ، ثم ظهر لي بعد ذلك أنه ليس الأمر كذلك ، ولم أظفر بالصواب إلا بعد أن كتبت هذا التاريخ بسنين عديدة فرحم الله امرءاً وقف على الصواب وكان عنده نسخة ، فأصلحها وذ[لك أن] الإنسان لا يعصمه من الخطأ والزلل [سوى] الله .
قلت : فاسقاط هذه الترجمة ضروري ، ولكن النسخ التي أثبتتها نقلت عن أصل من أصول ابن خلكان قبل أن يكتشف ذلك الخطأ ، وعلى هذا ينبغي حذف ما ينتمي إليها وهو الزيادة الثانية الواردة على الصفحة ٤٦٠ منقولة عن ص.

١٨٨ رغم حذف المؤلف للترجمة السابقة ، فان ضبطه للفظة أقريطش ينبغي أن يذكر هنا وهو : بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الطاء المهملة وبعدها شين مثلثة .

١٩٠ الترجمة ٧٩ لم ترد في المسودة والنسختين بر س ووردت في ر قبل ترجمة العزيز الاصبهاني ، وليست هي من شرط المؤلف لأنه لم يرد فيها تاريخ الوفاة .

١٩١ السطر ١٩ بهامش المسودة : وتفسير أكسك : الناقص والله أعلم .

١٩٧ بعد السطر ١٥ وردت في ر هذه الزيادة : ذكر الخظيري في كتاب « زينة الدهر في محاسن أهل العصر » لأبي الفرج ابن التلميذ في دار جديدة بناها سيف الدولة ابن صدقة وقعت فيها نار يوم الفراغ منها :

يا بانياً دار العلى مليتها لتزيدها شرفاً على كيوان

علمت بأنك إنما شيدتها	للمجد والأفضال والاحسان
فقفت عوائدك الكرام فسابقت	تستقبل الاضياف بالنيران

وانظر هامش ج ٢ : ٤٩٠ .

٢٠٤ بعد السطر ٥ وردت في ر زيادات تشترك فيها مع ما نقل عن د ص (انظر الصفحة ٤١٠ ، ٤١١) ولكن أضافت ر إلى تلك الزيادات ما يلي : ومما يجري هذا المجرى ما أخبرّ به ابن أحمد الجلودي يرفعه إلى الحسين بن فهم عن عمه ، قال ، اشتهى صديق لي فروجاً أطبخه له ، فأكلت بنت لنا لحمه ، إلا لحم الصدر ، ونحن لا نعلم ، فكتبت إليه :

طبخنا لك فروجاً	فطاف الأهل بالقدر
ولم نقدر على المنع	لقبح المنع في الذكر
فآثرناك بالصدر	لأن الصدر للصدر

وهذا باب متسع .

اختلف اسحاق النديم وابراهيم الموصلي في صوت فقال اسحاق : إلى من نتحاكم والناس ما عدانا بهائم ...

٢١٠ بعد السطر ١٥ زيادة في ر ، هذا نصّها :

وله أيضاً :

مررت بدار الملك والنيل آخذ	بأطرافها والموج يوسعها ضربا
فكان لنا ذاك القتال مسرة	أباحت حمى اللذات ننهبها نهبا
شرقت بغرب الدمع فيها تذكراً	لمن حسنه قد طبق الشرق والغربا
وناديت من شوقي إليه ولهفتي	عليه وقد أودى بي البين يا ربا

ومن شعره :

وكم ليلة بات الهلال سوارها	فخيل لي أن الثريا لها قرط
وللحسن بل لله بدر دجنة	يحرر واو العطف في خده الخط
إذا بعته قلبي بشرط وصاله	يصح له بيعي وينفسخ الشرط

٢١٥ البيت : فكفاه عين كماله في نفسه وكفى كمال الدين عين كماله

هذا هو بيت التخلص وحقه أن يجيء آخر الأبيات ، كما ورد في النسخة س وعند ابن الشعار ، ولكنه ورد حيث أثبتناه ، في النسختين ر بر ، وهو ثابت

بهامش المسودة إلى جانب البيت الواقع قبله ، وذلك هو سبب الاختلاف في موضعه في النسخ .

٢١٦ قوله « وذكره عماد الدين الاصبهاني ... العجائب » : قد رمّج المؤلف في المسودة على هذا النصّ ، وهو ثابت في ر ، والبيتان بهامش س .

٢٢٣ بعد السطر ١٠ جاءت هذه الزيادة في ر : ومن شعره :

وقد يهلك الإنسان من باب أنسه ... وينجو باذن الله من حيث يحذر

٢٢٤ بعد السطر ١٠ وردت هذه الزيادة في ر : ومن شعر أبي العتاهية :

يا عجباً للناس لو فكروا ... وحاسبوا أنفسهم أبصروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها ... فانما الدنيا لهم معبر
عجبت للإنسان في فخره ... وهو غداً في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره ، يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ، ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره ... في كل ما يقضي وما يصدر

٢٣٦ بهامش بر (عند ترجمة اسماعيل الملقب بالمنصور العبيدي) ترجمة لاسماعيل ابن حماد بن أبي حنيفة . ومن الواضح أنها ليست من صنع المؤلف ، فقد ترجم له ترجمة عارضة عند ذكر أبيه (ج٢ : ٢٠٥) وهذا ما جاء في هامش النسخة (بر) :

اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان الإمام بلا مدافعة ، ذو الفضائل الشريفة والخصال المنيفة، تفقه على أبيه حماد والحسن بن زياد ولم يدرك جده، وله «الرد على القدرية» ورسالته إلى البستي . ذكر الخطيب باسناده إلى العباس ابن ميمون ، سمعت محمد بن عبد الله الأنصاري يقول : ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى اليوم أعلم من اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، فقيل: يا أبا عبد الله ولا الحسن بن أبي الحسن قال: لا والله ولا الحسن ؛ قال قال أبو العيناء محمد بن القاسم ، قال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : ما ورد عليّ مثل امرأة تقدّمت إليّ فقالت : أيها القاضي : ابن عمي زوجني من هذا ولم أعلم ، فلما علمت رددت ، قال ، فقلت : ومتى رددت ؟ قالت : وقت علمت ، قلت : ومتى علمت ؟ قالت : وقت رددت ، قال : فما رأيت مثلها ؛ قال أبو العيناء : دسّ الانصاري انساناً يسأل اسماعيل لما ولي

قضاء البصرة ، فقال : أبقى الله القاضي ، رجل قال لامرأته ، فقطع عليه فقال : أبقى الله القاضي ، رجل قال لامرأته ، فقطع عليه اسماعيل وقال : قل للذي دسّك إن القضاة لا تفتي ، ذكره الذهبي . قال الخصاف في « أدب القاضي » قال الحلواني : اسماعيل بن حماد نافلة أبي حنيفة ، وكان يختلف إلى أبي يوسف يتفقه عليه ثم صار يزاحمه ، ومات شاباً سنة اثنتي عشرة ومائتين ، ولو عاش حتى صار شيخاً لكان له نبأ عظيم بين الناس ، رحمه الله تعالى .

٢٤٩ بعد السطر ١٥ وردت هذه الزيادة في ر : وروي عن اياس أنه قال : ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد ، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني ، وذكر حدوده ، هو لفلان ملك ، فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال لي: منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا ؛ فقال ، كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحق معك ، وأجزت شهادته .

٢٥٥ الترجمة رقم ١٠٧ : هذه الترجمة بكاملها في المسودة والنسختين ر بر وهي فيما يظهره خط المؤلف ملحقة من بعد (إذ اختلفت قطة القلم) ويبدو أن الصورة الثانية من هذه الترجمة (١٠٧ ب) هي التي وضعت أولاً ثم رأى المؤلف تغييرها ، وقد وردت كذلك في س مع اختلافات يسيرة .

٢٧٢ السطر ٦ بعد قوله « من الشعراء المجيدين فيه » تجيء في ر الزيادة التي أثبتت في الملحقات على هذا الجزء رقم ٣١ .

٢٧٩ الترجمة رقم ١١٦ : هذه الترجمة هي الثابتة في المسودة وهي كذلك في ر س أما الصورة الثانية (١١٦ ب) فانها من زيادات د عند وستنفيلد .

٢٩٦ السطر : ٥ « ودفن في مسجد بحكر الفهادين » كان قد كتب في المسودة أولاً : ودفن في خانقاه الطواويس ، ثم رمج عليه ووضع بدله كما أثبت ، ولكن جاء في النسخة س : « ودفن في مسجد بحكر الفهادين بظاهر دمشق التي على نهر بردى ، خانقاه الطواويس » .

٢٩٧ السطر ١٤ — ١٥ عند الحديث عن أرمناز ؛ جاء في هامش س : الأصح أنها من أعمال أنطاكية ، ومن قال دمشق أخطأ .

٣٠٤ هكذا ضبط المؤلف نسب تميم : ابن مَنْقُوش بن زَنَاك بن زِير الأصغر بن وَاشْقَال بن وَزْغَفى ابن سَرِيّ بن وَتَلْكي ...

٣٠٥ البيتان « وخمر قد شربت على وجوه » وقعا متقدمين على البيتين السابقين في المسودة و س ر ومتأخرين عن البيتين التاليين في بر .

٣٢٨ الترجمة رقم ١٣٢ هكذا ثبتت هذه الترجمة في ر بر وأوردها كذلك وستنفيلد أما الصورة الثانية (١٣٢ ب) فهي من زيادات د عند وستنفيلد ، وقد جاءت الترجمة في المسودة و س موجزة نسبياً ، وفيها نصوص من الصورتين معاً .

٣٥٠ الترجمة رقم ١٣٤ لم ترد في النسخ ر س بر والمسودة ، ولكنها ثابتة عند وستنفيلد ونسخة آيا صوفيا (ص) .

٣٦٠ بعد السطر ٨ زاد في ر : أخذه من قول البحتري :

ثلاثــة تشرق الدنيــا ببهجتها   شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

٣٦٨ بعد السطر ١٧ زيادة في ر وقد أثبتناها نقلاً عن نسخة ص ٤٨١ ابتداءً من قوله : « وحدث الزبير بن بكار ... مشمراً » أما سائر الزيادة عن ص فلم يرد في ر .

٣٧٣ السطر ١٢ « وحضر الجنيد قوماً يتواجدون ... صنع الله » لم يرد في ر س بر والمسودة ، ولم يوضع بين معقفين .

٣٨٦ الزيادة رقم ٢ ثابتة في ر ، وكذلك الزيادة رقم ٣ (٣٨٩) والزيادة رقم ٨ ؛ أما الزيادة : ٩ فقد ورد من الأبيات التائية البيتان الرابع والخامس وجاء بعدهما البيت الذي أوله « تسمّى بأسماء الشهور »، ووردت الفقرة الأولى من الزيادة ١٠ بهامش س وجاء هنالك أنها منقولة من النسخة الثالثة ؛ وفي الزيادة ١٢ وردت أبيات أبي العلاء الكافية بهامش س ، ووردت الزيادتان ٢٤ ، ٢٥ في ر مع تقدم الثانية على الأولى .

٤١٦ السطر ٥ : وقال الصاحب بن عباد ... فأخجلني : ورد هذا النص في ر .

٤١٦ السطر ١٢ : ودخل أبو بكر الخوارزمي ... وقرّبه : ورد هذا النص بهامش س .

٤١٦ السطر ١٨ : وضع الصاحب لأصحابه دعوة ... من الناس » : إذا كان سديد الدولة ابن الأنباري (المتوفى سنة ٥٥٨ كما في خريدة العراق ١ : ١٤١) قال هذين البيتين فليس المعنّي بذلك الصاحب بن عباد ، وهذا وهمٌ ربما تورط فيه أحد من أضاف هذه المادة إلى النسخة د ونستبعد تورط المؤلف فيه لدقته، وقد نبه إلى هذا الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر . والبيتان الواردان هنا مذكوران في الخريدة في ترجمة السديد ١ : ١٤٣ .

٤٢٠ الزيادة رقم ٣١ وردت في ر مع اختلاف في الترتيب ، وكذلك الزيادة ٣٣

(ص ٤٢٩) وردت في ر .

٤٣٠ بعد السطر ١٩ وردت هذه الزيادة في ر : وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً قيل جاء جرير إلى باب سكينة بنت الحسين رضي الله عنه يستأذن عليها ، فلم تأذن له وخرجت له جارية لها فقالت له : تقول سيدتي ، أنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعي بسلام

قال ، فقلت : نعم ، قالت : فهلا أخذت بيدها ورحبت بها وأدنيت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها ، أنت عفيف وفيك ضعف ، خذ هذه ألفي درهم وارجع إلى أهلك .

٤٣٤ الزيادة رقم ٣٤ ، ورد جانب من وصية جعفر الصادق في هذه الزيادة على هامش النسخة س.

٤٥١ أبيات ابن فارس على هذه الصفحة وردت في ترجمته ، فاثباتها هنا من قبيل السهو ، وحقها أن تحذف .

٤٥٢ الزيادة المتعلقة بالمتنبي على هذه الصفحة أصيلة في المسودة .

٤٥٢ الزيادة المتعلقة بالنامي الشاعر حتى قوله « في عارضي » وردت في ر .

٤٥٨ البيتان « فرشت خدي للعشاق » وردا في هامش س .

٤٥٨ الزيادة المتعلقة بناصح الدين الأرجاني وردت في ر ما عدا البيتين « أنتم فرازين هذا الدست » .

٤٦١ الزيادة المتعلقة بأسامة بن منقذ وردت جميعها في ر ، وآخر بيتين فيها وردا في هامش س .

٤٦٥ الزيادة المتعلقة بالصاحب ، والأخرى المتعلقة بالمنصور العبيدي وردتا في ر .

٤٦٦ البيتان « تجري الأمور على قدر القضاء » وردا بهامش س .

٤٦٧ الزيادة المتعلقة ببشار بن برد وردت في ر .

٤٦٩ الزيادة المتعلقة بتقية الصورية وردت في ر .

٤٧٠ الزيادة المتعلقة بتميم بن المعز وردت في ر .

ج ٢

٣٥ الأبيات البائية المنسوبة إلى عبد الملك ذكرها ابن العديم في ترجمة الحجاج (٤ : ٣ — ٤٣) ورواية البيت الثاني :

وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً   إلى الله منه ضيع الدرّ حالبه

ورواية البيت السادس :

ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد   تقم فاعلمن يوما عليك نوادبه

٣٦ وهذه أبيات الحجاج برواية ابن العديم :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي   أذاك فيومي لا توارى كواكبه
وما لامرىء يعصي الخليفة جنة   تقيه من الأمر الذي هو راهبه
أسالم من سالمت من ذي قرابة   ومن لم تسالمه فاني محاربه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة   فقامت عليه في الصباح نوادبه
إذا أنا لم أدن الشفيق لنصحه   وأقص الذي تسري إلي عقاربه
وأعطي المواسي في البلاء عطية   ترد الذي ضاقت عليه مذاهبه
فمن يتقي يومي ويرعى مودتي   ويخشى غدي والدهر جم عجائبه

وبعد ذلك البيتان الأخيران .

٣٧ وردت القصة المنقولة عن أبي الفرج المعافى في ابن العديم ٤ : ١٠ .

٧٨ اسكن إلى سكن تسر به : الشعر لبشار ، انظر ديوانه : ٦٦ (جمع العلوي) .

٩٥ الترجمة رقم ١٧٠ : بهامش بر طرف من المساجلات بين أبي نواس وعنان وشيء من شعر ابن الأبار الخولاني منقولاً عن الذخيرة لابن بسام ، وهو نص كثير الاحماض ، ليس من أصل المؤلف .

١٠١ الزيادة الأولى على هذه الصفحة بين معقفين لم ترد في بر .

١٠٣ الزيادة المستمرة حتى هذه الصفحة لم ترد في بر ، وكذلك هي أكثر الزيادات الواردة في النسخ الأخرى ، وسنكتفي بهذين المثالين في الاشارة إلى ذلك . وكذلك سقطت من بر التراجم التي انفردت بها ر أو ص .

١٨١ ـ ١٨٢ أبيات ابن الدباس ورد ابن الهبارية في جمهرة الاسلام ، الورقة : ١٣١

١٨٥ أثبتت النسخة بر جميع لامية العجم للطغرائي .

٢١٤ بهامش بر بيتان للخطابي منقولان عن طبقات السبكي ، واذن فانهما من الزيادات المتأخرة .

٢٤٨ بعد ترجمة الخليل أوردت النسخة بر على الهامش هذه الترجمة : أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل بن موسى بن عبد الله السجزي القاضي الحنفي ، قال الحاكم أبو عبد الله : شيخ أهل الرأي في عصره في الفقه ، له كتاب الدعوات والآداب والمواعظ ، توفي بسمرقند في جمادى الا[ ] سنة ثمان وستين وثلثمائة ، له رحلة واسعة جمع فيها بين بلاد فارس وخراسان

والعراق والحجاز والشام وبلاد الجزيرة ، روى عن أبي القاسم البغوي وابن خزيمة في خلق ، وله ترجمة واسعة في التواريخ وكتب الأنساب ، ومن شعره :

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوة — وسفيان في نقل الأحاديث سيدا
وفي ترك ما لم يغنني عن عقيدتي — سأتبع يعقوب العلا ومحمدا
واجعل درسي من قراءة عاصم — وحمزة بالتحقيق درساً مؤكداً
واجعل في النحو الكسائي قدوة — ومن بعده الفراء ما عشت سرمدا
وان عدت للحج المبارك مرة — جعلت لنفسي كوفة الخير مشهدا
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي — فمن شاء فليبرز ويلق موحدا

ومن شعره أيضاً :

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني — ولا أبتغي من بعده أبداً فضلاً
ولست أروم القوت إلا لأنه — يعين على علم أرد به جهلا

رحمه الله تعالى. قلت : وهذه الترجمة هي رقم٥٩٥ في الجواهر المضية ١ : ٢٣٤.

٢٨٦ السطر ٢٢ انظر البيتين في عوارف المعارف : ١٧١ .

٣٢٦ بهامش بر حكاية عن حبس أبي دلامة مع الدجاج وأبياته التي أولها هي :

أمير المؤمنين فدتك نفسي — علام حبستني وخرقت ساجي

وبعدها تجيء حكاية خروج المهدي للصيد في الهامش أيضاً .

٣٤١ الأبيات « يا زيد زادك ربي من مواهبه ... » وردت في البدر السافر ، الورقة ١٣٣ في ترجمة أبي شجاع ابن الدهان .

٣٨٦ بهامش بر عند ترجمة سفيان الثوري هذه الزيادة ؛ : قال عبد الرزاق : بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة فقال : ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه ، فجاء النجارون ونصبوا الخشب ، ونودي بسفيان ، فاذا رأسه في حجر الفضيل ابن عياض ورجليه في حجر ابن عيينة قال : فقالوا يا أبا عبد الله ، اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء ، قال : فتقدم إلى الاستار فأخذها ثم قال : برئت منه إن دخلها [أبو جعفر] ، قال : فمات قبل أن يدخل مكة (وانظر تاريخ بغداد ٩ : ١٥٩) وقال قبيصة : رأيت الثوري في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي : هنيئاً رضاي عليك يا ابن سعيد :

لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أيّ قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

٣٩٢ السطر ٢٠ : قيل انه في آخر ... القابل : ورد بهامش بر .

٤٣٦ السطر الأول : زاد بهامش بر بعد قوله: ما رمدتا: كما قال يزيد بن معاوية:

فمن ملا مقلتيه من محاسنها كان الأمان لعينيه من الرمد

٤٨٩ أخبار صاعد التي لم نثبتها وهي منقولة عن ابن بسام ، ورد قسمٌ منها بهامش بر .

٥١٤ الزيادة الطويلة التي تنتهي على هذه الصفحة وردت في بر ، وورد إزاءها في الهامش ما يلي : وكتب إليه استفتاء ما صورته :

يا أيها العالم ماذا ترى في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبي أهيف أغيد سهل المحيا حسن القدّ
فهل ترى تقبيله جائزاً في النحر والعينين والخد
من غير ما فحش ولا ريبة بل بعناق جائر الحدّ
إن أنت لم تفت فاني إذاً أصيح من وجدي واستعدي

فأجاب بقوله :

يا أيها السائل إني أرى تقبيلك المعشوق في الخد
يفضي إلى ما بعده فاحتسب قبلته بالجد والجهد
فان من يرتع حول الحمى لا بد أن يجني من الورد
يغنيك عنه كاعب ناهد تحضر [ها] بالملك والعقد
تنال منها كل ما تشتهي من غير ما فحش ولا صد
هذا جوابي لقتيل الهوى فلا تكن في ذاك مستعدي

ج ٣

٣٢ بهامش بر : كان عبد الله بن المبارك كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :

وإذا تصحب فاصحب صاحباً ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم

وقد ذكرا في طبقات الحنفية (انظر الجواهر المضية ١ : ٢٨١) .

١٦٧ بهامش بر إزاء ترجمة أمام الحرمين هذه الزيادة : ومن شعره :

أخي لن تنال العلم إلا بستة   سآتيك عن تأويلها ببيان
ذكاء وحرص وافتقار وغربة   وتلقين أستاذ وطول زمان

٢٠٣ أورد بهامش بر بيتين من الشعر لعبد القاهر البغدادي نقلاً عن طبقات السبكي ، وهذا من الزيادات التي ليست من الأصل .

٢٥٤ السطر ٣ « سار ذكره في الآفاق ... يعوّلون عليها » وارد نصاً في تاريخ إربل ، ولم يشر المؤلف إلى ذلك ؛ قلت : وانظر عن القتال بين أتباع عدي بن مسافر وأصحاب بدر الدين لؤلؤ في الحوادث الجامعة : ٢٧١ وراجع القول في عقيدة أتباعه في شرفنامه للبدليسي : ١٤ .

٢٥٦ السطر ٢ : وذكر أبو العباس المبرد .... انظر التعازي ، الورقة : ٣٠ .

٢٦٠ السطر ٤ : ومن كلامه إنما قيل لموسى ... علق اليافعي ٣ : ١٥٧ على ذلك بقوله : وعجبت من ابن خلكان كيف يحكي مثل هذا في حق موسى عليه السلام ولا ينكره على قائله .

٣٦٢ السطر ٩ القصة المنقولة عن السمعاني وردت في ابن العديم ٢ : ١٥٠ ومعها الأبيات .

٣٩٦ السطر ٨ « ولقد نزلت بروضة حزنية ... » الأبيات ، وردت في ابن الشعار ٤ : ٢٩٧ .

٤٣٦ عند آخر ترجمة عمارة بهامش بر زيادة منقولة عن ابن حجة الحموي من كتابه « ثمرات الأوراق » وهي من غير الأصل .

٤٤٢ السطر ٩ « ولما حضرته الوفاة دخل عليه أبوه ... » انظر التعازي ، الورقة ٢٥ .

٤٥٥ البيتان « يقول أبو سعيد إذ رآني » وردا في الغصون اليانعة : ٢٥ منسوبين لابن المجاور الدمشقي ، ورواية الأول :

صديق قال لي لما رآني   وقد صليت زهداً ثم صمت

ملحوظة : ابتداءً من الجزء الرابع تشترك النسخة « بر » مع سائر النسخ ، فلا يرد ذكرها في هذه التعليقات .

ج ٤

١٢ ما بين معقفين لم يرد أيضاً في مخطوطات برلين DE 47, MF 135, Pt 661 ، وكذلك ما ورد بين معقفين على الصفحة : ١٧ .

٣٥ الأبيات في أول هذه الصفحة وردت في اللزوميات ١ : ٢٧ (ط . هندية) ورواية البيت الثالث :

إذا مـا أتـانـا زائر متفقـد فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال أبو العلاء : وهذا الشعر لرجل في السجن كان على عهد ملوك بني العباس ، ويقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القدوس .

٣٦ ما بين معقفين على هذه الصفحة ورد في مخطوطة برلين Ldg. 543

٣٩ البيتان « تعزّ أبا العباس ... » في ابن العديم ٢ : ١٥٠ .

٤٠ الأبيات « أنت تبقى ونحن طراً فداكا » في ابن العديم ٢ : ١٥٠ .

٤١ السطر ٥ بعد قوله والله أعلم ورد في مخطوطة برلين DF 47 الورقة ١٠٢ ما يلي : « وذكر الجهشياري في كتاب أخبار الوزراء في أنباء أخبار البرامكة أن الفضل ابن سهل بن زادان فروخ من قرية من السيب الأعلى ، وكان له عم يدعى يزيد ، فتوكل لجارية لعاصم بن صبيح ، فاتهمه عاصم بها فضربه بالسيف وهو سكران ضربة مات منها ، فصار سهل والد الفضل المذكور إلى باب يحيى بن خالد البرمكي طالباً دم أخيه وهو محبوس بعد . فاتصل بسلام بن الفرج مولى يحيى مستغيثاً به ، فحماه وأعانه ، فأسلم سهل على يد سلام المذكور ، وتوصل به حتى اتصل بالبرامكة ، وأحضر ولديه الفضل المذكور والحسن ، فاتصل الفضل بالفضل بن جعفر بن يحيى . واتصل أخوه الحسن بالعباس بن الفضل بن يحيى وخدماهما . وعرفهما يحيى فرعاهما ، فنقل الفضل بن سهل ليحيى كتاباً من الفارسية إلى العربية ، فأعجبه فهمه وجودة عبارته . وقال له : إني أراك ذكياً وستبلغ مبلغاً رفيعاً ، فأسلم حتى أصلك بولد أمير المؤمنين ، فقال : نعم ، فبعثه إلى ولده جعفر ، فأدخله على المأمون .

٤٧ ما بين معقفين ورد في Ldg. 543

٦٩ البيتان : « همتي دونها السها ... » وردا في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٢ ونسبهما لمحمد بن القاسم ولد المترجم به .

١١٠ ما بين معقفين ثابت أيضاً في DF 47 ، أما ما جاء على الصفحة ١١١ بين معقفين فانه ساقط منها .

١٢٢ ترجمة العتابي لم ترد في DF 47 .

١٢٧ الليث بن سعد : هذه هي الترجمة التي وردت في Pt. 661, 662 .

١٤٧ ترجمة ابن المستوفي لم ترد في النسخة Ldg. 543 .

١٥٢ الترجمة رقم ٥٥٥ لم ترد في Ldg. 543

١٥٤ الترجمة رقم ٥٥٦ لم ترد في Ldg. 544 ووردت في Pt. 562 وتنتهي فيها عند قوله « خذلهم الله تعالى » .

٢٢٢ البيتان : « أيا جبلي النعمان » : وهم الاسنوي فنسبهما إلى الارغياني ، وهما من قديم الشعر ، وينسبان للمجنون .

٢٢٨ ما بين معقفين ثبت في DF 47 أيضاً .

٢٢٩ الترجمة رقم ٥٩٤ لم ترد في MF 135 .

٢٤١ الترجمة موجزة في MF 135 .

٢٧٥ البيتان « يا راحلين بمهجة ... » نسبهما في الاسنوي ٢ : ١٠٧ للشهرستاني نفسه .

٢٩٥ السطر ٤ : ذكر ابن المستوفي بعض مؤلفات الحازمي وفي التسمية بعض اختلاف عما أورده المؤلف ، فمن كتبه الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار ، ومشتبه النسب وسماه « اصطلاح النساب في علم الأنساب » ، وكتاب التفصيل في مشتبه النسبة .

٤٣٤ ترجمة ابن أزهر جاءت كاملة في Pt 661 .

٤٥٣ قصة هجو ابن الهبارية لنظام الملك وردت بشكل آخر في ابن العديم ٤ : ٢٩٥ وذكر أنه أوردها أيضاً في ترجمة ابن الهبارية .

ج ٥

ص ١١ خطبة واصل التي أسقط منها الراء في جمهرة الاسلام ، الورقة : ٨٨

ص ٤٧ السطر ١٧ كتاب المغرب ، ضبطه المؤلف بخطه بالعين المهملة في ترجمة يوسف بن تاشفين .

٣٤٦ السطر ١٦ : « وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة ... » . قارن بما ورد في الخريدة ٢ : ١٧٢ (قسم العراق) .

٣٥٤ الأبيات « قل للقوافل والغزاة إذا غزوا... » ورد بعضها في ابن العديم ٨ : ٣٨ .

ج ٦

٧٠ السطر : ٩ ذكر ابن العديم كتاباً اسمه « أنموذج الأعيان » ٢ : ٢٠٨ وقال انه من تأليف عبد السلام بن يوسف الدمشقي .

٧٦ القصة التي أوردها ابن المؤلف (الحاشية : ٢) أوردها المؤلف نفسه (ج ٢ : ٢٩٦ — ٢٩٧) .

١٣٧ البيتان « تنكر لي دهري » للأبيوردي وقد وردا في ترجمته ٤ : ٤٤٦ .

١٥٢ الأبيات « يا زائرينا من الخيام ... » لمنصور النمري من قصيدة يمدح بها الرشيد، طبقات ابن المعتز : ٢٤٧ .

٢٣٥ الأبيات « يا باذل المال في عدم وفي سعة ... » وردت في ابن العديم ٨ : ٢٧٥ والرواية فيه « مواهبه » موضع « فواضله » ؛ و « مفعمة » موضع « منعمة » ؛ « بأحداثي » موضع « بأحداث » ؛ «فالجود بالعرض» موضع « فالجود بالعزّ » .

٢٨٥ الأبيات « سألناه الجزيل فما تلكا ... » نسبها ابن العديم ٨ : ٣٧ لزياد الأعجم يقولها في مدح عبد الله بن جعفر .

٣١٠ قصة يزيد بن أبي مسلم مع سليمان بن عبد الملك وردت في ج ٢ : ٤٢٥ في ترجمة سليمان ، ومعلوم أن هذه الترجمة لم ترد إلا في نسخة ص .

٣٢٤ قصة أشعب مع يزيد بن حاتم وردت في ترجمة أشعب ٢ : ٤٧٣ وهي ترجمة انفردت بها ص أيضاً .

ج ٧

٤١ الأشعار الواردة ابتداءً من « ألقني في لظىً ... » ورد معظمها في انباء الأمراء ، الورقة : ٢٧ في ترجمة أبي المواهب القمي .

١٣٩ س ٨ « اتفق أهل التاريخ ... » انظر هذا النص في ذيل مرآة الزمان ١ : ٣٧ .

٢٠٨ البيتان « وما خضب الناس ... » وردا في البدر السافر ، الورقة : ٢٠٥

٤ ــ معارضة الجزء الاول بمسودة المؤلف والنسخ س ر بر

ص	السطر	
ص ٢٥	السطر : ١	س : ربيعة بن ذهل بن ربيعة بن حارثة بن ذهل بن سعد .
	٩	س بر : أنا أتوقع .
	١٥	المسودة : جلد ؛ س : جالد ؛ ربر : خالد .
٢٦	» ١	س بر : وهذا هو الصحيح .
٢٧	» ٣	س : ونجب .
	٧	المسودة س بر ر : عتمة .
٢٨	» ٣	المسودة س بر : الملقب ركن الدين .
	» ٦	س : خمس مجلدات .
	» ١٦	المسودة : دَعْلَج (مضبوط بخط المؤلف) .
٢٩	» ١٢	س بر : فيطلب منه .
	» ٢٠	المسودة س ر بر : بودّ حرٍّ .
٣٠	» ١٤	المسودة ر بر : لا تألف ؛ س : لا يؤلف .
٣١	» ١	بر : الجوزي ؛ س : الحوبري (دون اعجام) .
٣٣	» ١٦	ر : تغيير .
٣٤	» ٦	ر : أخا علمٍ .
٣٥	» ٩	س ر : إذ نفحا .
٣٧	» ١٠	المسودة س ر بر : وكان أصله من العراق من السندية ، فقيهاً فاضلاً .
	» ١٢	المسودة س ر بر : ونظمه رائق فمنه .
٣٨	» ٧	المسودة : فلو كان .
٤٠	» ٩	س : فلما قدم المأمون بغداد .
	» ١٥	المسودة : حتى يكون .
٤٢	» ١١	س : عثمن (موضع بهمن) .

ص ٤٢ السطر : ١٢ المسودة : يسلك ؛ ر : يشلك .

» ١٥ المسودة ر : وهم من بيت .

٤٣ » ٨ بر : وكان هارون الرشيد .

٤٤ » ٤ المسودة ر س بر : ومن رقيق شعره قوله .

٤٦ » ١٤ بر : مخرج .

٤٨ » ٧ بر : قلبي أرق عليك .

» ١٠ المسودة ر بر : صاحب كتاب الامامة .

٥٢ » ١٣ المسودة ر بر س : وهاجت حقده .

٥٤ » ٥ المسودة بر ر س : بهمز آخره .

» ١٣ المسودة ر بر س : له ديوان .

» ١٥ س : وأدب .

٥٦ » ١١ المسودة ر بر س : ما للعذار وكان .

٥٧ » ٤ المسودة ر بر س : كأنني غيلان .

» ١٦ المسودة بر س : افرنجة .

٥٨ » ٢٠ س ر : ومن العجائب أن تراه كاسداً .

٥٩ » ٩ المسودة بر : ما تبلّ .

» ١٢ بر : يستملحه الأدباء ويستظرفونه

٦٠ » ١ بر : طالعي الميمون .

٦٤ » ١٩ المسودة ر : شعيرات سود .

» ٢٢ المسودة ر س بر : وتوفي .

٦٦ » ٤ المسودة س بر : في كتاب الطبقات في حقه .

» ٥ المسودة س ر بر : وولي القضاء .

» ١٩ المسودة س ر بر : إن الله تعالى بعث .

٦٧ » ١ المسودة س ر بر : فأظهر كلّ سنة .

» ٢ المسودة س ر بر : ومنّ الله تعالى على رأس الثلثمائة بك .

» ٦ المسودة : في حجرة ؛ بر : بحجرته .

» ١٨ المسودة ر بر : عجمياً .

٦٨ » ٩ المسودة ر بر : تولى القضاء بها .

» ١٠ المسودة ر بر : وأدركته خشية ورقة .

ص ٦٨ السطر : ١٧ المسودة س بر : بالحصون والأودية .
٧٢ » ١٥ المسودة ر بر س : وهي قبيلة كبيرة مشهورة .
٧٣ » ٦ المسودة ر بر س : بن عبدك الاسفرايني .
» ١٢ المسودة س : علي بن الحسن .
» ١٦ المسودة س : هو أقدم منه وأعلم .
٧٤ » ١٤ المسودة : ما لم أفعل ، وقال بهامش س : كذا هي بخط المصنف ، قلت : ولعله خطأ ، وفي بر : ما لم يفعل .
٧٥ » ١٧ المسودة ر س بر : الحافظ المشهور .
٧٧ » ٥ المسودة س : وانتشر .
٧٩ » ١١ المسودة س : في كتابه الأنساب .
٨٠ » ٥ المسودة س ر : فاذا أحمد الثعلبي .
» ١٥ المسودة س ر بر : وهي أحسن مدن ...
٨١ » ٨ ر : وتجر أبوه .
٨٧ » ٦ ر : فقال أحمد : ما بلغ مني ... الخ .
٨٨ » ٤ المسودة س : بقضاء حاجاته .
» ٩ المسودة س : وكانت فيه ...
» ٢٢ المسودة : ولم تكن طريقه .
٨٩ » ٣ المسودة : واضحةٌ .
» ٤ المسودة : آباءَ .
٩٠ » ٢٠ بر : تجبى إليه .
٩٢ » ٦ المسودة ر س : وسباه العسكر .
» ٧ المسودة : وآن الجمع .
» ١٣ المسودة ر س بر : من المصنفات المفيدة .
» ١٦ المسودة س بر : عن أبي الحسين المحاملي (وورد من قبل : الحسن).
٩٣ » ٤ المسودة ر س : حافظ الشرق .
٩٦ » ٣ المسودة بر س : وما أقصر .
٩٨ » ٧ ر : الأولى طابران .
» ٨ المسودة س : باء موحدة مفتوحة .
» ١٤ المسودة : لكن هكذا .

ص	السطر	
٩٩	السطر : ٨	المسودة : وبعد الهاء والألف نون .
١٠٠	« ٢	المسودة : المعلقات التسع .
١٠٣	« ٢	المسودة : اقرأ ؛ ر بر س : اقر .
	« ٩	المسودة : كبير الفائدة .
	« ١٣	بر : يعيش لدى ديمومة البيت حوتها .
١٠٤	« ١٥	المسودة س بر ر : وكتاب اختلاف النحويين وكتاب... الخ. (أدرجت كلمة كتاب في كل هذه الفقرة) .
١٠٥	« ٣	المسودة ر س : الحافظ أبو الطاهر .
١٠٦	« ١١	وهي بفتح الواو ... الخ (في ضبط وعلة) .
١٠٨	« ٥	المسودة : عائذ ؛ ر بر : عابد .
	« ١٧	المسودة ر س بر : وكنت أحضر درسه .
١١٠	« ٨	المسودة س بر : خط الجمال .
١١١	« ١	المسودة س : من جملة قصيد .
١١٢	« ٥	المسودة : وله (في موضع : ولابن عبد ربه ، وهو وموهم).
١١٤	« ١٥	المسودة ر بر س : رهن المحبسين .
	« ١٨	المسودة ر بر : بالايلام مطلقاً ؛ س : بايلام مطلقاً .
	« ١٩	لفظة « قوله » لم ترد في المسودة س ر بر .
	« ٢٢	« يوم » فوقها في المسودة « ليلة » .
١١٥	« ١	المسودة س : هذا البيت ، رحمه الله تعالى .
١١٦	« ٤	المسودة : ولم تزل المعرة بأيدي ...
	« ٥	المسودة : في سنة تسع .
	« ١٢	المسودة ر س : في كتابه الذخيرة .
١١٧	« ٢	المسودة س : من جملة قصيد .
	« ٨	المسودة ر بر : فنام ونامت .
١١٨	« ١٦	يعايي : هي كذلك في النسخ ما عدا س فقد وردت وتعاني ، وقد استشكل عليها الأستاذ جواد الطاهر ، والمقصود ما كان مثل كتابه « فتيا فقيه العرب » ففيه مسائل من قبيل الأحاجي .
١١٩	« ٥	المسودة س : بطرف فاتن فاتر .
١٢٠	« ١٥	المسودة س : التكملة والايضاح .

ص ١٢١ السطر : ٢ المسودة : القَبْج .

١٢٢ » ٥ المسودة س : فالتحق بالأمير .

١٢٣ » ٥ المسودة س ر بر : وأجزل جائزته .

» ٢١ المسودة ر س : وبعدها الفاء .

١٢٦ » ٢ المسودة : ومن محاسن شعره فيه قوله :

» ٣ المسودة ر : علاك وفي الدنيا .

» ٦ سقطت « أيضاً » من المسودة ر .

» ٩ المسودة ر بر س : وشكت .

١٢٧ » ١٢ لفظة « ساحل » واردة في النسخ .

» ١٢ المسودة ر س بر : طرسوس .

١٢٩ » ١٥، ١٨ سقطت كلمة « قوله » من المسودة س ر .

١٣٠ » ١ المسودة بر : وقلت قف لا ترد للماء .

» ٢ المسودة ر بر : قالت صدقت وفاء الحب .

١٣١ » ٣ لفظة « بطون » لم ترد في النسخ .

» ٨ المسودة : قصب الحصل ؛ ر س بر : قصب الفضل .

١٣٢ » ٣ المسودة : ومن مدحها .

١٣٣ » ٧ س : نوّل الناسَ .

» ١٣ المسودة س : وتقيلوا الأخلاقَ (وهي الصواب) .

١٣٤ » ١٠ المسودة ر س : وتوفي في سنة .

» ١٣ المسودة ر س : لقبه عبد الله بن المعتز .

١٣٥ » ٥ المسودة : والعلماء المقدمين .

» ١٠ س : قصيد أبي نواس .

١٣٦ » ١ خ بهامش س : ذريني (أرد ماءً ...) .

» ٦ المسودة س ر : غبي بمرجوع (وهي قراءة ضعيفة) .

١٣٨ » ١٣ المسودة : وله من جملة أبيات .

» ١٦ في المسودة بعد لفظة « الوشاة » : والله أعلم .

١٣٩ » ١١ المسودة ر س بر : أحد من جر الأيام جرا .

١٤٠ » ٩ المسودة ر س : ومن شعره (وسقطت : أيضاً) .

» ١٥ المسودة ر س بر : ومن بديع قلائده القصيدة .

ص	السطر	
١٤٢	٢	المسودة ر س : المحسنين في فنونه .
١٤٣	١٠	المسودة بر س : والآخرة أيضاً والآخرة أيضاً .
»	١١	المسودة : وأطرق ولم .
»	١٤	المسودة : وقاه فوقها كلمة « غذاه » .
»	١٥	المسودة : المرضعات فوقها كلمة « الوالدات » .
١٤٤	٢	المسودة س بر : يروع .
»	٤	المسودة س بر : وأورد شيئاً .
»	٦	المسودة س : اوقليدس .
»	٧	المسودة : وقد تناهى عقله قلة .
»	٨	المسودة ر : وتوجد له .
١٤٥	٧	المسودة س : الخياط الدمشقي الشاعر .
»	٨	المسودة س : ومدح بها .
١٤٨	١٠	س : ألا هل .
»	١٦	المسودة بر : الأسمى في الأسما .
١٤٩	٤	المسودة : الكاتب الشاعر الملقب كامل الدولة .
»	٤	المسودة : نادر الخط .
»	٦	المسودة س ر : كتب بالمقامات نسخاً .
١٥٠	٣	المسودة ر : فتُطْوَى .
١٥٢	١٩	المسودة ر : دوّنه (كذا ثبت بخط المؤلف) .
»	٢٣	المسودة ر بر : فالعين تنظر منها ما دنا ونأى (وهي رواية موافقة لرواية الديوان) .
١٥٣	٤	المسودة ر س بر : لكم (باتفاق النسخ) .
»	٨	س ر بر : لم ؛ وبهامش س : كم ، ولم ترد الأبيات في المسودة ، وهي من أصل المؤلف .
١٥٨	٢	هامش س : وعلا وَجْنَتَه (وهي أصوب) .
١٦٢	١	المسودة : والرياضيات .
»	٢	المسودة ر : عضد الدين .
١٦٣	٩	بر : فلست أبالي (وهي قراءة ضعيفة) .
١٦٤	٦	المسودة ر بر : ابن المسلّم اللخمي .

ص	السطر	
١٦٤	٩	المسودة س : وكذلك .
»	١٤	المسودة س : وشهدتَ .
١٦٧	٢٣	المسودة : أوقليدساً .
١٦٨	٤	المسودة ر : مع المقدرة .
»	٦	المسودة ر بر س : يكتسب .
١٦٨	١٠	المسودة ر : وفي صفة الصفوة (وهو الصواب) .
١٦٩	٤	المسودة س : طيباً وقد قربوا للوفد .
»	٩	المسودة ر بر س : في أشياء من العلم .
١٧٠	٦	المسودة ر بر س : لفظة « كان » لم ترد فيها .
١٧١	١٥	بر : بن أبي الحسين .
١٧٢	٢	المسودة س : إلى التنانير .
»	١٠	س : للأسى ؛ خ : بهامش س : للهوى ؛ بر : بالجوى .
»	١٣	المسودة : فمطلق ؛ س : فمعتق ؛ خ بهامش س : فيطلق .
١٧٣	١٢	المسودة ر س بر : فقال : من مدّ ... الخ .
١٧٥	٤	المسودة بر س : وبقية النسب معروف .
»	٦	المسودة بر س : كان صاحب العراق .
١٧٦	٤	المسودة س بر : ملكه للعراق .
١٧٨	٢	المسودة ر بر س : صاحب الديوان الشعر .
١٧٩	١	المسودة ر بر س : وسيأتي تتمة ...
»	١٧	المسودة : فلم تكن .
»	١٨	المسودة بر : استولى الافرنج .
١٨١	٧	المسودة ر بر س : والقضية مشهورة .
١٨٢	٢	المسودة بر : لا تيأس إذ ؛ س : لا تيأس إن .
١٨٣	٥	المسودة بر : المذكورة بالقدس (لم ترد لفظة : الشريف) .
١٨٥	٩	المسودة : أفنيتَ (بفتح التاء) .
»	١٨	المسودة ر بر س : وشرطُ صاحب مصر .
١٨٦	٣	س : زعم اللعين .
»	١٥	المسودة : فقد حصّتْ .
١٨٧	٤	المسودة ر : في تربة بالقرافة ؛ س بر : في تربته بالقرافة .

ص ١٨٧	السطر : ١٧	المسودة : وزج المتظلّم .
١٨٩	« ٦	المسودة بر : فميلوا ؛ س : ميلوا .
١٩١	« ٨	المسودة ر بر : وإيل غازي .
	« ١٣	ر بر : الفراة (وهو مشكلٌ في تحديده) .
١٩٢	« ١٣	المسودة س ر : قتله عسكر .
١٩٣	« ٤	المسودة س : ابن السمعاني .
	« ٥	المسودة بر : القابسي ؛ س ر : الفاسي .
	« ٧	ر : شغب ؛ بر : سعد .
	« ١٧	المسودة ر س بر : قلّ أن يوجد .
١٩٤	« ١٤	المسودة ر س : فترصد له في يوم .
	« ١٩	المسودة ر بر : ألف دينار وقد قضيت ... الخ .
١٩٥	« ١٢	المسودة س : على يدي عتبة .
	« ١٣	المسودة ر س بر : أدب الكتاب .
	« ١٤	المسودة س بر : باب ما يغير .
١٩٦	« ١٤	المسودة : سنة احدى وأربعين وخمسمائة ، والحافظ مات سنة أربع وأربعين .
	« ١٩	المسودة ر س بر : تضعف عن .
١٩٧	« ١	س : الوقعة .
١٩٩	« ١٦	المسودة : ابن مطر وتحتها لفظة « بكر » ؛ بر : مظفر ، وفي بر : كعب بن همام بن بكر بن أسد (فوقعت لفظة بكر في النسب) .
٢٠٢	« ٤	المسودة ر بر : فكان كلما عمل .
	« ٥	المسودة ر بر : وجعله في مسجد .
	« ٩	المسودة : السعانين (دون اعجام السين) .
	« ١٢	ر : يسك ؛ س : نسك ؛ بر : سبك ، وغير معجمة في المسودة .
٢٠٣	« ٢٥	س : وله نظم حسن فمن شعره .
٢٠٤	« ٢٣	المسودة : ومحّت (بالحاء المهملة) .
٢٠٧	« ٧	المسودة س : محيي الدين .
	« ١٣	المسودة س : في المذيل .
٢٠٨	« ١١	بر : أحمد بن الحسين ، ولفظة « الحسين » غير واضحة في المسودة .

ص ٢٠٩ السطر : ٢ المسودة ر س : فمن ذلك كتاب شرح ... الخ .

٢١٠ « ١٦ المسودة ر بر : وله من جملة مديح قصيدة طويلة .

٢١٣ « ١ المسودة س : التنوير في مولد .

٢١٤ « ٤ المسودة : رُفَيْع (بضبط المؤلف) .

« ١٧ المسودة ر : لا يتقى بالدرع حدّ (وكذلك ابن الشعار) .

٢١٧ « ٨ المسودة : عمرو بن اسحاق ثم رمج على « اسحاق » وكتب فوقها « مسلم » .

« ١٦ المسودة ر : أبو العباس ابن سريج .

« ١٦ المسودة ر س : لم تُفْتَضّ .

٢٢٦ « ١١ المسودة : دَرَسْتَوَيه (بضبط المؤلف) .

« ١٧ المسودة بر : سافر إلى بغداد .

٢٢٧ « ٥ المسودة س بر : وأكثر كتبه بها وضعها .

« ٧ المسودة بر : فلتطلب منه .

« ٢٢ المسودة بر : وكانوا كملوك الطوائف .

٢٢٩ « ١٢ المسودة س : ومن جملتها .

٢٣٠ « ١ المسودة س ر بر : لفظة « سريعها » لم ترد فيها .

« ٢٠ المسودة س : وذلك رزء في الأنام ؛ وكتب في المسودة فوقها « وذلك مرزوء عليّ » .

٢٣١ « ١٠ المسودة : دزيه (بخط المؤلف) بر : دريه .

٢٣٣ « ٨ المسودة : كتاب الحجة للشيخ أبي علي الفارسي .

٢٣٤ « ٤ المسودة ر بر س : وسيأتي بقية .

٢٣٦ « ١ بر س : أراد دخول .

« ٤ بر س : يخلصني من هذا (ولم ترد لفظة « الداء ») .

٢٣٧ « ٩ المسودة س بر ر : هي المدرسة الحنفية المعروفة بالسيوفية الآن .

٢٣٩ « ٣ المسودة ر : ما ناظرت أحداً .

٢٤٣ « ١٢ س : المعدودين من أعيانها .

« ١٦ بر : في علوم الأدب .

٢٤٧ « ١٤ المسودة : سواءة بن سارية .

٢٤٨ « ١ المسودة ر س بر : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

الصفحة	السطر	
ص ٢٤٨	السطر : ١٠	المسودة : ثديبها .
٢٥١	« ١	المسودة : خماعة .
٢٥٢	« ١٥	المسودة ر س : وريف كثير .
	« ٢٤	المسودة س بر : وأضربها تحت الرايات .
٢٥٣	« ٣	المسودة : ويشعرون (؟) .
	« ٣	المسودة س بر : الأعداء .
٢٥٥	« ٣	المسودة : خماعة .
٢٥٦	« ٦	المسودة ر : وهو السلطان مسعود بن غياث الدين .
	« ١٧	المسودة : رأى أن يسيّر .
٢٥٧	« ٦	المسودة ر بر : الاسبهسلار .
	« ٢٦	المسودة ر بر : لولده صلاح الدين (سقطت كلمة « يوسف »).
٢٥٩	« ٩	المسودة ر بر : ورثاه الفقيه (الفقيد : خطأ مطبعي) .
	« ١٢	المسودة ر بر : ابن أبي طيّ .
	« ١٣	المسودة ر : ببلد شبختان .
٢٦٥	« ١٣	المسودة ر بر : المذكورة .
	« ١٤	المسودة بر : التاسع والعشرين ؛ س : تاسع عشرين .
٢٦٦	« ١	المسودة ر بر : ركوب .
	« ٧–٨	المسودة بر س : قصد طرابلس ونزل على قرب ...
	« ٨	المسودة ر س : لا يرحل عنها إلى أن ؛ بر : إلا أن .
	« ٩	المسودة : فتركت شرحه .
٢٦٧	« ٥	ر : مكان أبيه .
	« ٦	المسودة س ر : شاه زنان .
	« ١٤	المسودة س ر : مناً في كل شهر .
٢٦٨	« ١	س ر : طشت .
٢٦٩	« ١٥	المسودة : صفر ، وفوقها « رجب » ؛ ر : رجب ؛ بر س : صفر .
٢٧٠	« ٨	المسودة س : الذي تنسب إليه .
٢٧١	« ٦	المسودة : وكان المباشرُ لقتله مسعوداً .
٢٧٢	« ١٩	المسودة ر س بر : جملة قصيد عدد أبياته .
٢٧٤	« ١٢	المسودة س : وفتح الخاء الموحدة .

ص	السطر		
٢٧٥	السطر :	١١	المسودة ر بر س : لأحد نعليه .
٢٧٧	»	١٢	المسودة : أخذ الفقه على .
٢٨٣	»	٤	المسودة س : فمنهم عبيد الله ، خ في س : فخذهم ؛ س/خ : سعيد أبو بكر سليمان (وهي قراءة بر) .
٢٨٣	»	١٤	المسودة ر بر س : في النحو والآداب .
٢٨٤	»	١	المسودة س : حيان بن هلال .
	»	٦	المسودة س ر بر : وكذا كذا آية .
٢٨٥	»	٩	المسودة س ر بر : نُجْفَى .
٢٨٦	»	١٤	المسودة ر : أن ترفع الجناية؛ المسودة س : ولا ترفع السيف .
٢٨٧	»	٩	المسودة س ر : وأما واركلان فانه .
	»	١٣	س : وسيأتي ذكر .
٢٨٩	»	٤	س : في الحسن .
	»	١٩	س : كاد أن يدمي .
٢٩٠	»	١	المسودة س ر بر : فعرض .
	»	٢١	المسودة س بر : كانت فيه فضيلة .
٢٩١	»	٢	المسودة بر : جهة الغرب .
٢٩٥	»	١١	المسودة س ر بر : ثم تملك .
٢٩٦	»	٥	المسودة س ر بر : بظاهر دمشق التي .
	»	٢١	المسودة : ألبُغش ؛ س : النعش ؛ بر : البقش .
٢٩٧	»	١٤	المسودة ر بر : ابنة أبي الفرج .
٢٩٨	»	٤	المسودة س بر : لم ترد فيها لفظة « تقول » .
	»	١١	المسودة س : الحافظ العلامة زكي الدين .
	»	١٦	المسودة س ر بر : وما يتعلق به .
٣٠١	»	١٢	المسودة س : عَذّرا (وما ثبت خطأ مطبعي) .
	»	١٦	المسودة س : وله (وسقطت « أيضاً ») .
٣٠٣	»	١١	س : هكذا قاله .
	»	١٦	المسودة ر : الهمذاني (بالذال المعجمة) .
٣٠٤	»	٤	المسودة س ر بر : بن زير الأصغر .
٣٠٨	»	١٤	بر : مما أبث (وهي قراءة جيدة) .

ص ٣١٣ السطر : ٣ س : بن قرة بن مروان .
» ٤ المسودة : بن مَارِينُوس بن مَالاجُرْيُوس (بضبط المؤلف).
٣١٥ » ٦ المسودة س بر : عليه السلام .
» ٦ المسودة ر بر : وقيل هاران .
» ٨ المسودة س : عليه السلام .
٣١٦ » ٤ المسودة ر س بر : فخرج منها سكرجتان .
» ١٠ المسودة : فَحَيَّ هلا (وما أثبت خطأ مطبعي) .
» ١٣ المسودة ر بر : سمعت ذا النون يقول .
٣١٨ » ٧ المسودة س : ومحاسنه كثيرة .
» ٩ المسودة س ر : ودفن في القرافة .
٣٢٧ » ٥ المسودة ر س بر : « والله أعلم » لم ترد فيها .
» ١١ المسودة : صناعة الكيمياء .
٣٣٦ » ٣ المسودة : أضمر له السوء وأوقع به .
٣٤١ » ٩ المسودة س : وحدث محمد بن عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة قال (هذا بدلاً من «ومن أعجب ما يؤرخ»...الخ)
٣٤٨ » ٦ المسودة ر س : وسيأتي ذكرهما .
٣٥٧ » ٧ المسودة س : أبو الطاهر السلفي .
٣٥٨ » ٢ المسودة س بر : وأشهر هجرك المحتوم صدق .
» ٥ بر : يخضب بالوسمة .
» ١٠ المسودة س ر : وتوفي بها في ليلة .
٣٥٩ » ١ المسودة ر س بر : يستخرج بها الخفايا .
» ٢ المسودة ر س بر : حدسه .
» ٣ س : طشتا .
» ٦ المسودة ر س بر : يستخرج بها (سقطت لفظة « الخبايا ») .
» ٩ المسودة ر س بر : ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصفة.
٣٦٠ » ٤ المسودة ر : سخياً ؛ س : شيخاً .
» ١٥ المسودة : وهذا القدر خلاصتها .
٣٦١ » ١٤ المسودة ر : فأبادهم بتشتت .
٣٦٢ » ٣ المسودة : تخبرني عن أحمد بن دواد .

ص	السطر	
٣٦٢	٤	المسودة : ولو قال كذا .
٣٦٤	١	المسودة س : انتزعها منه السلطان .
»	٨	المسودة : فوجدت أن ملك شاه .
»	١٨	المسودة ر س بر : صاحب الموصل والجزيرة والشام .
٣٦٥	٣	المسودة ر س بر : ولم ينل منها مقصوداً .
»	٤	المسودة س : فرُّخ شاه ، وفوقها تضبيب في المسودة .
»	٦	المسودة : ليربيه .
»	٧	اللالا : سقطت من النسخ .
»	٧	س بر : فأتا .
»	٨	المسودة ر س : وكان جقر المذكور .
»	١٢	المسودة : وثلاثين وخمسمائة ، وقيل تاسع ذي الحجة رحمه الله تعالى .
»	١٢	المسودة س : موضع جقر الأمير زين الدين .
٣٦٦	٧	المسودة ر : بن كبير بن عذرة .
»	١٣	المسودة : إن من الشعر حكمة .
٣٧٢	٥	المسودة : أبي علي الحسن بن سليمان .
»	٨	المسودة : قتل الحاكم صاحب مصر لأبي أسامة جنادة وأبي الحسن المقرىء (وهكذا اضطرب المؤلف فهو يدعوه تارة أبا علي الحسن ، وتارة أبا الحسن علي بن سليمان) .
٣٧٣	٦	المسودة س : رضي الله عنه .
»	٨	المسودة س : لم يرد فيهما « رضي الله عنهم » .
»	١٥	المسودة ر : ورئي في يده يوماً ؛ بر س : ورئي يوماً في يده .
٣٧٤	١٢	المسودة بر : فبينا أنا كذلك .
٣٧٥	١٣	س : القائد أبو الحسين .
٣٧٨	١٢	بر : وخرج حريمهم .
٣٨٠	٣	المسودة : وهو الذي بنى القاهرة وسيأتي طرف منها في ترجمة (ثم طمس النص)؛ وهو غير وارد في النسخ وورد بدله « وشرع في عمارة الجامع » ... الخ .

محتويات الكتاب

التراجم العارضة

تصويبات واستدراكات [1]

ج١

ص ٢٩	س ٥	ابن أمين	اقرأ : ابن رامين
ص ٣٣	س ١٦	تعبيرَ	اقرأ : تعبيرِ
ص ٤٦	س ١	العُقر	اقرأ : العَقْر
ص ٦١	س ٢٠	شعور	اقرأ : شقور
ص ٨٧	س ١٣	مِزْيَد	اقرأ : مَزْيَد (عج)
ص ١١٤	س ١	لبَد	اقرأ : لِبْد
ص ١٣٦	س ٧	وَمَهَّدَتْ	اقرأ : وَمُهِّدَت
ص ١٥٠	(الحاشية)		هذا التعريف وهم كله لتشابه الاسمين فيحذف (عج)
ص ١٦٨	س ١٠، ١٥	وصفوة	اقرأ : وصفة (عج)
ص ١٧٩	س ١٧	وولي	اقرأ : وولّى
ص ١٨٥	س ٢١	صِقلية	اقرأ : صَقَلّية
ص ٢١٣	س ٢٢	والفوات ١ : ٢١	اقرأ : والفوات ١ : ٣٦
ص ٢٤٤	س ٤	البظرني	اقرأ : البطرني

(١) كان الدكتور علي جواد الطاهر قد راجع الجزء الاول في مقال نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الاول، المجلد السادس والاربعون: ٤٥ – ٦٥) وقد أطنب في ذكر مآخذ شكلية ، على أنه ، بعد كل ذلك ، يستحق الشكر لاهتمامه بهذ العمل ، وسأقيد ما أفدته من ملاحظه في هذا الباب ، وأشير إلى ذلك مقترنا باسمه الكريم (برمز : عج) .

ص ٢٦١ س ١٢ جودوربي — اقرأ : جور ، وربّي

ص ٢٩٧ س ٦ أنز — اقرأ : أنر

ص ٣٠٢ س ٣ قُصْرُ — اقرأ : قِصَرُ

ص ٣٠٣ (الحاشية١) — للعتقي تاريخ المغاربة (المشتبه للذهبي :٤٤٦) وهذا هو الذي يمكن أن ينقل عنه المؤلف ، وقد نبه دي سلان إلى ذلك (الترجمة الانجليزية ١ : ٢٨٠)

ص ٣٣٦ س ١٨ وافق — اقرأ : وافى (هذا ما أرجحه وقد وردت وافق في النسخة بر أيضاً)

ص ٣٤٠ س ١٠ هدأ — اقرأ : هدا (عج)

ص ٣٥٢ س ٩ سلبية — اقرأ : سببية

ص ٣٥٣ س ٦ مسقط — اقرأ : متيقظ

ص ٣٥٣ س ١١ تقدم — اقرأ : يقدم

ص ٣٥٥ س ١٦ ونحب — اقرأ : ونجب

ص ٣٥٥ س ١٧ أطرفه — اقرأ : أظرفه

ص ٣٦٠ س ٣ حمدان — اقرأ : حمدون

ص ٣٧١ س ٥ أجَرّ — اقرأ : أجُر

ص ٣٨٩ س ١٢ للتقحيم — اقرأ : للتفخيم

ص ٣٩٠ س ٥ الدمع — اقرأ : دمعي

ص ٣٩١ س ٧ وجمله — اقرأ : وحمله

ص ٣٩٤ س ١٦ صبحة — اقرأ : صبحه

ص ٣٩٧ س ٩ دوأد — اقرأ : دواد (عج) وكذلك حيث ورد

ص ٣٩٧ س ١٦ كيده — اقرأ : كدّه

ص ٤٠٨ س ١٧ خيفته — اقرأ : حينه (هذا ما أرجحه)

ص ٤٠٩ س ١١ والحانات — اقرأ : والخانات

ص ٤١٠ س ٩ ينوي — اقرأ : سوى

ص ٤١٠ س ١٤ التجارة — اقرأ : التجار

ص ٤١٠ س ١٥ الكيبخي — اقرأ : الكينجي (؟) (كذلك هي في ر) .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ص ٤١١	س ١١	دنانير وتطوع	اقرأ : دنانير وأن تلقط وتطرح
ص ٤١١	س ١٤	أدبك	« : أذنك
ص ٤١١	س ١٥	تسمع مثل	« : نسمع منك
ص ٤١١	س ٢٢	أردت	« : أردتك
ص ٤١٢	س ١	لتقود	« : لتفسد
ص ٤١٢	س ٧	يقتصد	« : يستقصه
ص ٤١٣	س ٨	قدمك	« : قدامك
ص ٤٢٠	س ١١	وضحَ من بناتكم	« : وصحّ من نياتكم
ص ٤٢٠	س ١٤	يرضاه	« : نرضاه
ص ٤٢٠	س ٢٠	شرفهما	« : شهر فيهما
ص ٤٢٥	س ١٣	رفضياً	« : رافضياً
ص ٤٢٥	س ٢٣	بطشت	« : بطست
ص ٤٢٦	س ٢	بالطشت	« : بالطست
ص ٤٢٩	س ١٦	عن حجناء بن جرير	قراءة ر : بلال بن جرير (وهي أصوب) .
ص ٤٣٠	س ٨	بثمر وفاكهة	قراءة ر : بتمر وفاكهة (وهي أصوب) .
ص ٤٣٤	س ١٠	رقي .. يستفزه	اقرأ : رُقَى .. تستفزه
ص ٤٣٥	س ١١	خيري	« : ختري
ص ٤٣٦	س ٤	ليبقي أكله	« : ليبقي أمله
ص ٤٤٣	س ١١	حشف	« : خشف
ص ٤٤٤	س ٤	ونغم	« : ونعم
ص ٤٤٦	س ١١	أمر به	« : أمريه
ص ٤٤٦	س ١٥	أجردا	« : أجربا
ص ٤٤٦	س ٢٠	تسود من	« : تسود إلا من
ص ٤٤٨	س ١٢	المبقرى	« : المنقري
ص ٤٥٠	س ٣	مصيدة	« : قصيدة
ص ٤٥٨	س ١٣	وقد راح للتوديع مني يرانيا	« : وقد لاح للتوديع مني دانيا (قراءة ر) .
ص ٤٥٨	س ٢٠	يفرّن	: « تفرزن (عج)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ص ٤٦٢	س ١١	واجتلبت	اقرأ : واحتلبت
ص ٤٦٢	س ١٢	بخله	» : بخل
ص ٤٦٢	س ١٧	ذرى	» : درر
ص ٤٦٢	س ٢١	للعاصم ... وسور	» : العاصم ... وسوار
ص ٤٦٢	س ٢١	إذحز	» : أذخر
ص ٤٦٢	س ٢٢	وسور	» : وسوار
ص ٤٦٣	س ١	يداه	» : يدي
ص ٤٦٥	س ٤	بل كل من ولدت	» : بل كل الذي ولدت (قراءة ر ونبه إليها عج) وأشار إلى قراءة اليتيمة : ما مت وحدك لكن مات من ولدت) .
ص ٤٦٥	س ٧	لا تعجبوا ان هم فيهم [قد] انتشروا	اقرأ : لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا كما في اليتيمة (عج) ، وقد ورد الشطر في ر ناقصاً بعد كلمة الناس .
ص ٤٦٩	س ١١	بروض	اقرأ : بنور (قراءة ر)
ص ٤٧٥	س ٥	ان العدد ان أوبعه	» : انالعدوان أوقعه(قراءة ر)

ج ٢

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ص ٣٦	س ٨	رقيق	اقرأ : رفيق
ص ٣٧	س ٢٠	ارجئه	» : أرجه
ص ٨٧	س ٥	العلم	» : العمر
ص ١٢١	س ٨	جعفر بن سهل	» : الفضل بن سهل
ص ١٤٢	س ٣	إلى عيسى	» : إلى علي بن عيسى
ص ١٦٧	س ١٨	إلى	» : إليّ
ص ١٧٣	س ١٥	الصبرَ	» : الصبرِ
ص ١٩٥	س ١٦	الحلل	» : الخِلل
ص ١٨٦	س ١	وقِرى	» : وقَرا
ص ١٩٧	س ١٤	عمرو	» : عمر
ص ١٩٨	س ١٧	عمرو	» : عمر
ص ٢١٤	س ١١	عبد الغفار	» : عبد الغافر

ص	س	الخطأ	الصواب
ص ٢٣٧	س ٧، ٨	الحصر	اقرأ : الخضر
ص ٣١٦	س ١١	يدي	» : يدي يدي
ص ٤٢٣	س ١٨	نظر	» : نظراء
ص ٤٧٢	س ١٢	بن	» : أبن

ج ٣

ص	س	الخطأ	الصواب
ص ٣٣	س ١٩	بَعْضُ	اقرأ : بُغْضُ
ص ٥٨	س ٣	غبتُ	» : غبتَ
ص ٢٧٦	س ١٠	للوليد بن مروان	» : للوليد بن عبد الملك بن مروان .
ص ٢٩٨	س ١	قاصد أبا أ	اقرأ : قاصداً أبا
ص ٣٢١	س ١٤	صوت	» : موت
ص ٤٢٥	س ١٩	الفارسي	» : القادسي

ج ٤

ص	س	الخطأ	الصواب
ص أ	س ٩	٢٢١٢	٢١١٢
ص ١٢٤	س ٢٣	بن السمط	اقرأ : بن أبي السمط
ص ١٣٧	س ١١	ابن الفرات	» : ابن القراب (على الترجيح)
ص ١٤٣	س ٢١	ما لدا	» : ما عدا
ص ٢٠٦	س ٩	ابن الرومى	» : ابن الرومي
ص ٢٢٥	س ١٥	للشاشي	» : الشاشي
ص ٢٢٥	س ٢٢	عندي	» : عند
ص ٢٣٠	س ١١	بنا	» : نبا
ص ٢٣٠	س ٢٦	البانيايسي	» : البانياسي
ص ٣١٤	س ١٤	بثلعب	» : بثعلب
ص ٣٩٣	س ٢٤	لله	» : الله
ص ٤٦٥	س ٩	أني	» : في

ج ٥

ص	س	الخطأ	الصواب
ص ٦٧	س ١٢	بخرسان	اقرأ : بخراسان
ص ٨٧	س ٥	في اليمين	» : اليمين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ص ٨٧	س ٥	يستقفص	اقرأ : يستقص
ص ٩٣	س ١٣	عبد الله بن عبد الله	» : عبيد الله بن عبد الله
ص ١٢٨	س ٢٦	وأنفذهما	» : وأنفذها
ص ١٥٣	س ١	وله ب	» : وله أب
ص ١٩١	س ١٣	تعالي	» : تعالى
ص ٢٩٦	س ١٦	الدي	» : الذي
ص ٣٦٠	س ٢٠	لقدّها	» : لقدّها
ص ٣٦٠	س ٢١	الكثيب	» : الكثيب
ص ٣٦١	س ١٩	حمّلوا	» : حمّلوا
ص ٣٩٧	س ٢٠	الجناب	» : الجنان
ص ٤٠٦	س ٢٠	يمنه	» : يمينه
ص ٤١٥	س ٥	فتسبت	» : فنسبت

ج ٦

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ص ٧	س ١٣	الفوات : ٦٤٢	اقرأ : الفوات : ٦٢٤
ص ٥٠	س ١٩	والفوات ٢ :	» : والفوات ٢ : ٦١٤
ص ٦٧	س ١١	بركات هلال	» : بركات بن هلال
ص ٧٦	س ٢٢	تعزل	» : أتعزل
ص ١٠٤	س ٦	هو ابن أحمد	» : هو أبو أحمد
ص ١٣٧	س ١٤	ويلقى	» : ويلقي
ص ١٣٨	س ٢٢	غن	» : عن
ص ١٥١	س ٤	وبينه ؛ وبين	» : ؛ وبينه وبين
ص ١٨٧	س ٢٣	وقيل	: وقبل
ص ٢٥٤	س ٩	المحلى	» : المحلي
ص ٢٦٨	س ١٧	الحزرجي	» : الخزرجي
ص ٣٥٥	س ٢٤	للمقصورة	» : للمقصورة : ٥٨ — ٦٠
ص ٣٥٨	س ٢٢	معاوبة	» : معاوية
ص ٣٦٢	س ٩	مية	» : سُمَيّة
ص ٣٧٠	س ١٤	أبوعبد الله	» : أبو عبيد الله
ص ٣٧٤	س ٢٥	ند	» : قد

ص ٤٠٠	س ١٩	وأبيه	اقرأ: وابنيه
ص ٤١٨	س ١٠	الموفق بالله أحمد	« : الموفق بالله أبا أحمد

ج ٧

ص ١١	س ٢٥	ذاث	اقرأ: ذات
ص ٥٣	س ١٦	المرزع [٣]	« المرزع [٤]
ص ٥٥	س ٢٠	وعبد الله	« وعبد الملك
ص ٦٦	س ٥	وسعيد نصر	« وسعيد بن نصر
ص ٨٨	س ٢	قأجابه	« فأجابه
ص ١٣٩	س ٥	أخيه	« وأخيه
ص ١٩٠	س ١٣	لمسلمون	« المسلمون
ص ١٩١	س ١٣	عدة ا	« عدة
ص ٢٢٩	س ٥	ابن سعيد	« ابن سعيد [١]
ص ٢٢٩	س ٦	الكفيف [١]	« الكفيف [٢]
ص ٢٢٩	س ١٦	١ (رقم الهامش)	« ٢
ص ٢٤٥	س ٧	وستين	« وستين